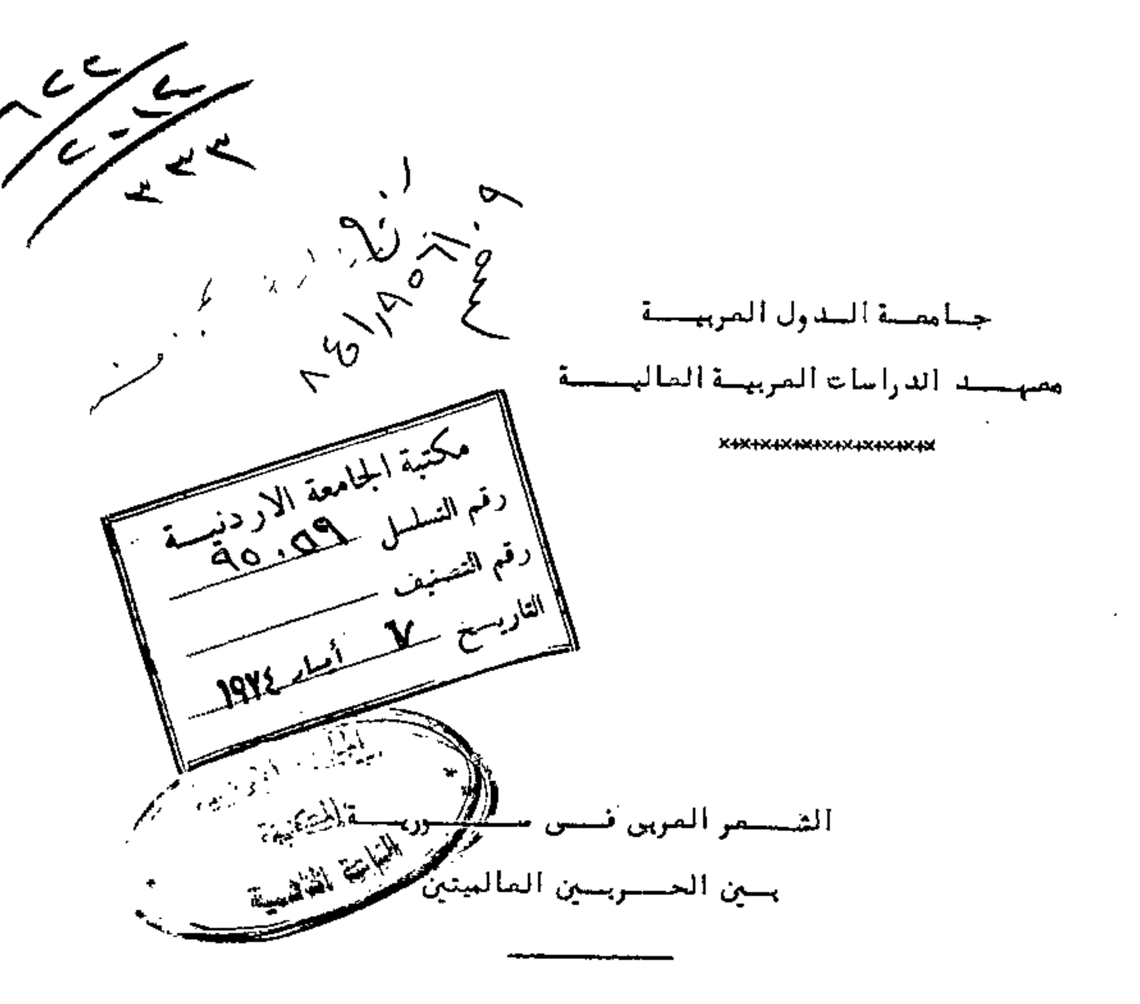
جامعة الدول العربية

معهد الدراسات العربية العالية

xxxxxxxxxxxxxxxxxx



الشعر العربى فى سورية

بين الحربين العالميتين

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

فى

الأدب العربى الحديث

من

محمد صبرى الأشتر

باشراف

الدكتور اسحق موسى الحسينى و الدكتور محمد مندور

١٩٥٨

الفهـــــرس

الصفحـــــة

المقدمـــة

حين فكرت في موضوع الرسالة اخترت ان ادرس الادب بحلب في القرن التاسع عشر ، وشرعـــت في احصاء مصادر البحث فتبين لي صعوبة الحصول عليها كلها ، ووجدت ان الوقت اضيق مـــن ان يتسع لجمعها ودراستها ، فملت الى دراسة الشعر في سورية ، ورغبـني فيه ان الشـــعراء* جميعا احياء، ولبعضهم دواوين مطبوعة ، واخرون نشروا شعرهم في الصحف والمجلات ، فاقبلـت عليهم القاهم فردا فردا ، واسألهم عن شعرهم وحياتهم وبيئتهم التي عاشوا فيها وثقافتهم الـــتي حصلوها ، وعن النهضة الادبية التي قامت في مصر وامتدت الى ما حولها من بلاد العرب ، وعـــن اليقظـــة القومية التي قويت بعد اعلان الدستور العثماني ، وكنت استمتع للشاعر الذي القاه، ولما يريد ان يورد في حديثه من خواطر وآراء تعين على جلاء الغموض الذي يكتنف حياة الشعر والشعـــرا* في سوريـــة .

---

* خير الدين الزركلي

ولد قبيل مطلع القرن العشرين في دمشق ، وتعلم في مدرسة الشيخ احمد دهمان ومحمــد الحكيم ، وهي احدى المدارس الاهلية ، وقرأ علوم العربية والدين على الشيخ جمال الدين القاسمي، وعلوم الآلة على الشيخ عبد القادر بدران، وعمل مدرسا في مدرسة الشيخ كامل القصاب ، وثقف نفسه ثقافة شخصية ، وانتقل الى المدرسة العلمانية في بيروت فدخل الصفوف الفرنسية، ودرس التاريـــخ والأدب وعلوم العربية في الصفوف العليا .

اخذ اللغة العربية من ينابيعها الاصلية ، فطالع الشعر الجاهلي ، ودرس الادب في مختلف العصور فأفاده هذا في جمع الثروة اللغوية والاطلاع على اساليب الشعراء وصورهم .

شارك في الدفاع عن الحكومة العربية بلسانه وقلمه ، فلما احتل العدو البلاد خرج منها الى عمان وتنقل بينها وبين مكة، ثم اقام في مصر، وعمل بعدئذ مع الحكومة السعودية .

أصدر ديوانه الجزء الاول سنة ١٩٢٥ كما اخرج كتاب (الاعلام) وهو قاموس تراجم لاشهـــر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر

محمد البزم :

ولد قبيل مطلع هذا القرن ، وهو واسع العلم باللغة والنحو وفنون الادب ، واسع الروايـــة، كثير المحفوظ من الشعر والنثر والحكم والامثال والاجوبة المسكتة واخبار العرب وشعرائهم وخطبائهم وفصحائهم، فاذا تحدث في هذا الشان أسهب واطال واتى بالمفيد الممتع .

ولقد حبب اليه النحو فتعمق في درسه واطلع على مذاهبه، وكان له رأى في نصرة بعض المذاهب، وترجيح بعض الاقوال، كما كان له رأى خاص في طريقة تدريسه.

انتخبه المجمع العلمي العربي عضوا عاملا سنة ١٩٤٢، وعهد اليه في بعض الشئون اللغوية كالنظر في بعض المعاجم والمصطلحات التي عرضت على المجمع .

درس العربية في المدارس الثانوية بدمشق ، وظهر فضله وتضلعه في النحو وفنون الادب ، واستفاد منه تلاميذه الكثيرون مدة طويلة تزيد على عشرين سنة . وتوفي سنة ١٩٥٦ بدمشق .
(مجلة المجمع العلمي العربي الجزء ٤ المجلد ٣٠)

ثم بحثت في الصحف والمجلات عما نشر فيها من شعر ، وأحصيت الدواوين المطبوعة فتجمع لدى قدر كبير من الشعر يرتد الى الثورة العربية والحكم العربي بدمشق،ويمتد الى يومنا هذا .

واخذت بعد ذلك اقرأ الشعر،وأتبين ملامحه واتجاهاته ، فظهر لي ان معرفة اتجاهاته هي مرحلة في البحث ينبغي ان تسبقها مراحل ، وأن هذه المراحل ينبغي ان تقتصر على دراسة ماهية الشعر .

وعرضت على الدكتور محمد مندور خلاصة رأيي في الشعر بعد قراءته قراءة اولى في صيف عام ١٩٥٦ ، وكنت قد تأثرت في هذه القراءة بكثرة الاتجاهات الغالبة على الشعر ، فحبذ الفكرة ذهابا مع طبع الناقد ، وحثني على المضي في الطريق ، ولكني وجدت بعد التفكير أن من الخير أن أقرأ الشعر مرة اخرى وأتبين وجها آخر من وجوه بحثه .

شفيق جبري

ولد عام ١٨٩٥ بدمشق،وتعلم العربية والفرنسية في مدرسة الآباء اللعازاريين ، واستمر يطالع الادب الفرنسي ولاسيما ادب (اناتول فرانس) فأفاد منه وضوح الفكر والعبارة،وعكف في الحرب الاولى ، على قراءة الادب العربي وتأثر بالمتنبي .

عمل موظفا وبقي رئيسا لديوان المعارف مدة طويلة،وحاضر في ادب الجاحظ وشعر المتنبي في كلية الآداب التي قامت في دمشق سنة ١٩٢٨،وجمع محاضراته في كتابين .

وانقطع عن العمل في الحكومة،ثم عاد عميداً لكلية الاداب في الجامعة السورية بدمشق،ودرس كتاب الأغاني مع طلابه ثم أخرج دراسته في كتاب .

وله شعر منشور في الصحف والمجلات،وبحوث ومقالات أدبية منشورة في مجلة (المجمع العلمي العربي) و (الحديث) و(الثقافة) .

وهو عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعميد كلية الآداب في الجامعة السورية .

خليل مردم

ولد عام ١٨٩٥ بدمشق ودرس في المدرسة الإعدادية بالمدينة،وتثقف ثقافةعربية شخصية ، وحضر الحلقات التي كانت تقام في المساجد او في البيوت ، ويدرس فيها علوم الدين والعربية ، وعكف على مطالعة كتب الادب،فانطبعت في ذاكرته اساليب القدامى ، ولما قام الحكم العربي بدمشق برئاسة الامير فيصل عين مميز ديوان الرسائل العامة،ثم اصبح معاون مدير ديوان الوزارة حين اعلن استقلال سورية وأعفي من عمله بعد الاحتلال .

انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي عام ١٩٢٥،ثم غدا امين سره عام ١٩٤١ ، وانتخب عضوا مراسلا لمجمع فؤاد الأول بالقاهرة وللمجمع العلمي العراقي، وانتخب رئيسا للمجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٣ ولا يزال رئيسا له .

وتسنم منصب الوزارة في بعض المناسبات .

وكان قد سافر الى لوندرة عام ١٩٢٦،واقام فيها ثلاث سنين يتلقى دروسا خاصة في اللغة

ولقيت بعدئذ الدكتور اسحق موسى الحسيني فخلانى الى نفسى ونصحنى بالاطلاع على ما كتب فى فنون الشعر ونظريات النقد، وارتأى تضييق دائرة البحث ، وكنت اردت ان تشمل الشعر من نشوب الثورة العربية الى يومنا هذا .

وعدت الى قراءة الشعر متأثرا بفكرة الموضوعات التى طرقها الشعراء القدامى ، ووجدت أن قراءته موجهة بهذه الفكرة تلائم فنون الشعر العربى ، وتطوره خلال العصور ، وتبين لى بعد الدرس ان الشعر فى سورية يشتمل على موضوعات ثلاثة هى الشعر الوطنى والوجدانى والاجتماعى

وتابعت دراسة الموضوعات بعد الحرب الثانية ، فوجدت الشعر الوجدانى يسود اولا ثم يغلب عليه شعر النضال بعد محنة فلسطين ، وعندئذ أدركت ان البحث سيطول وأنى لن استطيع المضى فيه حتى الوقت الحاضر .

الانجليزية ويستمع للمحاضرات فى اللغة وآدابها بجامعة لوندرة، واكتسب من مقامه هناك الدقة فى الملاحظة والتصوير، وفتح امامه افق جديد لفهم كثير من معانى الادب والشعر .

مال الى الدراسات الادبية منذ شبابه ، ونمى فيه هذا الميل اتصاله بالمستشرقين وتدريسه الادب العربى فى الكلية العلمية الوطنية بدمشق بعد عودته من لوندرة ، فأصدر سلسلة باسم (أئمة الادب) تناولت الفرزدق وابن المقفع والجاحظ وابن العميد والصاحب بن عباد ، وكان قد قدم بحثا للمجمع العلمى العربى عن (شعراء الشام فى القرن الثالث) حين انتخب عضوا فيه .

وانتخب رئيسا لجمعية (الرابطة الادبية) التى اسسها فريق من الادباء عام ١٩٢١ وصدر عنها مجلة باسمها واشترك مع بعض الاساتذة فى اصدار مجلة (الثقافة) عام ١٩٣٢ .

وانصرف الى تحقيق الشعر القديم ونشره . فحقق ديوان (ابن عنين) (ابن جهوس) وهما من شعراء دمشق وديوان (على بن الجهم) ، وقدم لهذه الدواوين ببحوث قيمة عن حياة الشعراء وعلمهم وادبهم ولغتهم وعصرهم ومكانتهم .

وله شعر منشور فى الصحف والمجلات وليس له ديوان مطبوع .

بدوى الجبل .

ولد عام ١٩٠٧ فى جبل العلويين ، ودرس علوم الدين والعربية على والده الشيخ سليمان الاحمد ، وتأثر بوالده كثيرا . نظم الشعر وهو ابن عشر ، ونشره فى الجرائد فى الثالثة عشرة .

درس فى المدرسة الرشدية فى اللاذقية ، والتحق بالمدرسة الاعدادية فى دمشق ، ولم يتابع دراسته فيها وشغل بثورة (صالح العلى) فى جبل العلويين ضد فرنسة ، ثم عاد الى الريف ، وتابع درسه على والده

درس الادب العربى القديم فقرأ (نهج البلاغة) ، واطلع على شعر ابى تمام والمتنبى والبحترى والشريف الرضى والمعرى .

وقرأ التفسير والحديث وألفية ابن مالك على والده .

طالع فى الحديث شعر شوقى وحافظ وخليل مطران ، واعجب بشوقى كثيرا وتأثر بالقدامى اكثر مما تأثر بشوقى ، وقرأ المنقول عن الآداب الغربية وتابع مجرى الحركة الفكرية .

ولما عدت الى سورية فى آذار عام ١٩٥٦ بدأت أكتب الموضوع فكتبت الشعر الوطنى والوجدانى والاجتماعى ، ثم قدمت على مصر لتقديم امتحانات دبلوم المعهد، واطلعت الدكتور الحسينى على مخطط البحث النهائى .

والبحث محدود بزمان ومكان ، والزمان يبتدئ من نشوب الثورة العربية وقيام الحكم العربى بدمشق، وينتهى بنشوب الحرب الثانية ، والمكان هو الجزء القائم بين تركية شمالا، والعراق شرقا، وشرق الاردن وفلسطين جنوبا، ولبنان والبحر غربا

والبحث يقوم على دراسة الشعر من ناحية الموضوع والشكل ، فاما الموضوع فيشمل الشعر الوطنى والوجدانى والاجتماعى، واما الشكل فيشمل بناء القصيدة والصياغة والوزن والقافية ، وعلى هـذا فالبحث يقع فى بابين ويشتمل كل منهما على ثلاثة فصول .

وهكذا قامت ثقافته على التاريخ العربى وعلوم الدين والعربية والأدب العربى القديم والحديث أصدر ديوانه سنة ١٩٢٥، وهو يحوى باكورة شعره .

واشتغل فى السياسة فكان نائبا فى المجلس النيابى ووزيرا .

محمد الفراتى .

ولد فى مطلع هذا القرن او قبله بقليل فى دير الزور على الفرات ، ودرس علوم الدين والعربية فى الازهر قبل الحرب الاولى، وعاد الى سورية بعد نشوب الثورة العربية وقيام الحكم العربى بدمشق، ولما انهار عرش فيصل، واحتل العدو البلاد حزن وتألم، وأمعن العدو فى ظلمه فرحل الى العراق فرارا من الاذى، وتنقل فى بعض إمارات الخليج العربى . ثم عاد الى بلده، واخذ يدرس الادب العربى فى المدرسة الثانوية، ولا يزال مقيما فى دير الزور .

وله ديوانه الذى اصدره عام ١٩٣١ .

بدر الدين الحامد

ولد عام ١٩٠٠ بحماة ومنى بفقد الاب فى الرابعة عشرة وبالام فى السادسة عشرة من عمره وكان له ولاخويه بقية من ارث فاجتاحها الدهر فاذا هم فقراء . وتقطعت به الاسباب ، وسدت فى وجهه سبل الحياة ، وتعذب وظلم ، ثم سهلت له الاسباب ، وبدأ ينظر الى الحياة من وجهها الضاحك على ما فيه من الم ، واسترسل فى اغتنام اللذات فما احجم عن واحدة منها ، وقد زادته جمال الطبيعة طربا ، وهاج به الذكرى الماضية، وانصرف الى سماع الغناء والاستمتاع بمجالس اللهو .

ولما بلغ الثالثة والعشرين راقه عنت الزمان، وانصرف الى النظر فيما يحيق ببلاده من السوء ، واخذ ينظم الشعر الوطنى ، وهو مدين بمعظم ما قاله فى هذا الباب الى النادى الادبى فى حماة، فكان كلما نظم قصيدة القاها فيه على ملاء من الناس .

وفى اواسط السادسة والعشرين حدثت ثورة حماة، فكمت الافواه ، وزج به فى السجن ، وعذب فلما أخرج عنه بكى كثيرا على ما صارت اليه حال البلاد .

وأثر فيه الشعراء الغزلون فى صدر الاسلام من مثل جميل وقيس وعروة ، وبشار بن برد والعباس بن الاحنف

وقد قسمت كل فصل اقساما ، فالفصل الاول من الباب الاول ثلاثة اقسام ، قسم يبحث الشعر الوطني الذى سجل احداث سورية فيما بين الحربين ، وثان يتعلق بشعر المناسبات ، وثالث يستوحى التاريخ العربي

والفصل الثاني ، وهو الشعر الوجداني ، يشتمل على الغزل ووصف الطبيعة والخمر والتاملات والانفعالات الذاتية

والفصل الثالث هو الشعر الاجتماعي .

اما الباب الثاني وهو الشكل ، فيقع في ثلاثة فصول الاول يتناول بناء القصيدة في كل موضوع من موضوعات الشعر .

والثاني يتناول الصياغة، وقد قسمته ثلاثة اقسام ، قسم يدرس اللفظ ، وثان يدرس التركيب

وابو نواس وابن المعتز والبحتري والمتنبي وأبو فراس في العصر العباسي ، وشعراء الاندلس الذين وصفوا الطبيعة، وشوقي في العصر الحديث .

وله ديوانه الذى اصدره عام ١٩٢٨

عمر يحيى

ولد بحماة عام ١٩٠٢، ودرس في مدارسها، وحضر بعض الحلقات التي كانت تعقد في المساجد ويدرس فيها علوم الدين والعربية ، وذهب الى الكلية الصلاحية في القدس ، ودرس اللغة العربية على اسعاف النشاشيبي وعاد الى حماة ، فعين معلما في احدى مدارسها، ثم استاذا في مدرسة (دار العلم والتربية) فمديرا لها ، وقدرت وزارة المعارف جهوده ومقدرته وسعة اطلاعه في ادب اللغة العربية، فعينته استاذا في ثانوية انطاكية ، ثم انتقل الى حلب ، فمكث فيها خمسة عشر عاما يدرس ابناءها ، وقد تخرج على يديه كثير من طلاب الشهادة الثانوية ، وكنت بينهم .

نشر بعض قصائده ودراساته الادبية في بعض الصحف والمجلات من مثل (الزهراء) و (الكشاف) و (الحديث) .

وعى الشعر الجاهلي، وحفظه، ورواه، وأثر فيه شعراء العصر العباسي ولا سيما ابو تمام والبحتري والمتنبي، واسلوب هؤلاء الثلاثة ظاهر في شعره ، واعجب بشوقي وحافظ في الحديث فرفع اليهما ديوانه (البراعم) .

على الناصر .

ولد بحماة عام ١٨٩٦ ، ودرس في المدرسة الرشدية في المدينة، والمدرسة الاعدادية بدمشق، ودرس الطب في المدرسة الطبية الملكية في الآستانة ، ثم اختص بامراض الجلد في باريس .

تثقف بدراسة الادب العربي القديم ، فقرأ شعر الجاهلية والغزليين والمعري ، وكتاب (الاغاني) و (الأمالي) في القديم ، وطالع في الحديث شعر شوقي وحافظ وخليل مطران ، واعجب بشعر المهجر لما فيه من وجدان وفن .

عرف الفرنسية والانجليزية والتركية، وتعلم الفارسية أخيرا ، واطلع على الادب الفرنسي والانجليزي وأعجب بشعراء معينين امثال (بو) و (بودلير) ، وقرأ الادب المنقول الى العربية.

وثالث يدرس الصورة

والثالث يدرس الوزن والقافية .

وتناولت كل قسم من اقسام الفصل الواحد بالتجزئة ، فغلب على البحث جانب التقسيم والتحليل، ثم عدت في نهاية القسم من اقسام الفصل او في نهاية الفصل من فصول الباب، فركبت الاجزاء المتناثرة، ثم ألفت بين اجزاء البحث، ونظمتها في الخاتمة، واستخرجت منها قسمات الشعر وملامحه .

ومع أن البحث يتناول لدراسة الشعر لا الشاعر فاني لم اغفل ملاحظة الظاهرة الادبية في شعر الشعراء الذين يعدون اربعة عشر شاعرا .

والحق أني تقيدت بمخطط البحث تقيدا جعلني احس بأني غدوت رهن محبسه ، وكنت ظننت في بادئ الامر أني قيدته بما شدت من بنائه، وأني استطيع ان أصرفه كما أشاء .

وقد عرف بتشاؤمه الناجم عن فرط حساسيته وتبدل احوال العصر وظلم قومه وذلهم، وكره الحياة لما فيها من قيود ، ولم ينظم الشعر الا بعد عام ١٩٢٠، ويمتاز بما في شعره من أصالة وتجديد .

وله (قصة قلب) وهو ديوان يحوى باكورة شعره ، وديوان (الظمأ) وهو مطبوع، و (البلدة المسحورة) وهي قصة نثرية تتضمن آراءه في الكون والحياة وبعض أدباء الشرق والغرب ، و (دن الدموع) وهي أيضا قصة نثرية غاية في العطف على الانسانية المعذبة .

عمر أبوريشة

ولد في قرية القرعون في البقاع عام ١٩١١ ، وبيته بيت شعر ، وأنهى دراسته الابتدائية دراسته الادبية بحلب ، ثم انتقل الى الكلية في الجامعة الامريكية ببيروت ، ونظم مسرحية (ذى قار) وهو طالب فيها .

عاد الى حلب عام ١٩٢٨ فاقام بها سنتين أثار خلالهما ضجة إثر تمثيل مسرحيته الشعرية، وفي أوائل سنة ١٩٣١ سافر الى (مانشستر) ليدرس صناعة النسيج ، ولكنه لم يكمل دراسته لاعتقاده أنه يستطيع ان يخدم امته بشعره أكثر مما يخدمها بطريق الصناعة.

وتعرف أثناء مقامه في انجلترة إلى آنسة من أسرة موسرة فاحبها ، ثم مالبثت ان توفيت ، فخلفت في نفسه اثرا ظهر في تفنيه بالحب والمرأة .

وكانت عودته الى وطنه سنة ١٩٣٣ فاقام يغني الحركة الوطنية ، وينظم الشعر الوجداني الذى يظهر فيه اثر اطلاعه على ادب الغرب . وقد أخرج ما نظمه في ديوانه (شعر) سنة ١٩٣٦

وفي سنة ١٩٤٨ عين مديرا لدار الكتب الوطنية بحلب، وكان قد اخرج سنة ١٩٤٧ نسخة ثانية من ديوانه (شعر) ، تضمنت بعض القصائد في ديوانه الاول ، واشتملت على ما نظمه بعد سنة ١٩٣٦ . وانتظم سنة ١٩٤٩ في سلك وزارة الخارجية ولا يزال منتظما فيه .

طالع الشعر الجاهلي وشعر ابي تمام والبحتري والمتنبي في العصر العباسي، وشعر شوقي في الحديث، ودرس الادب الانجليزي ، وتوسع في مطالعته ، وتأثر بشعراء معينين من الانجليز وغيرهم امثال (بايرون) و (بو) و (بودلير) ، وظهر اثرهم في شعره .

ولا أخفى أنني حاولت ان ادرس الشعر بروح المؤرخ بذوق الناقد ، وكان الدكتور مندور يدفعني الى التأريخ والتذوق والحكم ، وما زال يفصل حتى جعلني امسك بمبضع الناقد، واعتمد على ذوقي في تقييم بعض النصوص

وقد كانت محاضرات المعهد في اللغة وفنون الادب ومذاهب النقد مفيدة لي ، اذ وجهتني الى الكشف عن وجه الشعر في سورية ، وما كانت قسمات هذا الشعر لتظهر على نحو ما بانت في الرسالة لولا اطلاعي على ملامح الادب العربي في المهجر ومصر وبعض البلاد العربية الاخرى •

وقد آثرت دراسة الشعر على الشاعر لسببين اثنين :

ا — اولهما أن أغلب الشعراء ليس لهم دواوين مطبوعة، ومن كان له ديوان فقد ظهر في باكورة حياته الشعرية صغير الحجم، قليل الحظ من العناية، لا يصور ملكته، ولا يحدد خصائصه الفنية ، ووجود الديوان الذى يحوى معظم ما قال الشاعر شرط اساسي لدرسه والحكم عليه .

ويعتبر زعيم التجديد في الشعر العربي الحديث في سورية ورأس مدرسة الشعراء الشباب الذين ظهروا في سورية بعد الحرب الثانية •

انور العطار •

ولد في العقد الثاني من هذا القرن، وتوفى ابوه وهو صغير، ودرس في المدرسة الابتدائية ببعلبك وقضى فيها طفولته • ثم أتى دمشق في عهد فيصل، واستمع لخطبته التى حث فيها اهل دمشق على مقاومة فرنسة ، ودخل مدرسة (عنبر) فتعرف فيها الى نفر من الشعراء الشباب، فيهم زكي المحاسني وجميل سلطان وعبد الكريم الكرمي ، وأقام المجمع لهؤلاء الشعراء حفلة تكريم تشجيعا لهم على قول الشعر بعد تخرجهم من المدرسة •

قرا الادب القديم، واستهواه الشعر العربي، فطالعه وحفظ منه كثيرا وكان يرتاد المكتبة الظاهرية بدمشق، ويتصل بالمراجع الادبية

نشر شعره في المجلات الادبية من مثل الزهراء والحديقة والاخبار والرسالة

درس الادب العربي بدمشق، ورحل هو وعلى الطنطاوى الى بغداد ليدرسا الادب فيها •

قرأ مجمل تاريخ الادب الفرنسي، ولخص بعض الترجمات وحفظ نماذج من الشعر الفرنسي، وتأثر بالنزعة الرومانتكية في القرن التاسع عشر ، وترجم لشعرائها بعض القطع من مثل (الوادى) للشاعر (لامارتين) و(الذكرى) للشاعر (موسيه) ، وتأثر بتأملات (لامارتين) الدينية ، وفتن بظهور الطبيعة في ادب (روسو) و (شاتوبريان) و (دى سان بيير) وتأثر بشعراء الطبيعة امثال (لامارتين) و (هوجو) واعجب بمن غنى وطنه وجماله فقلده في غناء وطنه •

وله ديوان (ظلال الايام) ، وتسوده نصوص من الحزن هي من اثار فقده امه التى احبها حبا جما

جميل سلطان

ولد في العقد الثاني من هذا القرن ، وتخرج من مدرسه (عنبر) ونال شهادة الحقوق من معهد الحقوق في الجامعة السورية واجازة كلية الآداب التى تأسست في دمشق سنة ١٩٢٨ ودرس في الكلية تاريخ الادب على الاستاذين سليم الجندى وشفيق جبرى ، والنصوص على الشيخ عبد واللغة على الشيخ عبد القادر المبارك • وعلوم الآلة على الاستاذ سليم الجندى •

— سافر الى فرنسة سنة ١٩٣٧ ، فحصل فيها اجازة الآداب وشهادة الدكتوراه •

ب ـ وثانيهما ان درس الشعر فى حقبة زمنية تبلغ ربع القرن يبرز طابع المرحلة التاريخية التى قطعها الشعب ، ويكشف عن مزاجه ، ولون ثقافته، وطراز تفكيره ، وعاداته، ومحور اهتمامه وعندئذ يغدو الشعر والشاعر ظاهرة من ظواهر النشاط الاجتماعى الذى يميز المرحلة التاريخية من غيرها من المراحل، ويغدو الشعر صورة لحياة الجماعة لا الشاعر .

ومع هذا كله فقد ورد فى سياق البحث كثير من الاحكام والنظرات التى تتعلق بخصائص طبقة من الطبقات، أو شاعر من الشعراء، وكانت الظاهرة الادبية فى الموضوع او الشكل مدار النظر والبحث والتنقيب .

واخيرا فإنى اشكر للاستاذين الكريمين عنايتهما بى، وتشجيعهما لى على المضى فى البحث ، فبهما بلغت النهاية، والله يجزيهما خير الجزاء ..

واطلع فى دراسته الثانوية على نصوص من الادب الفرنسى للشعراء (كورنى) و(راسين) و(موليير) و (لافونتين) وقرأ بعدئذ ديوان (موسيه) ورواياته، واعجب برقة عاطفته وحسن تصويره، وقرأ الادب المنقول الى العربية . وقرأ فى الشعر الحديث لشوقى وحافظ ، وورد منابع الشعر الاصلية فى الجاهلية والاسلام وعصر بنى امية والعباس ، فاعجب بجرير وابى نواس والبحترى والمتنبى ، وطالع امهات كتب الادب ولخص بعضها .

درس اللغة العربية وآدابها فى انحاء مختلفة فى سورية ، وكنت من بين تلاميذه

أصدر سلسلة من الدراسات الادبية وعنوانها (الخالدون) فظهر منها النابغة والحطيئة وعبد الله بن رواحة وجرير وصريع الغوانى وابوتمام . وله كتاب (دراسة نهج البلاغة) و (فن القصة والمقامة) و (فنون الشعر) و (اوزان الشعر وقوافيه) و (الموشحات) .

واشترك مع بعض زملائه فى كتابه (الموجز) فى تاريخ الادب العربى .

رفيق الفاخورى

ولد فى مطلع العقد الثانى من هذا القرن، ونال شهادة الحقوق من معهد الحقوق فى الجامعة السورية. اعتمد على نفسه فى تحصيل ثقافته الادبية . وأعجب بمدرسة البعث فى مصر، وطالع الادب العباسى

اتقن اللغة الفرنسية فاطلع على الادب الفرنسى ولا سيما ادب القرن التاسع عشر ، وافاده هذا فى طرق بعض الموضوعات الجديدة كموضوع الخريف . وقد كان ولا يزال استاذ الادب العربى فى حمص وهو يعنى باللفظ الجزل والديباجة المشرقة وعنده أن الشعر هو تعبير قبل كل شيء ..

اصدر مع زميله محيى الدين الدرويش سلسة أدبية سماها (أوابد الشعر) وقد تضمنت مختارات من الدواوين.

رضا صافى .

ولد فى سنة ١٩٠٧، وتوفى ابوه وهو ابن ثمان، وكان يعقد حلقه فى بيته يدرس الفقه وعلوم الآلة، ثم توفيت امه فكفله جده . قرأ القرآن فى الكتاب، ودرس فى (المدرسة العلمية الوطنية) ثم انقطع عنها بعد وفاة جده، واشتغل فى الحياكة والخياطة والطباعة ثم عاد الى المدرسة، ولبث فيها حتى تخرج من الصف التاسع انتظم فى سلك المعارف، ونال شهادة الدراسة الثانوية ، ثم اصيب بالصمم فاعتزل الناس، وتابع الدراسة ـ رغم تقدمه فى السن وحاز شهادة الحقوق .

درس الادب على بدر الدين الحامد، واتصل بالشعر القديم بعد اطلاعه على مختارات البارودى، فقرأ شعر بشار بن برد وابى نواس والبحترى وابن الرومى والمتنبى والمعرى، وقرأ فى الحديث شعر اسماعيل صبرى وشوقى وحافظ، واعجب كثيرا بشعر حافظ .

تأثر بشعراء الرعيل الاول ، واعجب بشعر جبرى وما فيه من طلاوة وموسيقى وصنعة ، ويرى ان الشعر هو شعر الديباجة ..

شعر فى الوجدان والاحداث والمناسبات القومية، وقال فى الرثاء ..

الفصل الأول

الشعر الوطني

نقسم الكلام على الشعر الوطني أقساما ثلاثة ، فنتحدث أولا عن الشعر الذي سجل أحداث سورية ، ثم ندرس الشعر الذي قيل في المناسبات ، وأخيرا ندرس الشعر الذي استمد موضوعاته من التاريخ العربي .

القسم الأول
الشعر في أحداث سورية

ونقسم الشعر المقول في الأحداث خمسة أقسام :

أ)) ـ الثورة العربية والحكم العربي بدمشق

كان اعدام الشهداء في السادس من أيار عام ١٩١٦ مما عجل باعلان الثورة العربية في مكة في العاشر من حزيران من هذا العام ، وكانت الثورة العربية معركة جد وصلت العرب بالحياة ، وأعادت اليهم الثقة بأنفسهم وبقدرتهم على تحقيق أمانيهم في الحرية والاستقلال والوحدة ،وعلى معاونة الحلفاء على انهاء الحرب في ديار الشام .

وكان شعر الثورة أحد مظاهر الحياة القومية المتجددة ، فقد بكى الشهداء [١] ، ورأى في موتهم مصابا قوميا يذكره العرب كما يذكره الأدب ، ورأى في الثورة ثأرا لهم من الترك الذين ساموا الناس سوء العذاب [٢].

لقد صور الشعر نشوب الثورة بقيادة الشريف حسين ، اذ دعا اليها فلبى العرب الدعوة ، واستعدوا للحرب ، وساروا من أرض الحجاز الى الشام **يقتلون** الترك حيث وجدوهم حتى استطاعوا دخول دمشق في الثالث من تشرين الأول عام ١٩١٨ .

وكان قيام الثورة في مكة ، مناسبة **أعادت** الى الأذهان ذكرى

---

(١) المختار من الشعر في سورية بين الحربين ص ١

(٢) المختار ص ١

الرسالة التى جهر بها النبى العربى ، وحملها العرب الى العالم، فأقاموا عليها مجدهم وتاريخهم وحضارتهم التى كانت هدى ونورا للعالمين ، ولذا وجدنا الشعر يعتمد هذه الذكرى فيحييها ، ويوصى العرب بأن يترسموا خطى آبائهم الأولين ، فيسيروا الى الشام والعراق وأقاصى الجزيرة ، ويحرروها من جور الترك ، ووجدناه يجعل من اشتراكهم فى الثورة نسبا يربط الحفدة بالاجداد ٠

وكان انتماء قائد الثورة الى البيت الهاشمى يحرك العاطفة الدينية ، ويجنح بالشاعر الى أن يرى فى الثورة مناسبة لاحياء الاسلام وإعادة مجده ، وهذه النظرة التى نجدها عند محمد الفراتى تقابلها نظرة أخرى أقوى وأشمل هى النظرة القومية التى ترى فى الثورة قوة تبعث الماضى والتاريخ ، وتوقظ العرب ، وتصلهم بالحياة ، وتزيدهم ايمانا بأنفسهم ، ووعيا لذواتهم ، ومعرفة بقدرتهم على العمل فى سبيل أمانيهم ، ولعل هاتين النظرتين تمثلان المجتمع العربى الذى كان يتجاذبه تيار القومية العربية الخالصة [(١)]، والقومية التى تقوم على الدين فيما تقوم عليه [(٢)]

ونجد الشاعر [(٣)]، فى مجال النظرة القومية ، يتبرأ من الوطنية العرجاء التى تعتمد على النزعات الاقليمية ، ويلبى النداء المنبعث من الجزيرة ، ويجعل دمه حقا للوفاء بالعهد ، أن يعمل فى سبيل أمته٠

ونجد فى شعر الثورة مدحا للشريف حسين وأسرته ولاسيما فيصل الأول الذى قاد الجيش العربى فى حركة الفتوح ، ونجد تصويرا للوقائع ، وتسمية لها ولأدوات الحرب والقتال ، وفخرا بالنصر ، وشماتة بهزيمة الترك ، وحثا للعرب على النهوض والعمل [(٤)].

ويصور شعر الثورة آثارها فى النفوس ، فيصور أولا عاطفة الحماسة القومية التى تجلت فى الدعوة الى الثورة ، وتلبيتها ، والاستعداد للحرب ، وخوض الوقائع فى جرأة وبسالة ٠

ويصور ثانيا قوة الحركة العربية ، ونمو الوعى القومى ، فالثورة كانت قوة دفعت بالحركة العربية الى الامام ، ونفخت فيها من روحها ،

---

(١) المختار ص ٢ (٢) المختار ص ٢

(٣) المختار ص ٢ (٤) المختار ص ٢

فزادتها قوة ونماء ، واتضح بذلك معنى القومية العربية التى تقوم على وحدة التاريخ واللغة ، وتتغذى بكفاح العرب فى مرحلة النضال التى يجمعهم فيها وحدة الآلام والآمال .

ويصور ثالثا شخصية الأمة العربية وقد تحققت بعمل ثورى تجسدت فيه معانى المقاومة والصلابة والشجاعة والبطولة والتضحية ، وتطلعت الى حياة حرة كريمة فى وطن عربى يقوم على دعائم مكينة من الماضى والحاضر .

لقد بعثت الثورة على قول الشعر ، فكان مظهرا من مظاهر قوتها ، وسلاحا يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم فى مرحلة النضال.

وهكذا صور الشعر الثورة عملا ابداعيا تحققت به شخصية الأمة العربية ، وغدت به حياتها حافلة بالحركة والقوة والنشاط.

- ٢ -

كانت دمشق مستقر الثورة بعد انطلاقها من أرض الحجاز ، فقد قامت فيها حكومة ، برئاسة الأمير فيصل الأول ، تشرف على المناطق الداخلية فى سورية ، واستقرت جيوش فرنسة وانجلترة فى بعض المناطق الساحلية ، وأخذت الحليفتان بعد قليل تخلقان المصاعب فى سبيل الحكومة العربية ، وبدأت الشكوك تساور النفوس ، وثبت للقوم ما كان أشيع من قيام اتفاق بين الدولتين على اقتسام بلاد الشام والعراق ، وذهب الأمير الى مؤتمر الصلح ليدافع عن حقوق العرب ، ويستنجز الحلفاء وعودهم ، فلم ينل شيئا ، فعاد الى دمشق .

ثم جاءت دمشق بعثة أمريكية تستفتى أهل الشام فى أمر مصيرهم ، فتظاهروا ، وأجمعوا على المطالبة بالاستقلال والوحدة .

وتكشفت نيات الدولتين يوما بعد يوم ، وسقط القناع عن وجه الاستعمار البغيض ، ونشبت الثورات المحلية ضد الاحتلال والتقسيم العسكرى الذى استمر عاما ونصف عام ، فألحق الضرر بالبلاد ، وأوقف سير أعمالها الادارية ، ومصالحها الاقتصادية ، وأوقع الانقسام فى صفوف الأمة باثارة النعرات الدينية والطائفية والنزعات الاقليمية ، وخلق الفتن والاضطرابات .

واجتمع المؤتمر السورى بتأثير الرأى العام ، فقرر أن لا يسمح للجيوش الفرنسية بالتغلغل داخل البلاد ، وأن يدافع عن استقلالها ، وفرض الخدمة

فى الجيش على الشعب ، وأعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، ومبايعة الأمير فيصل بالملك .

وسار المستعمر الى غايته المرسومة من قبل ، وهى تمزيق وحدة العرب فى ديار الشام ، فأخذ يفسد خطط القادة بما يخلق من أسباب التفرقة والتجزئة ، ويتخذ من الدين وسيلة الى بلوغ غرضه المنشود ، وظل رجال سورية يقاومونه حتى كانت وقعة ميسلون التى ذهبت بالاستقلال ، وعندئذ قام عهد الاحتلال .

— ٣ —

وقد أظهر الشعر فى عهد فيصل حقيقة الحلفاء ، فكشف عن مكرهم وخداعهم وتضليلهم للرأى العام بمعسول الوعود التى صدقها رجال العرب فى حينها ، وناموا عليها ، ثم كذبتها الأيام (١) .

وصور تلون المستعمر الذى وعد العرب بتحقيق أمانيهم ، وهو ينوء بأعباء الحرب ، فلما استوثق من النصر ومن قوته ، ومكن لنفسه فى الأرض ، لم يوف بالعهد ، وابتدع نظام الانتداب ليحكم به البلاد .

وصور الشعر الواقع ، فبين الأخطار المحدقة بالأمة ، ودعا الى مواجهتها بقوة وحزم ، فالهوان نازل بالبلاد لوجود المستعمر ، والناس صامتون فى الشام والعراق ، ولاسبيل الى النجاة الا بالكفاح ، وهنا نجد الشعر يدعو الى محاربة المستعمر ، والى الاتحاد وتنظيم الجمع قبل خوض المعركة ، وينذر المستعمر بالقتال ، ويخيره بين الجلاء عن البلاد وبين السيف ، وتستفز الحمية الشاعر ، فيصور بعض مناظر القتال ، ويؤكد ، فى الوقت ذاته ، تعلق الشعب بالاستقلال بعد أن ظفر به (٢) .

وحين يصور الشعر الحرص على الاستقلال ، نحس التياع النفوس التى ما كادت تظفر بحريتها حتى بدا فى الأفق ما يهددها بزوالها .

ولقد أظهر الشعر أن أمر العرب مع المستعمر هو أمر الشرق مع الغرب ، وأمر الضعف مع القوة ، وأن القوة هى النصير الوحيد فى طلب الحق ، وأيد هذا الرأى بالدليل المستمد من واقع المرحلة

---

(١) المختار ص ٣

(٢) المختار ص ٤

التاريخية ، فبين أن مصر تفتقر فى قراع الاستعمار ، الى القوة التى لو ملكتها لجلا عنها المستعمر [١].

ولا ينسى الشعر فى هذا المهد ، أن يصور حال البلاد العربية الأخرى ، فيصف خور العزائم فى العراق فى الثورة على الانجليز ، ويأسف أن يكون العراق قد ضيع فرصة قلما يجود بها الزمان ، ويستثير النخوة والحمية بما يذكر عن ثورة مصر وعزة أهلها ، ويشير الى الأواصر التى تربط مصر بالشام ، والى وحدة الشعور بين القطرين ، ويتخذ من كفاح الشعوب فى سبيل حريتها ، ومن تنازعهم فى طلب العلى وسيلة الى بعث روح الحماسة فى الأمة العربية ، واظهار أن المطلب الجسيم لا ينال الا بالكد والكفاح [٢].

— ٤ —

وعلى الرغم من انقلاب الحلفاء على العرب ، وظهورهم بمظهر المستعمر الماكر الجشع ، فان معانى الثورة العربية ظلت حية فى النفوس ، ولا أدل عليها من القصيدة [٣]. التى ألقيت بين يدى فيصل بعد مبايعته بالملك، فقد أظهرت أن بلاد العرب وحدة يكمل بعضها بعضا ، وأن لكل بلد ميزة يعرف بها ، ودورا تاريخيا فى بناء المجد العربى التلمد ، ولعل أجدر البلاد بالذكر مكة والجزيرة العربية التى كانت مهد الرسالة ، وموطن البعث العربى ، وأثرت وما زالت تؤثر فى حياة العرب ، ورسالتهم الى العالم .

وأظهرت القصيدة أن النبى العربى مثبت مجد العرب ، ومحقق شخصيتهم ، وأن الجزيرة قبلة العرب قديما وحديثا ، وأن الأجداد خرجوا بالدعوة الى العالم ، وأقاموا عليها الملك والحضارة ، وأن العرب أتى عليهم ما أتى على غيرهم من الأقوام من هوان بعد عز ، وضعف بعد قوة ، وأنهم اليوم يبعثون خلقا جديدا بعد أن ظن بهم الموت، وأنهم تكشفوا لأنفسهم عن معدن طيب ، وجوهر أصيل ، وحيوية متدفقة ، وتجدد مبدع ، وأن تاريخهم من الجاهلية الى اليوم هو تاريخ الأمة

---

(١) المختار ص ٤ (٢) المختار ص ٤

(٣) المختار ص ٥

العربية في تفتحها ، ووعيها لذاتها ، وانطلاقها بالرسالة الى العالم، وبنائها الملك والحضارة ، وضعفها ، ونومها بعدئذ ، ثم استيقاظها وعودتها الى الحياة من جديد .

ـ ٥ ـ

وصور الشعر بعد اعلان استقلال سورية ، سعي المستعمر الى تمزيق وحدة الأمة بالوسائل المختلفة ولاسيما الطائفية ، ولذا وجدنا الشعر ينادي بحرية المعتقد ليقضي على الفتن ، ويقطع السبيل على المستعمر وأجرائه ، ووجدناه يفضح هؤلاء ممن اتخذوا الوطنية وسيلة الى تحقيق منافعهم ، ويصف دعوات التجزئة والتفرقة التي كان يغذيها المستعمر من وراء الستار ليتسنى له تجزئة البلاد ، وتقسيمها بعد الاستيلاء عليها (١)

وأخيرا يصور وقعة ميسلون التي كانت الحادثة الثالثة بعد اعدام الشهداء ، واعلان الثورة العربية .

وقد صورت قصيدة الزركلي[٢] ، التي نظمت على أثر الوقعة ، عظم المصاب ، ووقعه الأليم في النفوس ، وحرقة الشاعر ، وسخطه على الحلفاء الذين نادوا بحق الشعوب في تقرير المصير ، وصورت رثاءه لحال أمته العربية التي وثقت بعهد الاقوياء ، فأسلمت قيادها اليهم، وايمانه بنهوضها في الغد القريب .

وصورت ، الى هذا كله ، تنافر الزعماء قبل الوقعة ، وترددهم بين الاقدام والاحجام ، وخروج القوم ، وهم قلة عزل ، لملاقاة عدو مدجج ، كما صورت المعركة تصويرا خاطفا .

وأظهر الشعر ، في تصوير هذه الوقعة ، بطلان حجج الضعيف وأن الحق يعوزه القوة .

ـ ٦ ـ

وهكذا صور الشعر ، في عهد فيصل ، حقيقة الحلفاء ، فأظهر سوء نياتهم ومكايدهم ، وفضح ائتمارهم بوحدة العرب وحريتهم ، ودعا الى قراع الاستعمار ، وجعله نسبا يصل الحفدة بالأجداد ، وصور موقف الغرب من الشرق على ضوء ما تكشف من حقيقة المستعمر في مرحلة النضال ، واستمر في وصف كفاح بلاد العرب في هذه الفترة ، فأظهر وحدة النضال التي تجمعها لتقرير المصير ، والروابط القائمة بينهما ،

---

(١) المختار ص ٥ (٢) المختار ص ٦ـ٥

وصور رسوخ معاني الثورة في النفوس ، وبقاء أهدافها ماثلة للاعين وعبر عن مشاعر النقمة والغضب والسخط على المستعمر ، وعن الحزن والاسف والحسرة على زوال النهضة العربية التي قامت في عهد الاستقلال ، وعن اليأس من انصاف القوى للضعيف ،وعن الايمان بأن القوة هي النصير الوحيد للحق ·

ب)) — بعد الاحتلال

قضت وقعة ميسلون على الحكومة العربية ، ومكنت الاستعمار من تثبيت قدمه في البلاد ، وتجزئتها ، والقضاء على حريتها واستقلالها ، فحكمت انجلترة فلسطين وشرق الأردن ، وحكمت فرنسة لبنان وسورية الحالية ، وأقامت في هذه ، أربع دويلات هي : دويلة حلب ، وجبال العلويين ، ودمشق ، وجبل الدروز ، وكانت دويلة حلب أقصرها عمرا ، اذ أعلنت انضمامها الى أختها دمشق في أول عام ١٩٢٥ ، وامتد بالأخريين العمر الى عام ١٩٣٦ ، وهكذا تعددت حكومات سورية بعد أن كانت واحدة ، وساسها الاستعمار بأساليب مختلفة ·

— ٢ —

فماذا كان موقف الشعر من هذه الأحداث ؟

لقد بكى الاستقلال بكاء مرا [1] وانما بكاه لأنه أذاق العرب طعم الحرية والوحدة والسيادة ، وأعاد الى أذهانهم ذكرى عزهم الماضي، وأهاب بهم أن يعملوا في سبيل وحدتهم التي مزقها الترك تمزيقا دام أربعة قرون ، وعاش خلالها العرب في جهل وتأخر ، ولهذا كانت ضربة الاستعمار للعرب ، في العراق والشام ، أليمة أفقدتهم الصواب ، وأورثتهم الذهول ، وجعلتهم يبكون الاستقلال الذي ذهب بذهابه الأمان والعزة والكرامة ، والبهجة ، والجد والعمل في سبيل بناء صرح العروبة ·

وعندما بكى الشعر الاستقلال ، دعا الى النضال ، لكن دعوته في هذا الظرف سلكت سبيلا آخر هو استغلال ما يقع في أنحاء الأرض من كفاح ، واستخراج العبر والمعاني التي تلائم البلاد في مرحلة النضال ·

---

(١) المختار ص ٦

فهذا (ماك سويني) الايرلندى والى (كورك) ، يعتقله الانجليز بقضية مشهورة ، فيضرب عن الطعام احتجاجا على جورهم ، ويصر على اضرابه حتى يموت ، فيوحى الى شاعرين أن ينظما قصيدتين تتضمنان معانى انسانية رفيعة من جسود بالنفس ، وايثار للموت على حياة الذل وصبر على الجوع والظمأ ، واستقبال للموت فى شجاعة وابتسام ٠ (١)

لقد سما خليل مردم بالشهيد الى مقام كبير ، فجعله مثالا يحتذيه الاقوام فى كفاحهم من أجل حريتهم ، وهنأه بأن هؤلاء سيثأرون له من الظالمين ، وعده قريبا له يجمعهما نسب النضال ان فرق بينهما نسب العروبة ، وفى هذا المعنى ما فيه من سمو بالقومية الى مقام الانسانية ، وهكذا تغدو مكافحة الاستعمار سببا يربط المناضلين بعضهم ببعض فى أطراف الأرض ، وتبرز وحدة النضال التى تجمع الشعوب المكافحة ، فى سبيل حريتها ، على صعيد واحد ٠

وكشفت القصيدة عن بطولة الانسان الذى تتملكه قضية الوطن ، فهو يدافع دونها بالروح ، ويجاهد نفسه بالصبر على الجوع والظمأ ، ثم يجود بهما ، مستقبلا الموت فى شجاعة وسكينة ٠

وتضمنت القصيدة معانى انسانية مستمدة من حياة النضال ، فالموت أجدر بالمرء من حياة الذل ، والاستعمار أصل البلاء النازل بالناس ، والمناضلون فى أطراف الأرض اخوة يخوضون معركة واحدة هى معركة الحرية ضد الظلم والاستعباد ٠

— ٣ —

وهذا سبيل آخر سلكه الشعر فى معالجة مشكلة الحرية التى نجمت عن ذهاب الاستقلال ، وفى هذا السبيل برع شفيق جبرى ، واستمر يسلكه طويلا (٢)، فقد اتخذ من أسر القوم ، ومن حرية الطائر الذى ينتقل من غصن الى غصن ، ويجوب الفضاء الرحب ، ويحط على الهضاب ويشرب من ماء السحاب ، ويلوذ بالأعشاش ، متسببين اثنين يضرب عليهما فيخرج نغما حزينا ينفس به عن صدره المهموم ٠

وكأنه لم يجد ، فى مناجاة الطير ، ما يروى ظمأه الى الحرية فطفق يناجيها ذاتها (٣)، ويبرزها فى صورة امرأة أحبها حبا طاهرا ، ثم فرق بينهما الدهر ، وأقسم هو على حبها ، يذكر عهدها القصير ، ويحن اليه ٠

---

(١) المختار ص ٦ـ٧ (٢) المختار ص ٧

(٣) المختار ص ٧ـ٨

ويستمر الشاعر في تصويرها ، فيصف قدرها ، وتعلق الناس واهتداءهم بها في حيرتهم وضلالهم ، وعجز المستبد عن حجبها ، كما يصف ضيق النفوس بالظلم ، وينذر بالثورة ان تمادى العدو في ظلمه .

ولو أن الشاعر أغفل ذكر المستبد ، لظلت القصيدة مطبوعة بطابع من الابهام المحبب الى النفس ، ولكن اللفظ كشف الرمز ، وأوضح مرام الشاعر .

وبروز موضوع الحرية في الشعر الوطني بعد الاحتلال ذو دلالة واضحة: فهو يصور مقدار الجور الذي نزل بالناس ، فأنساهم أنفسهم وأهلهم ووطنهم ، وجعلهم يتغنون بالحرية التي لايقوم وطن ولا حياة الا بها ، وهكذا يبرز الوطن في قيم طلقة هي الحرية .

واذا كان هذا الغناء الحزين يصور ما عانته البلاد من ذل الاحتلال وجور المستعمر ، فانه يظهر موقف الشاعر من قضية قومه ، وهو موقف لا يتعدى بكاء الحرية ، وشكوى الأسر والذل .

وهذا الموقف ذاته ، نجده عند خليل مردم في قصيدته (المحزون) (1) فقد ألف الشاعر الحزن ، وجفا اللهو ، وسكن الى الأسى ، واستقبل طفله الضاحك بالعبرات لذكر يوم الفراق ، واضطراب ، وحار حين لقي زوجه ، وخشي أن يموت حبه لها بموته ، وأن تسبقه هي الى الموت ، فآثر أن يموتا معا ، وحزن على قومه الذين منوا بظالم أثيم ، وزهد في المال والشعر ، وتعلق بالدمع الذي يعين على المحن ، ونبذ التعصب للأديان الا للاسلام دين العرب ، فقد أحبه ، لانه أحبهم ، وانما أحبهم لما لاقوا من محن ، اذ زرعوا ، وجنى غيرهم ، وأحسنوا ، فجوزوا بالاساءة ، وأخيرا ضاق المحزون بنفسه ، فانتحى الروض ، وجعل يغني حتى قضى .

والموشح يفيض حزنا وبكاء ، ويأسا من الحياة ومن السعادة على الأرض وزهدا في المال وفي الشعر ، وحبا للعرب الذين ساء حظهم ، فجوزوا بكفران الصنيع الذي قدموه الى الحلفاء .

وما كنا نحب الموت للمحزون ، وانما أردنا له حياة ملؤها الجهاد في سبيل أمته وعزتها ، ولكنه اليأس قد استبد بالنفوس ، وجاء الشاعر فغناه هذا الغناء الحزين دون أن يحوله الى نداء صارخ للكفاح .

---

(1) المختار ص ٨ـ ٩

ونسمع مثل هذا الغناء الحزين عند خير الدين الزركلي في قصيدته (نجوى) [(١)] ، فهو يصف اضطرابه ، وبكاءه ، وسهده ، وتشاؤمه ، وكربته في غربته ، وشوقه الى قومه ، ويصف ما أصاب الوطن من شر المستعمر وأذاه ، ثم يناجي الطائر ، ويتخذ من مناجاته سبيلا الى تصوير مشاعره ، وتذكر الوطن ، وجمال رياضه ، وأحبابه فيه .

والقصيدة ، اذا قوبلت بقصيدة شفيق جبري في الحرية ، تبرز معنى جديرا بالنظر والاعتبار : فالزركلي ، النائي عن وطنه بعد الاحتلال يرى الوطن مجموعة من صور الطبيعة ومشاهدها الجميلة ، ومن الذكريات التي تربطه بأهله وبأصحابه فيه ، أما شفيق جبري المقيم في الوطن حيث العدو والظلم والذل والاستبداد ، فان الوطن يتجمع عنده في قيمة مطلقة هي الحرية . وقد اصطبغت قصيدة الزركلي بالصبغة الوجدانية ، كما اصطبغت بها قصائد الشعراء الآخرين في الفترة الأولى من الاحتلال .

ولكن موقف الحزن واليأس لا يستمر طويلا ، وسرعان ما نجد الشعر ينشط لتسجيل الواقع ، ونقده ، والدعوة الى تغييره ، وأن يستبدل به ما هو خير وأبقى .

— ٤ —

وفي هذا السبيل ، نجد الشعر يصور فساد الحال في البلاد [(٢)] زمن الاحتلال ، من ترؤس الجهال ، وتوالي المصائب ، وعبث القوم وتفرقهم بالأديان ، وجهل النساء ، وسوء أخلاق الرجال ، واستسلام للمستعمر الذي طغى وتجبر ، واستمر في طغيانه حتى ألف القوم حياة الذل .

وحين يصور الشعر الواقع ، يصوره تصويرا ممزوجا بعواطف الشاعر ، ويرتفع بالقارئ الى جو من الحرية والعزة ، وهذا الجو يفسده الشاعر اما بالدعوة الى الرحيل عن الوطن المستباح ، واما بالدعوة الى النضال .

وما يفتأ الشاعر يدعو الى التآخي والتحاب ، والى العلم والعمل ، والى الكفاح لاستعادة الحق السليب ، ويثير النقمة على المستعمر منذرا بالثورة ، طالبا اتخاذ القوة سندا في الحياة ، واعتماد الشباب للوقوف في وجه الخطوب .

---

(١) المختار ص ٩ (٢) المختار ص ١٠

- ٥ -

ويتناول الشعر بعض المؤسسات التي قامت في ظل الاستعمار . بالسخرية المرة ، فيصور (البرلمان) [١] الذى حشد فيه المستعمر أعوانه الاجراء ويصور هؤلاء وهم يدخلونه ناكسي الرؤوس ، ويصورهم مطرقة الى الارض يحسبون الجند يهزأون بهم على الرغم من دلائل الاحترام التي أبدوها ، ثم يجلسون كالاصنام ، فيضيق بهم المكان لبسطة أجسامهم ، وأخيرا يحطم الشاعر الاصنام .

- ٦ -

ولم يستطع الواقع الفاسد أن يحتجز الشعر في ساحته أمدا طويلا ، ويقصره على تصوير أحداثه ، فلا يتعداها ، وانما انطلق محلقا في الأجواء التي خلقتها له الثورة العربية ، وأخذ يتغنى بالمثل القومية العليا التي تطلع اليها العرب في الجزيرة والشام والعراق .

وفي سبيل تلك المثل ، وجدنا الشعر . ينكر التقسيم والتجزئة ، ويدعو الى الوحدة على الرغم من هول المصائب التي نزلت بالعرب في مختلف ديارهم ، ويرفع الوطن فوق أعراض الحياة الزائلة ، ويربط بقاء الشعب ببقائه ، ويسأل أهل لبنان أن يحنوا عليه ، ويدعوهم الى الاتحاد مع اخوانهم العرب لما بينهم من نسب العروبة ، ويبين لهم عاقبة التفرق والتخاذل [٢]

ولبيان قيمة الوحدة [٣] ، يصور الشعر تفرق القوم في وقت قسم فيه العدو البلاد ممالك ودولا على ما بينها من صلة النسب ، ورابطة اللغة والأدب ، واتصال أرضيها بعضها ببعض ، وصغر الرقعة التي قامت عليها بعض الدويلات ، ويؤكد الشعر متانة الروابط بين ديار الشام ، وتشابكها ، ويبين منافع الاتحاد ، وعواقب التفرق ، ويسخر من بعض الدويلات التي تمتد على رقعة ضيقة من الارض تقاس بالشبر وبالقدم ، ويسمو فوق الواقع في البلاد العربية ، ويلاحظ العصاب التي يزرعها المستعمر في طريق الأمة ، فهو يرد على من يرى الدين عقبة تقوم في سبيل الاتحاد بأن الدين مرتبط ببقاء الوطن ، فاذا سلم الوطن سلم أهله وأديانهم ، وان زال زالوا وأديانهم .

---

(١) المختار ص ١٠ (٢) المختار ص ١٠-١١

(٣) المختار ص ١١

— ٧ —

والى جانب النعرات الدينية والطائفية ، يصور الشعر [١] النزعات الاقليمية كالاشورية والارامية والفينيقية والفرعونية ، [٢] وهذه النزعات مزقت الناس شيعا وأحزابا ، وغذاها المستعمر ليباعد بين اهل البلاد ، ويحيد بهم عن الطريق التي سلكوها أيام الثورة العربية لتحقيق وحدتهم القومية المنشودة٠

والشعر يصور الفوضى والبلبلة السياسية الناجمة عن تعدد المشارب والاهواء ، واثارة النعرات الدينية والنزعات الاقليمية : فلكل أمل وسعى ، والاحزاب متخاصمة ، والقلوب متباعدة ، والناس جميعا في ظلام ، وليس لهم امام يهديهم سواء السبيل ٠

— ٨ —

والشعر [٣] يصور الفوضى السياسية التي نجمت ، في الجزيرة العربية ، عن تخاذل العرب ، وانقسامهم ، وتنازعهم ، ولكنه لا ينفذ الى صميم الخلاف الناشب بين سلطنة آل السعود من جهة ، وبين امارة آل الرشيد في نجد ، وامارة الادريسي في عسير ، والمملكة العربية الهاشمية في الحجاز من جهة أخرى ، ولايتبين المصلحة القومية التي تمخضت عنها الأحداث ، وانتهت بادماج تلك البلاد في مملكة واحدة ، وقد كان الشعر يرى ، ابان وقوع الأحداث ، أن القتال يقوم على الخلاف بين مذهب الوهابيين وغيره من المذاهب ، ولاسيما أهل السنة ، وعلى سعى الوهابيين الى نشر مذهبهم بالحرب والفتوح ٠

— ٩ —

وامتد الشعر الى مصر [٤] فصور الخلاف الناشب بين قادة الحركة الوطنية ، وانقسام الوفد الى حزبين ، ورأى الخلاف بين القادة يشد الى الشعب فينقسم ، فدعا المصريين الى البذل والتضحية في الكفاح ، وحذرهم من عاقبة التفرق ، وبكى الآمال التي ضيعت بالتفرق ٠

— ١٠ —

وعاد الشعر الى الماضي ، فبكى العز التليد ، والآباء الأمجاد ، وفخر بالماضي ، وفاخر به الشعوب ، وأوصى بالمحافظة على تراث السلف ، وصيانة تقاليد العرب ٠

وعندما صور الشعر النعرات الدينية ، والنزعات الاقليمية ، والفوضى السياسية الناجمة عن تعدد الفئات والهيئات والأحزاب ، واختلاف المشارب

---

(١) المختار ص ١٢ (٢) المختار ص ٤٤

(٣) المختار ص ٢٠ (٤) المختار ص ١٣

والأهواء ، وكثرة الزعماء والمتزعمين ، كان يرمي عن قوس الوحدة القومية ليجمع شمل القوم ، ويعيدهم الى الوطن العربي الذى يقوم على أرض واحدة، متصل بعضها ببعض ، ويتكلم ساكنوه لغة واحدة ، وينتسبون الى العرب الا قليلا منهم .

— ١١ —

ويتبين مما تقدم ، أن الشعر بكى الاستقلال الضائع ، ومجد كفاح الشعوب فى سبيل حريتها ، وناجى الطائر الحر،وغبطه بعيشه ، وتغنى بالحرية ، كما ناجى الوطن فى المغترب ، وصور الحزن الذى ران على النفوس والواقع الفاسد فى البلاد ، ودعا الى الرحيل عنها ، كما دعا الى التآخى والى العلم والعمل والى الكفاح لاستعادة الحق السليب ، وسخر من أعمال المستعمر .

وحافظ على أهداف الثورة العربية ، فأنكر التقسيم والتجزئة ، ودعا الى الوحدة ، وذكر الروابط بين بلاد العرب ، وصور متانتها فى ديار الشام ، وبين منافع الاتحاد ، وعواقب التفرق ، وصور الفوضى والبلبلة السياسية فى الشام والجزيرة ، والخلاف فى مصر بين قادة الحركة الوطنية . ووقف على الماضى فبكى المجد التليد ، وكاثر به الغرب ، وأوصى بصيانة تراث العرب وتقاليدهم .

ج)) — الثورة السورية

كان نشوب الثورة فى صيف عام ١٩٢٥ حادثا طبيعيا قد تكاملت أسبابه ودواعيه ، وكان من يرقب مجرى الحوادث ، ويسبر أغوار النفوس يستطيع أن يتنبأ بالثورة قبل وقوعها .

والحق أن الثورة السورية كانت واحدة من تلك الثورات التى نشبت فى دنيا العروبة ، ودلت جميعها على الصراع القائم بين الغرب المستعمر ، وبين العرب ، وقد سبق ظهور هذا الصراع فى مظهر عنيف قيام اتصال بين دول الاستعمار وبين البلاد العربية على يد البعثات الدينية والسياسية التى مهدت السبيل لقدوم الاستعمار .

ولم تكن استعانة الحلفاء بالعرب فى الحرب ، وتمنيتهم بالوعود الا لونا من ألوان المكر التى سترت أغراض المستعمر حينا من الزمان ، ومكنته من استخلاص البلاد من أيدى الترك بأقل مقدار ممكن من الضحايا ،

فلما استوثق المستعمر من قوته ، ومكن لنفسه فى الأرض ، واتفقت فرنسة وانجلترة على اقتسام الأسلاب ، انحسر القناع عن وجهه وبانت حقيقة أغراضه ٠

ولم تقف البلاد العربية مكتوفة الأيدى ، بل نشبت فيها الثورات ، وامتدت من العراق الى المغرب العربى ، وكانت وقعة ميسلون بدء الاحتكاك الفعلى بين فرنسة والقوم فى ديار الشام ، وقد سبقتها ثورات ضد الاحتلال والتقسيم العسكرى فى عهد الحكومة العربية ، غير أن قوى الطرفين لم تكن متكافئة فى ميسلون ، فضاع الاستقلال ، وذهب عرش فيصل ، وذهل القوم عن أنفسهم ازاء هذه الكارثة ، وانطووا على ألم فى الصدر دفين ، وغدا الاستقلال حلما بعد أن كان أمرا واقعا ، وبانت حقيقة وعود الحلفاء للعرب :

كانت نفوس القوم فى ديار الشام فى غليان ، وكانت الأعماق مضطربة ، وان بدت الوجوه ساهمة واجمة ، وكان المستعمر يتمادى فى جوره وطغيانه ، فقد قسم ديار الشام أربعة أقسام ، فاستقلت فرنسة بسورية ولبنان ، وأمعنت فى تقسيم الأولى وتجزئتها ، وخلقت بسياستها فيها جوا من الارهاب ، وأخذت الناس بالظنون ، وجعلت الادارة والسياسة والاقتصاد والتعليم كلها فى أيديها ، واستمرت تسير على هذا النحو حتى كانت الثورة ٠

فالثورة اذن حركة قومية ضد الاستعمار والتقسيم والتجزئة ، وثأر لميسلون وللشهداء وللعرب الذين غرر بهم الحلفاء فمنوهم الأمانى الكاذبة ، وحلقة فى سلسلة الكفاح القومى الممتد من الخليج العربى الى بحر الظلمات ، وهى ، لهذا ، مظهر من مظاهر الصراع بين العرب والاستعمار ، ولا أدل على المظهر القومى للثورة من هذا الشعر الذى قيل فيها ، واشترك فى نظمه شعراء العرب فى العراق والشام ومصر ، فقد ألهمتهم الثورة أروع الشعر الحماسى ٠(1)

واذا كان الصراع بين العرب وبين الاستعمار قد اتخذ هذا المظهر العنيف الذى تجلى فى الثورات ، فذلك لأن الاستعمار قدم على الشرق بعدته وعديده ابان الحرب ، واستخدم القوة فى بسط نفوذه ، وتحقيق

---

(1) المختار ص ١٣ ـ ٢١ .

أغراضه في السيطرة والاستغلال ·

— ٢ —

فماذا فعلت القوة في الثورة ؟

لقد كانت دمشق عصب الثورة ، وفكرها المدبر ، وقائدها الموجه ، ولهذا غدت غرض المستعمر يرميها بالحديد وبالنار ، فحرق دورها ، ويدمرها ، ويزيل معالم تاريخها ، ويقتل أهلها ، ويرتكب الجرائم المنكرة فيها وفيما عداها من مناطق الثورة في جبل الدروز وحوران وحماة ·

وكان الشعر يصور معارك الثورة حيثما وقعت ، ويسجل بطولة الثائرين على قلتهم وكثرة عدوهم ، ويشيد بذكرهم ، ويرثي الشهداء منهم ، ويصف وحشية الاستعمار وحقد الشعب عليه ونفوره منه وكرهه له وكفرانه بمدنيته ، ويبرز الأهداف القومية والمثل الانسانية التي تجلت في الثورة ، ويعدد الروابط بين بلاد العرب مؤكدا وحدة الوطن العربي ، ويربط بين الماضي والحاضر برباط التاريخ ، فيغدو التاريخ العربي قوة حية تدفع العرب الى أن يأتوا البطولات ، ويعيدوا أمجاد الماضي ، ويحرروا أنفسهم من الاستعمار ، ويشاركوا في تحرير الشعوب منه ، وبناء الحياة الانسانية من جديد ·

وقد خص الشعر دمشق بالذكر لما لها من أثر في التاريخ العربي والحضارة العربية ، ولمقامها في قيادة الحركة القومية والثورة العربية والثورة السورية ·

سجل الشعر البلاء النازل بدمشق (١) : فالقذائف المدمرة والمحرقة تحرق الدور والقصور ، وتدمرها فوق رؤوس أهليها ، وتزيل معالم التاريخ فيها ، وتصيب بشظاياها من تلقى في طريقها من شيخ متكئ على عصاه ، ومن طفل في يد أمه ، والموت يترصد الانسان في كل مكان ، وجنود المستعمر يسومون الناس سوء العذاب ، فيظلمون ، ويقتلون ، ويسلبون الاعلاق ، والسجون تغص بالسجناء ، والخوف يملأ الأفئدة ولاسيما أفئدة النساء اللاتي كثر فيهن المرمل والثاكلة ·

وفي حوران ، يعدو الجنود على الفلاحين ، فيدمرون قراهم ويسلبونهم قطعانهم ، ويشققون بطون الحاملات ، وينشرون الرعب في

---

(١) المختار ص ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ٨٠٤٠

كل مكان ٠

ولا يقف الشعر عند وصف الواقع ، وانما يندب مجالس السمر والأدب الذاهبة ، ومعالم التاريخ الدراسة ، ويصف امحاء النقوش الأثرية الممتازة بدقة صنعتها ، وذوى محاسن الطبيعة ، وسكوت الطير عن الغناء ، واحتجاب الغوطتين وراء سحب النقع والدخان ، ويناجى الشعر دمشق داعيا لها بالسقيا ، ويصور أحزان النفوس سائلا تسكاب الدموع ٠

ويصف الشعر اضطراب القوم بدمشق وقلقهم وسهدهم وصبرهم على الشدائد وتساندهم وتناسيهم خلافاتهم الدينية ، ويدعوهم جميعا الى الاتحاد والوقوف فى وجه العدو ، ويشيد بنضالهم القائم على الحق٠

ـ ٣ ـ

ويتجاوز الشعر وصف الواقع وبكاء، الى اثارة عاطفة الحماسة ، فيفخر بحديد العرب ، وبسالتهم فى الوغى ، وابائهم للضيم ، وعزهم التليد ، ويفخر بشجاعة الثوار على قلتهم وكثرة عدوهم ، ويفخر بصلابتهم وخفتهم فى القتال ، ويسخر من قوة العدو الذى تسلح بالمدافع والزاحفات والطائرات ٠ (١)

ويستمر الشعر فى اثارة الحماسة ، فيصف بطولة الثوار فى الوقائع ويجلو صفحات منها كتبوها بدمائهم ، فهم يطيرون الى القتال تحت جنح الظلام ، ويلاقون العدو ، وقد تسلحوا بالحق الذى يدافعون عنه ، فيضربونه ضربة تفرق جمعه ، وتتركه حيران لا يدرى أين يفر ، وأى طريق يسلك ليتقى المخاطر ، ويدرك النجاة ٠

ويوضح الشعر ، فى وصف الوقائع ، حقيقة ذات خطر فى النصر فى الحروب ، اذ يفرق بين مقاتل يدافع عن حرية وطنه ، وبين معتد على هذه الحرية ، طامع فى خيرات الوطن ٠

ويكشف الشعر عن ايمان القوم ، ولاسيما الثوار ، بأن الحرية لا تنال الا بسفك الدماء ، وأن القوة هى النصير الوحيد فى طلب الحق٠

والى جانب وصف بطولة الثوار ، يصور الشعر بعض الأبطال، ويخصهم بالذكر لما قاموا به من أعمال رائعة ، وقد سجل ظهور عدد منهم

---

(١) المختار ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨

كان بعضهم سيدا فى قومه ، ثم زادته أعمال الثورة شهرة وظهورا ، وبرز بعضهم فى قلب المعركة ، فطار صيته فى قومه ، وتناقلوا أخبار بطولته ، وهكذا غدت الثورة مصنعا للأبطال ، وأعانت على ابراز خصائص الأمة وفضائلها فى معركة الحرية .

ومن أولئك الأبطال سلطان الأطرش[(١)] قائد الثورة ، والسيد فى قومه الدروز ، وقد أبلى فى قتال العدو بلاء حسنا ، وتناقل الناس خبر هجومه على مصفحة للعدو وأعطابها بمن فيها ، وقد صوره الشعر مثالا للعروبة الثائرة ، ومدحه بالشجاعة والسيادة والنقوه كما مدح عصائب الرجال الذين صحبوه فى القتال.

ومن الأبطال الذين خلدهم الشعر بنو معروف[(٢)] ، وقد صورهم أناسا متلزين بالشجاعة ، والاباء ، والكرم والبذل والحزم ، وذكر فضلهم فى ايقاظ قومهم ، ووصف بسالتهم فى وقعة (مشو) التى غلب فيها العدو ، وارتد مدحورا متفرقا بعد أن ترك قتلاه فى ساحة المعركة.

أما الأبطال الذين برزوا فى قلب المعركة فأظهرهم حسن الخراط[(٣)] ، والشعر يصوره انسانا فقيرا لا يملك الا ايمانه بحق أمته ، وعزيمته فى الدفاع عنه ، وعددا من الرفاق الشجعان ، وقد ألف منهم عصابة أخذت تغير على العدو ، وتكمن له فى مراحه ومغداه ، وتوقع به الخسائر .

— ٤ —

لكن معارك الثورة كان يساقط فيها الشهداء فيبكيهم الشعر ، ويروى قصة استشهادهم ، ويخلد ذكراهم لما قدموا من عظيم التضحية فى سبيل حرية الوطن ، ويرفعهم للناس مثالا يحتذونه فى ميادين الفداء .

وفى رثاء الشهداء[(٤)] ، كان الشعر يوطد العزم على تحمل الشدائد والخسائر ، ويستهين بالحياة فى سبيل الكرامة ، ويجلو المعانى التى تبرز عظمة الانسان ونبله فى المصائب ، من صبر على الجوع والظماء وتحمل للألم ، وعشق للحرية وكره للذل ، وحب للوطن ، واقدام على التضحية ، ومطاولة القتال فى ظلام الليالى ، وهكذا يستمر الشعر فى رثاء الشهيد حتى يغدو رمزا لمعانى البطولة والشجاعة والنفدى

---

(١) المختار ص ١٤ ، ١٥ ، ١٨ (٢) المختار ص ١٥ ، ١٨
(٣) المختار ص ١٥ (٤) المختار ص ١٨ـ١٩

والحزم والنبل والتضحية والفداء ، ويغدو الرثاء نشيدا من أناشيد الحماسة لا تعبيرا عن الأحزان ، ووصفا للعبرات ، وتصويرا للطبيعة التى حالت ألوانها بموت الفقيد .

ـ ٥ ـ

غير أن قوة المستعمر الصماء العمياء كانت تحمل الانسان على تأمل آثارها فى الوطن من حريق ودمار وعذاب وسلب ونهب وفقر وحرمان وجدب ، وكانت هذه الآثار الماثلة للعيان تدل على أن الاستعمار أصل الشر والبلاء النازل بالناس ، وأن الشرق فريسة بين يدى الغرب المستعمر، وأن الاستعمار طغى على شعوب الأرض يمتص دماءها ويذيقها الجوع والخوف والذل .

وكان لابد للمتأمل من أن يسىء الظن بالغرب المستعمر ، ويكفر بمدنيته ، ويشك فى جدارتها بالبقاء ، ويسخر من عصبة الأمم التى أقيمت ـ كما زعم الحلفاء ـ لحفظ السلام ، وصون الحق والعدل ، والأخذ بيد الشعوب المتأخرة الى مراقى الفلاح .

لقد صور الشعر (1) التأملات التى أثارتها جرائم الاستعمار فى الثورة ، فرأيناه يذكر طغيان الفرنجة ومطامعهم وتعكيرهم صفو الأمن فى أنحاء الأرض ، ويصف حقهم وظلمهم ، ويقرن التمدن الذى حملوه معهم بالاجرام ، ويصور قساوة قلوبهم ، ويتساءل عن الحضارة وحرية الانسان ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وجمعية الأمم ، وما ادعته من انصاف الشعوب ، ووجدنا الشعر يفضح ائتمار الغرب بالشرق ، ويهيب بهذا أن ينهض معتمدا على نفسه ، ويتعلم ، ويتحد ، ويتحمل الآلام ، ويعمل لنيل حريته التى هى خير ما يقدسه الشرقى فى حياته من قيم روحية .

ويتعمق الشعر فى حقيقة الاستعمار ، فيراه يقوم على استغلال الشعوب، واستثمار خيرات أرضها ، ويعتمد على القوة فى تأمين هذا الاستغلال وادامته .

ويصور شعر الثورة قلق الاستعمار من ثورة الشام التى كشفت عن وجهه البغيض، ونشرت مخازيه فى العالم ، كما يصور سعيه الى سحقها ليستر جرائمه ، ولحصر الثورة فى مجال ضيق فلا تتعداه .

---

(1) المختار ص ١٤ ، ١٩ ، ٢٠

— ٦ —

واذ كان المستعمر يعتد بقوته ، ويفخر بخضارته التي حملها معه الى الشرق ، وكان العرب يفتقرون ، في هذا الموقف ، الى ما يجابه قوته ، ويضاهي حضارته ، فانهم وجدوا في الماضي العربي بغيتهم،(١) ولم يكن بين أيديهم غيره بعد أن عاشوا طويلا تحت الحكم العثماني، ولهذا رأينا الشعر يضفي أمجاد الماضي على الثورة ، والحركات القومية، لشحذ العزائم ويحرك الهمم في معارك الكفاح ، ومن أمثلة استغلال التاريخ العربي تشبيه معارك الثورة بوقعة ذي قار ، وذكر شعوب العرب وقبائلها كعدنان وقريش ، والفخر بالفتوح العربية التي امتدت شرقا الى الصين وغربا الى بحر الظلمات ، والاشادة بذكر الرجال الأمجاد من خلفاء وقواد ، والاعتزاز بالملك العربي ، والايمان بأن الله يؤيد الثوار بروح من عنده ، وبأن صوتا من الماضي يهيب بهم أن يعملوا ليسودوا كما ساد آباؤهم من قبل .

— ٧ —

((والمهم ، في شعر الثورة ، عودة القومية العربية الى الظهور ، وظهور الفكرة القومية في الشعر أمر طبيعي ، فالثورة ثأر لميسلون واذا قلنا : انها ثأر لميسلون ، فانما نعني أنها ثأر للاستقلال والسيادة والحرية والوحدة التي تطلع اليها العرب قبل الحرب الأولى ، وكافحوا في سبيلها ، وخاضوا الحرب الى جانب الحلفاء بغية تحقيقها ، وكادوا يظفرون بها بل هم قد ظفروا بها لولا مكر الحلفاء وخيانتهم . واذن فقيام الثورة السورية معناه : تخطي عهد الاحتلال ، والاتصال بالثورة العربية والحكم العربي بدمشق ، وانكار ما فعله الاستعمار ، والمطالبة بحرية الأمة واستقلالها ووحدتها .))

ولقد صور شعر الثورة كفاح سورية في سبيل أهدافها ومثلها القومية والانسانية فقال شاعر : ان دمشق تقود العروبة المناضلة في معركة الثورة ،(٢) ووسع ثان مجال الكفاح ، فاعتبر دمشق مفتاح الحرية في الشرق ،(٣) وذهب ثالث الى أن الثورة ترمي الى تحرير الانسان من الظلم .(٤)

---

(١) المختار ص ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ (٢) المختار ص ١٧
(٣) المختار ص ٢١ (٤) المختار ص ١٩

ومهما يكن فان شعر الثورة فخر بالماضي وبكفاح العرب في الحاضر وربط بينهما برباط التاريخ ، فتألفت منهما وحدة تجمع العرب في مرحلة النضال •

ولعل أقوى ما يميز شعر الثورة من غيره هو نمو الوعي القومي وتخمر فكرة القومية العربية ، وهذا يبدو واضحا في ربط الأحداث والثورات بعضها ببعض ، واظهار ما بين بلاد العرب من روابط تقوم على وحدة اللغة والتاريخ والمصير •

على أن الشعراء لم يتفقوا كلهم على تلك الروابط ، فذهب بعضهم إلى انها تتمثل في اللغة والتاريخ [١]، وذهب ثان الى انها تتمثل في اللغة والتاريخ والدم والدين والآمال [٢]، وذهب ثالث الى انها في النطق والعرق ووحدة الأوطان والانساب [٣]، ويبدو ، في الشعر ، أن أقوى ما يجمع العرب في مرحلة النضال وحدة التاريخ واللغة والمصير •

-٨-

وقد نضجت فكرة القومية العربية عند الشريقي ، وتمثلت واضحة في قصيدته (مصر والشام) [٤]، وهذه القصيدة صورت اتساع الوطن العربي وتنوع طبيعته ، وبقاء تاريخه حيا في المعالم والاثار ، وخصب أرضه التي تنبت الرجال ، وصورت توالي الهجرات عليه من الصحراء ووقوفها عند شاطئ البحر تغذي الأجيال القائمة هناك ، وتنفخ فيها من روحها ، وتخلق في البحر حركة نشيطة •

وهذا الوطن الواحد هو وطن الساميين العرب منذ قديم الزمان وقد وقف في وجه الغزاة من الآريين ، وحافظ على طابعه حتى جاء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، فبعثاه خلقا جديدا ، وحققا شخصيته القومية •

وصورت القصيدة منعة هذا الوطن ، وقدسيته ، ورفعته ، فالصحراء في الشرق والغرب حفظته من المعتدين ، وأرضه كانت موطن الرسل والمشرعين ، وأهم أجزائه مصر والشام •

وبينت القصيدة كثرة عدد سكانه ، ووصفت وقوفه في وجه الزمان وخلود حضارته التي أضاءت العالم ، وارتفاع مستوى أبنائه في سلم المدنية •

---

(١) المختار ص (٢) المختار ص

(٣) المختار ص (٤) المختار ص.

وأشارت القصيدة الى ما كان لانتشار الحضارة العربية فى الشرق من أثر فى تجديد حياة الناس ، اذ بدلتها تبديلا ، كما أشارت الى أن الشرق شرق ، والغرب غرب ، وأن الحضارة الشرقية تختلف عن الحضارة الغربية ·

وأخيرا بينت القصيدة خطر البعث العربى فى مرحلة النضال ، فالعرب يجاهدون الاستعمار حق الجهاد لتحرير أنفسهم من جوره واستغلاله وينتظم هذا الجهاد العالم العربى من العراق الى المغرب العربى ومتى استطاعوا تحطيم القيود ، ووعوا ذواتهم ، واستعادوا الثقة بأنفسهم سارعوا الى تحرير الانسانية ، ورفعها فوق مطالب الحياة المادية والسير بها فى طريق لم يتبينه الغرب على الرغم من تقدمه ·

وأهم ما فى القصيدة اعتبار الجزيرة منبعا للهجرات السامية الى شاطئ البحر ، وغلبة العرب على غيرهم من الشعوب السامية ، وطبعهم مجالات الهجرة الفسيحة بطابعهم على أثر الفتوح التى تدفقت فيها القبائل العربية من الجزيرة الى العراق والشام ومصر وشمالى أفريقية ·

ويتلو هذا بيان أثر هذا الوطن فى حياة العالم الروحية ، اذ كان مهد الرسالات التى حملت الى العالم فكرة المحبة والسلام والحق والعدل والمساواة والاخوة والانسانية ·

وأخيرا حملت القصيدة بشرى بزوغ فجر عربى قوامه مصر والشام وهذا الفجر سيضفى على وجود الناس قيما جديدة تسمو بهم عن منافع العيش ، وأغراضه المادية ·

وفى القصيدة ما يميز المرحلة التاريخية من غيرها ، وهو ظهور مصر بمظهر القائد الجديد يحمل راية الكفاح القومى فى دنيا العروبة فالمصريون مرتبطون باخوانهم العرب برباط من اللغة والنسب والتاريخ ومصر باعثة النهضة فى الشرق ، وهى كعبة الفصحى ومواثلها ، وهى أقدر بلاد العرب على أن تزيد روابط العرب احكاما ووثوقا بما تملك من وسائل لا تتوافر فى غيرها من البلاد ، فهى تتوسط بلاد العرب شرقا وغربا ، وتعد عشرين مليونا ونيفا من السكان ، وتمتد على رقعة واسعة من الأرض ، وتصل بين الغرب والشرق ، فيكون لهذا الوصل أثر فى حياة الشرق والغرب معا ، وهذا كله يجعل كفاح مصر ضد الاستعمار ذا شأن كبير فى العالم ، ويجعل كفاح العرب

حين تقوده مصر ، ذا شأن أكبر في حياة العرب والعالم جميعا ، وقد تبين محمد الشريقي هذه الحقيقة ، فدعا سعد زغلول ، زعيم مصر، الى أن يجهر بالقومية العربية كما جهر الاتراك والعجم بقوميتهم،[1] والى أن يجمع العرب في هذه الفترة التي ارتفعت فيها موجة الكفاح ضد الاستعمار في الشرق ولاسيما في بلاد العرب حيث تنتظر الأمة قائدها الى الحرية والاستقلال والوحدة .

وما قدمناه يعني أن القوم في الشام شعروا بتطور المرحلة التاريخية وبضرورة انتقال مركز القيادة من الشام الى مصر بعد ما تبين لهم أنها أقدر من غيرها على قيادة كفاح العرب ، واذا كان تطور المرحلة التاريخية اليوم قد أثبت صدق ما تبينه الشعر ، ودعا اليه في ذلك الحين ، فمعنى هذا أن الاستعمار قد عمل ، طوال هذه المدة ، على عرقلة التطور التاريخي السائر مع مصلحة العروبة .

واذا كان الشعر قد أدرك خطر مصر في قيادة كفاح العرب منذ ثلاثين عاما ، فانه أدرك شيئا آخر أثبته تطور المرحلة التاريخية اليوم[2]، وهو كون مصر والشام ركنين قويين في قيادة البعث العربي الذي سيحول مجرى التاريخ ويضيء للناس السبيل الى الحياة الحرة الكريمة .

ـ ٩ ـ

وهكذا صور شعر الثورة معارك الثورة ، وبطولة الثوار ، وظهور الأبطال ، ورثى الشهداء منهم ، ورفعهم مثالا للناس ، وعظم معاني الثورة ، وبعث الحماسة في النفوس.

وصور أثر دمشق في ماضي العرب وحاضرهم ، وأظهر خطر دورها في قيادة المعركة ضد الاستعمار لتحرير العرب والشرق والانسان من الظلم ، وأهاب بالشرق أن ينهض معتمدا على نفسه ، ويتعلم ، ويتحد ويعمل في سبيل حريته .

وفخر بالماضي ، وبكفاح العرب ، وربط بين الماضي والحاضر برباط من التاريخ ، وعدد الروابط بين العرب ، وأظهر وحدة النضال التي تجمعها على صعيد واحد ، وكشف عن جدارة مصر بقيادة كفاح العرب في المرحلة التاريخية لما تتمتع به من مزايا لا تتوافر

---

(١) المختار ص ٢٠   (٢) المختار ص ٢١

فى غيرها من البلاد ، وأظهرها هى والشام ركنين فى قيادة البعث العربى الذى سيطلع على الناس فجرا جديدا ينير لهم السبيل الى الحياة الرفيعة .

د)) — بعد الثورة السورية

أخفقت الثورة ، وكان اخفاقها متنظرا لافتقار القوم الى السلاح والتنظيم ، وتطويق البلاد بالاعداء ، فتركية فى الشمال ، وانجلترة فى العراق والأردن وفلسطين ، وفرنسة فى سورية ولبنان ، وقد شغل الاستعمار العرب عن قضاياهم الأساسية باثارة مشاكل اقليمية ضيقة .

وعلى الرغم من اخفاق الثورة فى تحقيق أهدافها ، فانها حركت الشباب ، وأثارت وعيهم ، فانطلقوا يفكرون فى قضايا أمتهم ، ويعرفون أنفسهم ، ويعون ذواتهم قبل استئناف الجهاد على ضوء ما تكشفت عنه المرحلة التاريخية فى سيرها وتطورها ، غير أن تفكيرهم فى أمتهم ومعرفتهم بأنفسهم ، ووعيهم لظروف المرحلة التاريخية لم تظهر نتائجها الا قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ولذا فان البلاد سكتت على مضض ، وحملت جراحاتها فى صمت وإباء طوال فترة الانتداب.

ولما كانت سنة ١٩٢٨ ، فاوض رجال الكتلة الوطنية ممثلى فرنسة فى سورية ، واتفقوا على اجراء انتخابات لاقامة جمعية تأسيسية تسن الدستور ، وجرت الانتخابات ، ففاز فيها الوطنيون فوزا عظيما على كره من السلطات الأجنبية وتدخلهم فيها ، وأعلن الشعب ارادته ضد المستعمر ، فانتخب ممثليه لوضع الدستور ، ووضع الدستور الذى ثبت استقلال سورية ، وأنكر التجزئة ، وأعلن وحدة سورية الطبيعية ، فلم يرق ذلك المستعمر ، فحل الجمعية ، وعاد الى حكم البلاد بأساليبه القديمة ، ومضت ست سنين ، والبلاد فى حكم يترجح بين السلبية والايجابية ، حتى كان شتاء عام ١٩٣٦ ، وكانت الروح الوطنية تتأجج بسبب الجور والارهاق والكبت ، فانفجرت فى الاضراب الخمسينى الذى قام اثر الاحتفال بمرور أربعين يوما على وفاة ابراهيم هنانو زعيم الكتلة الوطنية ، وأسفر، بعد اصطدام الشعب بالعدو فى المدن ، عن تلبية المطالب الوطنية ، وتم تشكيل الوفد السورى الذى سافر الى العاصمة الفرنسية لمفاوضة حكومتها فى عقد تحالف بين الطرفين ، وأقيمت حكومة عطاء الأيوبى ، بعد رجوع الوفد ، لتشرف على الانتخابات ، وتمهد

لقيام الحكم الوطني في سورية ٠

— ٢ —

وقد عرا الشعر ركود بعد اخفاق الثورة ، وساد البلاد جو من الذهول والوجوم ، ورحل بعض الشعراء عن البلاد ، وسكت بعضهم الآخر عن قول الشعر ، فخليل مردم سافر الى انجلترة فرارا من العسف وخير الدين الزركلي كف عن نظم الشعر في مغتربه بمصر بعد عمله مع السعوديين ، وبدوى الجبل أمسك عن القول منذ نشوب الثورة حتى قيام الحكم الوطني ، وسكت الشعراء الشباب وظهر عمر أبو ريشة ، فتغنى بالحركة الوطنية بعد عام ١٩٣٣ ٠

على أن المناسبات كانت تعرض فتبعث على القول ، وتحرك الشعراء فينشطون ، وينفضون ما في صدورهم من هم ، ويتغنون بالآمال والالام الجامعة لأبناء العروبة ، واختلفت المناسبات بين قومية وثقافية ، وكانت المناسبة الثقافية تتحول أو تحول الى مناسبة قومية ، كالمهرجان الالفي لابي الطيب المتنبي ٠ (١)

— ٣ —

والشعر ، بعد الثورة ، يصور جو الذهول والوجوم والأحزان والهموم في البلاد ، وتصطبغ نظرة الشاعر الى الحياة بتلك المشاعر ، فنراه يستعيد أحداث الثورة في حزن شديد يبلغ حد التفجع والبكاء ، ويذكر ما تم فيها من حريق ودمار وخراب وقتل ، ويتعزى بما سيكون لهذا من أثر في رفع شأن الأمة في العالم ، ويعلن الشعر أن الأمة تحس بأعمال الماضين وتضحياتهم ، ويعود الى الماضي العربي فيضفيه على الحاضر ، ويتخذ من استمرار الكفاح دليلا على أن العرب باقون على العهد ، وأنهم يناضلون في سبيل حريتهم ، وهكذا ينتشل الشعر نفسه من وهدة الذهول والوجوم واليأس ليعود الى ميدان النضال ، ويعلن أن الحرب مع العدو سجال ، وأنها ستنتهي بالفوز ، ويصل حاضر القوم بماضيهم ، ويستخرج من النضال معاني قيمة تتوق اليها الانسانية في حياتها المعذبة ٠

— ٤ —

وهذه الخطوط البارزة في الشعر نجدها عند عدد من الشعراء

(١) سنخص شعر المناسبات بالبحث في مكان آخر مكتفين هنا بالحديث عن الشعر الوطني في هذه الفترة من حياة سورية ٠

منهم بدر الدين الحامد ، فقد زار دمشق بعد الثورة ، وخرج الى الغوطة ، فلاح له طلل هدمته القنابل ، وأثرت فيه ألسنة النيران فقال قصيدة [١] يصور فيها صمت الطلل ، وذبول الغصون ، وهديل الحمام ، وثوب الحداد الذى لبسته الطبيعة ، ويشير الى توالى الحوادث الأليمة على البلاد ، ويشيد بدمشق ذات الأمجاد ، ويعرض بالحكم الأجنبى الذى استعبد الأحرار ، ويدعو الى الذود عن الحمى ، ويصف جهاد الأمة لنيل المراد ، ويبين أن حرب المستعمر سجال ، ويعبر عن أمله بالنصر.

وما لاحظه الشاعر فى الطلل والطبيعة يعكس ما ران على النفوس من حزن بعد الثورة ، ولكن الشاعر لا يقف عند وصف مشاعر الخيبة المريرة وانما يتعداها الى وصف مكانة دمشق فى الماضى والحاضر ، ويرفع علم النضال داعيا الى البذل والتضحية لاحراز النصر.

ويصور شفيق جبرى [٢] ضحايا الثورة فى فخر وكبر، ويبين خطرها فى بناء صرح الأمة ، ويذكر دمشق مشيدا بوقوفها فى وجه العدو ويذهب الى أن مجد الأمة يقوم على أعمال الماضين ممن ضحوا بأنفسهم فى سبيل بقائها وعلاها ، وأن ذكرى الشهداء تجعلهم أحياء خالدين ويستعيد ذكرى الماضى والماضين ، فاذا مروان حى يعد وينجز ، واذا عهود الماضى حية ترعاها دمشق فى اخلاص ووفاء ، وتذكرها فى حزن وبكاء .

ونلاحظ أن الشاعر يتخذ من ذكرى الثورة نقطة انطلاق الى الماضى ، ويربط بين الحاضر والماضى برباط وثيق ، ويقيم بناء الأمة على أساس من التضحية المستمرة ، ويوحى الى السامع أن يناضل دون أن يدعوه الى النضال دعوة صريحة :

وصور خليل مردم [٣] بعد رجوعه الى دمشق ، أثر الثورة فى النفوس ، فحزن على الشهداء ، وتذكر حريق دمشق وخرابها ، وتفرق أحبابه بين شهيد وأسير وشريد ، وذم انتصار المستعمر لأنه قام على اغتصاب الحق .

لكن خطر القصيدة يبدو فى رسم آثار الغرب فى نفس الشاعر بعد أن أقام فيه أربع سنين ، وكان بعده عن وطنه قد أعانه على تصوير تقدم الغرب ، واظهار سر تفوقه وسيطرته على الشرق.

---

(١) المختار ص ٢١ ـ ٢٢ (١) المختار ص ٢٢ـ٢٣
(٣) المختار ص ٢٣ـ٢٤

لقد صور تنافس شعوب الغرب ، وتسابقهم في ميادين الحياة وتسخيرهم الطبيعة لمنافعهم بالعلم ومخترعاته ، وأظهر أن قوة الغرب قامت على تقدم العلم ، وهكذا كشف سر تقدمه ، فالغرب ليس قوة وحسب ، ولكنه علم وانتفاع بالعلم في ميادين الحياة ، وقد كان من الطبيعي أن لا يحترم الغرب الضعيف أو الكسول ما دام بعيدا عن الأسباب التي تمكنه من التقدم ومن منافسته في شؤون الحياة ، ولذا وجدنا الشاعر يدعو الى الأخذ بسياسة القوة في طلب الحق ، واذا كان قد دعا الى القوة فانما دعا الى استكمال الأسباب التي نجمت عنها قوة الغرب •

ولم ينس الشاعر أن يدعو الى المغامرة ، وركوب الخطر في الأمر الجليل ، والى الصلابة في طلب الحق ، وهذا المطلب الأخير مما يميز مرحلة النضال •

ونلاحظ تحولا في موقف الشاعر من قومه ، فهو بعد أن جعل المحزون يموت[1] عجزا ويأسا ، عاد فدعا الى الكفاح لنيل الحق•

وقد يكون تقدير قيمة العلم الحديث في الغرب ، وتقويم الغرب على أساسه ، مما يدل على تبدل النظرة الشرقية الى الغرب وحضارته ، وهذا ما لم نجده عند الشعراء الآخرين •

وهكذا تلتقي قصائد ثلاث عند تصوير آثار الثورة في النفوس والمتعادة بعض مشاهدها ، واطراء جهاد سورية ، واضفاء الماضي على كفاحها ، ودعوة القوم الى مواصلة النضال •

- ٥ -

ولم يقف الشعر عند تصوير آثار الثورة في الربوع ، وفي النفوس وحسب، وانما طار الى مكة مهد الدعوة وموطن البعث ، فأظهر تعلق الناس بها ، وتعظيمهم لها ، وأعاد ذكر الملك الذي اتخذ أرض النبوة مستقرا له ومقاما ، وربط نسب القوم بأنساب غسان ، وتساءل عما اذا كانت أنباء دمشق وتطوان قد بلغت الديار المقدسة •

لقد عبر الشعر[2] عن الشوق الى المقام بمكة بعيدا عن أرض الشام وصور جور المستعمر الذي طغى ، وبغى ، وسفك الدماء ، وأزال معالم

---

(١) المختار ص ٨-٩ (٢) المختار ص ٢٤

التاريخ ، واضطر القوم الى التفكير فى الرحيل عن البلاد ، ودعا الشعر فتيه العرب والاسلام الى الاتحاد والتعاون على الكفاح ، واتخاذ الجزيرة موطنا للبعث العربى الجديد ، وعاد الى الماضى متغنيا بأمجاد العرب ثم ارتد الى الحاضر مصورا ذهاب الملك من دمشق وبغداد ، وصور الأشجان ، وسأل الدهر أن يرد الملك الذاهب ، ووصف ابناء العرب وشوقهم الى المجد الوضاء ، وعزمهم على استرجاعه ٠

وقد تضمنت قصيدة أمجد الطرابلسى هذه الخطرات والمشاعر . وأوضحت الرأى فى مركز قيادة البعث العربى ، اذ جعلت الجزيرة وأرض النبوة منطلق الحركة القومية ، ودعت فتية العرب والاسلام الى الاتحاد والتعاون على الكفاح لاسترجاع المجد ، وهذا الرأى يخالف رأى الشريقى الذى نادى بالقومية مستقلة عن الدين ، وأبرز دور مصر والشام فى البعث العربى وأعلن جدارة مصر بقيادة العرب فى ميادين النضال ٠

ـ ٦ ـ

وقد حرك الشعر موت الزعيم الثائر ابراهيم هنانو لانه حرك الشعب ، ونفخ فيه روح الثورة ، فوجدنا الشاعر عمر أبا ريشة ينظم قصيدته فى معنى البطولة التى تجسدت فى هنانو (١) ، ويصل سيرته بسير البطولة العربية منذ قيام الدعوة حتى العصر الحاضر ٠

يبدأ قصيدته ، فيصور اهتزاز الكون بميلاد البطولة التى تجسدت فى محمد ، ويتصوره ابن الملى حضنته ، ورعته حتى شب ، فلما شام الحرية صنو أمه ، هام بها ، وسعى الى نيلها حتى حققها لنفسه ولقومه وقضى بعدها ٠

ويصور الشاعر خروج العرب لنشر الدعوة ، وحركة الفتح ، وقيام الملك ، وزواله ، وهوان العرب فى بلادهم ، ونومهم ، ثم استيقاظهم على زئير ليث ، وما هذا الليث الا ابراهيم الثائر الذى حقق شخصية البطل ، فحارب المستعمر ، وأعاد أمجاد الماضين ، وأحيا النفوس ، وحرك القلوب ، وأنعش الآمال ٠

ويصور ثورة الفقيد على قلة ما يملك من عدة وعديد ، ومطاردة العدو له ، وتضييق السبل عليه ، وتساقط الشهداء ، ثم خمود الثورة ،

---

(١) المختار ص ٢٤ ـ ٢٥

ويصور بعد ئذ جهاده في صفوف الشعب ، فلقد وحده ، وآخى بين طوائفه ، وقارع به المستعمر ، ومات مصدورا قبل أن يتحقق أمله في الحرية والاستقلال.

وهكذا نرى الشاعر يرغب عن البكاء وتصوير أحزان النفوس ، ويعمد الى معنى البطولة البارز في جهاد هانو ، فجسمه ، ويجعله حلقة في سلسلة البطولة العربية ، ويعتمد القصص في تصويرها.

وقد صور أمجد الطرابلسي [1] الاضراب الذى عم البلاد اثر تأبين الزعيم في اليوم الأربعين من وفاته ، فوصف غضبة سورية على الاستعمار وترديد نبأ الاضراب في العالم ، وأنفة البلاد من تحمل الذل ، واستهانتها بتهديد العدو لها ، وثباتها في اضرابها خمسين يوما ، وذكر مثوبة الشهداء عند ربهم من جراء تضحياتهم ، ومثوبة المرأة التى دفعت بأبنائها الى الجهاد ، وصور الأطفال في حوادث الاضراب ، وصبر القوم على الجوع والفقر ، والتفافهم حول رايات الجهاد ، وعزمهم على الكفاح ، وتسلحهم بالحجارة وبايمانهم القوى ، وتساقطهم صرعى أمام بموتهم ، واستهانتهم بقوة العدو.

وقد استقلت القصيدة بوصف جهاد الأمة في الاضراب ، وطبعته بطابع قومي حين أعلنت أن القضية أموية.

ـ ٧ ـ

وهكذا صور الشعر آثار الثورة في النفوس ، واستعاد بعض مشاهدها وكشف عن سر تقدم الغرب ، ودعا الى النضال مبينا أثر الضحايا في حياة الأمة ، ودعا شباب العروبة والاسلام الى مواصلة الكفاح واتخاذ مكة مهد الرسالة موطنا للبعث العربي الجديد.

وتغنى بكفاح الزعيم ابراهيم هنانو ، وبما كان لموته من أثر في تحريك القوم للنهوض والعمل.

هـ)) ـ الحكم الوطني

عاد الوفد السورى من (باريس) في صيف عام ١٩٣٦ بعد أن عقد مع الحكومة الفرنسية معاهدة التحالف ، وأشرفت حكومة عطاء الأيوبي

(١) المختار ص ٢٥ـ٢٦

على الانتخابات ، وتألف مجلس النواب من رجال الكتلة الوطنية ، وقامت الحكومة الجديدة ، بعد استقالة حكومة الايوبي ، لتمارس مهام الأمور وتتسلم مقاليد الحكم من أيدي سلطات الانتداب ، ولكن ممثلي الانتداب الموزعين في دوائر الحكومة وأنحاء البلاد أخذوا يأتمرون بالحكومة ، ويبثون في طريقها العقاب لعرقلة أعمالها ، ويثيرون الفتن لاظهارها في مظهر العاجز عن ضبط النظام واقرار الأمن وتصريف الشؤون والأحوال.

وبرزت في هذه الفترة مسألة لواء الاسكندرونة ، اذ طالبت تركية بضمه اليها ، فهب الشعب ضد أطماع الترك وضد الاستعمار الذي لم يقف في وجه تلك الأطماع ، وتردد القادة بين البقاء في الحكم ، والحرص على اقرار المعاهدة ، وتحقيق استقلال البلاد ، والدفاع عن اللواء بالوسائل السلمية ، وبين تقويض دعائم العهد الوطني والعودة الى صفوف الشعب لاعلان النضال ضد أطماع تركية والاستعمار ، وقد آثروا البقاء في الحكم وعرض القضية على عصبة الأمم ، وأوفدت العصبة ، بعد مناقشة القضية ، لجنة لتستفتي سكان اللواء في أمر الانضمام الى تركية أو سورية .

وكانت فرنسة وانجلترة تميلان الى استرضاء تركية ، واجابة مطالبها في اللواء حرصا على ابقائها في صفهم ان وقعت الحرب بينهم وبين ألمانية ، وهكذا ذهب اللواء ضحية الأطماع والأغراض الاستعمارية .

وأخذت أحزاب اليمين في المجلس النيابي الفرنسي ، والشركات ذوات المصالح في سورية ، تأتمر بالمعاهدة لتقتلها وتحول دون عرضها على المجلس ، ثم ازدادت الحالة الدولية في أوربة سوءا ، فقبرت المعاهدة في مهدها ، وضاعت جهود الحكومات السورية الرامية الى الابقاء عليها ، واضطربت الأحوال في سورية لتدخل السلطات الأجنبية في شؤون الحكم ، واثارة الفتن والقلاقل في أنحاء البلاد ولاسيما في الجزيرة ، وانتهى الأمر بتقويض دعائم الحكم الوطني ، واستقالة رئيس الجمهورية ، وتشكيل حكومة المديرين برأي سلطات الانتداب ، وكان هذا قبيل الحرب العالمية الثانية.

ـ ٢ ـ

وقد صور الشعر (1) ، في بدء هذه الفترة ، نشوة الانتصار الذي حققه الشعب بجهاده في سبيل حريته ، والشعور بالحاجة الى الراحة بعد العناء وأشاد بالوطن الذي كان مستقر الأمجاد العربية ، ووصل بين القادة الأحرار والقادة العرب الأولين ، وأضفى على يوم سفر الوفد الى فرنسة

(١) المختار ص ٢٦

حلة يوم بدر ، وفخر باجابة العدو لمطالب الشعب بعد أن أرهقه بظلمه ، وبارك الوفد ، ووصف توديع الجماهير له ، وجعله رمزا للأمة ، وجدد العهد باسم الشعب أن يظل مخلصا لرجال الحركة الوطنية ، وتمنى الخير على يد الوفد المسافر الى العاصمة الفرنسية ، ولم يحفل كثيرا بسفره ، فسواء على الشعب أعاد مظفرا ، أم عاد مخفقا

وهكذا استقام الشعر على طريقة واحدة ، فهو يصف الحادث أيا كان الحادث ، ويربطه بالماضي العربي بوسيلة من الوسائل ، ويدعو الى النضال •

واذا كان الشعر ، في بدء الفترة ، قد صور حاجة القوم الى الراحة بعد العناء ، فانما صور حال من يقف عن النضال حينا ليعاوده بعد قليل •

وكما صور بعض الشعر اتحاد الشعب ، وثقته برجاله ، واخلاصه لهم يوم سافر الوفد الى فرنسة ، فقد صور اضطرابه ، وتفرقه ، وتزعزع ثقته برجاله بعد عودة الوفد وتشكيل الحكومات الوطنية في فترة التحالف مع فرنسة •

ـ ٣ ـ

وقد كانت قضية لواء الاسكندرونة ، وما سبقها وصحبها من نشوب الفتن في أنحاء البلاد ، وما واجهت الحكومة من مصاعب في طريق الحكم ، وما كان من تصميمها على البقاء فيه ، أسبابا معينة على زرع الشكوك في نفوس الناس وقيام المعارضة ضد الحكم الوطني على أيدي الشباب وبعض رجال السياسة وقد صور الشعر تحول الرأي العام في البلاد ، فبعد أن كان ينادي بالسمع والطاعة لرجال الكتلة الوطنية ، أخذ يتهم القادة باضاعة اللواء على الرغم من استعداد الشعب للتضحية في سبيل حفظه ، وأنذر الشعر بأن اضاعة هذا الجزء من الوطن سيؤدي الى اضاعة جزء آخر منه واتهم القادة بأن اللواء انما ضحي للبقاء في الحكم.(١)

ويمضي الشعر(٢) فيصور أمر الطبقة الحاكمة مع الشعب ، ويواجهها بمختلف الاتهامات ، ويصف ألوان الشر والأذى التي كانت تصيب المعارضين للحكم القائم في البلاد ، فالقادة يدعون أن الاستقلال كائن ، والمعارضون ينكرونه ، والأولون يتهمون الآخرين بأنهم شرذمة من العصاة ، ويدفعون

---

(١) المختار ص ٢٦ ـ ٢٧

(٢) المختار ص ٢٧ ـ ٢٨

السفهاء الى الاعتداء عليهم بالسب والضرب ، ويعيشون هم ورئيسهم في ترف ونعيم ، ويأكلون حتى يصابوا بالتخمة ، والناس في جوع ، ويفرحون بالنكبة تنزل بالبلاد ، ويخطبون الشعب ، وخطابتهم هذر ، ويتشدقون بالعدالة ، وعدالتهم ظلم ، ويجمعون المال باسم الضحايا من أطراف الأرض ، فيصير الى جيوبهم ، ويزعمون أخيرا أنهم يسهرون على راحة البلاد .

والى جانب هذا يصور الشعر ضعف وعي الشعب في هذه المرحلة، فيعجب من سيره وراء الزعماء ، وثقته بهم ، وجهله حقيقة أمرهم، ومن تقويمه أمور الحياة على أساس ديني بحت .

واذا دل هذا الشعر على شيء ، فانما يدل على أن بوادر الكفاح الطبقي قد بدأت تظهر في المجتمع قبيل الحرب الثانية ، فالشعر يلاحظ وجود الطبقة الحاكمة من جهة ، والشعب من جهة ثانية ، ويصور الطبقة الحاكمة ، وهي تضلل الشعب ، وتخدعه ، وتستثمره ، وتتخذ وجودها في الحكم سبيلا الى كسب المنافع وجر المغانم ، ويصور ظهور الطليعة الواعية التي بدأت تفضح أعمال الطبقة الحاكمة ، وتتعرض لألوان من الشر والأذى لقلتها ولضعف وعي الشعب الذي غفل عن عيوب حكامه فلم يستطع مساندتها .

— ٤ —

ونرى في هذه الفترة شعرا يسلط الضوء على الواقع في سورية وفلسطين ، ويصف حال العرب وما هم فيه من تفرق وذل وهوان ، وواقع سورية ، في هذه الفترة ، يتمثل في قضية اللواء التي أثارها الجار، وفي الفتن والقلاقل التي أثارها المستعمر .

والشعر يصور الواقع في بساطة ويسر ، فالجار والحلف عليك لا لك، وتحكيم عصبة الأمم فيما شجر من خلاف قد انقلب الى تحكم ، والقضية عجب لا يستقيم في تناقضها قياس ، ولا تخضع لمعيار ، فالخصم حكم، والقاضي همل ، والحق يصرع ، والبهتان يسود .

ويصور الشعر ضيعة الحق والعدل في الأرض بعد أن أعان المحامي الخصم على استلاب اللواء ، وعجز القاضي عن الحكم ، ويسأل الشعر المحامي عن جيشه الجرار الذي تولى عن اللواء فلم يحم ثغرا ولم يمنع

دارا ، وتحلى برحابة الصدر بعد أن كان يستثيره الطفل ، وبعده أن يكون جبارا على الضعيف ، خوارا عند البأس ٠

ويصور ما جر التحالف على البلاد من ويلات ، ولا يعذر الحاكم فيما زعم من أن أمر اللواء قد قضى دون علم منه بالأمر ، ويرى أن من العار أن يضيع الحق على هذا النحو ، وأن الحق والملك يقومان على القوة ٠

ويرد الشعر على المزاعم التى تصور الجزيرة غير راضية عن الحكم الوطنى بأن الأمر ليس أمر رضى الجزيرة ، بل أمر النفط الذى ظهر فيها ، ويغضب لديار عمرو بن كلثوم يعيث فيها أراذل الناس ، ويسأل عن فوارس طى وتغلب الذين ناموا وجعلوا الحمار يصول ٠

وينتقل الى بيان حال العرب فيصور ضعة الصيحات فيهم ، واستغراقهم فى النوم ، ومرور الحوادث بهم ، وتباعدهم على تقارب ديارهم ، ومتانة الروابط بينهم ، ويصورهوانهم على الشعوب من جراء تخاذلهم ، وعز غيرهم ، وضعف شأنهم ، وسكوتهم على الضيم ٠

وأخيرا يصف تمزيق فلسطين ، والاستهانة بحرماتها ، وترويع الآمنين بها ، ويسأل عن فرسان العرب فى غمرة الخطوب ٠

ووقوف الشعر على تصوير حال العرب فى ديارهم ، والسعى الى ايقاظهم ، واثارة الحماسة والنخوة فيهم ، يعنى أن الطريق الطبيعى الى حل القضايا العربية ، ومنها قضايا سورية ، انما يكون بيقظة العرب ، ووعيهم لمشاكلهم ، واعتبارهم بالأحداث التى تمر بهم ، واتحادهم فى بلادهم اتحادا يجعل منهم قوة يحسب لها حساب ٠

ولا يفوتنا أن نلاحظ ما فى الشعر(1) من سخرية مبعثها الألم مما صارت اليه حال البلاد فى عهد الحكم الوطنى ٠

ونجد فى هذه الفترة شعرا(2) يلخص سياسة العدو بين الحربين تلخيصا مشوبا بالنقد والسخرية ، فيعرض لسياسته فى الحكم والادارة والاقتصاد ولنكوله عن تصديق المعاهدة المعقودة بين البلدين ، واثارته الفتن والقلاقل فى اطراف البلاد ، ثم يدعو الى اطراح المعاهدة ، واستئناف النضال ٠

---

(1) المختار ص ٢٨ (٢) المختار ص ٢٨ـ٢٩

ـ ٥ ـ

فالشعر في هذه الفترة يصور السياسة الداخلية ، وبوادر الكفاح الطبقي ، واطماع تركية في سورية ، وأغراض الاستعمار ، ويسخر من تحكيم عصبة الأمم فيما شجر من خلاف بين سورية وجارتها ، ويصور ما جرت المعاهدة على البلاد من ويلات ، ويلخص سياسة العدو بين الحربين ، ويصور العرب وما هم فيه من ذل وضعف ، ويقابل حالهم بحال غيرهم من الشعوب ، ويصف شقاء فلسطين بالاستعمار والصهيونية ٠

القسم الثاني

الشعر في المناسبات

وجدنا الشاعر ، فيما مضى ، يستقي موضوعاته مما يقع في بلاده ، وكان توالي الحوادث على البلاد يغمر الشاعر ، فيشغله عما يقع في دنيا العروبة ، وكان هذا أقصى ما يتمناه الاستعمار ، غير أن الأواصر بين بلاد العرب كانت أقوى منه رغم امعانه في تقسيمها وتجزئتها وحكمها حكما ظالما .

ومن الطبيعي أن تكون أواصر العروبة متشابكة متينة ما دامت تقوم على اللغة والتاريخ وعلى وجود الأمة العربية التي تغالب عوامل الفناء وتجاهد لحفظ بقائها ، وتحقيق ذاتها ، وتأدية رسالتها التي اضطلعت بأعبائها ، وطلعت بها على العالم من قبل حين تهيأت لها أسباب الظهور على مسرح التاريخ .

وقد كان شعر المناسبات قوي الدلالة على المرحلة التاريخية ، وكانت المناسبة الداعية الى القول تنقل الشاعر من النطاق الضيق الذي ضربه المستعمر حوله الى مجال قومي فسيح لا يعرف الحدود ، فيتلاقى الشعراء ويضربون على وتر واحد ، فيخرجون نغما قوميا موحدا يهز النفس، وينزع عنها ما غلفتها به القرون الطوال ، ويبعثها خلقا جديدا .

كانت المناسبات الباعثة على نظم الشعر متنوعة ، ولكنها ترتد جميعا الى مناسبات قومية وثقافية ، وكانت المناسبة الثقافية تحول الى مناسبة قومية كما حدث في المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي .

— ٢ —

أ)) — المناسبات القومية

والمناسبات القومية ، منها ما يرتد الى الماضي البعيد كالاحتفال بذكرى مولد النبي ودعوته وجهاده وغزواته ، ومنها ما يعود الى الحركة والثورة العربية وما تمخضت عنه من أحداث شاهدها بعض الناس ، وعملوا فيها كذكرى الثورة العربية واستقلال سورية ويوم ميسلون .

ويضاف ، الى أحداث الثورة العربية والحكم العربي بدمشق ، فجيعة

العرب بوفاة حسين وابنه فيصل وحفيده غازى ، وكذلك كانت ثورات فلسطين المتعاقبة ، وما سقط فيها من الشهداء مناسبات قومية تدعو الى القول، وسنجلو ، فيما يلى ، أهم المعانى التى تواردت على أذهان الشعراء فى هذه المناسبات .

— ٣ —

ففى ذكرى المولد النبوى ، كان الشعر (١) يصف الكون وقد فاض بالبهجة والسحر والصفاء والنور والجلال والجمال ، ويقف عند حياة النبى فى مراحلها المختلفة، ويتخذ منها مثلا يحتذى فى الايمان بالدعوة والجهر بها والجهاد فى سبيلها والصبر على المكروه وتحمل الشدة والثقة بالفوز .

وبين الشعر أثر الدعوة فى حياة العرب ، فأشار الى وحدتهم التى تمت على يد النبى ، وذكر المفاخر والأمجاد التى أحرزوها بنشر الدعوة ، والجهاد فى سبيلها ، وصور الملك الذى أقاموه على دعائم من القوة والحق والعدل والفكر والنظام .

وبين أثر الدعوة فى حياة الانسان والبشرية : فدعوة الاسلام جاءت الناس بقيم جديدة صفت الروح ، وشفت الانسان من الأوجاع، وسلت من فؤاده الأحقاد ، وحررته من عبودية الأرض، وربطته بخالق واحد ، وجعلته روحا نقيا ، ودعوة الاسلام نادت بالمساواة، والحق ، والعدل ، والأخوة البشرية ، وهكذا جاء الاسلام بقيم أكسبت الحياة معنى جديدا .

وصور الشعر النبى العربى متطلع الأجيال ، ونجوى الأرواح ، ومهوى القلوب ، ونداء المعذبين ، وغوث اللاجئين ، لما تضمنته رسالته من سماحة وحنان ورحمة وطيبة .

وكان الشعر ، فى هذه المناسبات ، ينتقل من الماضى الى الحاضر، فيصور هوان العرب وانقسامهم وخضوعهم للأجنبى ، ويقابل بين ذل الحاضر وعز الماضى .

وكان الشاعر يتخذ ، من ذكرى مولد النبى وهجرته وجهاده

---

(١) المختار ص ٢٩ـ٣٠

وغزواته ، وسيلة الى ذكر أمجاد الماضي ، وبعث روح الحماسة في النفوس ، ودعوة القوم الى النهوض والكفاح لتبديل الواقع ، وبلوغ المثل العليا التي حققها العرب في رسالتهم الى العالم ٠

وكان الشعر يسخر العاطفة الدينية لاثارة عاطفة الحماسة القومية، ويجعلها رافدا يصب في نهر القومية الواسع٠

ويمكننا أن نقول ، بعد هذا، في ايجاز : ان تاريخ النبي العربي نواة التاريخ العربي ، أو هو القطب الذي تتجمع حوله الأمجاد والمفاخر القومية ٠

— ٤ —

أما الأحداث القومية القريبة ، فأولها يوم الشهداء (١) ، ويحتفل به القوم كل عام ، ويصور فيه الشعر أرواح الشهداء حول العرش، وهي تدعو الله أن يحفظ بلاد العرب ، ويثبت استقلالها ، كما يصور أحزان الطبيعة والناس المعلقين على الأعواد ، ويمس الشعر العاطفة الانسانية ، فينعى على الانسان قتل أخيه الانسان ، ويكرم الشهيد ، ويرفعه فوق الناس ، ثم يصور فساد حال الأمة ، ويدعو الى المحافظة على المثل العليا التي ضحى الشهداء بأنفسهم في سبيلها ، ويرفع الشهداء مثالا يحتذى في البذل والتضحية ، ويتخذ من ذكراهم سببا يدعو الى الاتحاد والتخلق بالخلق الكريم ٠

وثانيها يوم الثورة العربية (٢) ، والشعر يصور أثرها في النفوس : فالثورة انما كانت لتحرير العرب من جور الترك . وتحقيق استقلالهم ، وحريتهم ، ووحدتهم ؛ والشريف حسين ، قائد الثورة ، مثال المناضل الذي يمتاز بثباته في وجه الأطماع وصلابته وشجاعته في الكفاح وتضحيته بالمنافع في سبيل الأغراض القومية ، والشعر ، لهذا، يصوره محاطا بالهيبة والجلال والوقار ٠

وثالثها يوم استقلال سورية (٣) ، والشعر ، في هذه المناسبة ، يقابل بين عهد الاستقلال وبين عهد الاحتلال ، ويصف آثام الاستعمار وغدره ومكره بالعرب ، ويبارك الخدمة التي تعلي قدر العاملين في سبيل الوطن ، ويمجد أعمال الماضين ممن خلدهم التاريخ ، ويوصي

---

(١) المختار ص ٣٠ ــ ٣١ (٢) المختار ص ٣١
(٣) المختار ص ٣١ ــ ٣٢

يبعث سيرهم ليكون للقوم فيهم أسوة حسنة ، ويحذر المستعمر بالثورة .

وقد ينفض الشعر[1] ، في هذه المناسبة ، الذكريات والخواطر التي تتعلق بظروف الثورة العربية وأحداثها ، ويسير في وصف الأحداث حتى ينتهي بها الى حاضر القوم :

يذكر الشعر الاستقلال فيرى أنه بعث مجد العرب ، وأقام لهم مجدا طريفا بعد أن جف ينبوعهم ، وطال نومهم وخضوعهم لغيرهم من الأقوام .

ويذكر الثورة وقائدها فيصلا ، فاذا الثورة دليل على عزيمة العرب وحيويتهم ، واذا فيصل يعيد ملك العروبة الذاهب ، فتغتبط بعودته الشام ، واذا الناس تعاودهم الأحلام والآمال في العيش الهني ، فيتعاهدون على النضال المرير ضد الاستعمار .

ويعرج الشعر على فلسطين ، فيصور شقاءها بالمستعمرين والصهيونيين ، وعدوان هؤلاء على المساجد ، وتململ مقام المسيح مما ينزل بالناس من ظلم ، وتساقط الشهداء في ساحات الجهاد ، وشكوى القدس من خيبة الآمال ؛ ومن غرق الناس في النعيم .

ويصور الشعر شباب العرب وقد استعدوا لمقارعة الاستعمار في كل مكان من أرض العروبة ، كما يصور طابع السمو والرفعة الذي يميز العرب من غيرهم .

ويصور يقظة العرب قاطبة فيدعو الى تفجير الثورة المكبوتة في الصدور وتحطيم قيود الاستعمار .

وأخيرا ينتهي الى تسفيه حركة المعارضة التي قامت في وجه الحكم الوطني في سورية ابان ظهور مطامع تركية في اللواء ، ويدعو الى يقظة أولي الأمر ، كما يدعو القوم الى رعاية الوطن والذود عنه .

ورابعها يوم ميسلون الذي استشهد فيه يوسف العظمة[2] ، والشعر يشيد بذكراه ، ويجعله مثالا للتضحية والفداء ، ويصور أثر تضحيته في قومه ، ويتساءل عن زعيم جريء مقدام يثير النفوس ، ويبرد

---

(١) المختار ص ٣٢ (٢) المختار ص ٣٢

الموت ، ويسير الى المجد فصل يوسف الذى هب للذود عن الوطن ، واستشهد فى سبيله ·

فالشعر يمجد بطولة يوسف فى ميسلون ، ويرفعه مثالا للناس ويخلو من معانى التحسر والبكاء ، ويخرج غناء قوميا حماسيا ·

— ٥ —

ويعتمد الشعر موضوعات القول من فلسطين ، ويرد ذكرها فى سياق القصيدة ، أو تستقل القصيدة بالحديث عنها ، ويبلغ الشعر فى الحديث عنها ذروة الحماسة القومية لعنف الصراع بين العرب والاستعمار ، ويعنف النضال فى فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية ، ويغلى ، ويتفجر فى ثورات متتابعة ، ويهم العرب ، فيطيرون الى فلسطين ، ويقاتلون الاستعمار المسلح على قلة فى العدة والعدد ، وتتمثل فى الثورات وحدة النضال العربى ، ويتعرى الاستعمار حتى تبدو للاعين أطماعه ، وأحقاده وخسته ، ولؤمه ، وبغيه ، وهمجيته ، ويثور ضمير العرب ، فيتحرك الشعر ، ويغنى الثورة والثوار ، فتتململ الامة العربية تحت ضغط الثورة المكبوتة فى الصدور وتحت القيود التى قيدها بها الاستعمار ، وأقام الحكام العرب عليها حراسا خشية أن تتقطع ويفلت منها السجين·

والشعر ، فى فلسطين (١) ، ينقل الواقع ، فيصور أمن فلسطين من قبل ، وشقاءها بالاستعمار وبالصهيونية ، وتعاون الشرين على استخلاص الأرض من أهلها واجلائهم عنها بالوسائل المختلفة ، ويصف استهانة المستعمرين وأجرائهم بالحرمات ، وثورة الشعب الذى ضحى بالأنفس والأموال والثمرات ، ومعارك الثورة ، وتساقط الشهداء برصاص المستعمر ومكره وكيده ، وتفنن الاستعمار فى التنكيل بمناطق الثورة ، ويخلد ذكر بعض البقاع التى استشهد فيها الثوار ·

وفى لوعة وحسرة ، يصف الشعر صدود المستعمر عن تعاليم الانجيل الداعية الى الرحمة والمحبة والسلام فى الأرض ، وفى ثورة وحماسة لاهبة ، يدعو العرب الى نصرة فلسطين ، ويسأل عن الفرسان ، ويربط جهاد القوم بجهاد الماضين ، وفى تأنيب ولوم فاضح ، يذكر وعود الحلفاء للعرب ، ونكولهم عن تصديقها ·

(١) المختار ص ٣٣ — ٣٥

ويقف الشعر عند الشهداء (١) ، فيرفع تمثالا للشهيد المجهول، ويصوره في ساعات النزع صورا تحرق القلب : فالشهيد المجهول جريح يود أن يبرأ ليعود الى المعركة ، ويتلوى على الثرى وقد غاب عن نفسه ، والزهر يرف على الجرحى الذين لم يطعموا النوم ، ثم ماتوا بعيدا عن أهلهم ، والقفر يعشب حول مثوى الشهيد الذى مات قرير العين .

وقد يتحدث الشعر عن شهداء فلسطين جميعا (٢) ، فيجعل استشهادهم مأتما للعروبة ، ويصف تمثيل المستعمر بهم ، واعدام المجاهدين وقتل الأطفال ، ويسخر من العدالة والقضاء ومن التمدين ، ويستهين بالاستعمار وقوته وتنكيله بالثوار ، ويصف أحزان العروبة من جراء تساقط الضحايا في الثورة ، ويتخذ هذه سبيلا الى الحياة الحرة الكريمة ، ويصور أرض فلسطين التى صارت ساحة من الدماء ، وكانت مهد السلام ، ويأمل في الغد الذى يرغم المستعمر ، ويحد من كبريائه ، ويرميه بمن هو أقوى منه .

وقد يرثى الشعر شهيدا معينا (٣) ، فيخرج الرثاء نشيدا قوميا حماسيا ، ونجد هذا عند عمر أبى ريشة الذى نظم قصيدة في استشهاد سعيد العاص ، واستغل هذه المناسبة لينفض كل ما في نفسه من مشاعر وخواطر تتصل بالثورة والثوار من قريب ومن بعيد .

والقصيدة تغمرها عاطفة الحماسة القومية التى تتجلى في الثورة والثوار تقاليد العروبة النزاعة الى المجد والندى والسماح ، والشاعر يصور جبل النار ، وقد تجسدت فيه العروبة ، ويمزج عاطفته الدينية بعاطفته القومية فيكون منهما مزاج مؤتلف يلائم العاطفة الدينية عند العرب ، مسلمين ، ومسيحيين ، ففلسطين شهدت موكب الاسراء ، كما كانت مهد المسيح .

وتبدو عاطفة الحماسة القومية في ألوان مختلفة : فهي افتخار واعتزاز حين يطير الشعر في أجواء الماضي المجيد ، وهي تألم واكتئاب حين يحط على فلسطين ، وهي اباء واعتداد وفخر حين ينتقل الى جبل النار الذى أفاق واهتز على صيحات النور تتنادى للقتال،

---

(١) المختار ص ٣٣ (٢) المختار ص ٣٣ ـ ٣٤
(٣) المختار ص ٣٤ ـ ٣٥

وهي نقمة وغضب وسخط على المستعمر الذي حشد قواه لسحق الثورة، وهي أسى وحزن على الدماء الزكية التي روت الأرض ، وهي عزة وفخر حتين يصور الشعر الثورة ، وقد غدت منارا للآتين ، ودليلا على الطريق الذي سيسلكونه الى حريتهم ، وهي حنان واشفاق على سعيد الذي قضى ، وبلاده في شوق اليه ، وهي ثورة وقوة وفخر حين يصوره الشعر شهيد الجهاد ، وصرخة الهول ، ومتعب الخيل ، وملبي النداء، ومعيد سيرة الجهاد في عهد خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ، وهي حقد على المستعمر الذي قتل سعيدا ورفاقه ، وباع اليهود أرض فلسطين ، وتنكر لتعاليم الانجيل ولوعوده الماضية ·

وترتد عاطفة الحماسة القومية الى جبل النار ، وتستقر فيه بعد أن جابت العصور ، وحامت حول الماضين ، وصحبت الثوار في ميادين القتال ، وشهدت مصرعهم بأيدي الشر والعدوان ، وحومت فوق الشام وصنين وسيناء ، ووحدت نضال العرب ، ووصلته بجهاد الماضين، ويغدو جبل النار أخيرا علما من أعلام النضال في دنيا العروبة ·

— ٦ —

وقد كانت المرحلة التاريخية التي مر بها العرب في الجزيرة والشام والعراق مقرونة بذكر الأسرة الهاشمية ، وقد شاركت الأسرة الحلفاء في قيادة المرحلة دون أن تعلم بما كانوا يضمرون للعرب من شر ، واستطاعت أن تقود الحرب في الجزيرة والشام بقوة ومهارة ، وأن تسير دفة السياسة لولا مكر العدو وغدره ·

وعلى كل حال فقد نعم العرب ، في الثورة العربية وفي عهد حكومة فيصل ، بنشوة الانتصار على الترك وتحرير البلاد من جورهم ، وشعروا بنعمة السيادة والحرية والاستقلال ، واعترفوا بجميل الأسرة الهاشمية التي كانت عنوان الوثبة العربية ، وسجل الشعر عرفان الجميل لعميد الأسرة في عديد من القصائد ·

والملك حسين الأول ، كما يصوره الشعر ، وارث الفضائل العربية ، وباعث المجد التليد ، وقائد العرب في معركة الكفاح ، ومنقذهم من جور الترك ، وموضع آمالهم ·

ويتضح من هذا ما كان للأسرة من أثر في الثورة والحكم العربي

فى الشام ، وقد استمر هذا الاثر طويلا حتى ليمكن القول : ان حياة سورية فى عهد الانتداب استمرار للحكم العربى أيام فيصل ، وقد جاءت وفاة الملك حسين الأول وابنه فيصل الأول دليلا على قوة الاثر فى النفوس ، وجاء مصرع غازى ليؤكد ما يكنه العرب للأسرة من عظيم الحب والاخلاص والاجلال ، وهنا نحن أولاء نبين مكانتها فى نفوس القوم بعد وفاة عميدها حسين وابنه فيصل وحفيده غازى .

ويرى الشعر ، الذى رثى حسينا (١) ، أن سيرته مثال يحتذى فى تحمل الشدة ، والوفاء بالعهد ، وطهر اليد والضمير ، والصراحة فى القول والعمل ، ويجلو صفحات من حياته تصور ثباته على المبدأ ، وعزوفه عن التاج ، واصراره على حفظ فلسطين من أطماع اليهود رغم اغرائه بالمال والمنافع ، ويعيد الرثاء ذكرى الثورة التى أعلنها ، وشق بها للعرب طريق التحرر من الحكم التركى .

والى جانب هذا يصور الرثاء أحزان العرب ، وحاجتهم الى الفقيد ، وخلو مكانه عندهم ، ويؤكد خلوده فيهم ، وينذر الاستعمار بأن العرب سيدركون غاياتهم فى يوم قريب .

ورثاء فيصل الأول (٢) يتناول عهده بالشام ، ويقابله بعهد الاحتلال ويجعل موته موتا للأمانى والأحلام ، ويعلق على ابنه غازى الآمال ، ويرفع شأن الصحراء مهبط الوحى ومنبت الرجال ، ويجعل سيرة فيصل مثالا يحتذى فى الصدق والشجاعة والصبر والكياسة ، ويصور شقاء البلاد بعده ، وحزن العرب عليه ، وكثرة مصائب الشرق ، وقلة خبرته بالدهر ، وحاجته الى الوئام .

ويشير الى قيام الحرب فى الجزيرة بين الملك عبد العزيز وبين امام اليمن ، ويوجس خيفة من العدو الذى يتربص بالعرب الدوائر .

ويعود الى فيصل فيجعله شعار العلياء ، وغناء الأحرار ، ويشيد بعمله فى سبيل العروبة ، ويشير الى ما تجلى به فى جهاده من ايمان بقومه وبعروبته ، والى ما أقام من ملك فى العراق بعد ذهابه فى الشام ، والى رضاه عن نفسه وارتياحه الى عمله ، والى موته والعرب فى أمس الحاجة اليه .

---

(١) المختار ص ٣٥ - ٣٦ (٢) المختار ص ٣٧ - ٣٨

— وفي (غازيات)[1] يستغل الشعر الماضي والحاضر لاثارة العاطفة القومية ، ويؤكد وحدة القطرين قديما وحديثا ، ويرى التاريخ العربي سلسلة تمتد من الجاهلية حتى اليوم ، والاسرة الهاشمية حلقة من حلقاتها ، ويعتبرها وحدها القادرة على جمع شمل العرب، والممثلة لوحدتهم ، ولاستمرار دنيا العروبة .

ويدعو الشعر العاهل الصريع أن يضم الشام الى العراق ، ويذكر مبايعة الشام لابيه بالملك ، ويجعل البيعة في الرقاب لابيه من قبل وله ولابنه فيصل من بعد .

ويشير الشعر[2] الى نسبه الموصول بالنبي ، وطموحه الى المعالي، واستيقاظ نشوة الفتوح في صدره ، وحزمه الذي تجلى في قمع ثورة الاشوريين .

ويصور أمل دمشق الضائع بانهيار عرش فيصل وموته ، ومصرع غازي ، ويعتبر غازيا سيد الشام ، ووارث أبيه المظفر ، ويصور حزن الشام لموته ، وسوء حالها في عهد الاحتلال .

وينتقل الى فلسطين ، فيصور شقاءها باليهود ، واستعانة الحلفاء بالعرب في الحرب الاولى ، وتمنيتهم بالوعود ، ونقض الوعود بصدور وعد (بلفور) الذي فتح لليهود في أنحاء العالم أبواب الهجرة الى فلسطين .

ويستثير الشعر الحقد على الاستعمار ، ويصور الزمان يعدو على العرب ، والمصائب توحدهم ، ويرى أن وحدتهم آتية لاريب فيها ، وأن موت غازي يجمعهم[3] .

ب)) — المناسبات الثقافية

لقد ذكرنا من قبل أن المناسبات تختلف بين قومية وثقافية، وقلنا ان المناسبة الثقافية كانت تتحول أو تحول الى مناسبة قومية، وسنعرض الآن لدراسة الشعر المقول في هذه المناسبات !

وأولى هذه المناسبات جملة من الزيارات لسورية قام بها أعلام الادب والشعر ، فحركت الشعراء ، ودفعتهم الى القول ، وكان الشعر المنظوم يلقى في منتديات أدبية عامة كالنادي الادبي في حماة،

(١) المختار ص ٣٩-٤٠ (٢) المختار ص ٤١

(٣) المختار ص ٤١

وقد استقبل المؤرخ أحمد زكي [1] ، أو يلقى في دار المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد استقبل الشاعرين أحمد شوقي وحافظ ابراهيم [2] ، أو ينظم تحية للشاعر الزائر ، كما فعل بدوي الجبل حين زار جميل صدقي الزهاوي سورية [3] .

وقد كانت حفلات التكريم التي تقام للزائرين الضيوف ، وما يلقى فيها من شعر ، تظاهرة قومية تشترك فيها طبقات الأمة ، ويدوي فيها صوت الشعر معبرا عن آلام العرب وآمالهم ، ومبينا صلاتهم التي تؤلف بينهم منذ أقدم العصور ، ونادبا عزهم الماضي ، وداعيا الى الكفاح لتحقيق الآمال ، واستعادة الأمجاد والصلات التي كاد الاستعمار يقطعها .

ودراسة الشعر المقول في هذه المناسبات توضح أن الشاعر كان يتجاذبه الماضي بأمجاده والحاضر بآلامه وآماله ، فيقف على الأول ذاكرا له ، مفتخرا معتبرا به ، وينظر الى الحاضر متألما منه ، داعيا الى أن يستبدل به ما هو خير وأبقى ، وكان يجهد أن يستخلص منهما معا جملة الروابط التي تربط العرب في مرحلتهم الحاضرة برباط متين .

— ٢ —

وأولى الروابط رابطة اللغة ، وقد وقف الشعر عندها مرارا ، ودرس مظهرها الأدبي ، وذكر بعض الشعراء القدامى ممن كانت لهم صلة بالبيئة الشامية ، كحسان في الجاهلية والأخطل والفرزدق وجرير في الاسلام ، ونظر الى الشعراء أحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وخليل مطران على أنهم أعلام الشعر في العصر الحديث كما كان شعراء النقائض أعلام الشعر في زمانهم ، وأنهم خالقو نهضته ، وأن اللغة عزت بهم [4] .

وصور الشعر دور اللغة البارز في توثيق عرى الاتصال بين بلاد العرب ، اذ لولا اللغة الواحدة لانفصمت العرى ، كما بين الشعراء شأن الشعر في معركة الكفاح ، فهو ينبه الأقوام ، ويدفع الشعوب الى تحطيم الأغلال .

وأكد الشعر مكانة رابطة اللغة بين مصر والشام ، وأشار الى أنها مؤيدة بالقرآن الكريم وبالوحي ، وهكذا أضفى على اللغة صفة روحية .

---

(١) المختار ص ٤٢ (٢) المختار ص ٤٢ ـ ٤٥

(٣) المختار ص ٤١ ـ ٤٢ (٤) المختار ص ٤٣ ـ ٤٤

وأظهر الشعر خطر اللغة فى توحيد الشعور القومى ، فالشعر، وهو مظهر اللغة الحى ، يجمع العرب على صعيد واحد ، اذ يثير فيهم عاطفة الحماسة القومية وعواطف أخرى متشابهة ، وبذا يتكون نوع من وحدة الشعور ينتظم الجماهير ٠

-٣-

والرابطة الثانية هى رابطة التاريخ ، والشعر يذكر من الماضى ما يلائم المناسبة والمكان الذى يحتضنها ، فاذا كان المكان دمشق ذكر آل جفنة والملك الحارث وحسان فى الجاهلية،وهشام بن عبد الملك ومعاوية بن أبى سفيان فى عهد بنى أمية ، واذا كان المكان حماة ذكر ملكها أبا الفداء وجهاده وتاريخه ، واذا كان المكان مصر ذكر عمرو بن العاص والفسطاط وبنى أيوب وصلاح الدين أيام الحروب الصليبية ٠

والشعر يذكر التاريخ العربى بالفخر المقرون بالتحسر والنوح ، والبكاء ، فيصطبغ الموقف بصبغة ذاتية رومانسية ، وقد يتعدى هذا الموقف الى الحماسة ، فيهيب بالابناء أن يحتذوا الاباء فى اتيان الأعمال العظيمة التى أكسبت الماضين المجد والحمد والصيت البعيد ٠

والشعر يؤكد منزلة رابطة اللغة ورابطة التاريخ فى عروبة مصر ، ويجعلهما قوام العروبة فيها ٠

-٤-

وثالثة الروابط وحدة النسب ، والشعر لا يؤكد هذه الرابطة كما يؤكد الأوليين ، وانما يعتمدها فى دعم الوحدة لقيام قبائل فى بلاد العرب حافظت وما تزال تحافظ على نسبها وتقاليد الحياة القبلية ومناقب العروبة ، والشعر يفخر بالمحافظة على مناقب العرب رغم تقلب الدهر ، وتأصل العروبة فى بلاد الشام ، ويدعو الى المحافظة على العروبة ٠

تلك هى الروابط القائمة بين بلاد العرب منذ القديم ، أما الروابط المستمدة من الحاضر فان الشعر يستخلصها من تصوير الواقع ٠

-٥-

وفى تصوير الواقع ، يلحظ الشعر كثرة الخطوب النازلة بالعرب ، وكفاح العروبة فى الاقطار المختلفة ، وأحزانها على شهدائها، واضطراب الامور ، وتفاقم الشر،وفساد الأحوال فيها ، ويرد هذا كله ، الى الاستعمار الذى يأمر ، وينهى ، ويأتى ما يأتى باسم الحضارة

والمعذبين ويستخلص الشعر ، من هذا كله ، أن العرب سواء في تحمل الالام ، وأن الالام تجمعهم كما جمعتهم اللغة والتاريخ ٠

ويشير الشعر ، في تكريم شوقي وحافظ ، الى النزعة الاقليمية الفرعونية التي ظهرت في مصر مهددة بقطع صلة العروبة بين مصر وبين بلاد العرب ، ويشفق على مصر منها ، ولكنه يعبر عن ثقته بقدرة اللغة على حفظ عروبة مصر من أن يمحوها الزمان ٠

ويقف الشعر عند مصر محددا عروبتها ومكانتها ، ومصورا كفاحها وخطرها في حياة الشرق ، وعروبة مصر ، كما يرى الشعر ، تقوم على التاريخ واللغة ، وكفاحها الجبار يجعلها جديرة بحمل راية الكفاح وقيادته ، وهي ، فضلا عن هذا كله ، ذات حضارة قديمة ، كما انها باعثة النهضة في الشرق ، وموئل النهضة الأدبية الحديثة واللغة العربية ٠

— ٦ —

وثانية المناسبات الثقافية حفلات تأبين أعلام الشعر والأدب في العالم العربي ، وفي هذه المناسبات ، كان الشعر يبكي الراحلين ، ويجعل الفجيعة فيهم فجيعة قومية ، ويقوم أدبهم مظهرا أياديهم على قومهم وعلى الانسانية وعلى اللغة ٠

وكان الشعر ينظر الى أدبهم وشعرهم من الناحية الفنية واللغوية ، ومن ناحية تصويره لعواطف الانسان ومشاعره ، وتمثيله للمرحلة التاريخية التي يمر بها وطن الشاعر ، وبلاد العرب ، والشرق ٠

— ٧ —

فالشعر الذي رثى المنفلوطي (١) شهد أنه استحوذ على البيان ، وأثر بأدبه في القلوب ، ودعا الى الأمن والسلام ، وأشفق على الأشقياء المعذبين ٠

— ٨ —

وسجل الشعر ، في رثاء حافظ (٢) دفاعه القوي الصادق عن العربية ، وقوم شعره من ناحية اللغة ومن ناحية الأسلوب ، فشهد له بقوة النسج ومتانة السبك ، وقدر محافظته على طابع اللغة العربية في شعره ، وأكبر انسانيته التي ظهرت في تفجعه وبكائه على ما نزل

(١) المختار ص ٤٥ (٢) المختار ص ٤٥ — ٤٧

بالشرق من كوارث ، وفي تغنيه بالبؤس والهموم ، وهزئه بالدهر ، وانطلاقه في العيش، وتبسطه في معاشرة الناس مع اخفاقه في تحقيق أحلامه، وأطرف ما نراه ، في رثائه ، أشخاص البؤس والهموم ، وقد جسات مصوبة البؤس ، محنية الظهور ، مطرقة الى الأرض ، تودع صديقها الشاعر الوفي المحتضر .

وذكر الشعر وطنية حافظ الذى صور نهضة مصر ، وغنى كفاحها ، وبكى تأخرها ولهوها ، ونشد حريتها ، وعبر عن حبه لها ، ونبه قومه من غفلتهم ، وصوز الظلم النازل بهم ، وهاجم أعوان المستعمر ، وحسر القناع عن وجه الاستعمار .

وأشار رثاء حافظ الى أنه كان يستلهم شعره من واقع مصر والجزيرة ، ويقرب بين أبناء العروبة ، وينقم على مطامع الغرب في الشرق .

ـ ٩ ـ

والرثاء المقول في شوقي يصور مكانه في عالم الشعر ، وفضله على اللغة ، وأثره في تجديد الشعر ، وتمثيله لكفاح مصر وبلاد العرب، وتغنيه بأمجاد العروبة والاسلام وأحداث الشرق .(١)

أما مكانه في عالم الشعر، وفضله عليه ، وأثره فيه ، فالرثاء يعلن، في أسف ظاهر ، خلو مكان الشعر بعده ، ويشهد بقيام النهضة الشعرية على يديه ، ويمجد عبقريته التي امتازت بالقوة وسعة المدى وتعدد الآفاق ، ويقر بأنه طوع الشعر لمختلف الفنون ، ورفع دولة للفصحى بمصر ، وحقق لمصر مجدها الأدبي ، وجارى الشعراء القدماء وفاقهم بما أدخله من جديد في فنون الشعر .(٢)

وأما تمثيله لكفاح مصر وبلاد العرب والشرق فالرثاء يذكر أنه صور نهضة مصر وكفاحها ، وغنى تاريخها منذ القديم حتى عصره ، واستلهم شعره من واقعها ، ومن واقع العروبة وأمجادها الماضية ، ومن أحداث الشرق حتى غدا صدى للشرق والعروبة والاسلام.

لقد غنى شوقي الشرق ، وناح على خطوبه وذله وانقسامه ، وبعث هوى الماضي في النفوس حين تغنى بأمجاد العروبة والاسلام ، وبعث الماضي حين زار الأندلس ودمشق ، ففي الأندلس، بكى مجد بني أمية ، ووصفه فيما بقي من الآثار ، وفي دمشق ، بكى مجد بني أمية ثانية ،

---

(١) المختار ص ٤٧ ـ ٥٠ (٢) المختار ص ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩

وتذكر وقوفه على آثارهم في الأندلس ، فأحدث هزة شعرية في النفوس ، وهاج في القوم نخوة عربية ، وهزهم في غفلتهم ، وذكرهم أجدادهم ، وعاد في الثورة السورية ، فبكى دمشق ، وتألم لما أصاب معالمها التاريخية من خراب ودمار ، وواسى السوريين في محنتهم ، ودعاهم الى متابعة النضال للظفر بالحرية والاستقلال .

والرثاء يصور أحمد شوقي ، وقد بعث الحياة في الصحراء الهاجعة في شعره التمثيلي الذي استمد موضوعه من الحياة العربية فالحب والخيام والقرى واللبانة والموعد عند الكثيب وسكينة الصحراء التي يتردد فيها صوت الحادي ، هذه يصورها كلها في صورة جامعة .

ويصور الرثاء ، فضلا عن هذا كله ، عواطف الراثي ومشاعره ونظرته الى المرحلة التاريخية والماضي ، فبدوي الجبل[1] ، في رثاء المنفلوطي والألوسي ، يندب الجزيرة ، ويتفجع عليها ، ويصف واقعها الأليم ، ويؤكد بقاء العروبة في الشام والعراق ومصر على أساس من النسب والعقيدة العربية ، ويتفاخر بنسبه متعاليا على منكري العروبة ، ويعرض بوجود المستعمر الذي كدر صفو الحياة ، وبسياسة الحلفاء الماكرة ، ويقرر أن استرداد الحق يكون بالقوة ، ويشير الى اطاعة القوة وعصيان الحق ، والى أن الشرع من وضع القوى .

وشفيق جبري ، في رثاء المنفلوطي ، يستعظم الخطب النازل بفقد رجال الفكر بعد اضاعة الديار ، ويقسو ، في رثاء حافظ[3] ، في حكمه على الحضارة التي تخدع العيون ، ويؤثر الجهل على علم يجيء بالعسف والبطش وسفك الدماء ، ويذكر ، في رثاء شوقي[4] ، قصيدته في زيارته لدمشق ، وأثرها في نفوس القوم ، وما أعقب هذه الزيارة من نشوب الثورة التي روت الأرض بالدماء ، ويحث على قول الشعر ، وفي رثاء الزهاوي ، يصور آثار الماضي في النفوس وحيويته وغناه وقدرته على جمع شمل العرب ، ويبين أن ذكرى الماضي تجمع الشام والعراق كما جمعتهما وحدة الآلام .

ويصور عمر يحيى ، في رثاء حافظ[5] ، مطامع الغرب في الشرق الغافي الغافل عن حيل الغرب ومكره .

(١) المختار ص ٤٥ (٢) المختار ص ٤٥

(٣) المختار ص ٤٦ (٤) المختار ص ٤٩

(٥) المختار ص ٤٧

وخليل مردم بك يستعيد ، في رثاء شوقي[1] ، ذكرى الثورة السورية وحريق دمشق والدمار الذي نزل بالدور والقصور بفعل قذائف المستعمر ونيرانه ، ويهاجم أعوان المستعمر العبيد الذين يكيدون لقومهم، ويظهرون في مظهر الشيطان المارد ٠

ويستطرد محمد البزم ، في رثاء شوقي[2] ، الى ذكر صفات العرب وفتوحهم وملكهم وزوال سلطانهم ، والى بيان قيمة الماضي في النفوس فالفتى يحلو بحلوه ، ويهوى بهبوطه ٠

وتلك المشاعر والعواطف والخواطر وثيقة الصلة بالمرحلة التاريخية والماضي العربي ، واتصالهما بهما يؤكد ما قلناه من أن الشاعر يقف بين الماضي والحاضر دوما ، ويتجاذبه الاثنان معا ، وأن المناسبة الثقافية كانت تتحول الى مناسبة قومية ٠

— ١١ —

وثالثة المناسبات اقامة المهرجان الالفي لأبي الطيب المتنبي الذي امتد أسبوعا بدمشق ، واشترك فيه رجال الأدب والفكر في العالم العربي ، وألقيت فيه خطب وكلمات وقصائد تمثل شخصية المتنبي وعصره وشعره ٠

ويهمنا منه هذا الشعر الذي قاله شعراء سورية[3] ، وأعادوا فيه نظم الخواطر والمعاني القومية الرائعة التي جالت في خاطر المتنبي حين أبصر تفرق الدنيا العربية ، وتسلط الأعاجم عليها ، وغربة العربي فيها ، وتقاعس الرجال عن نصرتها ورفع شأنها ، وحلم بدولة عربية يقيمها على القوة ، ويذود عنها الأطماع ، ويسوسها سياسة بعيدة عن المكر والخداع ، ويحكم بين الناس بالعدل، ويقضي على الأعاجم ، ويعيد السيادة الى العرب ، ويحمي المجد الماضي٠

لقد وقف الشعر عند رأي المتنبي في السياسة في بيته القائل :

وانما الناس بالملوك وما ... تفلح عرب ملوكها عجم

فصوب رأيه ، وسلطه على واقع العرب في مرحلة النضال ، ودفع عنه تهمة القساوة في الحكم ، وشكا شكواه من الأوضاع القائمة في بلاد العرب ، وعرض بالمستعمر ٠

---

(١) المختار ص ٤٨ (٢) المختار ص ٤٧ ــ ٤٨

(٣) المختار ص ٥٠ ــ ٥٣

وأكبر الشعر موقف المتنبي من أمر الحراسة التي عرضت عليه حين مر بواسط عائدا في طريقه من شيراز الى العراق ، وآثر أن يحمي شرفه بنفسه رغم علمه بأن فاتكا الأسدي يأتمر به ليقتله ، وقد استغل الشعر مقتله في دير العاقول ، واتخذه دليلا على خلق العربي الذي يمتاز بالعزة والاباء والشمم ، ووسيلة يحض بها القوم على رفض الحماية التي فرضت عليهم ، وهكذا جعل الشعر مقتل المتنبي مثلا يضربه للقوم في رفض الحماية وصيانة عزة النفس وكرامتها .

وأطال الشعر الوقوف عند حلمه باقامة دولة عربية يسوسها بعيدا عن الخداع والرياء ، ويؤيد فيها الحق بالقوة ، ويساوي بين الناس ، ويقضي على الماكرين والمعتدين .

لقد فصل محمد البزم (1) تصوير هذه الدولة ، وجمع به خياله حتى بتنا نتساءل عما اذا كانت الدولة التي يخطط حدودها ، وينظم جيشها ، ويرفع أركانها ، ويسن قوانينها ، دولته هو أو دولة المتنبي .

ودولة المتنبي ، كما يرسمها الشاعر ، تمتد من العراق الى سفح المقطم ، وجيشها يتحرك من الكوفة ، فيشق بطون الحاملات بصوت تحركه ، ويغطي ضفاف الرافدين برماحه ، ويملأ أجواء العراق بغباره ، ويروع ملوك الترك والديلم ، ويقتلهم ، ويقدمهم طعاما للنسور ، ويطبق وجه الأرض بالفتح ، ويلقي بالحكام الغرباء الدخلاء في مهاوي الخمول والنسيان ، ويعيد السيادة الى العرب كما كانت لهم في عهد بني أمية وعمر بن الخطاب .

ولو قامت هذه الدولة على قوة العرب ، لغدا العرب فيها سادات ، واتحدوا بهمة رجل منهم يرضون عنه ، ويدفعهم هو الى المجد والسؤدد الماضيين ، فيعملون ، ويصلون حاضرهم بماضيهم في عهد حمير ، ويظهر فيهم الأعلام ، ويعود المجد الذي عفى عليه الزمان .

وصورة الدولة هذه تمتزج فيها أحلام الشاعرين ، وتعكس حلم العرب في مرحلة النضال باقامة دولة لهم تعيد أمجادهم ، وتنتشلهم من الجور النازل بهم ، وقد كانت مناسبة المهرجان وسيلة الى تنبيه ما هجع في أعماق النفوس من أحلام وآمال .

وكان بعض الشعراء يترقب ، بمناسبة المهرجان ، ثورة العرب ، ورغبة الشباب عن التعلم ، وخروجهم الى القتال لتحطيم الأغلال ونيل الاستقلال ،

---

(1) المختار ص ٥١

ويتصور أن مثل هذا اليوم يرضى عنه المتنبي.

واستغل الشعر صفات المتنبي المستفادة من تاريخ حياته ، ومن شعره أقوى استغلال ، فتغنى بقوته ، وتعشقه للقوة وعزة نفسه وابائه وطموحه الى العلى وشقائه في سبيلها وحبه للحرب وكرهه للذل.

واستغل حماسته التي بدت في وصف مشاهد الحرب والقتال، وخلدت مواقع سيف الدولة ، وسيف الدولة .

واستغل عروبته التي حن اليها ، وهو بعيد عن مواطن العروبة في بلاد الفرس، وشعره الذي امتاز بالقوة والدوي والسيرورة والحكم والسحر البادي في ترداده .

والحق أن شعر المناسبة صوره خالدا بروحه وبأمانيه وبشعره ، وهذا كله وثيق الصلة بظروف المرحلة التاريخية ، وملائم لها ، ومعين على دفعها الى الأمام في سبيل الأهداف المنشودة .

وبرزت في الشعر ، بمناسبة المهرجان ، صور من واقع العرب في مرحلة النضال ، فالعرب في قبضته الخطوب ، وبلادهم بأيدي الاستعمار (١) قطع ممزقة ، وحرماتهم ومقدساتهم منتهكة ، وربوعهم غدت مقابر لشهدائهم ، والشعر يقارن حاضرهم الذليل بماضيهم المجيد في تحسر وألم ، ويدعوهم للاتحاد والعمل على تحطيم الأغلال .

وقد ظهرت ، في المهرجان ، مكانة رابطة اللغة في جمع شمل العرب على صعيد واحد ، فالاحتفال بالمتنبي أظهر قيمة اللغة في توحيد المشاعر والخواطر ، وقوة أثر المتنبي في حياة العرب الفنية والقومية .

---

(١) المختار ص ٥٣

القسم الثالث

التاريخ العربي

تعرض الشعر للاستعمار ، وهو يجلو صفحات من كفاح العرب في سورية ، ففضح نهاياته ، وصور سياسة التجزئة والتقسيم التي اتبعها في عدوانه على البلاد ، والطرق التي سلكها في التسرب اليها والسيطرة عليها واخضاعها لمشيئته ، وكان أبرز شيء في سياسته هو القوة، وقد لجأ اليها حين أعجزه أن يأخذ القوم بالمكر والخديعة ، فاستخدمها في بسط نفوذه ، وتأمين أغراضه في السيطرة والاستغلال.

وتبين للقوم ، بعد مقاومة الاستعمار ، أن علاقة الغرب بالشرق تقوم على القوة ، وأن القوة هي النصير الوحيد في طلب الحق ، واتضح هذا في عدد من الثورات التي نشبت في بلاد العرب ولاسيما في فلسطين.

وتبين للقوم ، على مر الزمن ، ومع استمرارهم في كفاح المستعمر ، أن قوة الغرب نتيجة من نتائج رقيه ، وتقدمه في ميادين العلم والفن والصناعة والاختراع ، فأخذ الشعر يدعو الى تشييد الملك على الفكر والعلم والعمل وتأثر خطى الغرب في ميادين الحياة ، ولكن النظرة الى الاستعمار ظلت كما كانت ، فالاستعمار يطمع في خيرات البلاد ، وقد جاءها ليستثمر ثرواتها الدفينة .

وكان من الطبيعي أن يسوء ظن القوم بالحضارة الغربية التي كانت القوة أبرز مظاهرها ، فيشكوا في قيمتها وفي تقدم الانسانية في عصر العلم والاختراع ، ويسخروا من ادعاءات الغرب المستعمر الذي زعم أنه جاء يحمل الى الشعوب المتأخرة رسالة الفكر والحضارة ، ويأخذ بأيديهم في سبيل التقدم والخير والفلاح .

وكانت أساليب المستعمر في حكم البلاد ، وجرائمه التي اقترفها في الثورات ، وامعانه في الظلم والاستبداد ، أسبابا معينة على أن يكون للقوم موقف منه لا يتحولون عنه ، ويتلخص هذا الموقف في أن الاستعمار شر يقوم على السيطرة والاستغلال والتجويع والافقار ، وأن على الشعوب، ومنهم العرب ، أن ينقموا عليه حكمه وجشعه واستغلاله ، ويثوروا ضده للتحرر من نيره ، وللظفر بالحرية والاستقلال ، وقد سار الشعر في هذا السبيل ، فتغنى بكفاح العرب والشعوب ، ودعا اليه ، وجعله نسبا يصل

الحفدة بالأجداد ، ويربط بين العرب في مختلف ديارهم ، وبينهم وبين الشعوب في أنحاء الأرض ، وهكذا أظهر الشعر وحدة النضال التي تجمع العرب على صعيد واحد ، كما تجمع الشعوب ، وقدس المعاني الثورية المستمدة من حلبة النضال ، ودعا المستعمر الى الجلاء عن البلاد ، وحث على قتاله ·

ولكن العرب كانوا يفتقرون في هذا الموقف الى القوة لمحاربة المستعمر ، وأنى لهم هذه ، وقد عاشوا في جهل وتأخر تحت الحكم العثماني الذي استمر أربعة قرون ، وحال بينهم وبين الاتصال بالغرب الذي نهض في عصر البعث ، وأخذ يجد ويعمل ويتقدم في ميادين الحياة المختلفة حتى بلغ أوج نهضته في العصر الحديث ·

ولما خرجت تركية مدحورة من الحرب ، وتحرر العرب من نير الترك ، احتكوا بالغرب المستعمر ، فشالت كفتهم ، وكان لابد لكفتهم من وزن تعادل به كفة الغرب في مضمار الصراع ، فكان التاريخ العربي ضالتهم المنشودة ، وقد وجدوا فيه ما يسد فراغ نفوسهم ، ويكمل النقص الذي شعروا به أمام المستعمر ·

لقد اتخذ الشعر ، في المعركة ، تاريخ العرب سندا له ومعينا ، وأظهر ما فيه من قوة ومن قيم خالدة ، فتغنى ببطولات العرب وأمجادهم ، وجلا ما في رسالة الاسلام من قيم الخير والحق والعدل والمساواة ، وما في الحضارة العربية من فكر وعلم وفن ·

وقف الشعر عند رسالة النبي وجهاده ، وجلا أثر دعوته في حياة العرب والشعوب ، وخلد ذكر الرجال العظام ، وصور الوقائع والفتوح ، وتغنى بما ظهر فيها من بطولات ، وصور بعض عصور التاريخ العربي ، ووصف الحضارة العربية الزاهرة وآثار العرب في الأمصار ، وشمل الماضي بنظرة خاطفة ·

والتاريخ العربي ، في نظر الشعر ، هو تاريخ الأمة العربية ، ويمتد من الجاهلية الى اليوم ، ويتمثل فيه تفتح الأمة ، ووعيها لذاتها ، وادراكها لحقيقة دورها في الحياة ، وانطلاقها بالدعوة في حركة الفتوح ، وبناؤها الملك على أسس الاسلام ، وجدارتها بحمل مشعل الثقافة ، وقدرتها على قيادة البشرية وهدايتها ، وقوتها التي ضمنت لها سيادة العالم ، وضعفها ، وجمودها ، وذلها ، ونومها ، واستيقاظها أخيرا على تقدم

العرب وسيطرة الاستعمار .

والتاريخ العربي ، ولاسيما الحافل منه بالأمجاد والمفاخر ، كفيل ، في نظر الشعر ، بأن يهز النفوس في غفلتها ، ويبعث فيهما روح الحماسة ، ويدفع بهما الى ميادين الكفاح ، وهو حياة مستمرة وقوة محركة .

لقد استغل الشعر قوة الماضي وحيويته ، فتغنى ببطولة العرب وصفاتهم التي برزت في فتوحهم وملكهم الواسع وحكمهم العادل، من شجاعة وتضحية بالأموال والأنفس في الجهاد ، ومن جرأة في تشييد الملك ، ومن مهارة في سياسة الرعية وتصريف شؤون الادارة والحكم ، ومن حب للعلم واجلال للعلماء ، ومن قدرة على المشاركة في نقل العلوم وحفظها والاضافة اليها والباسها ثوبا جديدا يشف عن عبقرية العرب وارتفاع مستواهم في سلم الحضارة .

واستخرج الشعر معاني قيمة خالدة من رسالة الاسلام ، ومن تاريخ العرب ابان عزهم وسلطانهم ، واستخرج معاني أليمة من حياتهم في العصور الأخيرة ، ورد العرب ، في ضعفهم وذلهم ، الى ما كانوا فيه من عزة ومجد ، وجعل الآباء مثالا للأبناء ، وخلد العاملين في سبيل أمتهم، ودعا الى رواية سيرهم وتخليد ذكراهم ، وأشاع مفاخر العرب ، ودعا الى الاعتصام بحبل العروبة والمحافظة على تقاليدها وصيانة التراث العربي واغنائه ، ووقف على الماضي ، واختلف موقفه بين الحنين والشوق والحزن والمأس والألم والبكاء والاعجاب . والافتخار ، وضرب الأمثال للعبرة والتأسي . وهكذا عاد الماضي حيا في النفوس، وأخذ يتراءى للعين ، وأحس كل عربي بأنه ابن ماض مجيد ، وغدا الماضي مثالا يتطلع اليه العرب في مرحلة النضال.

واستغلال التاريخ ، في الشعر ، يتم بوجهين اثنين ، فاما أن يضمن الشاعر قصيدته ذكر التاريخ ، وهو يتغنى بالكفاح ، واما أن يقصد الى الماضي ، ويتخذه موضوعا لعمل فني صرف، وقد فصلنا القول في الوجه الأول ، وها نحن أولاء نعرض للشعر الذي اتخذ الماضي موضوعا للعمل الأدبي .

ونعرض ، أولا ، لمسرحية (ذي قار) (١) التي وضعها عمر أبو ريشة ، وهو طالب في الجامعة الأمريكية .

---

(١) مسرحية ذي قار . مطبعة المعارف حلب سنة

ففي الفصل الأول ، المنظر الأول ، يظهر على المسرح جماعة من العرب يرقصون وينشدون ، ثم يدخل الأمير المنذر ، فيطلب اليهم أن يستمروا في صفوهم ، ويبدو مهموما ميالا الى الشراب وسماع الغناء . ، وينشد أحدهم نشيدا يصور ألم المحب البعيد عن الحبيب ، فينصت المنذر ، ثم يغني غرامه في موشح ، وجهه للحرقاء بنت النعمان ، وتدخل مريم وهند ، وتتحادثان في أمر ما تسمعان ، وترى هند أن تخبر مريم الحرقاء بأمر المنذر عليها تتدبره .

وفي المنظر الثاني ، يرفع الستار عن قصر النعمان ، وتدخل مريم فالحرقاء فتخبرها مريم بأمر المنذر ، وتستوضحها الحرقاء الخبر ، وتستزيد ، فتصور لها مريم غرامه بها وفروسيته وشجاعته وشكواه ، ودمعه ، وغناءه الشجي .

وفي المنظر الثالث ، يظهر المنذر عند الغدير ، ومريم والحرقاء مختبئتان ، فيشكو قسوة الحرقاء ، ورقة قلبه ، وعذاب الحب ، وتظهر أمامه الحرقاء ، فيذهل عن نفسه ، وتعتب عليه كتمانه الهوى عنها ، ويعود فيصف عذابه ، وتذهب مريم ، فيبقيان وحيدين يتناجيان .

وفي الفصل الثاني ، يرفع الستار عن قاعة مزدانة بالصور والأثاث الثمين تتجلى فيها عظمة كسرى ، ويكون فيها الوزراء والشعراء والندماء والغرباء والحاشية والمنشدون ، ويستشعر كسرى الهم وثقل الحكم ، ويسأل حسان أن ينشده الشعر ، فينشده اياه ذاكرا السماء التي ترعى ملكه الواسع المكين ، ويعجب كسرى بأنه لا يخاف الزمان ولكن غدر التابعين ، وينذر الأنداد بالغناء ان حدثتهم نفوسهم بالحرب والغدر ، ثم يصرح بأن أفكاره ليست الا وساوس ، وينطلق وعبل النديم مداعبا ، فيسر كسرى ، ويكرمه ، ويظهر الشاعر جساس منافسا لحسان ، فيكرمه كسرى ، ثم تدخل جوقة العزف والمنشدون ، وعلى رأسهم الحارث ، وينشدون ، فيطرب كسرى ، وتدخل وداد ، وترقص على عزف الجوقة ونشيد الحارث .

ويدخل الخادم منبئا بعودة الطميح من القتال ، فيستقبله كسرى ، ويقص عليه القائد ثورة شيبان التي أخمدها ، والسبايا التي غنمها ، ويسأل كسرى عنهن ، فيؤتى بهن ، فيعجب من حسنهن ، وينبهه وزيره يوسف أن ما يراه هو بعض ما يسمع عن حسن الحرقاء ، ويطري الوزير محاسنها ، فيقع في نفس كسرى أن يطلبها من أبيها ، ويزين له المجلس الأمر ، فيسأل عنها عصاما حاجب النعمان ، فيطري جمالها

وشبابها وزهوها ، فيأمر كسرى قائده أن يطلبها من أبيها ،وأن ينذره بسوء المصير ان تأخر فى تلبية الأمر ، ويسأل كسرى عصاما عما يتوقع، فلا يقول شيئا ، فينهض كسرى مودعا بالاجلال ويبقى عصام وعناد ، فيتوقعان رفض النعمان لمطلب كسرى ، ونشوب الحرب بين العرب والفرس ، ويتغنيان بحماسة العرب فى الذود عن ذمارهم ٠

وفى الفصل الثالث ، تبدو مريم والحرقاء فى قصر النعمان ، والحرقاء مضطربة لتأخر المنذر فى الحضور ، ومريم تعللها بأنه مشغول باستقبال ضيف له ، وتحس الحرقاء بوطء أقدام ، فتنهض مريم ، وتعلن قدوم الملك والوزراء ٠

ويدخل النعمان ووزراؤه وحاشيته ، ويدخل عليه شيخ يهودى ، فيشكو اليه وزيره ابن هانئ الذى سلبه ابنته ، فيأمر النعمان بالقاء وزيره فى السجن ، ورد البنت الى أبيها ، ويخرج اليهودى شاكرا بين عجب الحاضرين ، وينادى النعمان بالمساواة ، ويدخل بعض الشعراء ، فينشدون الشعر ، ثم ينشده بدوى ملثم ، ويمدحه ، ويعتذر اليه ، فيقبل عذره ، ويعفو عنه ، ويرفع البدوى لثامه ، فاذا هو النابغة ٠

ويلحظ النابغة غبارا ثائرا من بعيد ، ويتبينه عصام ، فيعرف أنه غبار أبيه الطميح جاء يسعى الى النعمان طالبا الحرقاء لكسرى مولاه، ويخرجون جميعا لاستقباله ، ويعود النعمان بالقائد ، ونفسه تغلى شكا ، وتتوقع شرا ، ويدعوه الى الشراب ، ويشرب المجلس على ذكر كسرى والنعمان، ويطلب النعمان فض الرسالة التى يحملها القائد ، ويقرأ الرسالة واقفا ، والناس وقوف ، فيرفض طلب كسرى ، فينذره القائد بذهاب الملك ، فيرد بأنه مل الحكم فى ظل الفرس، وأنه سكت فى الماضى لضعفه وقلة أعوانه ، وأنه لن يسكت اليوم ، وأن كسرى رجا أمرا لا يمكن تلبيته ، ويقف الامراء ، وفيهم عصام ، الموقف نفسه ، ويحتجون بأن كسرى ، على ضخامة ملكه ، لاينتمى الى أصل مكين ، وأن مصاهرة الاعجام ستكون مضغة الافواه ، ويثور عصام رغم تهديد أبيه له ، وينذر القائد العرب والنعمان بالحرب التى ستأتى بالخراب والدمار ، وتذهب بالملك ، وتعود بالحرقاء الى كسرى ، فيهون هذا عند النعمان فى جنب حفظ الذمار ، ويصر على أن الحرائر العربيات لا تباع ، ويفخر بنخوته وحميته العربية وبانتمائه الى الامة ذات الحسب الرفيع ٠

وفى الفصل الرابع ، المنظر الأول ، يظهر المنذر قريبا من قصر النعمان ، وهو يبكى ، ويندب قلبه ، ويشكو عدوان الدهر عليه ، ويصف حسرته على الديار التى ستخلو من العرب ، وتدخل الحرقاء ، وهى تظن أنه جاءها منادما ، فاذا هو مودع ، وتسأله عن زمن عودته فلا يحدد ، فتضيق به ، ويسألها عما تعرف من خبر ، فتجيب بأنها عرفت كل شئ ، ويخبرها بأن جيش الفرس قادم لأخذها ، ثم يغنى ، ويعدها بأن يقاتل ويفديها بما يملك ، ويخبرها بأنه ذاهب الى مضر ليستصرخها الى نجدة النعمان ، فتشجعه على المضى ، وتحمسه ، وتدفع به الى طلب المعالى.

ويظهر النعمان وحاشيته بملابس الحرب ، ويعد قومه لملاقاة الفرس ، ويصل جيش العدو ، فيدعو داع منهم الى الاستسلام ، فيأبى النعمان متحديا مفتخرا بجنده الشجعان ، ويرتفع صوت الداعى مرة أخرى ، فيشتم النعمان الفرس ، ويلتحم الجيشان ، فيسقط النعمان قتيلا ، ويأمر الطميح جنده بالسير لأسر الحرقاء ، فيعودون بخبر فرارها ، فينذر الأعراب بالشر ، ويدنو عصام ، فيلوم أباه على ما فعل ، فيغضب الأب ، ويحول الابن نظر أبيه الى الدماء المراقة ، ويعيب عليه أن يكون عمله عند كسرى قد أنساه قومه ، فجاء الموم يبطش بهم ، فيجيب الأب بأنه يقوم بما وجب عليه ، فيرد عصام بأنه عاهد نفسه أن يفدى العرب ، وأنه أخذ عنه الولاء فيحيى فيه الأب هذه الخصال ، ثم يتبارزان ، فيسقط عصام ميتا ، ويحزن الأب ، ويدخل الجنود فيسجدون خشوعا.

وفى المنظر الثانى تبدو الحرقاء ومريم فى البرارى ، والأولى تندب ذل العرب وشجعانهم وسادتهم ومجدهم ، وتستشعر الخوف والقلق ، والثانية تصبرها وترجيها فى عون الله ، ثم تقتربان من خيام بكر ، فتؤمل الحرقاء أن تجد عندهم الملجأ ، وتصمم على الانتحار خوفا من الوقوع فى أيدى الفرس ، وتعود الى البكاء والشكوى ، وتعود مريم الى تصبيرها ، وتقترب منهما صفية ، فتلحظ بكاءهما ، وتسألهما عن السبب ، فتوضح لها الحرقاء الأمر ، وتعرف صفية أنها بنت النعمان ، فتنبئها بأن قبيلة بكر ذات باع طويل ، وأنها ستجد عندها المأمن ، ويظهر هانئ ابن مسعود ، فيخبرهن بأن رسول الفرس أتى طالبا مهددا ، وأنه رده ، وبعث الى تغلب من يستصرخها لنجدته ، ويطمئن السيد الحرقاء ، ويجيرها ، ويعدها بالذود عنها حتى الموت.

وتجيء تغلب بفرسانها منجدة قبيلة بكر ، وعلى رأسهم ابن حداجة ، فيستقبلهم ابن مسعود ، ويتقارض الطرفان المدح والثناء على الخلق العربي الذي يلبي المستنجد ، ويأبى الذل ، ويخوض الحرب في أنفة وشجاعة ، ويرى ابن حداجة أن يتزحوا الى جبل ذى قار ، ويكمنوا فيه ، فاذا كان العدو في الوادي انقضوا عليه ، فيحبذ هانئ بن مسعود الخطة ، وينادي: الى ذى قار .

وفي المنظر الثالث تتخوف صفية والحرقاء من جيش الفرس ، وهو يجتاز بطن الوادي ، وفي طليعته الفيل ، ويحيط العرب بالفرس في قمم الجبل ، ويصول سعدا بكر وتغلب ، ويجولان ، وتأتي نجدة فتظن النسوة أنها للفرس ، فاذا هي للعرب ، وتتحمس النسوة ، ويحيط العرب بالفرس ، وفي طليعتهم فارس همام ملثم يقاتل الطميح ، فيلقيه صريعا ، وينحدر الفرس ، فتسر النسوة بالنصر ، ويشرب الشباب الخمر ، ويبحث الفرسان عن الفارس الملثم ، فاذا هو يفجؤهم بحضوره بينهم ، ويحسر اللثام عن وجهه ، فاذا هو المنذر ، وتذهل الحرقاء عن نفسها ، ويفخر المنذر بأنه ثأر لعمه النعمان ، ويرى ابن مسعود أن يكون المنذر ملكهم ، فيرضون جميعا ، ويتزوج المنذر الحرقاء .

ويعرض عمر أبو ريشة في قصيدته (محمد)(1) لحياة النبي ودعوته وجهاده ، ويصور انطلاقة العرب في الفتوح ، ويراها اتماما للرسالة ، كما يصور توقف الفتوح ، وضعف العرب ، ويرى مكة موطن البعث في الماضي ، ويأمل أن تكون موطن البعث في الحاضر ، ويرجو عودة المجد التليد .

فالشاعر يعود بالناس الى مكة مهد البعث ، ويرى الدعوة نقطة البدء في انطلاقة العرب .

وفي قصيدته (خالد)(2) ، يصور خلود القائد ، وظمأ روحه الى ذكراه ، ويجعل الصحراء والدعوة وجهاد النبي وقيام الفتوح وعز الاسلام وصفات العرب ، ملهمات لشعره ، ويعبر عما يكن من حب للصحراء التي هي روضة وجدوله وخمره .

ويقف عند غزوة أحد ، فيصف التقاء بني مخزوم قوم خالد بالمسلمين ، واحتدام القتال ، واشتغال المسلمين بجمع الأسلاب ، ووقوعهم في قبضة المشركين ، وظهور خالد يطوح بالهام ، ويتقدم نحو النبي ، فيكبو مهره ، ويجمد

---

(1) شعر ، مطبعة الكشاف ببيروت سنة ١٩٤٧ ص١١٢ — ١٢٤
(2) المصدر ذاته ص٢٣١ — ٢٤٠

سيفه ، وتقف قدمه ، ثم يرتد ، وفى نفسه هاجس رحمانى ، ويصور تساؤل المسلمين عن الفارس، وتأنيب النبى لهم على غفلتهم واشتغالهم بجمع الغنائم عن ملاحقة المشركين حين ولوا الأدبار ، ويتابع الشاعر رسم صورة خالد فى حركة الفتوح ، فيذكر توالى الفتوح على يديه ، وقضاءه على ملك الروم فى الشام ، وارتفاع ذكره بين المجاهدين ، وعزله خشية أن يفتتن به الناس ، واستمراره فى الجهاد رغم عزله ، ويعاهد الشاعر القائد أن لا يبنى عن القول ضد البغى ، ويعلن أنه سينظم خير اقاصيده فى مجد العرب ، ويفخر بأنه من أمة عرفت العز ثم نامت على الهوان، ويصور أحلام العرب وأمانيهم نائمة لنومهم هم ، ويذكر كيف قاتل الأولون فى سبيلها ، ويؤكد خلود ذكراه ، ويثق برجولة العرب فى مرحلة النضال ، وقدرتهم على خلق الأبطال فى ساح المعركة ، ولكنه يأسف أن يكون الحكام بين خائن وجبان ، وأن يأتمروا بالقوم .

وشأن الشاعر ، فى رسم صورة خالد ، كشأن الشعراء الآخرين حين يتعرضون لرسم الرجال العظام ، ويبالغون فى تصوير أثر الاسلام فى تكوينهم، فينسون مقومات الابداع فى الشخصية الانسانية وميزاتها الفطرية ، فخالد شجاع قبل أن يسلم ، وقد ظهرت شجاعته فى غزوة أحد ، ولكن الاسلام أفاده ، فزوده بنظرة جديدة الى الوجود ، ورسم له مثلا أعلى فى الحياة ، ونقل شجاعته الى مجالات الدعوة والجهاد الفسيحة بعد أن كانت تظهر فى مجال ضيق محدد الغايات ، والنظرة الأولى الى خالد متأثرة بالعاطفة الدينية ، بينما تقر النظرة الثانية بمزايا الشخصية الانسانية التى هى كينونة دائمة مستمرة فى جريانها ، والتى لا يوقفها فى جريانها الدائم تتابع الأحداث ، وانما يلونها بألوان جديدة ، وتبقى فى صميمها محافظة على جوهرها الأصيل .

وقد صور عمر أبو ريشة فى (ذى قار) تفتح الشخصية العربية ، وشعورها بوجودها ، وتململها من العيش فى ظل الفرس، ورغبتها فى الاستقلال عنهم، وصور اتفاق كلمة القبائل على خوض المعركة ضد الفرس، وظهور الوعى القومى وطلائع البعث العربى ، وهو ما لا نحسه فى رسم الصور الفردية للرجال فى الاسلام .

وفى قصيدته (لمحة)(1) ، ألقى على التاريخ العربى نظرة خاطفة ، فصور ركبا ضل فى الصحراء، ثم اهتدى الى مكة حيث شع نور الدعوة ،

---

(1) شعر . مطبعة العصر الجديد . حلب سنة ١٩٣٦ ص ١٧٩ ـ ١٩٠

وصور الجاهلية وميلاد محمد ، ودعوته ، وتوحيد الجزيرة ، وخروج العرب لنشر الاسلام ، وقيام الفتوح ، وبناء الملك ، وألم الماسة سريعة بعصور التاريخ العربي ، وذكر بعض الخلفاء وآثار بعض البلاد ، وبين عوامل الضعف والانحلال التي أدت الى زوال ملك العرب وصور ذل العرب اليوم وإباءهم وتطلعهم الى مكة ، وشبه ضلالهم في حياتهم بضلال ذلك الركب في الصحراء .

وفكرة البعث تلف القصيدة من أولها الى آخرها ، فالشاعر يوجه الانظار الى مكة موطن البعث والدعوة ، ويصور انطلاقة العرب بالفتوح لنشر الرسالة ، وعوامل الضعف التي أدت الى انهيار الملك ، وذل العرب اليوم ، وتطلعهم الى مكة .

فمكة ، في نظر الشاعر ، موطن البعث قديما ، وهي خليقة بأن تكون اليوم موطن البعث الجديد أيضا ، وهذه الفكرة سبق اليها الشاعر .

ووصف أنور العطار في قصيدته (جهش أسامة)(1) جرأة أسامة ، وبطولته وطموحه الى النصر ، وجهاده في سبيل الحق ، ووصف الصحراء موطن البأس والجرأة والحزم والحب والنور والهداية ، ومنبت الرجال العظام الذين حملوا الرسالة الى العالم ، وصور الخطوب النازلة بالقوم ، فالضحايا تتساقط في قراع الاستعمار ، والعرب أذلاء سكوت على الضيم طعمة للمغيرين عليهم من اليهود ، ثم تساءل عما اذا كان المجد الماضي سيعود ، وأجاب بأن لا حياة للعرب الا بالاتحاد .

فالشاعر يتغنى المجد العربي ، ويصور المصائب النازلة بهم اليوم من قتل وتشريد ، وتمزيق لوحدة البلاد ، ويرفع الوحدة هدفا للعرب في مرحلة النضال .

وصور في قصيدته (النبي اليتيم)(2) خلق النبي ، ومزاياه ، والصحراء التي انتعشت بمولده ، وأثر اليتم في حياته وأخلاقه ، وصور خلق الام ، وأثرها في تربية أولادها ، ونفس اليتيم ، وفقره ، وحرمانه ، ونضوب العطف عليه ورعايته ، وصور أثر النبي في قومه ، وحال العرب اليوم ، وافتخر بالماضين الأمجاد الذين ملكوا الأرض بالسماحة ، وحكموا بين الناس بالعدل ، وأقاموا الملك على الأخلاق ، وشهدت لهم الأرض بما تضمنت رسالتهم من قيم خالدة .

---

(1) ديوان ظلال الأيام . مطبعة البرهاني . دمشق سنة ١٩٤٨ ص ١٠٠ ـ ١٠٨

(2) المصدر ذاته ص ٨٦ ـ ٩٢

وقد سلط الشاعر النور على يتم محمد وأثره في تكوين خلقه ، وبين أثر النبي في قومه والعالم ، وأظهر ما في التاريخ العربي من قيم خالدة ، ولاشك في أن تاريخ النبي والدعوة قطب الرحى في التاريخ العربي ، والنواة التي تتجمع حولها المفاخر والأمجاد القومية ·

وصور خير الدين الزركلي ، في قصيدته (صقر قريش)(1) ، خلود ما أقامه الأقدمون ، وانهيار ملك بني أمية ، واعادته في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل ، وتطرق الى ذكر قتل بني أمية في عهد السفاح · وبين أن الأحقاد هي التي أدالت لبني العباس من بني أمية ، وكانت دولة هؤلاء قد قامت على العرب وحدهم ، وانتقل الى الحديث عن عبد الرحمن ، فصور فراره من جند السفاح الى أفريقية، ومعاونة أخواله له ، ودخوله الأندلس، واقامته ملكا لبني أمية فيها رغم خروج واليها عليه بايعاز من بني العباس ، وأشاد بعمل عبد الرحمن ، وافتخر بالاسلام الذى قلب حياة العرب وبدلهم خيرا منها ، وبالملك الذى أقاموه على الدين والدنيا ، ثم بكى قرطبة ، ووصف وجده المثار ، وذكريات الأمس، وماضي العرب ، واغفاءتهم الأخيرة ، وحال قرطبة ودمشق اللتين عدا عليهما العدو، وتساءل ، في حسرة ، عن الخلافة وعن العرب الذين رفعوا لواء الأخلاق ، وأقاموا ميزان العدل·

وصقر قريش، في نظر الشاعر ، عبرة للأجيال ، ومثال للاباء والجسرأة والصبر على الشدة والطموح والمغامرة والشجاعة والحزم ، والعزم ·

ومع أنه تناول الحاضر بلمحة خاطفة ، فقد كان غرضه أن يجلو ما في حياة البطل من عبر وأمثلة تحفز شباب العرب الى الطموح والسعي في سبيل المجد ، وقد رد الى الاسلام فضل تبديل حياة العرب ، وأشاد بحكمهم الذى قام على العدل ·

ويقف بدوي الجبل على الماضي ، في تأس وتحسر واعتبار ، ويذكر الماضين وأعمالهم ، ويعبر عن مشاعره نحوهم ، ويصف الاغفاءة الأخيرة، وحاضر العرب الذليل ، وكفاحهم في سبيل الحرية ·

ولا نجد عنده أحكاما على التاريخ ، ولكنه يعتبره ملهما وباعثا على القول ، ويجد فيه قوة تحرك للعمل والكفاح ·

ويقف بدر الدين الحامد ، على قبر أبي الفداء(2) ، فيصفه ، ويصف

---

(1) ديوان الزركلي · المطبعة العربية بمصر سنة ٩٢٥ ص٦

(٢) ديوان الحامد مطبعة الاصلاح بحماه سنة ١٩٢٨ ص١١١-١١٥

خلوته الى نفسه فى المساء وتأمله فى الوجود ، ويذكر كتابه فى تاريخ القدماء ونصحه للناس ، ويصور ملكه بحماة وعرشه ومهابته وخلوده بما شاد من ملك ، وما دون من تاريخ ، ثم يناجيه ، ويصف له سوء الحال فى عهد الاحتلال .

والشاعر ، كما ترى ، يجلو عظمة أبى الفداء ، ويتغنى بذكراه ، ويشكو اليه ذل الحاضر ، ويقف حائرا بين ذكرى الماضى وألم الحاضر فعل أكثر الشعراء .

ويتغنى عمر يحيى فى قصيدته (المنصور بن أبى عامر) (١) بالروض والربيع والغصن المصرى والنجم والسحب المرعده والنجم والليل والشاكين فيه والشاعر المسهد ، والشعر والمجد الذى نام أصحابه ، ثم ينتقل الى ذكر المنصور ، فيصف شجاعته وجهاده الطويل وعصاميته وفكره الوقاد ، وأخيرا يبكى الماضى ، ولاسيما ماضى العرب فى الاندلس ، ويجد فى أنينه شفاء له ، ويستعيد الزمان الذى كان طوع العرب ثم عدا عليهم ، وهكذا يجلو ما فى الماضى من عظمة ومجد ، ثم يبكيه حزنا وحسرة .

ويصف فى قصيدته (وداع غرناطة) (٢) بكاء الملك أبى عبد الله غداة الجلاء ، ووقوفه يتذكر ليالى النعيم ، ويتشوقها ، وييأس من عودتها ، ثم يصف نظراته الى السرو فوق قبور الأجداد ، والى نهر غرناطة يجرى حزينا والجنان تحف به ، والى الرياض يتضوع ريحانها ، ويصف حديث الراحل مع نفسه ، وعجبه من بقاء قلبه وعقله ، واغتراره بضعف العدو ، ويصوره يخاطب الحمراء ، ويسألها عن امكان عودته وعودة الأيام التى حفلت بالنعيم والطرب ، ويتحسر على ماضى عيشه بغرناطة ، ويصور الملك يستفيق من أحلامه على الحاضر الذليل .

وقد قصر الشاعر قصيدته على وصف نفس الملك الراحل ، وطبيعة غرناطة ، ونعيم لياليها ، وضمن الوصف بعض النظرات كانتقاد الملك بضعف العدو ، والاستهانة بخطره الذى استفحل وانتهى باجلاء العرب عن الاندلس .

والوصف ممزوج بعواطف الشاعر التى تعكس مشاعر الراحل ، وهذه المشاعر والعواطف تفيض فى النفس ، وتضمر الطبيعة فتبدو حزينة أيضا . ومشاعر الأسى والحسرة والحنين تسود القصيدة كما تسود غيرها من القصائد التى تستلهم التاريخ .

(١) ديوان البراعم . المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٣٦ ص١٣٢ ـ ١٣٥ .

(٢) المصدر ذاته ص٤٤ ـ ٤٧

خصائص الشعر الوطني

١)) الشعر الوطني يحمل طابع مرحلة النضال ، فهو يصور الثورة العربية وغيرها من الثورات التي نشبت بين العرب والاستعمار في سورية وفي بعض بلاد العرب ، ويصور نضال الشعب ، وأغراض النضال ، وتطلع العرب في مختلف ديارهم الى تحقيق ذواتهم وتأدية رسالتهم الرامية الى خدمة البشرية والمشاركة في حركة الرقي والتمدن العالمي ، ويدعو الى النضال لتحقيق الأهداف والمثل القومية والانسانية ، ويبين أنه السبيل الوحيد الى انتزاع الحق السليب ، ويربط بين نضال العرب في بلادهم وبين نضالهم ونضال الشعوب في أقطار الشرق ، ويدعو الى حياة تقوم على الحرية والعزة والكرامة .

٢)) والشعر الوطني شعر واقعي ، فهو يستمد موضوعاته من الواقع، فيسجل وقائع الثورة العربية وأهدافها ، وأعمال الحكومة العربية بدمشق في عهد فيصل ، ويصور مكر الاستعمار ، ونقضه العهود والمواثيق ، وعدوانه على البلاد لتحقيق أغراضه ، وسياسته التي تقوم على خلق الفتن واثارة النعرات الدينية والنزعات الاقليمية ، ويصور وقعة ميسلون ، وقيام عهد الاحتلال ، ونضال الشعب في سورية وفي البلاد العربية ، ونشوب الثورة السورية ، وقيام الحكم الوطني بعد التحالف مع فرنسة ، ويسجل الثورات وحركة الكفاح في مصر والعراق وفلسطين ، ويصور فساد الواقع والأخطار المحدقة بالبلاد ، ويصور الاستعمار وهو يجهد أن يشغل العرب عن قضاياهم الكبرى بما يزرع في طريقهم من أشواك .

٣)) والشعر الوطني شعر حماسي ، فهو يصور بطولة الثوار في ميادين الثورة على ضعفهم وقوة العدو ، وبطولة المناضلين العزل ضد الاستعمار الذي يملك وسائل التدمير والقتل والابادة ، ويصور موجة الحماسة التي غمرت الشعب في حركة الكفاح ، وأخلاق الثوار والقواد الذين وجهوا الشعب في معارك الثورة والكفاح ، من شجاعة في القتال ، وصبر على المكروه ، ودفاع عن الحق ، وجهاد في سبيل الحرية والاستقلال، ويرفع شأن الأبطال من الثوار فيجعلهم مثالا للبطولة والعزة والاباء والكرم والتضحية ، ويفخر بجهاد الشعب ، ويتغنى بالمعاني والمثل الرفيعة التي تجلت في أعمال الثورات والكفاح ، ويحض على قتال المستعمر ، ويلقي

فى النفوس بذور التمرد والثورة عليه ٠

٤)) والشعر الوطنى شعر قومى ، فهو يذكر الروابط بين بلاد العرب فى الماضى والحاضر ، فأما الماضى فيستمد منه رابطة اللغة والتاريخ ، وأما الحاضر فيستمد منه رابطة النضال ضد الاستعمار ، ويلح على الرابطة الأخيرة لخطرها فى المرحلة التاريخية ، فالعرب يجمعهم النضال لتقرير مصيرهم وتحقيق أغراضهم فى الحرية والاستقلال والسيادة والوحدة ٠

ويلح الشعر الوطنى على رابطة اللغة المؤيدة بالدين والقرآن، ويدعو الى تمتين الروابط بين بلاد العرب باللغة والأدب ، والى تعظيم مكان الشاعر والكاتب فى قومه ، فهو الذى ينبههم من غفلتهم ويذكرهم بماضيهم ، ويشحذ عزائمهم ، ويصور بطولتهم فى معارك النضال، وتطلعهم الى الحرية والاستقلال ، والشعر يعظم الخطب النازل بفقد الشاعر والكاتب ، لأن الأدب يؤثر فى حياة القوم ، ويقرب بين أبناء العروبة ، ويعبر عن حاجات الأمة ، ويصور مثلها العليا ، ويسهم فى نضال القوم ٠

والشعر الوطنى يدعو الى المحافظة على اللغة من الركة والضعف، ويشيد بذكر شعراء العرب فى الحاضر ، ولاسيما شوقى وحافظ اللذان جددا اللغة والأسلوب ، وبعثا الشعر ، وطوعاه لمختلف الفنون ، وأحدثا هزة شعرية فى النفوس، ودافعا عن مصر والشرق والاسلام وعن العرب والعروبة ٠

ويشيد بذكر المتنبى ، ومقامه ، وخلوده فى عالم الشعر والأدب٠

ويقف على التاريخ العربى فى عصوره المختلفة ، فيروى أحداثه ووقائعه ، وسير عظمائه وأمجاده ، فيحرك مشاعر الزهو والفخر بالماضى ، والحنين والشوق الى أمجاده ، والحزن والألم والحسرة على ما فات من عز وسلطان، ويضرب الأمثال للعبرة والتأسى ، وينفخ الروح فى التاريخ ، فاذا هو قوة تبعث الحياة فى القوم ، وتدفعهم الى اتيان الأفعال العظيمة أسوة بالماضين ، وهكذا يغدو التاريخ وسيلة الى بعث الحاضر ، وقوة تدفع العرب الى العمل والكفاح ، وتوحدهم فى معترك الحياة ٠

والشعر الوطنى يستخرج من التاريخ معانى القوة والاتحاد والعبقرية والابداع والخلود ، فيصور الدعوة التى وحدت العرب فى الجزيرة ، فخرجوا منها يحملون الى العالم رسالة الحق والسلام والأخوة والمحبة والعدل

والمساواة ، ويجاهدون فى سبيلها ، ويقيمون عليها ملكا واسع السلطان وحضارة مختلفة الألوان .

والشعر الوطنى يصور التاريخ قديرا على جمع شمل العرب فى المرحلة التاريخية ، ويشيع مفاخر العرب ، ويدعو الى الاعتصام بحبل العروبة ، والمحافظة على تقاليدها ، والحرص على التراث العربى واغنائه بتراث جديد .

والشعر الوطنى يربط بين أمجاد الماضى ونضال الحاضر برباط وثيق ، ويجعل منهما سلسلة مترابطة الحلقات ، وينفخ الروح فى العربى ، فيشعره بأنه ابن ماض مجيد ، وأنه خليق باضافة أمجاد طريفة الى الأمجاد التليدة .

وأخيرا يدعو الشعر الوطنى الى الاتحاد بين أقطار العرب ، وينكر الأوضاع التى أقامها الاستعمار فيها ، والحدود التى أقامها بينها .

٥)) الشعر الوطنى شعر انسانى ، فهو يربط أولا بين العرب فى القطر الواحد ، وبينهم وبين اخوانهم فى البلاد الأخرى ، ويربط ثانيا بين نضال العرب فى بلادهم وبين نضال الشعوب فى الشرق وفى أطراف الأرض ، وبهذا يظهر الأخوة بين المناضلين ، وينتهى الى تقرير وحدة النضال التى تجمع الشعوب على صعيد واحد ضد الاستعمار .

ويكشف عن الأهداف التى يرمى اليها النضال ، وهى أهداف ومثل تتطلع اليها الانسانية فى أيام محنتها وشقائها ، كالظفر بالحرية ، وصون الكرامة ، وتحقيق الشخصية الانسانية التى تحررت من الظلم والخوف والجوع والارهاق والاستغلال .

ويتغنى الشعر الوطنى بالعواطف والمشاعر الانسانية ، من كره الاستعمار ، وتعشق الحرية والاستقلال ، وإباء الذل ، وصبر على الجوع ، وصلابة فى الكفاح ، ودفاع عن الحق ، وبسالة فى القتال ، وايمان بالنصر .

والشعر الوطنى يصور المناضل الانسان الذى تحرر من قيود الزمان والمكان والمال والأسرة والخوف والظلم ، وانصرف الى تحرير الآخرين من أبناء وطنه وقومه والانسانية ، وهكذا يصور الشعر الوطنى الانسان الذى يطمح الى تحقيق قيم انسانية رفيعة .

والشعر الوطنى يتغنى بالحرية التى يتبلور فيها معنى الوطن والقومية والانسانية ، ويصور ظمأ العرب الى تحرير أنفسهم لخيرهم وخير الانسانية ، فهم أبناء أمة حملت الى العالم رسالة الاسلام ، وهم يتطلعون ، فيسعى

٦)) الشعر الوطني ، شعر رومانسي ، فهو يفيض بمشاعر الحزن والألم والكآبة والحسرة والبكاء ، فيعبر عن المزاج الفردي للشاعر ، كما يعبر عن المشاعر المشتركة بين المناضلين ، وهذه المشاعر تنبع من معين واحد هو النضال في سبيل الحرية والاستقلال.

ويصور الذات التي غدت فريسة الهموم والأحزان والشكوك ، فباتت قلقة حيرى لا تعرف السبيل الى أمنها وسلامتها .

ويصور حنين النفس الى الماضي ، وتعزيها وافتخارها به ، وعاطفة الحنين هي أقوى العواطف التي يصورها الشعر الوطني ، ووصف الحنين الى الماضي من أخص ما تمتاز به الرومانسية .

ويبدو من خلال انفعال الشاعر تأملاته في الغرب وحضارته ، والاستعمار وقوته ، فهو يهاجم الغرب المستعمر ، ويشك في نفع حضارته ، وفي قيمة العلم الذي يفتن في اختراع وسائل التدمير والقتل والابادة.

ومما يخلع على الشعر الوطني صفات الرومانسية أن الشعراء يتغنون في شعرهم بجمال الطبيعة ، ويلقون ذواتهم عليها ، فتبدو حزينة كئيبة ندية بالدموع ، ويتغنون بحب الوطن ، والمناداة بحب الوطن ، وتصوير الطبيعة ، والتغني بجمالها واضحة في الأدب الرومانسي .

ويسود الشعر الوطني جو من الكآبة يعكس الجو العام في البلاد ابان الاحتلال . والكآبة تسود الأدب الرومانسي وتتغلغل فيه .

٧)) والشعر الوطني متنوع العواطف والمشاعر ، ففيه حب الوطن ، وافتداؤه بالنفس والنفيس ، وفيه بغض المستعمر ، والنفور منه ، والحقد عليه ، وفيه حماسة صادقة في الجهاد للتخلص من نير المستعمر ، وفيه أمل بالنصر وتحقيق الحرية ونيل الاستقلال وبناء صرح الوطن ، وفيه كآبة مصدرها القلق الذي يسود حياة الناس لما ينالهم من أذى المستعمر ، وفيه يأس مصدره الشعور بالضعف أمام قوة الاستعمار ، والانكسار المؤقت في ميادين القتال ، وفيه الألم والنوح والبكاء لما يتزل بالوطن من كوارث ، وفيه الفرح بما حقق الشعب من نصر في نضاله على قلة ما يملك من وسائل العمل والكفاح ، وفيه شعور بالقوة مصدره ايمان الشعب بأنه انما يدافع عن حقه في الحياة الحرة الكريمة ، وفيه افتخار بصفات العرب من كرم واباء وشجاعة وفروسية ، وفيه ايمان بالوطن العربي وقدرته على الوقوف في وجه الأحداث وجدارته بحمل الرسالة

الى العالم،وعاطفة الحماسة القومية أقوى العواطف في الشعر الوطني لانها تنبع من الماضي.

وخلاصة القول أن الشعر الوطني يفيض بألوان من العاطفة تجنح بالشاعر ، في أكثر الأحيان ، الى المبالغة في التعبير.

٨)) والشعر الوطني متنوع الأغراض ، ففيه الحماسة التي تبدو في وصف القتال والحض عليه وتصوير بطولات الثوار والمناضلين من أبناء الأمة، وفيه المدح الذي يشيد بمواقف رجال الأمة ، ويعدد صفاتهم ، ومن أولئك الرجال الملك حسين وابنه فيصل وحفيده غازي وبعض الشعراء أمثال شوقي وحافظ ، وفيه الرثاء الذي يبكي شهداء العروبة ، ويرفعهم مثالا للبطولة والشجاعة والتضحية والفداء ، فيغدو نشيدا من أناشيد الحماسة والبطولة ، وفيه الوصف الذي يصور طبيعة سورية ، وآثارها التاريخية ، وعدوان المستعمر عليها ، والدمار الذي أصابها ، وهذا الوصف ندى بالدموع ، وفيه الشعر الذاتي الذي يتغنى بالهموم والأحزان من جراء الظلم النازل بالقوم ، ويتغنى بالحرية والمثل العليا التي يطمح اليها الانسان.

ويتضح مما تقدم أن الشعر الوطني أقوى الأغراض.

٩)) الشعر الوطني شعر ملتزم ، فقد كانت المرحلة التاريخية ، وما زالت ، مرحلة نضال ضد الاستعمار ، وكان نظم الشعر في الأحداث والمناسبات القومية يفرض نفسه على الشاعر ، فلا يجد بدا من القول في جهاد الأمة وأهدافها ومثلها العليا ، ويمكن اجمال البواعث على قول الشعر في الباعث القومي ، حتى ليمكن القول ان الشعر الوطني أقوى الأغراض.

وقد قال الشعراء جميعا في هذا الغرض ، واتفقوا في المعاني الآتية : فحملوا على المستعمر ، ودعوا الى الثورة عليه ، وسجلوا واقع أمتهم ، ونبهوا الشعور القومي ، وأشاعوا مفاخر العرب وأمجادهم ، واتخذوا المناسبات القومية والثقافية وسيلة لهذا الغرض.

وقد كان خير الدين الزركلي ومحمد البزم وشفيق جبري وبدوي الجبل ومحمد الفراتي أول القائلين في الشعر الوطني ، وكان الزركلي أولهم في هذا الباب ، اذ غنى الحركة والثورة العربية في صدق واخلاص ، وقد عايش أحداث الثورة العربية والعهد الفيصلي ، وشارك فيهما قولا وفعلا ، وكان له موقف خاص من مجرى الحوادث وتطورها ، ومن رجال الث

وقادتها ، ولاسيما الملك حسين وابنه الأمير عبد الله ، وقد يكون الوحيد الذى سجل فى ديوانه الواقع السياسى لأمته فى الشام والجزيرة منذ نشوب الثورة العربية حتى عام ١٩٢٥ .

لقد صور الزركلى أطماع الغرب فى بلاد العرب ، واقتسام ديار الشام ، واضطراب الحال ، واضطهاد الأحرار فى الأردن فى عهد الأمير عبد الله ، وصور اضطراب الحال فى جزيرة العرب ، وارتياب الملك حسين فى الأحرار المقيمين بمكة ، وتشاور الأسرة الهاشمية فى أمر عرش العراق المعروض على فيصل بعد خروجه من سورية ، وصور انتشار الفزع بسبب القتال الناشب بين اليمانيين والنجديين فى العسير من جهة ، وبين النجديين والحجازيين فى جوار الطائف وفى شرق الأردن من جهة أخرى ، وصور امتداد أصابع الأجنبى الى الجزيرة ابان الفتن ، وخروج الملك حسين من الجزيرة .

ولقد قسا على الملك حسين فى محنته الأخيرة ، فذكر ، فى قصيدة[1] له ، كيف سجن الأحرار ، وعذبهم ، وانقاد للانجليز خصوم العرب ، وصور غفلته وما فى خلقه من تناقض ، واتهمه بأنه لم يسهر على حماية القيادة والمملكة ، واتهم ابنه عبد الله بأنه كان يلين لليهود ويتسامح معهم ، واعتبر حسينا مسئولا عن أعمال ابنه ، وصور عناده ، فهو لم ينصع لرأى قومه العرب ، كما صور لهوه بالنعيم ، وضعف استعداده للخطوب ، وأخيرا جعله عبرة لمن سيخلفه ، وبين أن شر الملك ما قسام على الظلم ، وأن العصر عصر علم ويقين لا عصر بداوة .

ومن اللازم أن نذكر هنا أن الشاعر نظم شعرا رقيقا باكيا يصف فيه حبه لوطنه ، وشوقه وحنينه اليه ، فاستحق بذلك كله أن يكون شاعر الوطنية والقومية والجهاد والحنين والاغتراب ، ولكنه سكت آخر الأمر عن قول الشعر بعد اشتغاله فى المملكة العربية السعودية ، فكان سكوته نوعا آخر من الالتزام .

ولمحمد البزم قصائد فى الثورة وأبطالها مطبوعة بالفخر والحماسة ، وكان له نصيب فى ايقاظ الروح القومية .

وشارك خليل مردم فى نظم الشعر الوطنى ، فشعر فى الأحداث الوطنية والمناسبات المختلفة ، وأظهر فى قصائده خفايا السياسة وملابساتها ،

---

(١) ديوان الزركلى ص١٧

وكان شعره من الأصوات المعبرة عن أحاسيس الأمة وآمالها ومثلها العليا.

وأكثر شعر شفيق جبري في الحادثات والمناسبات القومية، وقد خاض غمار الحياة العامة بعد الحرب الأولى، واستمر يقول الشعر في أحوال البلاد حتى انقضى عهد الاحتلال.

وديوان بدوي الجبل غني بوصف تعذيب المناضلين في السجون، وتصوير عزيمتهم، واستعذابهم الموت في سبيل تحرير الوطن واستعادة الأمجاد القومية، وقصائده مطبوعة بطابع الفخر والحماسة، وقد خاطب المستعمر بجرأة وصراحة، وأنذر بالثورة، وقال في المناسبات القومية المختلفة، وكان وما يزال له موقف خاص من الأسرة الهاشمية، فقد أعلن هواه لها، وعادى وعودي في سبيل هواه، وافتخر بهذا في شعره، وهذا الموقف من الأسرة يقابل موقف الزركلي منها، الا أنه سكت عن قول الشعر منذ أصدر ديوانه الأول قبيل الثورة السورية، ولم يسمع صوته الا بعد قيام التحالف مع فرنسة عام ١٩٣٦.

وغني بدر الدين الحامد الكفاح الوطني في ديوانه، واستغل التاريخ العربي في ذكر الحركة والثورة العربية وعهد فيصل، وقال الشعر في المناسبات القومية والثقافية، والتزم موقفا معينا من الحركة الوطنية، فأيد رجالها، ومدح قادتها.

وتغنى محمد الفراتي بالثورة العربية ووقائعها والثورة السورية، وسجل واقع القوم في سورية والعراق والبحرين، والتزم موقفا معينا من الأسرة الهاشمية.

وشعر عمر يحيى في التاريخ العربي، واستغله في نظم الأحداث والمناسبات القومية، وصور الواقع في الشام، وتغلغل الاستعمار في بلاد العرب.

وشعر عمر أبو ريشة في التاريخ العربي وفي الأحداث والمناسبات القومية، وغنى الحركة الوطنية في قوة وحماسة، والتزم موقفا معينا منها ومن قادتها حتى سمي شاعر الشهاب.

وسجل أمجد الطرابلسي في شعره واقع المرحلة التاريخية، واستغل التاريخ العربي والقصص الديني، وشعر في المناسبات.

وقد كانت رسالة الشاعر في مرحلة النضال أن يذكي الروح القومية والحقد على المستعمر، وأن يجلو للقوم أمجاد أمتهم، ويبعث فيهم روح الحماسة والكبرياء، ويدفعهم للنضال.

ومع هذا كله ، فاننا لا نجد شاعرا وقف شعره على تسجيل كفاح أمته ، وتصوير الحوادث التي مرت بها والمصائب التي توالت عليها .

١٠)) تطور الشعر الوطني بين الحربين ، كان وطنيا قوميا يدعو الى النضال لتحقيق أهداف العرب في الحرية والاستقلال والوحدة ، فصار داعيا الى اقامة صرح الوطن على العلم والفكر والعمل ، ثم مدافعا عن الطبقة الفقيرة المستغلة في عهد الحكم الوطني ، وناقدا للطبقة الحاكمة .

١١)) والشعر الوطني فن جديد أحدثه دخول العرب في حكم الاجنبي ، ويقظتهم ، ووعيهم لظروف المرحلة التاريخية ودورهم فيها ، ونضالهم للتحرر من نير الترك قبل الحرب ومن نير الاستعمار بعدها .

والشعر الوطني في سورية استمرار للشعر الوطني الذي قاله شعراء مصر ابان اشتداد الحركة الوطنية في عهد مصطفى كامل وبعد موته ، وهو استمرار للشعر الذي قاله شعراء الشام والعراق في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعد اعلان الدستور العثماني وظهور العصبية التركية وقيام المشادة العنصرية بين العرب والترك ، وقد كان لليقظة القومية آثار في الشعر أظهرها الوقوف على الماضي ، والمفاخرة بالأمجاد ، والاشادة بذكر الرجال والأبطال ووقائعهم ، والغيرة على اللغة ، والتشكي من اهمالها والدعوة الى اعزازها ، والحرص على استرداد حقوق العرب المهضومة من أيدي الترك ، وتفنيد سياستهم في بلاد العرب .

الفصل الثاني

الشعر الوجداني

الغزل

الغزل[1] من أهم أبواب الشعر في كل عصر ، وهو باب يظهر فيه بوضوح تأثير العصور المختلفة في الشعر العربي ، وكان له خطر في عصور الأدب ، وقد اضطر الشعراء ، ممن لا يميلون اليه ، لأن يطرقوه ويتكلفوه تكلفا .

وظهر تأثير بيئة البادية في الغزل في العصر الجاهلي ظهورا شديدا، ونستطيع أن نلمسه في الاكثار من ذكر الاطلال والدمن ، وذكر البين والفراق والحنين ، وكلتا الظاهرتين ترجع الى سبب واحد هو حياة البادية التي تتطلب التنقل في المواسم المختلفة لارتياد المرعى ، وهذا المذهب ليس مقصورا على شعراء المعلقات ، بل يتناول سواهم من الجاهليين ، ونراه واضحا عند الاسلاميين ، وقد ثار أبو نواس على هذا المذهب الذي استمر في العصر العباسي في شعر بعض الشعراء ممن تأثروا بشعر الأوائل وأساليبهم ولم يستطيعوا التخلص من تأثيرها .

على أن الاكثار من ذكر الحنين والشوق والفراق قد أكسب الغزل في الشعر العربي نغمة حزن ، وارتفع بالعاطفة الى مستوى عال من النبل والصفاء ، وهذه الصفة لم تزل ملازمة للغزل في الشعر العربي .

ومن أهم مظاهر تأثير البيئة العربية أنها جعلت الشعراء يستمدون منها تشبيهاتهم واستعاراتهم ، وهذا واضح في الغزل كتشبيه النساء بالمها والغزلان ، وجعلت أشرف النساء العزيزة المنعمة ، ولفقر البيئة في البادية ، كانت أجمل النساء المنعمة الممتلئة الجسم التي لا تحتاج الى العمل ، وظل كثير من هذا ظاهرا في الشعر العربي على سبيل التقليد مع تغير البيئة .

ونلحظ تأثير البيئة العربية في المحافظة على اسماء الجهات والأماكن العربية ، والاكثار من ذكرها في الشعر مع أن الشاعر قد يكون مقيما في بلاد

---

(١) المقدمة مستخلصة من كتاب : التوجيه الأدبي . الدكتور طه حسين وبعض زملائه المطبعة الأميرية بالقاهرة . سنة ١٩٥٢ . ص ١٦٠ ـ ١٦٧

بعيدة عن البيئة العربية .

وهذه الظواهر الأدبية ، كذكر الأطلال والبكاء عليها ، والحنين ، والشوق ، والتحدث عن الظباء والغزلان والمها ، وذكر بعض الأماكن العربية والنباتات والأشجار والأودية العربية ، لا نستطيع أن نلوم الشعراء على الاحتفاظ بها لأنها جميعا عناصر أدبية جميلة لا يحسن تركها ، وان كان من المستحسن أن يضاف اليها أساليب وعناصر جديدة .

وكان من أهم صفات النسيب في العصر الجاهلي البساطة المشرفة على السذاجة ، والبعد عن التكلف ، وفي نهاية العصر العباسي غلبت المحسنات اللفظية على الشعر ، وتدرج الغزل من المعاني البسيطة الساذجة الى المعاني المعقدة التي تفنن في ابتكارها الشعراء ، وانتقل الشعراء من الخيال البسيط الهادئ الخالي من كل تكلف الى الغلو في الوصف والاستعارة والتشبيه ، ثم عمدوا الى الاكثار من الجناس والمحسنات البديعية .

وهناك شعراء عرفوا بالنسيب وحده من بين فنون الشعر ، وشعرهم قليل في غير هذا الباب ، وأكثر هؤلاء كانوا في العصر الاسلامي ، ومنهم كثير ، وجميل ، وعمر بن أبي ربيعة ، والعرجي ، وقيس بن ذريح ، وعرف في العصر العباسي شعراء غلب النسيب على شعرهم .

— ٢ —

واذا كان الغزل من أهم أبواب الشعر في كل عصر ، والباب الذي يظهر فيه بوضوح تأثير العصور المختلفة في الشعر العربي ، وينظم فيه الشعراء جميعا ، فان من الطبيعي أن يتأثر به الشعراء حين يطالعون الشعر القديم ، ويظهر أثره في غزلهم ، ويعظم هذا الأثر كلما طال وقوفهم على القديم ، وكثر حفظهم له ، وباتوا في معزل عن التأثر بالجديد في الآداب الغربية .

فالغزل العربي وتقليده باعث طبيعي على نظم الغزل لأنه داخل في محفوظ الشاعر ، مستقر في اعماق النفس ، وهو ينتظر اللحظة العارضة التي تستثير الشاعر ليظهر في المعاني والصور والمشاعر التي ينظمها ، ويبرز خطر الغزل التقليدي في غزل الشاعر حين تقوم ثقافته الأدبية على الشعر العربي وحده .

— ٣ —

ومهما يكن أثر الغزل العربي القديم في غزل شعراء سورية ، فان صلة الرجل بالمرأة تبقى الباعث الأول على نظم الغزل ، ولعل أسمى ما يطلبه المرء في هذا الفن أن يصور نفس العاشقين تصويرا صادقا .

وقد يكون من العسير أن تشعر بصدق الغزل ، على الرغم من غلو الشعراء في وصف نفوسهم ، وهذا يعود الى غياب المرأة عن المجتمع ، وانقطاع الصلات بينها وبين الرجل ، فهي محتجبة ، والمجتمع لا يبيح اتصالها بالرجل ، واذا ظهرت في الشعر ، بدت طيفا يطرق الشاعر ، أو ظهرت في صورة ريم أو ظبي أو شادن ، أو بدا منها بعض صورها كالشعر والوجه والعين والجفن والخد والثغر والجيد والخصر والقوام ، واذا وصف الشعر جمالها المعنوي ذكر طيب حديثها ، ونغمات صوتها ، وغناءها ، والشاعر ، في هذا كله ، لا يخدعنا عن حقيقة أمره ، وهي أنه لم يعرف المرأة ، ولم يمتزج بالمحبوبة ، وأنه يجول في دائرة من الغزل القديم .

وقد يتفق لشاعر كعمر يحيى أن يحب ، ويتعذب ، ويصور نفسه تصويرا صادقا ، ولكنا نقرأ غزله فلا نحس بصدى حبه في نفس المرأة ، وما ذلك الا لبعدها عنه ، وافتقاد المرأة يشد الشاعر الى القديم ، ويجعله يستمد منه معانيه وصوره بدلا من أن يستمدها من نفسه وواقعه ، ولاشك في أن المشاركة تشعل كلا المحبين ، وتطهره من أدران الواقع ، وتسمو به الى المثل الاعلى في الحب ، واذا فلن نظفر بالحب في الغزل ، واذا ظفرنا به وجدناه مقصورا على الرجل ، ورأينا الشاعر يصور نفسه دون المرأة ، لانه لا يعرفها ، واذا صورها فانما يصور منها الدلال والاختيال والصد والنفور وغيرها من الصفات التي تكون في طبع كل امرأة ، ولا تنبيء بحقيقتها في الحب .

ويكون الحب حين يسهل اتصال الرجل بالمرأة ، وتنال المرأة قسطا من الحرية يعينها على أن تشعر بذاتها ، فتسفر ، وتخرج الى المجتمع ، وتنشد ما ينشد الرجل من علم وفن وعمل ، وهذه الظاهرة نجدها في ديوان الطبيب وجيه البارودي الذي عرف المرأة في بيئة الجامعة الامريكية ببيروت .

وقد عرف بعض الشعراء المرأة في البيئات الغربية ، فولد هذا

في أنفسهم ألوانا من الشعور كشفت عن تصارع القيم ، والاضطراب والترجح بين مطالب الجسد ونوازع الروح ، أو بين الشهوة والعشق ، والواقع والمثال ، وهذه الظاهرة نجدها عند علي الناصر وعمر أبي ريشة وأمجد الطرابلسي ·

وعرف بعضهم المرأة في مجالس اللهو والشراب ، فتغنى بالهوى الطروب ، ووجد في غنائه بديلا من العشق ، وهذه الظاهرة نجدها عند بدر الدين الحامد ومحمد الفراتي وعمر يحيى

وكان اغتراب أحدهم ، وحنينه الى بلده وأهله وأصحابه فيه ، يهيج مشاعره ، ويجعله في موقف قريب من موقف الشاعر الجاهلي ، فيقف على الديار ، ويبكيها ، ويصفها ، ويعبر عن عواطف البين والشوق ، ثم يصور هواه ، ويحمل النسيم سلاما الى الأحباب ، ويسأل صاحبيه أن يعوجا يعرجا بدار المحبوبة ، ويحملا تحيته اليها ، وهذه الظاهرة نجدها في شعر محمد الفراتي وبدوي الجبل ·

وكانت الطبيعة تهيج الشاعر ، فيذكر لحظات من حياته حفلت بالنعيم ، ويخرجها في شعره مخرج من تيمه الحب ، وذاق عذابه ولذاذاته ، وكان يقوى أثر الطبيعة في الشاعر أن الشعراء الشباب كانوا في طور تفتح النفس للحياة ، وهذه الظاهرة نجدها في غزل بدوي الجبل وبدر الدين الحامد وعمر يحيى وأمجد الطرابلسي وزكي المحاسني وأنور العطار ·

— ٤ —

وكان العصر عصر كفاح لا غزل فخلف آثارا بعيدة في النفوس نلمحها في ظلال الحزن والكآبة واليأس والسأم الممتدة في الغزل ، وهذه الآثار تكشف عن الصراع بين المجتمع وذات الشاعر ، فالمجتمع يتملكه النضال ضد الاستعمار ، ويشقى بهذا النضال ، فيدعو الشاعر الى أن يتغنى به ، وذات الشاعر تنشد الحب والفرحة في مجالس الطبيعة مع المرأة ، فتدعوه الى أن يتغنى بأهوائها ومشاعرها ، والشاعر حائر بين ذاته وبين المجتمع ، يجذبه هذا مرة ، فيقول في كفاحه ، وتجذبه تلك مرة أخرى ، فيشعر في قلبه وصباباته ، أو ينظم القصيدة الواحدة في كفاح المجتمع وأهواء ذاته ، فتكون مظهرا للصراع بين المجتمع والذات أكثر من أن تكون تعبيرا عن عاطفة الحب

ومرآة لنفسه ، وهذه الظاهرة نجدها في ديوان بدوي الجبل ، فهذا الشاعر أصدر ديوانه قبيل الثورة السورية ، وهو دون العشرين ، وكان قد شهد عهد الاستقلال أيام فيصل ، وأحس بالعزة القومية ، فلما كانت وقعة ميسلون أصيب القوم في كرامتهم وحريتهم ، وانهارت الآمال التي أقاموها على الاستقلال ، واستبد اليأس بنفوسهم ، وجاء بدوي الجبل ، وكان في طور الحداثة ، فغنى ذلك كله غناء يفيض بالحزن واليأس والتشاؤم وغيرها من المشاعر التي تعكس آثار مرحلة النضال.

واذا عرفنا طول مرحلة النضال ، وضيق الحياة ، وجمودها ، واحتجاب المرأة ، ويتم بعض الشعراء ، وفقرهم في صباهم ، سهل علينا تعليل الشعور بالجدب الذي استبد بنفوسهم ، وجعلهم ، وهم في طور الهوى والشباب ، يجدون في الغزل تعويضا عما فقدوه من نعيم الحب في ظلال المرأة ، ويجدون في الغزل العربي القديم معينا لهم على تغزلهم بالمرأة الطائعة. (الضا)

— ٥ —

فالزركلي[1] يصور حاله في الهوى ، ويعرض جمال المحبوب من قوام لين ، وشعر أسود ولحظ ساحر وخد محمر ، ويصفه بالدلال ، ويعبر عن ظمأ الحس فيذكر ريقه المعسول.

— ٦ —

وخليل مردم يطرقه الطيف[2] ، فيصور مشاعره ، ويعرض صورا من جماله ، وهو عريان ، اذ يشرق ، ويتلألأ ، ويبدو كالبدر ، مياس القد ، منشور الذوائب ، جم المحاسن ، ناصع البياض ، ويصف بعض شمائله من دلال وغنج وخبث وحيلة واقبال وادبار ووصل وصد ، ويصوره ملما بأصول الكياسة والذوق ، فهو يحيي الشاعر مطأطئا رأسه ، ويقبل عليه مادا يده مصافحا ، ويرشف الشاعر رضاب المحبوب ، فيعبر عن نظرته الى المرأة ، وعن ظمأ الحس.

ومشاعره تقليدية ، وكذلك وصفه للطيف ، وموضوع الطيف تقليدي وقد طرقه الشعراء العباسيون ولاسيما البحتري.

وتقوم القصيدة على تصوير المشاعر ، ووصف جمال الطيف وشمائله ،

(١) المختار ص ٥٤ (٢) المختار ص ٥٤

والتعبير عن ظمأ الحس.

ويصور في قصيدة شائمة[1] مشاعره وحاله في الهوى ، فيغلب عليه التقليد .

ـ ٧ ـ

وشفيق جبري[2] يرغب عن وصف جمال المرأة وظمأ الحس، ويقصد الى التعبير عن عاطفته وتصوير نفسه ، ويسمو الى عالم الخيال الذي يعيش فيه الحب ، وعالمه رئيس ى بظلال العاطفة التي تتلون بتلون حالات النفس، فمحبوبته تخطر بباله ، ولكنه يرتاب في أن يكون قد خطر ببالها ، وهو يائس من أن تكون شاعرة بهواه على الرغم من غرق طرفه في طرفها ، وهو يعيش بعيدا عنها لانه لا يستطيع أن يسألها شيئا ، ولانها لم تجد بعض سؤالها ، وهو يعيش معها بخياله في الليل قلقا حائرا ، وهي تمثال العطف والرقة ، وقد عاشت دون أن تطلق عاطفتها الحبيسة ، واستطاعت أن تلهمه القول ، ويتحسر الشاعر في نهاية القطعة على أنه لم يسرو عاطفته منها ، ويحض نفسه على التعلق بها رغم صدها .

والقطعة مقصورة على وصف نفس الشاعر وعاطفته ، فهي قريبة من الشعر العذري .

ـ ٨ ـ

وبدوي الجبل[3] يحس بالهوى وحاجته الى الحب ويصور حاله ومشاعره ، ويتعلق بذكرى حبه الماضي فرارا من ألم الحاضر ، ويعرض مشاعره وذكرى حبه في اطار من الطبيعة ، ويتغنى ويمتزج بها ، ويشاركها ، ويسأل محبوبته أن تشاركها ؛ ويعرض من المرأة ، العينين ، والخد ، والثغر ، والأسنان ، والبسمة ، والتنهدين ، والبشرة ، والصد ، ويصور جمالها المعنوي ، فيذكر حديثها وصوتها وغناءها وعزفها ، ويصف أحاسيسه الظمأى ، فيشتهي قبلة الثغر ، ويحسد الكأس على لثم أسنان المحبوبة ، ويحلم بملامسة ثغرها لثغره ، واحتكاك خدها بخده ، ويحسد القرط على شم شذا خدها ، ويرجو أن يشم عبق شعرها ، ويتشوق الى بسمة شفتيها ، ولمس بنانها ، ونفحة نهديها .

---

(١) المختار ص ٥٥ (٢) المختار ص ٥٦ (٣) المختار ص ٥٦ـ٥٧

ويظهر فى غزله أثر الحداثة والمرحلة التاريخية ، اذ يصور عواطف ناعمة طرية متفتحة لندى الحب المنتظر ، وينقم على الأجنبى جوره ، ويذكر قومه ، ويقاسم المعذبين همومهم ، ويحزن على البشرية المتخبطة فى الشقاء من جراء الحرب ، ويصور أحاسيس العصر من حزن وألم ويأس وتشاؤم وسأم ورغبة فى الوحدة والعزلة ٠

وغزله يقوم على وصف مشاعره وحاجته الى المرأة ، وتصوير جمالها الحسى والمعنوى ، ومشاعره وصوره مطبوعة بطابع التقليد ٠

ـ ٩ ـ

ويشتمل غزل محمد الفراتى (١) على مشاعر وظواهر تقليدية ، فهو يقف على الدار ، ويذرف الدموع ، ويذكر أسماء بعض النساء التى تغزل بها الشعراء كسعاد ، ويسأل رفيقيه أن يعوجا بدار المحبوبة لملا يحيياها ، ويرسل مع النسيم سلاما الى من بالفرات ، ويسمى بعض الأماكن فعل الشعراء الأقدمين ، ويذكر الأطلال واصفالها ، ويعبر عن عواطف البين والشوق والحنين ، ويعظم شأن الحب ، ويصف جمال المرأة الحسى ، فيعرض سقم العيون ، ومرض اللحاظ ، ودعج النواظر ، وعيون الجآذر ، وسود الغدائر ، وتفاح الخدود ، ورمان الصدور ، ورقة الخصور ، والوجه الذى يخجل البدر ، والقد الذى يفضح البان ، ويتثنى فيعلم الأغصان ، ويذكر الحور البيض النواعم ، ونساء الفرات اللائى يعشقن فى الخيام ، ويرون على الفرات ، فيصبن بسهام من عيونهن ، ويظهرن معجبات بدلهن وظرفهن ، ويصف طيب حديث المرأة ٠

ويميل الى وصف اللهو والعبث فى غزله ، فيصور حفلة ساهرة (٢) حفلت بالنديم والساقى والشراب والغناء والرقص والطرب والاستمتاع ٠

والوقوف على الدار ، والبكاء عليها ، وذكر الأطلال ،والتعبير عن عواطف البين والشوق ، ظاهرة نجدها عند الجاهليين ، ووصف النفس فى الحب يذكرنا بالغزل فى صدر الاسلام وعصر بنى أمية ، ووصف اللهو والعبث يعود الى شعر اللهو والعبث الذى ابتدعه بشار وطبقته فى صدر الدولة العباسية ٠

---

(١) المختار ص ٥٧ ـ ٥٨

(٢) ديوان الفراتى ٠ مطبعة بابيل اخوان ٠ دمشق سنة ١٩٣١ ٠ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢

فغزل الفزازي يظهر فيه تأثير العصور الأدبية المختلفة ، وهو مطبوع بطابع تقليدي ، ويقوم على وصف المشاعر ، وتصوير جمال المحبوب، وظمأ الحس ، واللهو ٠

ـ ١٠ ـ

ويصور بدر الدين الحامد عواطفه[1] ومشاعره في الهوى والفراق وذكرى أيام الوصال ، ويتغنى بذكرى الحب وأثرها في نفسه ، ويصف جمال المحبوب ، فيصور القد ، والغدائر ، والشعر ، واللحظ ، والحور وسحر العين ، وغنج الجفون ، والصدغ ، والجبين ، وتفتاح الخدود ، والثغر الضاحك ، والوجه المشرق ، والهيف ، والجسم الناعم ، ويعدد شمائل المحبوب من دلال واختيال وغنج ونفور ، ويصف جماله المعنوي فيذكر حديثه العذب ، وصوته الجميل ، ويصور ظمأ الحس ، فيتمنى تقبيل الثغر ، ورشف الرضاب ، ومعانقة المحبوب ، وشم خده ٠

وظهرت الطبيعة في غزله ، فكانت اطارا لعواطفه ومشاعره وذكرياته وصورة لحياة التي وجدها فيها بعضهم مسخة أندلسية ، وكان الشاعر الاندلسي كابن زيدون يستعير مظاهر الطبيعة ، ويتخذها زينة لفنه ، واطارا لمشاعره وذكرياته ٠

وفي غزله نغمة حزن هي استمرار لنغمة الحزن في الغزل العربي، وأثر من آثار المرحلة التاريخية ، وظروف الشاعر الذي عانى الفقر والعتم في صباه ، أما نغمة الفرح فهي من آثار مجالس اللهو والشراب التي عرفها في صدر شبابه ٠

ويقوم غزله على وصف مشاعره ، وتصوير جمال المرأة ، والتعبير عن ظمأ الحس، ووصف مجالس اللهو والشراب ٠

ـ ١١ ـ

ويقص عمر يحيى حبه في غزله[2] ، فلا يحدد مكانه وزمانه وبدأه ونموه ، وانما يقصر غزله على وصف نفسه ، فيصور انطلاقه في جو الحب ، ونعيمه به ، وعذابه ، ثم اخفاقه فيه ، ويتنقل بعد اخفاقه في الحب ، بين الشراب والنساء ، ويتعلق بعدد منهن ،

---

(١) المختار ، ص ٥٨ (٢) المختار ص ٥٨ ـ ٦١

فلا يسلو المحبوبة ، ويظل يذكرها ، ويذكر حبه الأول ، ويستعرض ذكريات حبه القديم ، ويعترف بأنه لم يذق ابتسام المحبوب ، فيدلنا هذا على أن المحبوبة لم تمتزج بالشاعر المحب ، ولم تشاركه ، بل ان في غزله ما يصفها بالكبر ، ويتهمها بأنها أظهرت له البغضاء والقطيعة .

ومهما يكن فقد ظل الشاعر يذكر حبه الأول ، ويبكيه ، وقد تحامى الحب بعد أن اكتوى بناره ، وكره المذلة والعناء فيه ، وحار في أمر قلبه .

وكون لنفسه آراء في الحب استقاها من تجاربه ، فخفايا الحب تعرف من طرف الحبيب ، ورنين صوت الحب في الأذن يحيي الآمال ، وأول الحب شعور لذيذ ومعنى لاتعيه الخواطر ، والحب لذيذ مع الرحمة والعطف على المحب ، والعيش أن يكون على ما يتمنى الغرام ، وأن يمضى الحب بين مذلة وقطيعة ، والليالي تمر سريعا بالحب ، ومراتع الدجى متلثمة بالخمال ، والمحب يدرك الجمال ، والمرأة تعيد بؤس الحياة نعيما ، وهي استاذته في الحب والشعور والخيال ، وقائدته الى الجمال ، والمحبوبة تجمع شمل المحب ، وتبعث الشاعر على القول .

وقد اسهب في وصف عواطفه ومشاعره وخواطره وأحلامه وأمانيه في الحب ، واللقاء والقرب ، والبعد ، والوصل ، والهجر ، والذكرى ، والحنين ، والصبوة ، والنظرة الى الحبيب ، وضاع حبه في غمرة العواطف والمشاعر التي وصفها .

وعرض القد المياد ، والقامة الهيفاء ، والقوام الغض اللدن الذى يزرى بغصن البان ، والشعر الفاحم الطويل ، والشعر الخصب ، والطرة السوداء ، وجمال العينين ، وسحرهما ، وسحر الجفون ، والخد المورد ، والثغر الزاهي البسام ، والثنايا البيض ، والوجه المشرق ، والمحيا الساحر السامي ، والنهد ، والبسمات المنعشة ، والنظرات المخيفة ، واللفتات التي هي أجمل من لفتات الغزال ، وشبه المحبوب بالبدر والصبح والربيع ، وعرض النضارة في المنظر الجميل ، وذكر من صفات الجمال المعنوي نغمات الصوت ، ورقته ، وطيب الحديث ، وصور شمائل المحبوب ، فذكر الدلال والاختيال والطلاقة والرشاقة والوداعة والرهافة ، وعبر عن ظمأ الحس فشم ورد الخد ، ورشف الرضاب ، واحتك شعره بشعر المحبوب .

وظهرت الطبيعة في غزله ، فشاهدنا البحر فضلا عن طبيعة حماة ·

وغزله مطبوع بطابع التقليد ، وان شف عن عواطف صادقة في الحب ، ويظهر التقليد في التعبير عن المشاعر ، ووصف جمال المحبوب ، وظمأ الحس الى الارتواء ، وتمتد في الغزل ظلال من الحزن والكآبة واليأس تعكس أثر العصر وهم الشاعر ·

— ١٢ —

وينحو جميل سلطان نحو من سبقه في الغزل ، فيعبر عن مشاعره ، ويخالف أبا تمام فيما ذهب اليه من أن الحب للحبيب الأول [1] ، ويرى أن أحب المعهود اليه أقربها منه ، ويصف أثر الحب في حياته ، ويتعلق بذكرى حبه الماضي ، فيتغنى بها ، ويصور أثرها القوي في حياة المحبين ·

ويصف الطيف [2] ، وتشبيهه له ، واستمتاعه بتقبيله ، ويصف القبلة [3] وأثرها في النفس فيعبر عن نظرته المادية الى الحب والحبيب ·

ويعنى بتصوير جمال الحس، فيصوّر الشعر ، والجبهة ، وسحر العينين ، والنظرات ، والخد المورد ، والثغر ، والشفاه الحمر ، واللمى والاسنان ، واشراق الوجه ، ويصوّر بعض شمائلها من رقة ولين ، ويعبر عن ظمأ حسه ، فيقبل الثغر ، ويشم الخد ·

والتقليد واضح في وصف المشاعر ، ووصف الطيف وجمال الحس ، والتعبير عن النظرة المادية الى الحب ، وقد تخلو بعض قطعه [4] من هذه النظرة ، وتغدو مقصورة على وصف تبدل الحياة بالحب ، ومعنى هذا أن خط الغزل ما زال مستقيما في سيره ، ولم يحدث ما ينحرف به عن القصد ، وكل ما نلحظ من تغير في الغزل هو ضعف نغمة الحزن، والمبالغة في وصف تبدل الحياة بالحب ·

— ١٣ —

ولانجد الطرابلسي [5] قصيدة تصف هواه ، وأثره فيه ، وفيضه في الكون ، وتتضمن بعض المشاعر التقليدية من بين وغم وجوى وألم وحزن

---

(١) انظر قصيدته (بين عهدين) المختار ص ٦١ (٢) انظر موشحه (شبح) المختار ص ٦١
(٣) انظر قصيدته (قبلة) المختار ص ٦١ — ٦٢ (٤) انظر قصيدته (حصوة الطائر) المختار ص ٦٢
(٥) المختار ص ٦٢ — ٦٣

وعذاب وأرق وسهد ، وتعرض العواطف فى اطار من الطمهصة ، وتعبر عن احساس الشاعر بجدب الحياة ، وأمله فى عودة الحب والاستمتاع به ٠

ونلاحظ فى القصيدة طراوة العواطف على الرغم من أنها معروضة فى اطار تقليدي ، ومرد هذا الى حداثة سن الشاعر ، وتفتح عواطفه فى الشباب ، وتحول تضمة الحزن الى الغزل ، ويضيب وصف جمال المحبوب، ونحس بظلام الحياة يمتد الى قلب الشاعر ، فنستدل به على أثر اليتم والعصر فى حياته وفنه ٠

— ١٤ —

ومحيي الدين الدرويش[1] يتمنى أن يحظى غزاله ، وأن يسمح له برشف رضابه بعد أن أوقعه فى شرك الحب ، ويؤكد أنه لم يرم غيره فى الحياة ٠

— ١٥ —

ولزكي المحاسني قصيدة[2] تصف متاعب الحب وهمومه لاجمال الحبيب أو ظمأ الحس، والعاطفة فيها متسامية شاملة تمتد منذ الازل ، وتبقى أبد الدهر ، ولا تطمع فى وصل الحبيب ، وغاية ما ترجو أن يجاوبها الحبيب، ولو بعد الموت ، ليحس المحب بالراحة فى قبره ٠

والشاعر يقلد الصوفيين فى غزلهم ، اذ يتسامى فى عاطفته ، وينشد الوصل بعد الموت إن أعجزه فى الحياة ، والوصل أن يرضى عنه الحبيب، ويعطف عليه ، ويطمئنه بأنه يحبه ٠

— ١٦ —

وعرف وجيه البارودى بالنسيب وحده من بين فنون الشعر ، فأشبه شعراء الغزل فى العصر الاسلامى كجميل ، وكثير ، وابن أبى ربيعة ، والعرجى ، وقيس بن ذريح ، وبعض الشعراء فى العصر العباسى ممن غلب النسيب على شعرهم ٠

وظهرت المرأة فى غزله ظهورا أدل على تطور المجتمع فى بعض البيئات كبيئة بيروت والجامعة الاميركية ، وبيئة دمشق وحلب ، فقد أحب فتاة من حلب ، وتبادل الاثنان الحب ، ورغبا فى الزواج ، وطلبها الشاعر من أهلها فأغلوا مهرها ، فانصرف الى حب جديد ليسلو حبه الأول، وسمعت الفتاة ، فتألمت ، ثم تزوجت من غيره بمهر ضخم ، فنقم

---

(١) المختار ص ٦٣ (٢) المختار ص ٦٣ ــ ٦٤

الشاعر على الأهل أن يجعلوا الزواج بهما وشراء [١] ، وظل يذكر محبوبته حتى التقى بها يوما ، وعادها في مرضها ، واستوثق الاثنان من الحب بينهما ٠

وأحب فارسية [٢] كانت زميلة له في الجامعة الاميركية ببيروت ، وأرادت أن تسير بالحب في طريق اللذة الجسدية ، فأبى ، وافترقا ، ثم سافرت الى بلدها ، فخلفت في نفسه حزنا انقلب الى يأس ، وطفق يذكرها ، ويذكر أيامهما في الجامعة ، وما كان بينهما من تزاور وقبلات ورسائل ٠

وأحب سمراء شامية [٣] ، فوصف غيرة النساء منها ، وتقول الناس عليهما ، والتقاءه بها في المصيف ، ثم افترقا دونما سبب ٠

وعرف نساء غير من تقدمن ، فازداد معرفة بأسرار الحب ، وخبرة بنفس المرأة والرجل ٠

وقد صور في غزله مشاعره ، فوصف صدقه واخلاصه في الحب ، وما أحس به من نشوة وانطلاق الى عالم الحب الخالد ، ووصف بعض اللذات البريئة من شم وضم وعناق ، وعبر عن عواطف البين والشوق والحنين ، ووصف زيارة الطيف له في المنام ، وتعلله بالذكرى ، ويأسه من الوصال بعد انقضاء عهد الحب ، وصور اقبال المرأة على الحب ، وكتمانها له ، وتخوفها منه ، والتهاب روحها به ، وميلها الى الاستمتاع بما فيه من لذات ، وصور نشوتها ، وادلالها بجمالها ، وغيرتها من غيرها ونفورها من الرجل،وحنقها عليه ،ورغبتها فيه وإن تظاهرت بمجافاته ٠

وعرض في غزله آراء استخلصها من تجاربه : فهو يرفع شأن الحب الأول ، ويعنيه من المحبوبة أن تكون له بقلبها ، ويسمو بحبه فوق الواقع ، ويتعلق بذكرى الحب لما لها من قدرة على بعثه ، ويرى أن الحب لا يتم الا باللثم والضم والعناق ، وأن العناق لا يتم الا برشف الرضاب ، وأن حب الارواح أسمى الوان الحب وأعذبها ٠

ويسمو بالمرأة فوق مطالب العيش ، ويجعلها دمية الشعراء ، ويعز عليه أن تسعى وراء الرزق ، ويرى أنها خلقت للهوى والشعر والحنين [٤] ٠

---

(١) المختار ص ٦٤ (٢) انظر قصيدته (سبب التفرق) المختار ص٦٥

(٣) انظر قصيدته (سمراء الشام) المختار ص ٦٥

(٤) انظر مقطوعته (الحسناء العاملة) ٠ المختار ص ٦٦

ويعلى قدر الحسن ، فيصونه من أذى الفقر ، ويهيم بكل حسن ، ويرى أن لكل حسن معنى ليس لسواه [١] ، وأن الحب درع للجمال ، والحب والجمال السفان ، والحسن يموت بلا حب ، والحب يموت بلا شعر ، وأجمل شيء في الحياة هو اجتماع الحسن والحب والشعر .

وينتقد الزواج في المجتمع ، فيراه نوعا من البيع والشراء ، ويرى المهر غلا في عنق المرأة ، وعنده أن المهر هو حب صادق ، وتلاؤم بين الزوجين .

ويجل الحب القديم ، وينتقد الحب المصرى [٢] الذى يقوم على التسلى بالنظر الى المرأة ، وخداعها بالقول المعسول ، واثارة شهواتها ، والتنقل بين النساء ، والبحث عن المعانى في المعشوقة الجديدة .

والشاعر متأثر بالغزل القديم ، فهو يقص حبه ، ويسمو به ، ويصف نفسه ، ويرغب عن تصوير جمال الحس ، فيشبه العذريين الذين شاع القصص في غزلهم ، وسموا بالحب ، فنزهوه عن الشهوات ، وقصروا شعرهم على وصف نفوسهم ، وكان يقوم في الجاهلية على وصف جسم المرأة ، ولكن الشاعر يخالف العذريين حين يحب عدة نساء ، ويصف بعض اللذات [٣] ، ويبدو أثر القديم في نظرته الى الحب ، فهو ، على عنايته بتنزيه الحب عن اللذائذ ، يذكر اللثم والشم والضم والعناق ، ويتمنى أن يرشف الرضاب ، ويذوق النهد ، ولا يصور نفسه راغبة وحدها في الاستمتاع بالحب ، وانما يشرك المرأة في هذه الرغبة ، فيعبر عن تأثره بالنظرة التقليدية الى الحب والاستمتاع به .

ويعكس غزله تطورا في المجتمع ، فالمرأة تظهر للرجل ، وتبادله الحب ، وتلهمه الشعر ، كما يصور أطرافا من حياة المجتمع اذ ينتقد موقف الأهل من الزواج ، وموقف الناس من المحبين ، وتقولهم عليهم .

— ١٧ —

وغزل رفيق الفاخورى يبدو فيه أثر القديم والجديد ، فأما القديم فيظهر في الموضوعات ووصف المشاعر ، فالشاعر يناجى الطيف [٤] ، ويصور ما أثاره فيه من تباريح الهوى ، ويتمثل خيال الحبيب في كل مكان ، ويعرض صفاء جو الحب ، ويسمو بعاطفته ، ويكشف عن

(١) انظر قصيدته (ألوان الجمال) . المختار ص ٦٦
(٢) انظر قصيدته (الحب المصرى) . المختار ص ٦٦
(٣) انظر قصيدته (قبلة واحدة) . المختار ص ٦٧
(٤) انظر قصيدته (يا طيف من أهوى) . المختار ص ٦٧

مرتع الحب الذى يعيش فيه شبحا الحبيبين فى تصاف والتئام ، وهو يقبل[1] على الحياة بعد انقضاء الحب ، ويستمتع بما فيها من لذات ، ويدرك أن جمال العيش انما يتم بالمرأة ، ولا يكترث بنصح العقل ، ووعظ الايام له ، لانه يعرف أن كل شىء الى فناء .

ويتقمص شخصية المجنون[2] ، فيقول على لسانه شعرا يصف به عذاب الحب ، ونعيمه ، وأثره فى نفسه ، وفيضه فى الكون ، واستعذابه على ما فيه من شقاء ، وجراحه ، ويصف المحب يبوح بالحب ، ويطلب الرحمة والعطف ، وهذا كله يصور مجنون ليلى أو حال المحب فى الغزل العذرى .

وأما الجديد فانه يظهر فى التعبير عن أحاسيس يعكس بعضها أثر الرومانسية ، ويعكس بعضها الآخر أثر العصر الذى عاش فيه الشاعر ، فهو يحن الى الحب ، ويبدو مستعدا للتأثر والاستمتاع به ، فحبه ليس قديما وحسب ولكنه جديد ، وهو جديد لانه قادر على بعثه بالخيال والشعور ، فالخيال يعيد التجربة ، والشعور يحييها ، فيتمثل الحب كائنا حيا ، وهذا الاحساس بقدرة الخيال والشعور على بعث الحب احساس رومانسى ، فالذكرى قيمة شعورية حية ، والشاعر يحس بظلام القلب وجدب الحياة والكآبة على الرغم مما يصور من صفاء جو الحب ، وهذا الاحساس بظلام النفس وجدب الحياة يعكس احساس العصر .

وهناك احساس نجده عند طرفة وعند الرومانسيين ، وهو الاحساس بقصر الحياة على الأرض ، وبالموت ، وقد طغى الموت على تفكير طرفة وبودلير .

أما الاقبال على الحياة بعد انقضاء الحب ، والاستمتاع بما فيها من جمال ولذات ، فعود الى تفتح النفوس على الحب ، وادراك الشباب أن جمال الحياة لا يتم الا بالمرأة ، وادراك قيمة المرأة فى الحياة يطبع الغزل بطابع خاص .

فغزل رفيق الفاخورى ينحرف عن خط السير الذى اتبعه الشعراء السابقون ، ليستقبل رافدا جديدا ، ويحافظ على موضوعات الغزل التقليدى وبعض معانيه ، ويعكس أحاسيس العصر .

---

(١) انظر قصيدته (الجذوة الباقية) المختار ص ٦٧ ـ ٦٨

(٢) انظر قصيدته (علالة المجنون) المختار ص ٦٨ ـ ٦٩

—١٨—

وغزل على الناصر مرتبط بنظرته الى الحياة ، وتتلخص هذه النظرة فى أن الحياة عبث ووهم ، ومهزلة تنتهى بالموت ، وأن الناس ومضات تشع ، وتخبو فى كون لا يخضع لمقياس، وجدير بالانسان أن يقضى حياته بالحب والاستمتاع بمباهج الحياة .(١)

وقد قسم الشاعر حياته بين الحب والشعر والخمرة(٢) ، واعتبر المرأة مصدرا من مصادر الالهام ، ونظر اليها بمنظار الواقع مرة ، ومنظار الفن مرة أخرى ، فهى خمر(٣) يحبها ما أدمنها ، ومعبد يجد فى رحابه الأمن والسكينة ، ومثال للفن الذى أبدعته الحياة ، وقد أحس أن المرأة تعيش فى كيانه ، ولهذا أقبل على الحب ، ونصح بالعناق، ورفع المرأة منارا له فى حياته ، وجعلها سبيله الى التسامى وادراك الغايات .

وأكبر شأن الحب ، فوجد أنه يسمو بالانسان فوق الوجود ، ويطهر روحه من الآثام ، ويغذى فيه حس الجمال ، ويهبه الراحة والأمن والسكينة ، اذ يهد هد شكوكه ، ويمنحه حقائق الحياة ، ولهذا نراه يعلى قدر المرأة والحب فجعلهما ربه ودينه(٤) .

وبرزت مأساة الشاعر فى غزله ، اذ صور ضيقه ، وقلق روحه(٥) ، وحيرته فى الوجود ، وشكوكه ، وأحس بقصر الحياة على الأرض ، وآمن بحقيقة الموت ، وانكر البعث ، فداوى نفسه بالحب ، ووجد فيه ما يطفىء ظمأه الى المجهول ، ويهدىء روحه الثائرة ، وامتزج بالمرأة فشاركها ، وطلب منها أن تشاركه .

وصور مفاتن المرأة ، فصور قدها وشعرها ووجهها وعينيها(٦) وثغرها ، واستلهم عينيها ووجهها ، وعاش فى ظلالها لحظات غنية بالأحاسيس وهذه اللحظات(٧) لا تكون فى البعد عن الواقع ، والارتقاء الى سماء الخيال وحسب ، وانما قد تكون على الأرض ، وفى كلتا الحالين ، يظل الحسن يحركه ، فيسمو الى عالم الخيال ، أو يبقى على الأرض يعاقر الخمر، ويلهو بالمرأة ، ويسمع الغناء .

---

(١) انظر قصيدته بعنوان (أحلام) . المختار ص ٦٩
(٢) " قطعته (المغريات) . المختار ص ٧١
(٣) " " (الوصال) . " ص ٧٠
(٤) " " (الى الآنسة . ش) " ص ٧٠
(٥) " " (الى السيدة . ل .) " ص ٦٩
(٦) " " بعنوان (وجه) " ص ٧١
(٧) " " (يصرعنى الحسن) " ص ٧١

وقد سلط على المرأة أضواء من علم النفس، ومن بصيرته الواعية، فكشف عن تلون طبعها ، وتقلب خلقها ، ونزعتها الى الزينة والترف، وتصديها للرجل ، وتأثرها بغريزة الحب والأمومة ، وكانت قصة الراهبة بولين[1] أجود ما يمثل منهجه في درس المرأة ، وتصوير مشاعرها وغريزتها .

وتعتبر قصة الراهبة بولين صورة جديدة في الغزل ، اذ تقوم على عنصر القصص ، وحركة المشاهد ، ورجل الراهبة هو الصبي عيسى، وقد دفعه الشاعر الى الدير ، فظهر حدب الراهبات عليه ، وميل بولين اليه ، وخبل اليها ، وقد سمعته يرتل آي الله بصوت شجي، أن الملائكة تضع اكليلا على رأسها ، وتزفها الى عيسى ، ثم أفاقت من حلمها متألمة ، وأخذت ترجو الله أن ينقذها من عذابها[2] ، ومرض عيسى يوما ، فصلت الراهبات التماسا لشفائه ، وجاء ، بعد ابلاله من مرضه ، يشكرهن ، ويندب القلب الذى طلق الحياة ، واعتزل الناس ، وشعرت الرئيسة بما سيئول اليه الحال إن ظل الصبي في الدير ، فأخرجته منه طلبا للسلامة .

فالشاعر يغوص دعائم الحياة في الدير بداع من العطف الانساني على الراهبات اللاتي اعتزلن الحياة ، وغيبنها في أعماقهن ، وقد وفق في اظهار غريزة الأمومة المكبوتة ، واتخذ بولين صورة للراهبات، فأشعل عاطفة الحب في قلبها ، وصور آثارها في اضطرابها وسهدها وبكائها وصلاتها ونجواها وتطلعها الى عيسى الغلام ، وهكذا سبر أغوار النفوس، ونبه ما هجع فيها من رغبات وميول ، وجلاها لأعيننا مستعينا ببصيرته الواعية ، ونظرات من علم النفس .

والشاعر لا يعنى بالتعبير عن عواطفه ومشاعره ، وانما يعنى بالكشف عن أزمة الروح في هذا العصر الذى تصارعت فيه قيم الشرق والغرب ، ويتخذ الحب عزاء ودواء له ، ويعتبر المرأة جزءا منه[3] ، ويعنيه منها روحها وجسدها ، ويستلهمها ، فتلهمه ، ويكشف عن قلقه وضيقه واضطرابه وسأمه ، ويسمو بحبه الى السماء ، أو يعيش به على الارض بين مصارع اللذات والشهوات ، ويدرس نفس المرأة ، ويكشف عن غريزتها ، فغزله

---

(١) انظر قصيدته (بولين) المختار . ص ٧١ ـ ٧٢
(. " (قصة الراهبة بولين) الظمأ . ص ١١٩ ـ ١٥٠
(٢) " قطعته (هيام بولين) المختار . ص ٧٢
(٣) الظمأ . مطبعة المعارف . حلب سنة ١٩٣١ . ص ٤٣ ـ ٤٥

صورة لأزمة روحه ، وحياته على الأرض وصورة للمرأة ٠

ومهما يكن فقد حاول الشاعر أن يحس مطالب العصر وروحه ، وكان حبه السامى والشهوانى ، والشعر الذى نظمه ، والخمر التى ادمنها ، والاعراض عن الله ، والثورة على المعتقدات ، وتصوير الموت الذى طغى على تفكيره ، وسائل يتخذها الى التعبير عن مأساة العرب بعد الحرب التى تم فيها احتكاكهم بالغرب وما حمل معه من قوة وعلم وحضارة ٠

وعلى الرغم من امعانه فى سبل التسلية واللهو ، فانه لم يجد فى الطبيعة والمرأة والهوى والطموح والشعر والخمر واللحن والدين الا اليأس [1] ، ولم يكن بعد ، بعد أن حطم مثله ، وخاب أمله فى الحب والشعر والله ، من أن يعيش هذه الحياة بما فيها من سأم وبغض وكذب ومرارة وألم وخداع ٠

ـ ١٩ ـ

ويشتمل غزل عمر أبى ريشه على وصف حبه الأول وذكراه [2] وأثره فى نفسه وغنائه ، فهو يعيش عليه ، ويستمد منه شعره [3] ، ويعبر غزله عما لقى من عثار الشباب بعد رجوعه من انجلترة ، وما أحس به من سأم وفراغ فى حياته ، ويظل يشير الى ماضيه وما فيه من صفو والهام ، ويتضمن غزله وصف أوهامه وهواجسه وأحلامه ، ويطغى احساسه بالكآبة واليأس على سائر مشاعره ٠

ويصور نفسه فى صورة العاشق الذى عرف كثيرا من النساء ، ثم فرقت الحياة بينه وبينهن ، فسار فى طريق الاثم والشهوات ، ثم التقى ببعض من عرف منهن ، وهنا تجد الشاعر يتوب من ذنبه ، ويحاول أن يعود ، كما كان ، طاهرا نقيا ، لتسكن نفس المحبوبة اليه ، ولكنه يلاحظ أنها تريد الحب الشهوانى [4] ، أو يحس بأنه يريد الاستمتاع بلذات الحب البريئة ، فيمنعه صوت الضمير [5] ٠

وقد يلتقى بامرأة ضلت طريقها فى الحياة ، فيذكر ماضيه معها وحبه لها ويريد أن يروى نفسه منها ، ولكنه يلاحظ انطفاء حسنها

---

(١) انظر قطعته (النتيجة) ٠ الظمأ ٠ ص ٦٧ ـ ٦٨
(٢) " مقطوعته (ذكرى ميت) ٠ المختار ص ٧٣
(٣) " قصيدته (شبح الماضى) ٠ المختار ص ٧٣ ـ ٧٤
(٤) " " (امـرأة) ٠ المختار ص ٧٤
(٥) " بعنوان (خداع) ٠ المختار ص ٧٤ ـ ٧٥

فيتركها ويمضي[1].

وكان يبتدع القصص لينفس عن صدره[2]، ويطلق عواطفه الحبيسة، ويتخذ الطبيعة اطارا لها، ويروي أحاسيسه الظمأى بما يعرض من مفاتن الجسد وصور الحسن، ومع أن صوره من عمل الخيال فانها تصدق في تصوير مشاعره، فهو شاب مهتاج العاطفة، ينشد المرأة ليهدهد ميوله، ويطرد عن نفسه السأم الذي عراها من جدب الحياة، ويلجأ الى الخيال ليرضي غريزته الفتية، ويروي نفسه الظمأى.

وفي شعره صورتان للمرأة، صورة تجعلها غذاء النفس، وملهي الروح، وسبيل الهدى، ومتعة الحس، وصورة تعرضها من لحم ودم، وفي هذه الصورة يظهر قدها المريان، وشعرها الجعد، ونهدها المتحجر الخافق، وخصرها المتلوى، وعروقها التي تولول بالشهوة، والمرأة عند الشاعر، فتنة الطبيعة، وأقوى ما بالوجود من أنواء، وهي تثير في الرجل عواصف الحب والشهوة والبغض والوفاء والرياء.

فالشاعر صور حبه، وحاجته الى الحب، واحساسه بالسأم والكآبة وجدب الحياة، ووصف جمال المرأة، فأشبه الشعراء السابقين الذين عبروا عن عواطفهم، ونشدوا المرأة في مجالي الحياة، وأفاضوا عليها عواطفهم وخيالاتهم.

وتابع عليا الناصر في صياغة القصة الشعرية، والاستعانة بعلم النفس على تصوير الأشخاص، فنظم قصة (جان دارك)[3]، وقصة ديك الجن[4] مع جاريته الحسناء، غير أنه جار في تحليل شخصية (جان دارك)، اذ علل بطولتها في حرب العدو المحتل بأنها تصعيد للغريزة الجنسية، فدلل بهذا على تأثير علم النفس التحليلي في الأدب الحديث، واذا كان قد جار في تحليل شخصية جان دارك، وأغفل وصف الجانب الروحي في كفاحها، فانه وفق في تصوير ديك الجن الذي قتل جاريته حين أدركته الشيخوخة وأحس بالضعف والعجز عن اشباع ميولها الجنسية، وخاف أن تصير الى غيره فيروي نفسه منها وتروي نفسها منه في حياته هو.

(١) انظر قصيدته (عاصفة) المختار ص ٧٥
(٢) انظر قصيدته بعنوان (ضجر) ديوان شعر. مطبعة العصر الجديد. حلب سنة ١٩٣٦ ص ٩٢ — ٩٨، المختار ص ١٤٩ — ١٥٠
(٣) انظر قصيدته (جان دارك) المختار. ص ٧٥ — ٧٦
(٤) " " (كأس) المختار. ص ٧٦

— ٢٠ —

ويقوم وصف المرأة فى الغزل على تصوير جمال الحس، ويدور هذا الجمال حول القوام والشعر ، والجبهة ، والجبين ، والصدغ ، والعين، والخد ، والثغر ، واللمى ، والاسنان ، والعنق ، والنهد ، والخصر، ويتناول وصف الجمال بعض شمائل المرأة من اشراق ، ووضاحة ، وهيف، ورشاقة ، وطلاقة ، ووداعة ، وخفر ، وحياء ، ورقة ، ورهافة ، ويتناول صفاتها من دلال ، واختيال ، وغنج ، وفتور ، ويضيف أكثر الشعراء الى جمال الحس شيئا من الجمال المعنوى الذى يبدو فى طيب الحديث ، وعذوبة الصوت ، وجمال الغناء ، فلا يعدون قول بشار :

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وتلك الأوصاف لا تخرج فى مجموعها عن أوصاف المرأة فى العصر الجاهلى ، وفى العصور التى تلته ، فقد كان الغزل فى الجاهلية ضربا من الوصف الحسى الذى يتناول أجزاء المرأة ، واستمر هذا الوصف فى الغزل، فى صدر الاسلام وفى عصر بنى أميه وان عنى الغزل بوصف نفس العاشق، كما استمر الوصف الحسى فى غزل العصر العباسى والعصور المتأخرة .

وكان ذوق العرب فى الجمال[(١)] ذوق الفطرة السليمة التى لم يفسدها الترف ، ولم تغيرها بدع الحضارة ، وكانوا يستحسنون من جمال المرأة الوضاحة والهيف والرشاقة والخفر ، ويشيدون بهذه الشمائل فى كل ما روى من غزل البداوة ، وكانوا يحبون مع الهيف والرشاقة أن تكون المرأة بارزة النهد والردف ، فلما انتهم النعمة ، وأخذوا يترفعون عن عيشة البداوة والاشتغال برعى الشاء والابل ، باهوا بكسل المرأة وتنعمها ، ونومها الى الضحى ، وفرط غضارتها ، لأن هذا كله عنوان الغنى ، والاستغناء والدلال على الرجال ، وبرز فى أوصاف المرأة، الى جانب الهيف ودقة الخصور ، صفات البدانة والضخامة والترف والتنعم التى قلما ينساها الشاعر فى وصف حسناء ، وعنى الشاعر العربى بوصف جمال الفم من ملامح الوجه ، فندرت قصيدة تخلو من التنويه به ، ومتعة تقبيله ، ورشف رضابه .

على أن أوصاف البدانة والضخامة التى ظهرت فى الغزل الاسلامى

---

(١) انظر كتاب (شاعر الغزل) عباس محمود العقاد . مطبعة المعارف بمصر سنة ص ٩١ـ١٠٢

قد غابت في غزل شعراء سورية ، لأن ذوق الناس في هذا العصر أخذ يميل عنها الى غيرها من أوصاف المرأة ٠

ومع تقدم العصر ، وتغير النظرة الى المرأة ، فان الشعر ما يزال يصور ترف المرأة وزينتها التي غلبت عليها في العصر العباسي ، ونجد هذا عند خير الدين الزركلي وخليل مردم وبدوي الجبل ، ومحمد الفراتي (١) وبدر الدين الحامد وعمر يحيي وجميل سلطان ، وقد يصور الشعر طبقة من النساء تشبه الجواري اللائي كن يشعن في حياة العصر العباسي أفانين اللهو والعبث ٠

ونجد في شعر علي الناصر وعمر أبي ريشة نزعة الى الأدب المكشوف وهي من آثار اطلاعهما على الشعر الغربي ، ولها شبيه في الأدب العربي في شعر امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة ، من شعراء الجاهلية والاسلام ، وفي شعر بشار وطبقة من الشعراء في صدر الدولة العباسية ٠

وخلاصة القول أن ذوق الشعراء في ادراك الجمال ذوق مصنوع قد كونوه لأنفسهم من خلال قراءتهم للشعر العربي ، وتوفرهم على حفظه وتقليده ٠

— ٢١ —

كان ذوق الشعراء في ادراك الجمال مصنوعا لأنهم داروا في غزلهم على أوصاف واحدة ، ولا يمكن تعليل هذه الأوصاف الا بأنها تقليد للشعراء القدماء ، وكانت المرأة عند الشاعر المعاصر موضوعا للغزل والوصف ، ولم يكن له صلة بها ، أو ذوق في ادراك جمالها ، وكان يعبر عن الحاجة اليها ، ويصف ظمأ حسه الى الارتواء ، ويقتصر في عرض جمالها على الوصف المادي حتى غدا جمال الحس مقوما للمرأة في الغزل ، وانما كان هذا لاحتجاب المرأة ، وبعدها عن المجتمع ، وانقطاع صلتها بالرجل ، ولذا وجدنا الشاعر ينشد المرأة ، ويتغنى بعاطفته أكثر مما يتغنى بالمرأة . ويصور حاجته اليها أكثر مما يصورها ذاتها ، وما اللثم والشم والضم ورشف الرضاب ، والاسهاب في تصوير المشاعر الا دليل على احتجاب المرأة ، وبعدها عن الرجل ، واحتياج الرجل اليها ، فالمرأة توحي من بعيد ، والشاعر يستنزل الوحي ، واذا أحب المرأة ، أو تشهاها ، استحضر طيفها ، فناجاه ، وعبر عن مشاعره ٠

---

(١) انظر ديوان الفراتي ٠ ص ٢٣١ — ٢٣٢

غير أن المرأة لا تحتجب طويلا ، وسرعان ما تتصلم ، وتظهر في المجتمع ويتصل بها الرجل في البيئات الشرقية المتقدمة أو في الغرب ، فيتاح له أن يعرف هذا المخلوق ، وقد كانت بيئة لبنان ذات أثر في الغزل، اذ أتيح للشاعر فيها أن يتصل بالمرأة ، ويلمس أثر هذا الاتصال في حياته وفنه ، ولعل أوضح مثل لهذا ديوان الطهيب وجيه البارودى وبعض القصائد في شعر أنور العطار ورفيق الفاخورى وبدر الدين الحامد ، وأمجد الطرابلسي ، وعلى الناصر وعمر أبى ريشه ، وهؤلاء الثلاثة الاخيرون عرفوا المرأة في الغرب ، فولد هذا في أنفسهم ألوانا مختلفة من الشعور.

فالطرابلسي ، في باريس، ينقسم على نفسه ، ويعيش أحوالا مختلفة فيكون الليلة ، والطفلة ، والناسك ، والفاجر السكران ، والشاعر ، والأهوج ، والمبتهل المؤمن ، والماجن ، وتكون المرأة والهرقة واللعبة والفرحة والدمعة والنغمة والخمرة والجحيم والجنة والسبحة والنهمة والجسد والفكرة ، وتكون دليلته وحوريته (1).

وعلى الناصر يرى المرأة خمرا ومعبدا ولهما ، ويعتبرها المثال الأكمل للفن الذى أبدعته الحياة ، ويحس بأنها جزء من الرجل ، ويرفعها منارا له ، ويجعلها سبيله الى التسامي ، ويجدها قادرة على أن تملأ حياته بضع لحظات ، وهو يرتفع بها الى السماء ، أو يعيش معها على الأرض لحظات ، فيعرف جسدها ، ويدرس نفسها ، ويكشف عن غرائزها .

وعمر أبو ريشة يرى المرأة فتنة الطبيعة ، ويعتبرها أقوى أنواع الوجود ، فهي تثير في الرجل عواصف الحب والشهوة والبغض والوفاء والرياء ، ويصور بعض النساء ينشدن المتعة في الحب ، ويعرض مفاتن الجسد عرضا مثيرا للشعور ، ويستمتع باللذات ، ويصور نفس المرأة ، وأثرها في حياة الرجل .

تلك هي صورة المرأة في الغزل التقليدى ، وصورتها في الشعر الذى حمل قبسا من شعر الغرب .

— ٢٢ —

والغزل ، يصور نفس العاشق ، ويصف شمائل المحبوب وخلقه ، ويعبر عن ظمأ الحس ، وعن الحاجة الى الحب ، ويستعيد ذكريات الحب ،

---

(1) المختار . ص ١٤٥

ويقص أخباره ، ويبين أثره ، ويقف على الأطلال ، فيعبر عن عواطف البين والشوق ، ويسمي أحبائنا ببعض الأماكن ، ويتغزل ببعض الاسماء التي تغزل بها الشعراء القدامى ، ويستمد الأوصاف من البيئة العربية، فيذكر المها والغزلان والظباء ، ويمزج وصف الحب والحبيب بوصف الطبيعة، وتتردد فيه نغمة الحزن التي هي صدى نغمة الحزن في الشعر العربي، وترجيع لأصداء المرحلة التاريخية في النفوس·

وذكر الأطلال ، ووصفها ، والتعبير عن عواطف البين والشوق والحنين ، وتشبيه النساء بالظباء والغزلان ، وذكر بعض الأماكن والاسماء والأزهار والاشجار ، هي ظواهر وعناصر أدبية لا يحسن تركها ، ويستحسن أن يضاف اليها أساليب وعناصر جديدة ·

وملامح الغزل تقوم على الخطوط الرئيسية التالية :

أ)) وصف الشاعر والخواطر التقليدية ومزجها بأحاسيس العصر وصور الطبيعة ·

ب)) وصف جمال المحبوب وخلقه وزينته ·

جـ)) وصف ظمأ الحس·

واختلف الشعراء في تصوير تلك الملامح ، فبعضهم صورها كلها، وآخرون صوروا بعضها دون بعضها الآخر ، فخير الدين الزركلي وخليل مردم ، وبدوي الجبل ، ومحمد الفراتي وبدر الدين الحامد وعمر يحيى وجميل سلطان ومحيي الدين الدرويش ، صوروا نفوسهم ، ووصفوا جمال المحبوب، واستمتعوا أو تاقوا الى الاستمتاع بجماله ·

ولم يظهر جمال المحبوب في غزل رفيق الفاخوري وأمجد الطرابلسي وزكي المحاسني ووجيه البارودي،واقتصر غزلهم على تصوير أثر الحب في نفوسهم ، وتبدل نظرتهم الى الكون والحياة ، وأوضح ما يكون هذا في غزل الفاخوري ، ونجد وصفا لأثر الحب في بعض غزل جميل سلطان، وسمات من الغزل الصوفي في قصيدة المحاسني ·

ووصف البارودي الحب وأثره ، ولذاذاته ، وعذابه ، وأشواقه ، وخيالاته ، وقص أخباره ، وبين ما فيه من قيم ، وعرض أجواءه المختلفة ·

وظهر في شعر علي الناصر ، وعمر أبي ريشة نزعة الى الأدب المكشوف، اذ عرض أبو ريشة مفاتن الجسد، وصور ثورة الشهوات ، وصور علي الناصر شذوذ بعض النساء··

وقد قام غزل الجاهليين على الوصف الحسي ، فوصف المرأة وأجزاءها ، وفي صدر الاسلام وعصر بني امية ، أضاف الغزل ، الى وصفه المرأة ، تصوير نفس العاشق ، وفي العصر العباسي حافظ الغزل على هاتين الدعامتين ، ولكن رنة الصدق ضعفت في التعبير عن العواطف والمشاعر ، وساد الغزل تكلف وتصنع ، وفسد ذوق العربي في ادراك الجمال فغدا مصنوعا بعد أن كان فطريا ، وأشاعت الحضارة أفانين الترف والزينة في حياة الناس ، وبرز الجمال المصنوع المتكلف فقال المتنبي يفرق بين حسن الحاضرة والبادية :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

وفي الاندلس انعكست الطبيعة في صور الغزل ·

وقد تأثر غزل الفراتي بالغزل في مختلف عصور الأدب ، وتأثر غزل عمر يحيي والفاخوري والبارودي بالغزل الاسلامي ، وتأثر غزل خليل مردم وبدر الدين الحامد وعمر يحيي بالغزل العباسي ، وتأثر غزل زكي المحاسني بالغزل الصوفي ، وتأثر شعر على الناصر وأبي ريشة بالغزل العربي والشعر الغربي ، فنحن ، اذاً ، امام شعر يظهر فيه أثر الشعر العربي ، وشعر يظهر فيه أثر الشعر العربي والغربي معا ·

- ٢٣ -

ويمتاز الغزل بالخصائص الآتية :

أ)) لم يكن للشاعر مثل اعلى في الحب ، وكان يقصد الى تصوير النفس ، ووصف جمال المحبوب ، وامتاع الحس ، فالغزل ليس عذريا ولا اباحيا ، ولكنه مزيج من وصف النفس ووصف جمال المحبوب ·

ب)) يضعف بعض الغزل ، الى التعبير عن عاطفة الحب ، ووصف النفس التي تفتحت في الشباب ، وانطلقت الى مجالي الطبيعة تبحث عن الحب والحبيب ، وتشكو بؤسها ، وما حال بينها وبين الحب كما في شعر بدوي الجبل وعمر يحيي وبدر الدين الحامد ·

ج)) قد يكون الغزل ماديا حسيا ، وقد يسمو الى عالم بعيد عن الأرض ، فيصف الاماني والأحلام والخلود في الحب ، وقد يتردد الشاعر بين السمو في الحب وبين العيش على الأرض والاستمتاع باللذات من شم ولثم وضم ، وقد يبين الغزل عن عفة وطهر وصدق واخلاص ، وقد يصور جموح الغرائز وثورة الشهوات ، وقد يجمع بين الصدق والرغبة

فى الاستمتاع وبين السمو فوق الواقع ، وهذا يسم الغزل بسمة الواقعية مرة والمثالية مرة أخرى ، والتردد بين الواقع والمثال يظهر فى الغزل العربى ، فهو ، فى العصر الجاهلى ، يصف المرأة وصفا حسيا ، وفى عصر صدر الاسلام وبنى أمية ، يصف نفس العاشق ، وفى العصر العباسى يجمع بين الوصفين ، ويتكلف فى التعبير عن عاطفة الحب ، ووصف جمال المرأة ، ويصف جانب اللهو والعبث والمجون فى حياة الناس، ويتدرج من التعبير عن المعانى البسيطة الساذجة الى المعانى المعقدة التى تفنن فى ابتكارها الشعراء، وفى نهاية العصر العباسى ، تغلب عليه المحسنات اللفظية ، وهكذا يترجح الغزل بين الواقع والمثال •

و)) نحس فى الغزل بنغمة حزن هى استمرار لنغمة الحزن فى الغزل العربى ، ذلك أن تصوير عواطف الحنين والبين والشوق قد أكسب الغزل العربى نغمة حزن ، وارتفع بالعاطفة الى مستوى عال من النبل والصفاء، ويضاف ، الى نغمة الحزن التقليدية ، أثر العصر ، وما عاناه الشاعر فى حياته من فقر ويتم وحرمان ، غير أن تلك النغمة تخف مع تقدم العصر ، وتختفى فى غزل بعض الشعراء••

هـ)) يغيب وصف جمال المحبوب فى غزل الشعراء ، ويحل محله وصف جسد المرأة والغرائز والشهوات كما فى شعر على الناصر وعمر أبى ريشة اللذين تأثرا بالشعر الغربى،وهذا الوصف يعكس مادية العصر •

و)) لا تظهر شخصية الشاعر فى غزله ظهورا واضحا لأن أكثر الشعراء يطبعون على غرار القدماء، ولا يميز الغزل شاعرا من شاعر الا فى وقت متأخر يعى فيه المرء ذاته ، ويتصل بالمرأة ، ويمتزج بها ، ويشاركها وتشاركه • كما فى شعر على الناصر وعمر أبى ريشة ووجيه البارودى •

ز)) يصور الغزل مشاعر الاسى والحزن والوجوم واليأس والتشاؤم التى استبدت بالنفوس اثر قيام الاحتلال ، ويعكس آثار مرحلة النضال ويبرز الصراع الذى قام بين النزعة الوجدانية والنزعة القومية ، وما انتهى اليه من توليد المشاعر التى تؤلف احساس العصر •

ح)) واحساس العصر يصور حالة نفسية معينة ، ويطبع غزل الشعراء بطابع خاص يقويه اطلاع بعضهم على الشعر الرومانسى الذى يتغنى بالوحدة والعزلة والكآبة والسأم والطبيعة ، وقد شكا الشاعر فى سورية قسوة الدهر ، وضيعة الآمال ، وعذاب النفس ، وشقاءها بالحب ، وضيقها بالحياة ، وسأمها منها ، وتاق الى عالم بعيد عن الارض، ونشد الوحدة

والعزلة فى أحضان الطبيعة ٠

ط)) يدل الغزل على غياب المرأة عن المجتمع حين يصور الحاجة الى الحب ، ويسهب فى وصف العواطف والمشاعر ، ويردد الشكوى من قسوة الدهر ، ويتغنى بالعذاب ٠

ى)) لا يصور الغزل حالة عقلية ، ولا يعكس تطورا فى الحياة الا فى أواخر العقد الثالث من هذا القرن ، اذ تظهر المرأة التى عرفها الشاعر ، فى الغزل ، وهذا التطور فى الحياة الاجتماعية يظهر فى لبنان أولا بسبب اتصاله بالغرب وبسبب بعثة الجامعة الاميركية التى اختلط فيها الجنسان ، ثم خرجوا منها يحملون بذور الحرية فى أنفسهم ، وينقلونها الى بيئاتهم الاولى ، ونلمس هذا فى شعر على الناصر الذى عرف اوربة والمرأة فيها ، وتردد على لبنان ، وفى شعر عمر أبى ريشة الذى درس فى الجامعة الاميركية ببيروت ، وفى انجلترة، وفى شعر البارودى الذى درس الطب فى الجامعة ذاتها ، ثم يظهر تطور الحياة الاجتماعية فى البيئات الداخلية كبيئة دمشق وحلب وحمص٠

ى)) بعض الغزل يزينه وصف الطبيعة وهو من آثار الشعر القديم ولاسيما الأندلسى ، ومن آثار البيئة الطبيعية الاولى التى عاش فيها الشاعر ، ونجد صورا من طبيعة جبل العلويين فى شعر بدوى الجبل، وصورا من طبيعة حلب فى شعر عمر أبى ريشة ، وصورا من طبيعة حماة فى شعر بدر الدين الحامد وعمر يحيى ، وصورا من طبيعة دمشق فى شعر أمجد الطرابلسى وأنور العطار ٠

ك)) كان الغزل عند أكثر الشعراء غاية لا وسيلة الى غيره من الاغراض ، وانقسموا فريقين فى التعبير عن أنفسهم ، فمنهم من غلبت عليه المعانى والصور التقليدية ، ومنهم من تحرر منها ، وعبر عما شعر به وعرض آراءه فى الحب ، ونظرته الى الحياة والكون والمرأة ، وربما كان محمد الفراتى أكثر الشعراء تأثرا بالغزل التقليدى ، اذ جعل الغزل وسيلة الى غيره من الاغراض ، وردد معانى الاقدمين وصورهم ، ونحا نحوهم ، فوقف على الديار ، ووصف الأطلال ، وعبر عن عواطف البين والشوق والحنين ، ووصف جمال المحبوب وصفا حسيا ، وتغنى بمشاعر تقليدية ٠

ل)) عرف البارودى بالغزل وحده من بين فنون الشعر ، فاختص

به ، وامتاز من بين الشعراء بأنه نقد عادات المجتمع ، وصور نفس المرأة ، ولذات الحب ، وقص ما وقع له مع النساء ، وصور الحب الأول ، وأثره في النفس ، وعرض بمشات متعددة ، وأظهر تطور المجتمع، ووصف تطور المرأة ، وأثرها في الشعر ، وجلاقيم الجمال والفن والشعر والحب والغنى والفقر .

م)) الغزل أكثره تقليدي لا يصدر عن الفطرة والسليقة ، وهو متكلف مصنوع ، ويظهر فيه أثر الشعر القديم ، والشاعر شاعر طريقة تقليدية لا شاعر نفسه وقلبه ، وهذا يعود الى تأثر الشاعر بالقديم، وغياب المرأة عن المجتمع ، وجدب النفس التي لم تتفتح للثقافات والآداب الأجنبية .

ن)) وأقوى ما يميز الغزل هو طابع التقليد الذي يبدو في

١ ـ وصف العواطف والمشاعر والميول والاهواء والخواطر .

٢ ـ وصف جمال المحبوب

٣ ـ وصف الرغبة في الاستمتاع بالحب أو وصف الاستمتاع به

٤ ـ نغمة الحزن التي يولدها الاكثار من ذكر عواطف البين والشوق والحنين

٥ ـ التشبيهات والاستعارات المستمدة من البيئة العربية .

٦ ـ ذكر الجهات والاماكن ، ووصف الاطلال ، والبكاء عليها ، ووصف ارتحال الركب .

٧ ـ التغني بذكر اسماء معينة تغزل بها الشعراء القدامى كهند وليلى وأسماء وسعاد وريا وسلمى .

٨ ـ طرق موضوعات معينة كموضوع الطيف الذي تخصصت بعض القصائد بوصفه ، وتردد ذكره في بعضها الآخر .

الفصل الثاني

الشعر الوجداني

وصف الطبيعة

كان للظاهرات الطبيعية المكان الأول عند شعراء الجاهلية والاسلام ، وقد وصفوا الأشياء المصنوعة من سيف ورمح ودرع وقسي وسهام ، وكانت الظاهرات الطبيعية تتفق وبيئة الجزيرة العربية ، وهي قسمان :

أ)) الطبيعة الساكنة كالصحراء والجبال والرمال.

ب)) والكائنات الحية المتحركة ، وهي ما اشتملت عليه بيئة الجزيرة من دواب وحشية أو مستأنسة كالابل والخيل والحمر الوحشية والنعام والغزلان .

وكان للطبيعة المتحركة المكان الأول في الشعر الجاهلي ، وللابل المكان الأول في الوصف كله ، وكان الشعراء يوجزون في وصف الطبيعة الساكنة كالصحراء والريح والليل ، ويسهبون في وصف الناقة أو الفرس.

وفي العصر العباسي ، ألف الشعراء حياة المدن ومرافق الحضارة ، فاتسع الوصف ، وتعددت الموضوعات التي تشتمل على كثير من الأشياء المصنوعة ، ووصف الشعراء ، فضلا عن الظاهرات الطبيعية ، حياة المدن وما فيها من عناصر الحضارة ، واتسعت الموضوعات باتساع البيئة العربية ، وأثر اختلاف البيئات الطبيعية في الوصف ، فوصف الشعراء الربيع والزهر والرياض وسقوط الثلج والأنهار والأشجار والثمار التي تمتاز بها البيئات الجديدة ، واتسع الوصف لمستحدثات الحضارة كالقصور والسفن والبساتين والدواليب والسواقي والأقلام والصحف ووصف الشراب والطعام وأدواتهما ، وتعمق الشعراء في الوصف ، فأخذ الشاعر يخصص قصيدة كاملة أو جزءا كبيرا منها لوصف شيء واحد كما فعل البحتري في وصف ايوان كسرى ووصف الذئب (1) .

وفي الاندلس وجد الشعراء أنفسهم في بلاد متحضرة ، وطبيعة تمتاز بالجمال والجلال ، فانقطعوا للنظر في محاسنها ، وتأملوا مشاهدها

---

(1) مستخلصة من كتاب التوجيه الأدبي . ص ١٨١ - ١٨٤

وما فيها من جمال الألوان وتناسق الاشياء ، وانغمسوا في الترف ، وسمعوا الغناء ، ووصفوا كل ما وقع عليه بصرهم ، فتنوع الوصف ، وامتاز بما فيه تشبيهات بديعة وأوصاف جميلة وضروب من الخيال لم يعرفها شعراء المشرق ، وابتدعوا الموشح ليملأ ثموا بين حياتهم وفنهم ، وجاء الوصف مشتملا على وصف المباني والحدائق والأشجار والانهار وظواهر الطبيعة .

وتوسع شعراء الشام في فن الوصف وتنوعوا فيه لسببين :

أ)) أولهما جمال بيئتهم وكثرة ما فيها من مناظر الطبيعة الرائعة كالجبال الشاهقة التي تكللت رؤوسها بالسحب ، والمروج النضرة ، والجداول المتسلسلة بين بساتين الفاكهة ، وحدائق الأزهار ، والسحب ، ونزول المطر والثلج والبرد ، وصحة الهواء ، واعتدال الفصول ، وتميز بعضها من بعض ، وهذا قد وسع المجال للخيال ووفر له مادة الوصف .

ب)) وثانيهما قرب الشام من العراق منشأ الحضارة العربية ، ومن الجزيرة مهد الفصاحة الأولى ، وكان عند أهلها ، في ذلك العهد ، بقية منها ، وكان اتصالهم بالشام أيسر عليهم من اتصالهم بمصر ، ولذلك تجد أغلب سكان شرقي الشام من البدو أو المتطبعين بطباعهم .

— ٢ —

وقد ورد شعراء سورية موارد الشعر العربي في عصوره المختلفة ، فوجدوا أمامهم معينا لا ينضب من شعر الطبيعة ، واطلع بعضهم على الشعر الغربي ، فجاءهم بموضوعات جديدة في الوصف ، ورسم لهم طريقة في وصف الموضوع ، وزودهم بنظرة الى الطبيعة تخالف ما عرفوه في الشعر القديم ، وكان هذا ثمرة لاحتكاك العرب بالغرب قبل الحرب الأولى وبعدها ، واطلاع القوم على الثقافة والحضارة الغربية ، وانفتاح أفق جديد أمام الشعراء والأدباء .

ومهما يكن فقد اجتمعت اسباب كثيرة لتفوق شعراء سورية في الوصف ، ويمكن اجمال العوامل المعينة عليه في الأمور الآتية :

أ)) جمال البيئة الطبيعية وتنوعها .

ب)) اعتدال الفصول ، وتميز بعضها من بعض .

جـ)) تحضر سكان المدن وبعدهم عن حياة البادية .

د)) الرغبة عن التكسب بالشعر ، فالشعراء بعدوا عن قصور الخلفاء والأمراء وحدائقها ونافوراتها وبركها ، وانصرفوا الى وصف الطبيعة التى تكتنفهم ، فهاموا بها وسكنوا اليها ، وشكوا اليها بثهم وحزنهم ٠

هـ)) الانعتاق من اسار الصنعة اللفظية التى غلبت على الشعراء فى العصور المتأخرة ٠

و))اتباع الاقدمين فى الوصف وموضوعاته وطريقته ، ومجاراة الغربيين فى بعض ماوصفوه ، وفى طريقتهم فى الوصف ، ونظرتهم الى الطبيعة ٠

ـ ٣ ـ

واحتلت الطبيعة مكانا بارزا فى الشعر العربى بسورية ، فوصف الشعراء الافلاك ، والأطيار ، والصحراء ، والانهار ، والشلال ، والبحر ، والرياض ، والأزهار ، والاشجار ، والمتنزهات ، والفصول ، والليل ، الشروق والهجيرة ، والاصيل ، والمساء ، والاقمار ، والاطلال ، والمدن ٠

واستنفدت الطبيعة الساكنة معظم موضوعات الوصف ، وغاب وصف الطبيعة الحية المتحركة عن الشعر أو كاد ، فلم يبق منه الا وصف الطير ، ويتردد عند أكثر الشعراء ، ووصف الخيل والنوق وحمر الوحش ونجده عند محمد الفراتى وحده ، أما الاشياء المصنوعة فلا يبدو منها غير المدن والمتنزهات والدواليب ٠

وقد كثر شعر الوصف ، ووجد بين الشعراء من تخصص به ، فجاء ديوانه مشتملا ، فى معظمه ، على وصف الطبيعة ، ولم يهتم أحد بما نظمه فى الغزل أو السياسة أو الاجتماع ، ويتضح هذا فى ديوان أنور العطار ٠

ـ ٤ ـ

ووصف الافلاك مذيل بنظرة تأمل واعتبار ، وتغلب عليه الصفة الموضوعية ، فخير الدين الزركلى يصف الشمس،[1] فيعرض الطبيعة فى حالتى طلوعها واحتجابها ، ولا يضمن الوصف معنى مبتكرا أو احساسا ذاتيا ٠

وخليل مردم يصف الشمس[2] وصفا مجردا من عواطفه الذاتية ، فيصورها من الشروق الى الغروب ، ويقرن كل منظر من مناظرها بصورة من الصور ،

(١) ديوان الزركلى ٠ ص ٣٠ (٢) المختار ٠ ص ٧٧ ـ ٧٨

فيمثلي الوصف بالمناظر المتتابعة والصور المختلفة ، ويكشف عن سعة في الخيال ودقة في التشبيه والمقارنة بين الأشياء ، ويظهر فيه أثر الشعر القديم ، وأثر بيئة دمشق التي امتازت بظاهرات طبيعية متنوعة .

واذا كان الشاعر قد امتاز بدقة الوصف والتشبيه ، فانه بدا متأثرا بموقف الشاعر القديم من موضوعات الوصف حين قال :

نبت اللهم ايماني فقد ظلنها يوما أبو الرسل الهها
أنت عظمت الضحى والشمس اذ قلت : والشمس ، يمينا ، وضحاها

فالعربي عاش في بيئة تمتاز بالمناظر الصحراوية المكرورة التي كانت تحفز الى التأمل في الخالق وحكمة صنعه أكثر مما تحفز الى التصوير الشعري المسهب ، وظلت هذه النزعة الدينية ، التي عززتها في نفوس العرب تنشئتهم الدينية في الاسلام ، تغلب الشعراء على الاستمتاع بروائع الجمال الطبيعي ، فيقفون موقف المعتبر الخاشع لا موقف المتأمل المستمتع بالجمال .(1)

وهذه الهيبة ، التي يستشعرها الشاعر أمام الشيء الموصوف تحول بينه وبين الجري وراء ما يصوره له الخيال من مناظر السحر والابداع ، وهذا ما نلمحه في موقف خليل مردم ، فقد خشي أن ينتهي به تعظيم الشمس الى ما انتهى اليه ابراهيم حين جعل الشمس له الها .

ويقلب الفراتي طرفه في النجوم فيعتبر بخلودها ، وبعظمة الفلك الذي تسبح فيه ويناجي الزهرة(2) فيراها رمز الحب والخلود والجمال ، ويلاحظ خطرتها في الأفق عند طلوع الصبح ، ويعتبر بخلودها وفناء من شهدها من الأرباب والماضين .

والاعتبار ذاته موقف ساذج يدل على التواء في استرسال الفكر ، وفرار من التأمل والوصف ، والموقف موقف استمتاع بالجمال وتصوير له لا موقف اعتبار ووعظ ، وموقف الاعتبار يعكس تأثر الشاعر بالقديم ، فقد كان بعض الشعراء القدامى يضيق باعهم في وصف الطبيعة قبل أن يقولوا في المنظر المجلو أمامهم أبياتا ، ويدركهم العجز والاحالة ، فيسبحون بقدرة الباريء ، ويعتبرون بملكوته .

---

(1) مجلة (الرسالة) المصرية . السنة الرابعة ١٩٣٦ . العدد ١٧٢ ص ١٦٩٠

(2) ديوان الفراتي . ص ٢٢٥

ـ ٥ ـ

وتمتد على لوحة الطير ظلال المرحلة التاريخية والعاطفة الشخصية والذات ، فيبدو الوصف مطبوعا بطابع ذاتي ، وتظهر النزعة الوجدانية والنزعة الوطنية والقومية في القصيدة الواحدة ٠

فشفيق جبري تغلب على قلبه نزعة وجدانية ، فيحاول أن يفصح عنها بشعره ، فيبدأ بمناجاة الطير (١) ، ثم تنقلب هذه النزعة الى نزعة وطنية مجاراة للبيئة والعصر ، فتخفى الروح الوجدانية وتظهر الروح الوطنية ، ونراه يدور ، في قصائده ، على حرية الطير ، وأسر الشاعر ، وغناء الطير المرسل ، وغناء الشاعر المقيد بالوزن ، ويمتزج الشاعر بالطير فيشاركه في مصابه ، ويضفي على سجعه معنى النوح ، ويتلهف عليه ، ويحاول أن يعرف سبب حزنه ، ويشكو اليه بثه وحزنه ، ويرجو عونه في الأسر ، ويبكي ، وينشد الحرية ، ويذكر ما نزل بوطنه من الشدائد ، ويؤمل في الغد ، ويتمنى أن يعيش حرا مثل الحمام ٠

وقد كان شفيق جبري أظهر الشعراء في مناجاة الطير ، وتبعه عدد منهم فتأثروه في معانيه وأسلوبه ٠

فبدوي الجبل يصور بلبله (٢) بعد وقوعه في يد الصياد ، فيحزن عليه ، وتشاركه الطبيعة في الحزن ، ويصور عيشه الحر وتغريده في الربى من قبل ، وتمتد على القصيدة ظلال المرحلة التاريخية والعاطفة الذاتية ، فالصياد رمز الى الأجنبي ، ونغمات الأسى والكآبة تتردد في جوانب القصيدة فتطبعها بطابع ذاتي ، والصمت يسود الطبيعة ، وأجزاؤها تتجاوب ، والشاعر يتخذها اطارا لعواطفه وذكرياته في الحب ٠

والفراتي يشجيه تغريد الحمام (٣) ، فيصور مشاعره ، ويذكر الخطوب النازلة ويشير الى سكوت القوم ٠

وعمر يحيى (٤) يتردد في شعره بين النزعة الوجدانية والقومية ، ويتابع شفيق جبري في مناجاة الطير والامتزاج به ، فيصف همه واضطرابه وعشقه ، ويذكر الماضي المجيد ، ويمتزج بالطير فيسأله أن يعيره جناحيه عله يطير فوق بلاد العرب ويستوثق من حماتها الأسود ، ويناجي

---

(١) المختار ص ٧٨   (٢) المختار ٠ ص ٧٨ ـ ٧٩

(٣) المختار ص ٧٩   (٤) المختار ٠ ص ٧٩

الطير الذى يثيره بنغماته ، فيشكو اليه بثه وحزنه على الماضى ، ويحبذ عيشه فى الطبيعة ، ويقرن غناءه المرسل بغناء الشاعر المقيد ، ويسأل ، فى لهب ، عما به وعن سبب حزنه ، ويعجب من بكائه وسكوت الانسان الذى لا يحفل العزة والهون ·

وأنور العطار يشعر فى الحمامة (١) ، فيظهر فى شعره آثار مرحلة النضال ، فالحمامة تبث السرو حزنها لما عراها من خطب ، وتودع البستان ، وتهوى على النهر باكية ، والشاعر يفسر الخطب النازل ، ويجده فى زمرة من القانصين ، ويصور الحمامة ، وقد ضمت الى صدرها أفراخا باكية ، وراحت تؤم فسيح الفياض ، وتندب الأوطان ·

وتضمنت قصيدة عمر أبى ريشة (مصرع هزار (٢)) اشارات بليغة الى ظروف المرحلة التاريخية ، فالمغانى الموحشة هى الديار ، والهزار هو الشاعر ، والأذى هو الشر النازل بالقوم ، والنوح والصرخة الحزينة والآلام هى آلام الشاعر والقوم ، والذكريات التى لاحت للهزار هى أفراح الديار فى عهد الاستقلال ، وموت الهزار يعكس يأس الشاعر والقوم ·

ومناجاة الطير والامتزاج به ، وتحميله مشاعر الانسان ، والبوح بالأشجان ، نجدها فى الشعر العربى ، فالعباس بن الأحنف يقول :

يا بعيد الدار عن وطنه	مفردا يبكى على شجنه
كلما جد الرحيل به	زادت الأسقام فى بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجى	طائر يبكى على فننه
شفه ما شفنى فبكى	كلنا يبكى على سكنه

وأبو فراس الحمدانى يناجى الحمامة فى احدى رومياته ، فيصف نوحها ، ويعجب لحزنها وهى حرة فى الغصن العالى ، ثم يمتزج بها فيقاسمها همومها ، ويصور ما هو فيه من ضعف الروح والجسم ، ويقرن بين حاله وحال الحمامة ، فهو مأسور ضاحك ومحزون ساكت ، وهى طليقة باكية ، وسالمة نادبة ، ثم يظهر أنه أولى منها بالنوح ·

واذا كان أثر الشعر القديم قد ظهر فى مناجاة الطير ، فان أثر الشعر الغربى الذى اطلع عليه بعض الشعراء قد بدا فيما نظموه من شعر فى هذا الموضوع ·

---

(١) المختار ص ٧٩ ـ ٨٠ (٢) المختار · ص ٨٠

فهذا رفيق الفاخوري يناجي الطائر (١) ، ويوسع اطار الوصف حتى يشتمل على الخميلة ، والمساء والنهر ، ويصور ذاته ، ويجنح الى التأمل في الوجود ، ويسحب شعوره على لوحة الوصف ، فهو سأمان حزين يرتاح الى غناء الطائر الذي يذهب عنه الضجر ، ويمتزج بالطائر فيسأله أن يغني لحنا يتفق وحزنه ، ويرى في حمرة الشفق جرحا يستنفد حياته ، ويصور النهر يجري مثقل الخطو مغضن الجبهة ، وقد انطوى في مسراه على محنة ، ومل خريره المعاد المكرور ، ويرى الوجود مصنعا يولد أسباب الشر والفساد ، وينفض همه على غناء الطائر ويصور حظه المنكود وأحزانه التي يضاعفها الليل ، ويقرن حاله بحال الطائر ، ويغبطه بعيشه الذي هو صفو بلا كدر وعيش مختصر .

فالشاعر يسحب شعوره على الطبيعة ، ويجنح الى النظر والتأمل في الوجود ، فتصطبغ القطعة بصبغة ذاتية ، والطبيعة يلفها الصمت ، ولا يشقه الا مسرى النهر ، وغناء الطائر الذي يعلو ثم يغيب في سكون المساء ، والشاعر يحب الطبيعة ، ويفر اليها فيصحبها وحيدا ، ويكتفي بما يجد فيها من سحر وجمال ، فلا يدعو نديمه الى شرب الراح وترنم الأوتار فعل البحتري ، ويجلو ما فيها من صفو وأمن ، ويجعل حياة الطائر مثالا للعيش المنشود .

والنزعة الرومانسية واضحة في الدعوة الى العيش في الطبيعة والامتزاج بها ، وهي واضحة في الافصاح عن الذات ، وتصوير مشاعر الحزن والسأم والضيق ، والتأمل في الوجود وحياة الانسان على الأرض ، وظهور تلك النزعة دليل على ما كان لاتصال العرب بالغرب من أثر في أدبهم الذي صاغوه ، ونهجوا فيه طريقا خاصة في التعبير عن ذواتهم وتصوير الطبيعة تصويرا ممزوجا بأنفسهم .

وهذا عمر أبو ريشة يصور نسرا (٢) هجر وكره في ذرى الجبال ، وهبط السفح حيث أخذت تتبارى عصائب الطير ، وسقط فوق شلو من الاشلاء ، ويصور بغاث الطير تدفعه عنه ، فتثور كبرياؤه ، ويصاف الأرض ، ويصعد في الجو حتى يغيب عن العين ، ثم يزعق زعقة تملأ الآفاق ، ويهوى ميتا على الذرى في وكره المهجور ، ويخاطب النسر سائلا اياه عما اذا كان سيعود هو الى وكره كما عاد .

---

(١) المختار . ص ١٣٣ - ١٣٤ (٢) المختار . ص ٨٠ - ٨١

والنسر رمز الى الشاعر ، وحالته النفسية ، فهو قد شك في قيمة الفن وجدواه في الحياة ، فهجر عالمه ، وهبط الارض يضطرب فيها مع الناس ، ويسعى وراء المنصب والجاه والصيت ، ولكنه لم يرتح الى مسعاه ، فأخذ يشوق الى عالمه الاول ، ومن هنا قامت أزمة في نفس الشاعر وبدأ عمر الفنان يتضاءل عمر الانسان ، فالنسر صورة للشاعر ومظهر لاضطرابه بين الفن والحياة ، وانتحاره رمز الى العذاب الذي يشقى به الشاعر في بعده عن الفن ، ورمز الى ثورة الفنان على الانسان الذي تعلق بالمجد الأرضي الزائل ·

وصورة الرمز هذه مأخوذة عن الشعراء في الغرب ، والشاعر يلجأ اليها ليوضح فكرته وعاطفته توضيحا كبيرا ، ونجدها عند بودلير وموسيه ودي فيني ·

فطير البحر (L'Albatros) تتبع السفينة ، فيقبض عليها البحارة ، ويضعونها على الألواح ، فتنسحب أجنحتها الكبيرة على جنوبها ، ويلتفت الشاعر الى هذا الطائر فيرميه بالغباوة والضعف لما بدا فيه من جهل وخجل ، ويصوره عرضة للهزء والسخرية ، فهذا يزعج منقاره بغليونه ، وهذا يقلد عجزه وضعفه بعرجه ، ويجعل بودلير الشاعر على الأرض شبيها بذلك الطائر الذي كان يخالط العواصف ، ويهزأ بالسهام ، ثم هبط الأرض وسط الضجة الساخرة ، وأعاقه جناحاه الكبيران عن المسير ·

فالرمز ، في القصيدة ، أفصح عن فكرة بودلير وعاطفته ، فالشاعر ، في رأيه ، ألف التحليق في الجو والبعد عن الواقع ، فاذا خالط الناس تعرض لأذاهم وشرهم ، وصعب عليه العيش بينهم ·

و (البجعة) طائر ينطلق في الجو ليكسب غذاء فراخه ، فيطوف ما يطوف ، ثم يأوى الى عشه دون أن يجد شيئا ، فيقوم أمام فراخه فيبقر بطنه بمنقاره ، ويخرج أحشاءه ليطعمها اياها ، وصورة الرمز تفصح عن فكرة موسيه ، ومؤداها أن الشاعر يشقى ويتألم في سبيل الفن الذي يروي الناس ويطربهم ، وأن الفن ذوب الألم ·

وقصيدة (القارورة في البحر) لفيني تتضمن قصة بحارة يدركهم الغرق ، وهم يقومون برحلة بحرية ، ويسجلون مايلاحظون ، فيجعلون ملاحظاتهم في قارورة ، ويلقونها في الماء ، فتتقاذفها الأمواج ، وترمي بها

الى الشاطىء ، فيلتقطها صياد ، ويطلع على ما فيها ، والقصيدة ترمز الى الشاعر الذى يلقى بأفكاره فى خضم الحياة ، ثم يمضى وتبقى بعده خالدة تتناقلها الأجيال.

ولا شك فى أن أبا ريشة قد اطلع على صور الرمز فى الشعر الغربى ، وأفاد منها فى نظمه كما فى قصيدته نسر ، وقد ذكر أنه اطلع على بودلير وبو ، وأعجب بشعرهما فقال [١] : " وأحب الشعراء الى هما بو وبودلير اللذان صرفت الساعات الطوال فى مطالعة آثارهما، فهما أشبه بلونب صور فى حانوت رسام كيفما حركته وجدت صورا جديدة تختلف كل صورة عن أختها ، وفى كل منها رمز ينقلك من أفق الى أفق ، فلا تشعر بملل ولا تحس بتعب " .

— ٦ —

وقد عاش محمد الفراتى فى دير الزور ، وتنقل فى بيئات عربية صحراوية كالعراق والبحرين والحجاز ، ووصف طبيعة الصحراء وما فيها من نبات وحيوان [٢] ، وعرض ظاهرة الآل التى تخفى الربا والوهاد وجانبا من الحياة يقوم على الصيد [٣] ، وكان القدامى يصفون الصحراء وما فيها من حيوان ونبات ، ويصفون ابلهم وما يرون من نجوم السماء ، ويصفون الخيل والسلاح والصيد وأدوات الحرب، وما يلقون من شدة فى جهادهم لكسب الأمن والحياة .

ويقص على الناصر حكاية بدوى [٤] ضل فى الصحراء ، وأحس بالظمأ، وهبت عليه الريح السموم ، ثم جن عليه الليل فرأى نجمة القطب، وعلق طرفه بها عسى أن تهديه السبيل الى الحى ، ولبث واقفا ينتظر العون من عالم الغيب .

والقصيدة رمز الى الشاعر ومأساته ، فهو قد شقى وحار فى أمره ، وسعى وراء المجهول فلم ينته الى شىء ، وظل مضطربا حائر الفكر ينتظر أن يهدأ ويستقر على حال من الأحوال .

---

(١) مجلة الحديث . حلب المجلد ١٠ الجزء ١ ص١٥٦

(٢) انظر قصيدته (البداوة والحضارة) المختار . ص ٨١

(٣) انظر قصيدته (خواطر البادية) المختار . ص ٨١ — ٨٢

(٤) المختار . ص ٨٢

واذا كان وصف الصحراء عند الفراتي يعكس أثر الشعر القديم في الشعر الحديث ، فان صورة الرمز في قصيدة (البدوي الضال) تظهر أثر الشعر الغربي الذي ينقل الشاعر المعاصر الى أفق جديد ، ووضع أمامه أنموذجا في الوصف ·

ـ ٧ ـ

وذكر بدر الدين الحامد نهر العاصي[(١)] في معرض وصفه للناعورة، ثم ناجاه في قصيدة له معتبرا به مفصحا عن نزعته الوجدانية والقومية ·

ووقف عمر يحيي على العاصي في الأصيل فصور دولاب الناعورة وأغفل وصف النهر ، ثم وقف عليه في ضوء القمر فشغل بوصف الطبيعة عنه ·

ووصف أنور العطار نهر بردى[(٢)] ، فظهرت في وصفه آثار النزعة الوجدانية والقومية ، وقد امتزج بالنهر ، ورسم له خط السير الذي يبتدئ بماضي القوم من عهد غسان وينتهي بحاضرهم ·

ويبدو في وصف العطار للنهر سمات من الرومانسية ، فالنهر والطبيعة يمتزج كلاهما بالآخر ، والشاعر يمتزج بالنهر ويناجيه مفصحا عن وجدانه ، ويسهب في الوصف ·

ووصف جميل سلطان بردى[(٣)] ، فصور الطبيعة من حوله ، وعبر عن نزعته القومية ·

ومثل عمر أبو ريشة حالة الركود[(٤)] ، التي تعتري النفس بعد معاناة المشاق والتغلب عليها ، في صورة نهر يتدفق في الربى ، ويقتلع الجذور، ويشق الصخور ، ثم يبلغ السهل فيسيل فيه هادئا مطمئنا ·

وسمات الرومانسية في قصيدة أنور العطار وصورة الرمز عند عمر أبي ريشة تعكسان أثر الشعر الغربي في الشعر العربي الحديث·

ووصف النهر ذاتي في جملته ، وتغلب على الشاعر فيه نزعة وجدانية، ثم تنقلب هذه النزعة الى نزعة قومية مجاراة للبيئة وأحوال العصر ·

ـ ٨ ـ

ويصف الزركلي الشلال[(٥)] ، فيصور صمته في الطبيعة ، ويعبر عن ولهه

(١) المختار · ص ٨٢ (٢) المختار · ص ٨٢ ـ ٨٣
(٣) المختار · ص ٨٤ (٤) المختار · ص ٨٤
(٥) ديوان الزركلي ص٥٣

بهما ، ويحمل الشلال مشاعره فيبدو مثله هدف المصائب ٠

ويصف المحاسني شلال دفنة[١] في المساء ،ومجالس الخمر والأفراح في المتنزه ، ويصور روحه وحياته ، ويفصح عن حبه وأشجانه ، فتجتمع في قصيدته لوحتان : لوحة تصور الشلال ، ولوحة تصور الذات ، غير أن الثانية أرحب من الأولى ، فالذات محور القصيدة ، والطبيعة اطار لمواصف الشاعر وذكرياته ٠

وفي القصيدة سمات الرومانسية ، فالشاعر يصور جمال الطبيعة ومجالس الأنس، ويعبر عن نزعته الوجدانية فيصور ذاته ومشاعره وذكرياته في الحب ، ويمتزج بالطبيعة ، ويطلق في جوها عواطفه ٠

ـ ٩ ـ

ويقف شفيق جبري أمام البحر[٢] فيفصح عن نزعته الوجدانية ، ويقرن بين اضطراب البحر وبين صدره ، ويرى البحر يعبر بالعاصفات عن غضبه وبالموج عن لواعجه ،كما يفصح الشعر عن لواعج الشاعر ، ثم تنقلب النزعة الوجدانية الى نزعة قومية ، فيعجب لحال العرب الذين آلو الى الذل بعد العز ٠

ويقف محمد الشريقي[٣] أمام البحر متأملا مصورا معتبرا ، فيصور موقف الشاعر من الطبيعة والجمال وذاته المفطورة على الحنان ، ويصف شاطئ البحر وما يضطرب فيه من موج ، ويصف الريح والطير والحوت الميت والطود والصخر ، ثم يعتبر بخلود البحر وفناء الملوك ، ويجد ده واعظا ملهما ، ويصف الأفق وشمس الأصيل وارتفاع صوت الناقوس ونداء المؤذن وهبوط الظلام وطلوع الكواكب وامتلاء الكون بالسحر والجمال ، ويمثل حال الانسان في صورة مركب تاه في لج البحر ، ويرى الوجود لغزا تحار في ادراكه العقول ٠

والوصف ذاتي مشوب بنظرات التأمل والاعتبار ٠

ويتخذ علي الناصر[٤] من البحر والموج والمد والجزر والبرق والرعد والأنواء والأفق والسفينة والربان عناصر أدبية لتمثيل اضطراب روحه وقلقه وشكوكه ، اذ يسأل الربان أن يترك السفينة توجهها الأنواء والأمواج أنى شاءت ، فيشير ، بهذا ، الى اضطرابه وقلقه في الحياة التي

---

(١) المختار ٠ ص ٨٥ (٢) المختار ٠ ص ٨٥ ـ ٨٦
(٣) المختار ٠ ص ٨٦ ـ ٨٧ (٤) المختار ٠ ص ٨٧ ـ ٨٨

يبرلها نا مجموعة من المصادفات ، كما يشير الى شكه في وجود قوة عليا تدبر الكون وتصرف شئونه •

ويمثل عمر أبو ريشة حالة الغرور[1] في صورة سفينة تمخر بحرا هائجا ، وتشق أمواجه وهو يرغى ويزبد وتمضي فيه غافلة عن بطشه ، ثم يرميها على الشاطئ قطعا ممزقة •

ـ ١٠ ـ

ويقف محمد الفراتي في روضة[2] ، فيصور مناظر من الطبيعة ، وينشد الوحدة والعزلة فيها ، ويبكي الربوع التي حرمت عليه ويذكر المجد التليد ، فيعبر عن نزعته القومية • بعد النزعة الوجدانية •

والحامد يصف روضة[3] وما فيها من شجر وثمر وورد وماء ، ويحس برقة الهواء وتضوع العطر ، ويصور الروضة في الأصيل فيسوق أوصافا عامة تنطبق على كل روضة ، ويبدو الوصف موضوعيا لا أثر فيه لنفس الشاعر•

ويقف عمر يحيى في روضة[4] هبت عليها الريح ، فيصور الدوح المصرى والورد المصوح والحمائم الساكنة ، ثم يفزع الى الخالق شاكيا قسوة المصائب التي لاتفرق بين القوى والضعيف ، وبذا يتوقف عن التأمل والوصف ليعتبر ويفكر فيما أصاب الروض ، وما آلت اليه أفانين الحسن بعد هبوب الريح الحارة •

ويصف أنور العطار غوطة دمشق[5] ، فتغلب على وصفه نزعة رومانسية ، اذ يصور مظاهر الطبيعة ، ويتغنى بما فيها من سحر وجمال ، ويجعلها معتبره ونعيمه ومتعة نفسه ووحي فكره وحلمه وغناءه وجارته ، ويمتزج بها ، ويشاركها وتشاركه ، ويعتبر نفسه غرسة من غراسها ونشيدا ترد ده أطيارها ، ويدعو الى العيش في أحضانها ، ويجلو ما فيها من طهر وقداسة وأمن وسكينة •

والوصف ذاتي ، وفيه اسهاب وصور معادة مكرورة وتفكك في أجزاء القصيدة ، ويبدو أن الشاعر لا يخضع لخطة معينة في النظم•

ويصف أمجد الطرابلسي فاجعة الروض[6] الذى هبت عليه الريح السموم ، فيكون الوصف سبيله الى البوح بمعتقداته وتصوير مثله

(١) المختار • ص ٨٨ (٢) المختار • ص ٨٨ ـ ٨٩
(٣) المختار • ص ٨٩ (٤) المختار • ص ٨٩
(٥) المختار • ص ٨٩ ـ ٩٠ (٦) المختار • ص ٩٠

العليا وبيان دور الشاعر فى الحياة ، فهو يثور على الجور الذى تمثل فى الربيع ، وينشد العدل والمساواة والرحمة للكائنات جميعها ، ويصور الشاعر الذى شقى بما رزق من فرط الشعور ورقة القلب ، وخلق ليغنى ويطرب الناس ، فأشبه رسولا جاء يخلص البشرية من عذابها ، وتنشد ان العدالة والسلام فى الأرض وبيان دور الشاعر فى الحياة والتوجع لما يتنزل من مصاب تدخل فى مضمون الأدب الرومانسى ·

— ١١ —

ويرى عمر يحيى فى الوردة[١] معانى اللطافة والنعومة والجمال والتواضع والذبول والفناء ، فيتخذها سبيلا الى التعبير عن وجده بالمحبوبة ، ويجعلها رسولا اليها ، ويسألها أن تذبل بين يديها علها تعتبر بذبولها وذوى الزهر فى الاغصان ، فتلين بعد قسوة ، وتصل بعد هجر·

ويجد فيها رمز المنى[٢] ومحاسن الآمال وربيع النفس وجمال الصبا ، ويجد فى خضرة الآس[٣] الدائمة معنى الثبات ، فيمده على المجتمع ، ويذكر الخلان الذين يشبهون الزهر فى تغيرهم ·

وقد ظهرت ، فى وصفه للورد ، آثار من الرومانسية ، فالشاعر محزون ذاهل يعيش فى ظلام ، وهو يؤم الطبيعة فيبث الوردة شكواه ، ويقرن بين حاليهما ، ويجد فيها ما تتوق اليه نفسه من ربيع النفس وجمال الصبا ، ويضفى الهيام على تغريد البلبل ، فالطبيعة مفزعة فى همه وحزنه ، وهو يمتزج بها ويشاركها وتشاركه ·

وظهرت فى وصفه آثار الفروق بين طبقات المجتمع ، فالآس الذى يحمله الناس الى قبور موتاهم يزينه الغنى بورق الذهب ، ويبلله الفقير بدموعه ·

وفى ديوانه ما يدل على معرفته بالفرنسية واطلاعه على الأدب الرومانسى فهو يترجم عن الفرنسية بعض القطع ، ويشارك الغرب فى ذكرى لامارتين[٤] فينظم قطعة يجلو فيها أدبه وما يمتاز به من نغم شجى وتغن بالأسى والهوى والنوى ·

---

(١) انظر قصيدته (رسالة الورد) · المختار ص ٩١
(٢) " " (فى مناجاة الورد) · المختار ص ٩١
(٣) " " (الآس) · المختار ص ٩١ — ٩٢
(٤) البراعم · ص ١٠

ويرمز علي الناصر ببنفسجته[1] الى امرأة أحبها ، فيصفها ، ويضفي عليها ما عرفه في امرأته من صفات ، ويحزن لذبولها وموتها ٠

ويصف الياسمين[2] فيخلع عليه صفات الشاعر ، فالياسمين يسهر الليل مناجيا النوار ، ويعبر عما يكنه للبدر من وجد بما يرسل من عطر ، وهو في الروض شاعر الأزهار ، وشاعرنا يغالي في حبه اذ يخشى أن يهب النسيم عليه ، ويتساقط الطل فوقه ، وتقطفه الأوانس٠

ويصف أثر الأزهار فيه فيرى أنها تحرك فكره وقلبه ، وتثير هواه ٠

وزهرة آذار[3] ، عند أمجد الطرابلسي ، صور في الطبيعة وأثر في النفس ، والشاعر يعنى بوصف الاثر أكثر مما يعنى بنقل صور الزهرة والروض ، ومرد هذا الى قوة العاطفة وسلطانها عليه ، وكأنه يتوسل بوصف الزهرة والطبيعة الى التعبير عن مشاعره وتصوير آماله وأحلامه التي يخشى عليها من الزمان الظالم وفي هذا بعض صفات الرومانتيكية ٠

ووصف الورد ذاتي في جملته ، والشاعر يفصح به عن نزعته الوجدانية ، ويظهر فيه أثر من الرومانتيكية ٠

ـ ١٢ ـ

ويقف أمجد الطرابلسي في ظلال الأرز[4] ، فينفض ما علق بنفسه من آثار الرومانسية ، فهو يبحث عن الجمال واللحن في المكان البعيد ، ولمس المكان الا أحلام الرومانسيين التي يجهلونها ، ويفر من زحمة الوجود الى الفيافي التماسا للعزلة وبعدا عن المجتمع وما فيه من شر وفساد ، ويضن بقلبه أن يبذله لانه منبع الحب والشعر والسعادة ، ويجده عزاء له في حماته ، ويجعل نفسه نبيا في الوجود فينشد الحنان والعطف والرحمة للانسان والحيوان والخير والشرير ، ويمحض لامارتين خالص الود والاجلال ، ويشهد أنه تأثر به ، ويحس بوجود قوة عليا تتحكم في مصير الانسان ٠

وما تقدم من مشاعر وأفكار يكون دعائم الرومانسية ٠

---

(١) انظر مقطوعته (بنفسجتي) ٠ المختار ص ٩٣

(٢) المختار ٠ ص ٩٣ (٣) المختار ٠ ص ٩٢

(٤) المختار ٠ ص ٩٣ـ٩٤

ويصف أنور العطار الشجرة فيصور اكتساءها وعريها وزينتها وجمالها ، ويبين منافعها للناس وآثارها في الحس والشعور والفكر ·

ـ ١٣ ـ

ويصف عمر يحيى متنزه دفنة[1] قرب أنطاكية ، فيشغل عنه بوصف مجالسه وما فيها من مرح وصفو وجمال ، ثم ينتقل الى وصف ماضيه وأحاسيس قلبه ، ويتذكر عيشه في حماة ، ويصف المرأة التي حركته ، وهكذا تشترك الطبيعة والمرأة في اثارته والهامه ·

ويصف الحامد متنزه الميماس[2] على العاصي بظاهر حمص فيقوم وصفه على نقل الواقع ، ولا يبدو فيه احساس حي أو معنى مبتكر ، ويجري فيه الشاعر على غرار الأوائل ، فالورد مخضل بالندى ، والنسيم يعبث بالغصون ، ويدغدغ النهر ، والطير يغرد على الأغصان ، والأصيل ذهب

ويصور أنور العطار دمر[3] غربي دمشق فيبث الحياة في كل شيء ، ويكون التشخيص عماد الوصف ، ويعبر عن نزعته الوجدانية فيصف هيامه بوادي دمر ، وخلود الوادي لما فيه من فتنة وسحر ، ويمحضه حبه ، ويتغنى به ·

والوصف ذاتي ، والتشخيص عماده ، والصور يعروها الجمود بعد الحركة ، والوصف يغلب عليه الاسهاب ، فتطول القصيدة ويغدو طولها طابعا عاما يميز شعر العطار من شعر غيره من الشعراء الشباب ·

ـ ١٤ ـ

ويقص محمد الغزاتي ما وقع له في ليلة ماطرة[4] فتشتمل القصة على مناظر أربعة :

أ)) خروج الشاعر الى الضاحية في الغسق على المهر ·

ب)) استقبال عمار لضيفه واكرامه ومسامرته ·

جـ)) هطول المطر ، وما رافقه من برق ورعد ، وما نتج عنه من سيل فاض به الوادي ·

د)) طلوع الصبح ، واشراق الشمس ، ودبيب الحياة في الطبيعة ·

وقد مهد المنظران الأولان لوصف ثورة الطبيعة ، وكان الأخير عودة بالطبيعة الى سيرتها الأولى ·

---

(١) المختار · ص ٩٤ (٢) المختار · ص ٩٥
(٣) المختار · ص ٩٥ (٤) المختار · ص ٩٥ ـ ٩٦

وجو القصة محبب الى النفس التى ملت حياة المدينة ، اذ يطالع الانسان فى القصيدة بساطة الحياة فى الطبيعة وجمالها وصفوها ، وقد بث الشاعر الحياة والحركة فى القصيدة ففى المنظر الأول يبدو المهر حتى يسبح بالعرق ، وفى الثانى نسمع خرير الجدول وصوت ربا زوج عمار ، ونشاهد اسراع عمار الى لقاء الضيف واستقباله ومد البسط واضرام نار القرى ، ونسمع السمر ، وفى الثالث نرى وميض البرق ، ونسمع دوى الرعد ، ونشاهد تحدر السيل ، ونحس بخوف الناس وقلقهم وسكون الطبيعة بعد ثورتها ، وفى الرابع تطلع الشمس ، وتتفتح الأزهار ، وتطير الطير ، وتخرج الانعام الى المرعى .

والقصة ظلال مدها الشاعر بريشته الندية فأضفت عليها طابعا انسانيا حتى بدت ذات حياة ورونق وماء ، فالمهر يسبح بالعرق ، والضاحية شجراء ، وبها جدول ماء له خرير ، وصوت ربا يرتفع سائلا عن الطارق ، وعمار يقرى الضيف ويسامره على ضوء النار ، والقوم يعوذون بالله من ثورة الطبيعة ، والزهرة تبدو عند طلوع الصبح فيضاحكها زهر الربى ، والطير فى وكناتها تمد أعناقها من خلل الورق شوقا الى الربى ، والشمس تشرق ، والطير تطير ، والرعيان يخرجون بأنعامهم الى المرعى .

والمناظر متنوعة ، والصور حية متحركة وهى ذات ظلال وماء .

ويصف بدر الدين الحامد روضة الشتاء [1] ، فيعرض صورا من حاضر الروضة كتساقط المطر وعرى الشجر وشدة البرد وهبوب الرياح وجمود المياه ، ثم يستعيد ماضى الروضة حين كانت مغتسل الغوانى ومرتع الغرام ، وكان ماؤها مزاج الخمر ، ثم يعبر عن احساسه الخاص بالشتاء ، ووصفه لا يعدو أن يكون نقلا للواقع الذى يراه كل انسان .

ويعرض عمر أبو ريشة صورا من الشتاء فى قصيدته (سكون) [2] فيعنى بوصف ذاته أكثر مما يعنى بالشتاء ، ويجىء وصف الطبيعة امتدادا ذاتيا لشعوره الشخصى ، فهو يحس بالبرد فيسأل صاحبته أن توقد النار ، وتكف عن اغرائه بمفاتن جسمها ، ثم ينطلق الى الطبيعة فيرينا تساقط الثلج ووميض البرق ، ويسمعنا دوى الرعد ، ويصور ذوبان الثلج بحرارة الشمس وعرى الاشجار وتكسر الاغصان وعبوس الحياة ، ويسأل صاحبته ، وهى تبكى ، أن تؤمل عودة الربيع وظهور العرون ودبيب النشاط فى الكون

---

(١) المختار . ص ٩٦ _ ٩٧ (٢) المختار . ص ٩٧ _ ٩٨

وأخيرا يعود الى ذاته التى انطلق منها ، فيصف كآبته ويأسه وأهواء قلبه وتعزيه بالشعر الباكى ، فالذات ، اذا ، منطلق الشاعر ومنتهاه ، فهو يطوف ما يطوف فى الطبيعة ، ثم يأوى الى نفسه واصفا ما هو فيه من هم وكآبة ، وهكذا تغدو القصيدة فيضانا عاطفيا كئيبا لاحساسات وأفكار تصدر عن ذات تستسلم لأهوائها وآمالها ، وتغدو تصويرا للطبيعة فى الشتاء .

— ١٥ —

ويصف بدر الدين الحامد الربيع (١) ، فيصور ما تراه عينه وما يحس به قلبه ، ويذيل الوصف بنظرات تأمل واعتبار

وتشتمل لوحة الوصف على الشمس والانجاد والاغوار والنهر والازهار ، ونحس بهبوب النسيم واهتزاز الروض ، ونسمع خرير الماء وحفيف الشجر وتغريد الطير ، ونشم ريح الورد .

ويتذكر الشاعر عمره ، ويحس بالهيام يحرك قلبه ويبعث ذكرى ندمانه ، فيطلب أن ترد لباناته عليه :

ويجد الربيع نعمى ودنيا من الشباب كل ما فيها طروب ، ويدعو الى اطراح الهموم ، ويرى أن العيش كفاح والدهر غلاب وساعات السرور قلائل ، فيدعو الى اغتنام أوقات السرور ومزج الخمر بالماء والشراب .

ونظرة الشاعر فى الطبيعة كنظرة القدماء ، فهم يرون أنها لا تقدم اليهم لذة تامة ونشوة كاملة ، ولذلك تجدهم يتبعون الوصف بالدعوة الى الغناء والشراب ليكمل أنسهم وسرورهم ، ولا يدل هذا على شغف بالطبيعة أو حسن فهم لجمالها فأحب ما تكون الطبيعة الى عاشقها الصادق وهو يصحبها وحيدا دونما حاجة الى الشراب أو الغناء أو الغزل .

وربيع عمر يحيى ربيع البائس (٢) ، وانما كان بائسا لبعده عن حماة ، وهو يتصور الربيع بخياله فيعرض صورا منه ، ثم يرغب عن الوصف ، فيترحم على عهد أنس ويدعو له بالسقيا ، ويندب حال الغادة المنعمة التى انتهت الى شقاء ، ويصور حال الولهان يهيجه الطير ، ويشتاق الى المغنى ، ويقاسى النوى ، فربيعه ، اذا ، هو ما يثيره فى نفسه من

(١) المختار ، ص ٩٨ (٢) المختار ، ص ٩٨

معان وما يبعث في قلبه من أحاسيس .

ويجد على الناصر في الربيع[١] أجلى مظهر للنشاط الذى يدب في الكائنات ، ويحس بالربيع في نفسه ، ويؤلف بين ذاته والكون، فربيعه هو ما يحس به من نشاط في الكون وفي نفسه .

ويصف أنور العطار الربيع[٢] فلا يعتمد خطة معينة في النظم، ويكرر بعض المعاني من جزء الى جزء ، فيكون الوصف مسهبا ، وتتداخل في القصيدة لوحتان لوحة الربيع ولوحة الذات فيكون الوصف ذاتيا .

وتبدو على الوصف مسحة من الرومانسية ، فالشاعر يغني رغم ألمه ، وقلبه في أسى وعذاب ، ويؤمن بأن الله خلقه للالم والعذاب، ويشعر بضعفه أمامه ، ويتلذذ بالالم ، ويحس بالفناء وقصر العمر فيدعو حبيبه الى اغتنام أوقات السرور ، ويتغنى بالحب ، ويدعو الى اثارة الحب بالبكاء والوجد ، ويمتزج هو والحبيب أحدهما بالآخر فيستحيلان غناء ، ويصور مشاهد من الطبيعة ، فنرى جمال الروض وتفتح الزهر ولمعان المياه وعشاش الطير ، ونشم العطر ، ونسمع تغريد الطير وخرير الجدول ، ونحس بشيوع الغناء في الطبيعة وفرحة الشاعر الذى يغني ، ويقود الناس الى الطبيعة .

والشعور الصادر عن الالم العظيم ، والاستسلام لما قدر على الشاعر من ألم وعذاب ، والايمان بقوة عليا تتحكم في الانسان ، والتلذذ بالالم والتغني به وبالقلب المعذب ، والاحساس بالفناء وقصر الحياة ، والتغني بالحب والامتزاج بالحبيب ، ورسم مشاهد من الطبيعة ، وسحب الذات عليها ، تلك هي أشهر ملامح الرومانسية في قصيدة العطار .

فالقصيدة امتداد ذاتي ، وانطلاق خيالي ، وتصوير مشاهد من الطبيعة ، وتنويع لألوانها ، وأحلام في الحب ، ورقي في الاحساس أو هي وصف للواقع الملون بصور شتى ومزجه برؤى الشاعر **وخيالاته** وأحاسيسه .

وتغلب على زكي المحاسني نزعة وجدانية في وصف آذار أمه[٣] ، فالحزن مقيم بنفسه لفجيعته بها ، وذكراها ماثلة في خاطره ، والآس رمز لبقاء الذكرى في النفس، وربيعه يتمثل في ذكرى امه التي

---

(١) المختار . ص ٩٨ ـ ٩٩ (٢) المختار . ص ٩٩

(٣) المختار . ص ١٠٠

يستعين عليها بمناجاة الطبيعة والشراب تخفيفا لحزنه ·

والقصيدة صرخة قلب ، وذكرى حب عظيم للأم ، وتفن بالعذاب الأبدى الصادر عن فقدها ، وقد استغل الشاعر ذكرى الحب المحطم ، وهو أقوى موضوعات التأملات للامارتين ، ونقلها من ذكرى المحبوبة الى ذكرى الأم ، وغناها قويا صادقا ·

ولم يخرج جميل سلطان ، في وصف الربيع[1] ، عن طريق بعض الشعراء الذين حملوا الوصف عواطفهم الذاتية والقومية ، وكان وصفهم مطبوعا بطابع التقليد ·

— ١٦ —

ويستهل بدر الدين الحامد وصف الخريف[2] بنظرات في الدهر والأيام ، فيدعو الى شرب الراح واطراح الهموم واغتنام الفرص وتحويل عبوس الدهر الى طلاقة ، ثم يعرض صورا من الخريف دون أن يصور أثره في نفسه ·

ويغلب على وصف الخريف[3] عند عمر يحيى النزعة الوجدانية والقومية ، فهو يترحم على الروض الذى هبت عليه الريح فكسرت الغصن ونثرت الزهر ، ويشكو دمعه وضناه ، ويذكر المعذبين ، ويشير الى الوطن الذى احتله العدو ·

وفي قصيدة أنور العطار وصف للخريف[4] وللنفس ، والوصفان متداخلان فهو يغني بقلبه وأشجانه ووحشته ، ثم ينتقل الى وصف الخريف ، وما يوحي به من معنى الموت والفناء ، وما يبدو في مناظره من فتور وخمود وهمود وذبول ، وما يسمع فيه من أصوات الطبيعة ، ثم يستعين بذكرى الحبيب على رسم لوحة تنسيه خريف الطبيعة وما به من وحشة ويغني حبه غناء فيه حزن وتشاؤم وعزاء ، ثم يصور عالمه في الخريف ، وأخيرا يرثي الطبيعة والوادى وعالمه المستطاب من قبل ·

والوصف ذاتي مسهب ، وفيه معان ومناظر معادة مكرورة ، وبروز الذات في القصيدة يطبعها بطابع رومانسي ·

وتضمنت قصيدة جميل سلطان في الخريف[5] مناظر كالطير والشجر

---

(١) المختار · ص ١٠٠ — ١٠١ (٢) المختار · ص ١٠١

(٣) المختار · ص ١٠١ (٤) المختار · ص ١٠١ — ١٠٣

(٥) المختار · ص ١٠٣ — ١٠٤

والشمس والغيم والسحب والورق والاغصان ، وتظهر من ألوان الطبيعة لون الصفرة الذى يميز الشمس وورق الشجر من الشمس والورق فى الفصول الأخرى، وتمثلت الحركة فى مسير الشاعر الى الروض وتدافع السحب فى السماء وتساقط الورق وانتشاره فوق الأرض وتبعثره فى انحاء الروض وتجمعه فى الحفر بفعل الريح ، وتمثلت الأصوات فى لحن الطير ووطء الخطو وتكسر العيدان، وقد جهد الشاعر أن يجعل القصيدة خالصة للوصف، ويجردها من عواطفه الذاتية ، ولكن شعوره الذاتى ظهر حين أحس بروعة الخريف ، وصور حزن الغصن المعرى وتململ الورق لدوسه بالاقدام وأنين العيدان التى تتكسر وعبوس الروض ووحشة النفس.

وقد رسم الشاعر لوحة عامة للخريف ، ولم يرسل نظره متأملا فى الكون والحياة والانسان .

وخريف رفيق الفاخورى يبدو فى الطبيعة وينعكس فى النفس[1]، فأما خريف الطبيعة فيتجلى فى صور يسحب عليها الشاعر شعوره فتنبض بالحس الدقيق ، والصور هى الروض السليب الذى زايلته البهجة ، والأوراق التى عبثت بها الريح ، والطير التى ريعت فاستنفرت أسرابها للرحيل ، والشجر المعرى ، والروض المظلم ، والحياة الهامدة فيه ، والايكة العارية ، والجدول الذى يطوء جريانه .

وتكاد كل صورة تنطق بما يثبها الشاعر من معانى الحزن والبكاء والموت والفناء والوداع والخشوع والسهد والأنين والسأم .

والروض يرين عليه الحزن الصامت ، فاذا كان صوت كان همسة النسيم التى تحسبها زفرة المحتضر ، أو خرير الجدول الذى تظنه أنة مدفونة فى باطنه ، واذا كانت حركة كانت حركة الاطيار التى تبرح الروض، وجريان النهر الطويل الى غير غاية .

وأما خريف النفس فهو انعكاس لخريف الطبيعة ، وأول آثار الخريف هو التجاوب الذى يقوم بين الروض والشاعر ، فالشاعر يمتزج به ، ويشاركه فيرثى لحاله ، ويشفق عليه ، ويدعو أن يبعد عنه الأسى ، ويحزنه بأن ما أتى عليه يأتى على الانسان ، والاثر الثانى هو الاعتبار بتحول الحياة ، والشاعر ينظر فى تقلب الحياة فيرده الى سر مجهول قادر على

---

(١) المختار . ص ١٠٥ - ١٠٦

اسعاد الانسان ، ويتمنى ، بعد هذا ، أن تمحى أسباب السرور والشر، ويسأل النفس أن تحتاط في اقبالها على الحياة ، والاثر الثالث هو النصح والوعظ ، والشاعر يسأل النفس أن تعتاد النعمة وزوالها والموت كيلا تخافه ، ويبين أن الموت نوم يرد الى النفس السكينة والراحة والطمأنينة .

واذا وازنا بين لوحات الخريف وجدنا بينها فروقا واضحة ، فلوحتا الخريف عند بدر الدين الحامد وعمر يحيي ، تختلفان عن لوحات الخريف عند أنور العطار وجميل سلطان ورفيق الفاخوري في طريقة الشعور والتصوير والتأمل والتفكير ، ومرد هذا الاختلاف الى أن الأولين لم يجدا في الشعر القديم نماذج تحتذى في وصف الخريف ، وفقدان هذه النماذج يعود الى أن الربيع قد حظي ، دون غيره من الفصول ، بعناية الشعراء به كأنه هو وحده فصل الجمال والصفاء والحبور ، وكأن بقية الفصول أوان لكسب الرزق كما قال أبو تمام :

دنيا معاش للورى حتى اذا حل الربيع فانما هي منظر

وحبذا لو علم أبو تمام أن الدنيا منظر لمن شاء أن يرى ويشعر في الفصول كلها ، وأن للشتاء أو الخريف سحره وفتنته كما للربيع .

وقد تغنى شعراء الغرب بالخريف ، واستطاع الشعراء الشباب ممن اطلعوا على آداب الغرب أن يجدوا أمامهم نماذج تحتذى في وصف الخريف.

وسأجلو قصائد ثلاثة في الخريف للامارتين وفرلين وبودلير ، لنتبين طريقة الشعراء الفرنسيين في الوصف، ومعانيهم وأحاسيسهم، ومقدار تأثر شعرائنا بلوحات الخريف عندهم ، ومبلغ إفادتهم منها .

لقد حيا لامارتين الغابات والأوراق وأيام الصيف الأخيرة في رحلتها، وصور بقايا الخضرة والأوراق الصفر على الأعشاب وأيام الصحو الأخيرة التي دلت على مضي الصيف وحلول الخريف ، ووصف الشمس تخترق بأشعتها الضعيفة ظلام الغابة لتنير السبيل أمام المار ، وصور الطبيعة ، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وتنظر من وراء الغيم نظرات الوداع التي يتبادلها الصديقان والتي تشبه الابتسامة الاخيرة على الشفاه ، وقارن بينها وبينه ، فهو يتهيأ لتوديع الحياة بعد يأسه من الحياة المديدة ، ويؤمن بالبعث والعودة الى الحياة والاستمتاع بمباهجها التي لم يستمتع بها ، ويحضن الطبيعة خالص وده فيبكيها ، ويصورها جميلة على الرغم من حزنه ، فالشمس جميلة في غمنه ، والهواء يعبق بالعطر ، والضوء يروق ، ويصف ذاته

التى تتردد بين الأمل والتشاؤم ، ويحول على أن يشرب كأس الحياة حتى الثمالة علّه يجد فيها قطرة من عسل ، ويؤمل أن يجد فى المستقبل سعادته ، ويلقى نفسا تحبه وتفهمه ، وأخيرا يعد نفسه لاستقبال الموت مع الزهرة التى تسقط تاركة عطورها للشمس .

فالشاعر لمح فى الخريف معنى الموت ، وشارك الطبيعة فيما تتهيأ لاستقباله من مظاهر العدم ، ووصف يأس نفسه من طول الحياة وأمله فى العودة اليها ولقاء السعادة فى الحب ، ثم مات والزهرة فكان موته معها دليلا على امتزاجه بالطبيعة .

وللشاعر فرلين قصيدة (أغنية الخريف) ، وفيها يشبه الأصوات المنبعثة فى الخريف بتنهدات ممتدة أخرجتها قيثارة فجرحت قلبه بنغمها الراتب المضنى الكليل ، ويرى كل شىء فى الخريف خانقا باهت اللون ، وحين تدق الساعة يتذكر أيامه الخالية فيبكى ، ويضطرب كورقة فى مهب الريح .

والقصيدة حسنة الوقع فى السمع . ويبدو فيها احساس الكآبة والمأس والشاعر يفصح عن حزنه وندمه القوى العميق ، وكأن الأبيات صرخات نفسه ، وقد أراد ، فى تعبيره عن حالته النفسية ، أن ينقل الينا احساسه فى الخريف ، وعنى بالموسيقى والأصوات فسجل أصوات الخريف ودقات الساعة وبكاءه .

وبودلير ، فى قصيدته (غناء الخريف) ، يرى أن الظلمات ستغمر الناس فى الخريف ، ويودع النور الساطع فى أيام الصيف القصيرة ، ويسمع الحطب يهوى الى الأرض ، ويستقر على بلاط الساحات .

ويحس بأن الشتاء سيحل فى كيانه بما يتصف به من غضب وبغض وما يحدثه من قشعريرة ، وما يورث من تعب ، وأن قلبه سيكون كتلة حمراء من جليد كالشمس فى جحيم القطب .

ويتردد فى مسمعه صدى وقع الحطبة على الأرض ، فيحس به مرتعشا ويجده أكثر صمما من صدى المشنقة وهى تجهز للعمل ، ويرى رأسه أشبه ببرج يساقط تحت ضربات (   ) القوى الثقيل .

ويخيل اليه ، ووقع الحطب على الأرض يهدهده ، أن نعشا يسمر على عجل فى ناحية من الانحاء ، ويتساءل عمن يكون الميت ، ويرى أن الضوضاء الغريبة القائمة تؤذن بالرحيل .

ويعلن لصاحبته أنه يحب من عينيها الواسعتين لونهما الأخضر ، وأنه

يراها رمزا للجمال الحلو ، ولكنه يجد كل شئ في الخريف أليما مرا . وأن لاشئ من حب وخلوة بالحبيب وموقد يبعث الدفء يساوي سطوع الشمس فوق البحر.

ويسألها ، وهي ذات القلب الرقيق ، أن تكون له أما وإن بدا ناكرا للجميل سيء الطبع ، وأن تظل الى حين ، وهي الاخت والمحبوبة رمزا الى الوداعة في هذا الخريف وبعد غياب الشمس.

ويعلن لها ، وهي شغله في حياته ، أن القبر خال ينتظر، ويسألها أن تدعه ينعم، وجبهته على ركبتيها ، بالشعاع الأصفر الحلو، ويأسف على انقضاء الصيف الحار المضحي .

وقد أدرك أنور العطار معنى الموت في الخريف ، ولكنه قصره على الطبيعة ، ولم يمده على نفسه كما فعل لامارتين الذي امتزج بالطبيعة وشاركها موتها ، وشعر بقصر الحياة ، وغنى في غفلة الموت عنه ، ولكنه لم يتهيب الموت كما تهيبه بودلير الذي طغت فكرة الموت على خياله ، وبات يتصور القبر وهو ينتظر أن يملأ فراغه .

وتغنى أنور العطار بالحب غناء فيه حزن وتشاؤم وعزاء ، وأمل لامارتين العودة الى الحياة ولقاء السعادة في الحب ، وتسلى بودلير بالحب عن الموت فتغزل بخضرة عيني صاحبته ، ووجدها رمزا للجمال الحلو ، وسألها العطف والحنان ، ووصفها برقة القلب ، وأحس بالراحة والنعيم بجنبها .

وعني أنور العطار بتصوير الطبيعة عناية فاقت عناية الشعراء الفرنسيين بتصويرها ، ولكنه لم يمتزج امتزاج لامارتين بها وان يكن قد شاركها ووقف يرثيها .

وبرزت ذاته ومشاعره في قصيدته ، فتغنى بقلبه وما به من شجن وسقم ووحشة ، وتغنى بهواه اليائس وجده العاثر ، وشارك لامارتين في الافصاح عن يأسه وتشاؤمه كما شارك فرلين في تصوير احساس الكآبة واليأس ، ووصف جرح القلب والبكاء والاضطراب ، وبينما جعل فرلين للخريف قيثارة تتنهد وتجرح القلب بتنهدها جعل العطار القيثارة في نفسه ، ورأى وجوده مفصحا عن الدمع والأسى والشعور فقال :

وبنفسي قيثارة تتشكى وأنا الدمع والاسى والشعور

ولاشك في أن هذه الصورة مستمدة من الشعر الغربي .

وسجل أنور العطار بعض أصوات الخريف كعصف الريح وهوى الدوح والعويل والصراخ والأنة والزفير ، وشبه فرلين الأصوات المنبعثة في الفصل بنغمات القيثارة التي اشبهت التنهدات ، وسجل دقات الساعة وبكاءه ، وسجل بودلير وقع الحطب على الأرض ، وأحس بصداه الذي ذكره بصوت المشنقة وهي تجهز للعمل ، وصت النعش وهو يسمر .

ولا نجد في قصيدة جميل سلطان معنى الموت والفناء أو فكرة الحب أو صورة للذات ، وانما يصور الشاعر الطبيعة فلا يمتزج بها ، ويسجل ما في الخريف من حركة وصوت ، ويبث في الصور معنى الحزن ، ويلحظ صفرة الشمس والورق ، وكنا وجدنا لامارتين يصور بقايا الخضرة والأوراق الصفر على الأعشاب ، ورأينا فرلين يشبه نفسه بورقة ميتة ، ويجد كل شيء في الخريف خانقا باهت اللون ، ويسجل الاصوات المنبعثة في الفصل ، ورأينا بودلير ينعم بالشعاع الاصفر الحلو، ويتخيل أنه يسمع ، علشى وقع الحطب فوق الأرض وتردد صداه في مسمعه ، صوت مشنقة تجهز و~~نعش~~ نعشه يسمر .

وأدرك رفيق الفاخوري معاني الحزن والوداع والبكاء والأنين والفناء والسأم في الطبيعة ، وجلاها فيما صور ، وشارك الطبيعة شعورها ولكنه لم يمتزج بها ولم يفن فيها امتزاج لامارتين بها وفناءه فيها .

وبينما آمن لامارتين بالبعث والعودة الى الحياة، وأمل السعادة في الحب ، لحظ الفاخوري تبدل الحياة وتقلبها ، وآمن بحقيقة الموت ولم يشر الى البعث ، واسترسل في موقف التأمل والاعتبار والنصح .

وعني بتصوير مشاعره فعبر عن الحزن والضنى والكآبة واليأس وكان في مشاعره قريبا من فرلين ، وقد وفق في جعل صور الطبيعة تفصح عن حالته النفسية ، واستخدم الموسيقى في هذا السبيل ، اذ نظم قصيدته على البحر السريع ذي النغمات الرتيبة ، ونوع القافية فتغيرت كل بيتين ، وعبر بهذا عن سأمه .

ولانجد عند الشعراء الشباب امعانا في تصوير الذات ووصف الخيالات والأوهام التي وجدناها عند بودلير ، وكل ما نحس به أنهم قرأوا نماذج من الأدب الرومانسي ، وتأثروا بما قرأوا ، وظهر أثر قراءتهم

فيما صاغوا من شعر .

- ١٧ -

وصور محمد الفراتي الشروق (١) فكشف عن زوال الغسق ، ووضوح الصبح وظهور الشفق، وبياض الفجر الذي ظهر في الافق وأضاء المشرق ، وسجل صوت الطير وعبق الخزامى وتفتح الروض ، واقتصر الوصف على نقل الواقع .

وكان وصف الحامد للصباح (٢) مطبوعا بطابع التقليد ، وقد سجل سجع الحمام وتمايل الزهر، ووصف الحسن بالخلود .

والشروق (٣) ، عند على الناصر ، ايذان ببدء الحياة والحركة في الطبيعة ، فهو يصور دبيب الحياة في الكائنات ، ويجلو ما في الكون من حب وحياة وضياء وشعر وجمال وبهاء ، ثم ينتقل الى الانسان فيصور الشاعر غارقا في الهامه ، وعاشق الورد مأخوذا بأنغامه ، ويسأل الفتاة أن تنشد الشعر وتغني وتسمى وراء الآمال .

فالشاعر مأخوذ بما في الشروق من حياة تغمر الكون ، والشروق حركة في الطبيعة وابداع في النفس وامتداد وتطلع الى الحياة والامل .

- ١٨ -

ويصف الشاعر المساء (٤) فيتخذه اطارا لموضوعه أو فكرته ، وهذا ما نراه عند على الناصر ، فقد صور نفسه وصاحبته واقفين على مرتفع يطل على البحر ، والشمس تغيب ، وبينما كانا يسبحان في عالم الغيب سألته صاحبته أن يأتيها بالشمس ، فقام يجوب البر ويقطع البحر ويطير في الآفاق ليأتيها بها ، ولما جاء ها بها أنكرته .
فالمرأة ، في نظر الشاعر ، قلب ، ومنظر المساء اطار لفكرته .

وقد يتخذ الشاعر المساء موضوعا للتصوير والتأمل في الحياة والكون والتعبير عن المشاعر والخواطر التي يثيرها غروب الشمس وحلول الظلام .

فأمجد الطرابلسي يصور صمت المساء (٥) ، ومغيب الشمس وأشعتها الشاحبة ، والافق المصطبغ بحمرة الشفق ، والراعي الذي ينفخ في الناى

---

(١) المختار . ص ١٠٦
(٢) المختار . ص ١٠٦
(٣) المختار . ص ١٠٦
(٤) المختار . ص ١٠٧
(٥) المختار . ص ١٠٧

وهو يهبط القرية ، والقوم النيام في الأكواخ ، والطيور النادبة ، والمسهد الذي يخفق قلبه ويجهش في ذهول .

ويرى أن الليل والنهار في صراع ، والكون بغي وحروب ، والحياة غلاب ، والحق هين مغصوب ، ويتحسر على انقضاء النهار ، ويكشف عما في المساء من معنى الفناء الذي يأتي على كل شيء .

ويفصح عن نزعته الوجدانية فيصف ليل الخلي والمترفين ، وأحلام العاشق ، وحظ الشاعر المنكود الذي لا ينعم بسكون الكون وهدأة الليل ويجهش في أسى وظلام ، ويتخيل كثرة القلوب والنفوس الوجيعة في الليل ويناجي الاله فيشكو اليه سأمه وظلمة قلبه وتهدمه وما هو فيه من حزن وشكوك وغم .

ويصور الشاعر يقطع الليل مسهدا ذاهل الفكر غارقا في هواجسه ، ويتشوق النور والشدو ، وأخيرا يؤمل النفس بعودة الضياء في الصبح .

ونجد طائفة من تأملاته عند خليل مطران في قصيدته المساء ، فقد شعر خليل بوحشة الغروب ، وانعكس شعوره على الطبيعة فبدت واجمة ، ورأى في الغروب معنى الفناء فبسطه على الكون ، وكان في شعوره بوحشة الغروب وبما يدل عليه قريبا من ابن الرومي في وصف شمس الأصيل . غير أن خليلا سار بمعنى الفناء الى مدى بعيد ، وصوره يلف الكون جميعا ، وجعلنا نأمل بعث الطبيعة عند طلوع الشمس في الغد القريب ، وكذلك وجدنا أمجد الطرابلسي يؤمل النفس بعودة الضياء في الصبح .

وتظهر في الوصف آثار مرحلة النضال ، فالشاعر يصرح أن الكون بغي وحروب ، وسنة الحياة غلاب ، والحق هين مغصوب .

وتظهر آثار الرومانسية في العناية بوصف الطبيعة في المساء ، وعرض سلسلة من التأملات التي تتناول الحياة والكون والانسان ، والافصاح عن النزعة الوجدانية التي غلبت على قلب الشاعر فجعلته يتألم ، ويتوجع ، ويتشكى ، ويناجي الاله ، ويشكو اليه بثه وحزنه ، ويصور دور الشاعر في الحياة .

ويصف جميل سلطان المساء (١) فيكون وصفه مطبوعا بطابع التقليد مشوبا بنظرات الاعتبار ، اذ يوصي باغتنام أوقات السرور ، ويرى أن كل شيء جميل يبعث اللهو ، ويصور اضطراب الناس في الحياة ، وجريهم فيها

---

(١) المختار . ص ١٣٦ ـ ١٣٧

الى مقدار ومصيرهم الى الموت ٠

ـ ١٩ ـ

وناجى محمد الفراتى الليل[١] فوصفه بأنه صديقه ونديمه ومعينه على طرد همومه وسبيله الى الطرب والسرور ، وجعله كمرآة لنفسه ، وصور امتداده وشموله

وقد تغلب عليه النزعة الفلسفية ، فيتخذ الليل سبيلا الى التفكير فى مسائل فلسفية صرف ٠

وصور أنور العطار الليل فى بغداد ، فأطلق عواطفه وتغنى بها ومزجها بما صور ، وكان تعبيره عن مشاعره فى الحب غالبا على تصويره لليل بغداد ٠

ويغلب على عمر يحيى فى وصف الليل[٢] نزعة وجدانية فيصور أثره فى النفس والشاعر ، اذ يلهم بسكونه ، ويوحى بالأسى ، ويضاعف الحزن، ويبعث الهوى والأمانى ، ويخلص الشاعر من همومه فيتغنى بشعره مستريحا الى الصمت ، ثم تختفى النزعة الوجدانية ، وتظهر النزعة القومية فمناجى الطير الذى عدت عليه الايام ، ويسأله الصمت لأن الندب لا ينفع شيئا، ويهون من ومضة الالهام فى وقت اشتدت فيه الالام حتى أزهقت القلوب والا"رواح وذهبت بالأمانى والآمال ٠

ويرسل أمجد الطرابلسى مع أذان الفجر[٣] مشاعره وتأملاته ، فيصور عبث الدنيا وجهل الناس وضلالهم وسرعة انقضاء الحياة ، ويتأمل الكوكب المضطرب والكون السعيد بعطف الاله ، ويستمر فى الافصاح عن نزعته الوجدانية فيناجى الله الذى أفاض الجمال على الكون ، ويراه فى كل شئ ويشفق على من ينكره ، ويتأمل القمر ، ويرجو طلوع الفجر ليبدد همومه ، ويصف حيرته فى أمر قلبه الباكى ، ويشكو أساه المضنى ويأسه الذى أذهب أمانيه ، ويفزع الى ربه فيسأله العطف٠

ـ ١٩ ـ

وقد يصور الشاعر مراحل النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس وحلول الظلام كما فصل أبو ريشة[٤] ، اذ صور نفسه فوق جبل عال شاخص

---

(١) المختار ٠ ص ١٠٨ (٢) المختار ٠ ص ١٠٨

(٣) المختار ٠ ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٤) المختار ص١٠٩ = ١١١

الطرف ، محدقا فى الفضاء يرقب الفجر ، ويغمره الندى ، وشعره مائج فى الهواء ، ووصف ذاته وبعض ملامحه ، فقلبه خفاق بالحب، وهو يحب الهدوء ، وفى وجهه الواجم سيماء الوداعة ، وبعينه بارق من شعلة الروح ، ثم انتقل الى وصف الطبيعة فصورها فى لوحات تعرض الطبيعة فى أوقات النهار ، فواحدة فى مطلع الفجر وشروق الشمس وتحرك الكون ، وثانية فى الهجيرة ، وثالثة فى الغروب وهبوط الليل ، وتألفت كل لوحة من عدة صور ، وتتابعت الصور فى شريط ملون وفى حركة تعنف وتهدأ ٠

وانتهى من عرض الصور الى أن الطبيعة ملهم للشاعر ، ثم كشف عن دور الشعر فى الحياة فبين أنه يعريها من أثواب الخداع والرياء، ويظهرها للاعين فى مختلف الصور ، ويقدمها الى الانفس فى نغم متسق، فتتحرك أمامنا ما دام الفنان حيا ، فاذا قضى غابت أو عميت علينا٠

فالقصيدة تصوير للطبيعة فى النهار ، وتعبير عن آثارها فى النفس وبيان لدور الشعر والشاعر فى الحياة ، وهى تمتاز بفن التصوير وبروز الذات فى أول القصيدة وآخرها ٠

ـ ٢٠ ـ

ووصف بعض الشعراء الاطلال والاثار التى تميز المدينة من غيرها من المدن ، ووصفوا لبنان والعراق وبعض مدنهما ٠

ووصف الطلل موضوع قديم ، ونجده عند بدر الدين الحامد (١) ومحمد الفراتى (٢) وبدوى الجبل (٣) فى مقدمات القصائد ، وهو يعكس تأثر الشاعر بالقديم ، كما نجده عند أبى ريشة من الشعراء الشباب ٠

فعمر وقف على طلل (٤) فأوقف قدمه بدلا من أن يستوقف صاحبيه ، وتحدث الى نفسه عما أصابه من دمار ، وصور ما يسود المكان من صمت وجلال ، وقلب نظره فى أنقاض الطلل والرمال الممتدة من حوله ، وسأل عن ماضيه ، وما كان يعمره من انس ، وما اختلف عليه من سعد ونحس، ولما أعياه السؤال ، فزع الى الصخر يسأله عن ناحيته ، والى الموت يبعثه من مرقده ويستنطقه ، وعاد بعدئذ الى وصف حاضر الطلل ، والطلل صرح عدا عليه الزمان ، فهوى الى الارض وغدا أنقاضا ، وغاضت الحياة

---

(١) المختار ص ٢١ ـ ٢٢ ، ص١١٢ (٢) المختار ٠ ص ١١١
(٣) المختار ص ١١١ (٤) المختار ٠ ص ١١١

فيه فلم يعد الشوك ينبت ، وعرته الوحشة فهجره اليوم وفرت العناكب ولما رأى الموت أنه لا يستطيع أن يمحو الطلل انتحر عجزا ويأسا ٠

فعمر يشبه الجاهليين في وصف الطلل والسؤال عن ماضيه وساكنيه ، وسؤاله أقرب الى الشك والتوهم منه الى الاستفسار والتحقق غير أنه يختلف عنهم في بسط معاني الجدب والوحشة والدمار والموت وتجسيمها ، ووصف صمود الطلل في وجه الزمان ، ومغالبته عوامل الفناء ، وقد ثار الشاعر على فكرة العدم فهزم الزمان ، وأمات الموت ٠

وهذه الصورة الاخيرة نجدها عند شاعر صعلوك في قوله :

فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا   به كدحة والموت خزيان ينظر

وظاهر ما بين الصورتين من تشابه ، فكلا الشاعرين جسم الموت في صورة كائن سفاك لم ينل بغيته من القتيل ، ولكن عمر لم يجعل الموت ينتحي كما فعل الصعلوك ، وانما أماته يائسا من تحقيق مراده في قوله :

هنا ينفض الوهم اشباحه   وينتحر الموت في يأسه

ونلاحظ في قصيدة عمر وحدة الموضوع ، فهو يقف على الطلل ليصوره ويسوق الصور المختلفة لينتهي بالقارىء الى البيت الاخير ، ولو جربنا حذفه ، وهو عماد القصيدة ونواتها ، لضاع المعنى ٠

وتغلب على أمجد في وصف هياكل بعلبك (١) نزعة وجدانية ، فيرى في الاثار رمزا الى الجور لانها شهدت على آلام البشرية ، ويجلو المعاني التي كانت الصروح تدل عليها ، ثم ينظر اليها في ضوء الواقع ، فيرى أن الناس يعبدون المال بعد أن عبدوا الشمس ، وأنهم مازالوا يهيمون بالخمر والحسن ، ويزهد الشاعر في الخلد المتمثل في الهياكل ، ويصورها متفجعة لارتحال أحبابها عنها ، ثم تظهر النزعة القومية حين يسأل الاثار عن أبي عبيدة الجراح وصحبه ٠

وهناك آثار تميز بعض المدن من سواها كالنواعير في حماة ، وقد وصفها شاعرا حماة بدر الدين الحامد وعمر يحيى ٠

فأما الأول فقد صور الناعورة (٢) ذاتها وهي تدور ، وتحمل الماء الى السواقي التي تروى البساتين ، وترسل صوتا شجيا يرجعه المكان ، ووصف جلالها في الأصيل ، ومهابتها في الليل ، ثم صور حركة

---

(١) مجلة الرسالة المصرية ٠ العدد ٢٠٦ ، السنة الخامسة ١٩٣٧ ص ٩٩٢
(٢) المختار ٠ ص ١١٢ ـ ١١٣

الطبيعة من حولها ، فالنهر يقلبها ، والجنان تمتد على جانبيها ، والنسمات تهب فتتمايل شقائق النعمان .

والوصف يقوم على عرض الصور عرضا متتابعا ، والصور تمتاز بالحياة والحركة ، وهي مطبوعة بطابع التقليد .

ويقف الثاني على الماضي [1] ، في الأصيل ، وقفة شجي ، فتكشف وقفته عن لون مزاجه ، ويضفي هذا على الوصف مسحة من الحزن ممزوجة بشيء من السرور ، ويصور الدولاب يمتزج بالطير والربيع ويرسل أنينه ويحار في دورانه .

وعلى الرغم مما ظهر في أنين الدولاب وحيرته ووقفة الشجي على الماضي من آثار العصر ، فاننا لا نجد عند الشاعرين صورة تعكس احساس العصر كما عكستها صورة عمر أبي ريشة في البيتين التاليين :

النواعير تنفث الضجر القاتل	م	ما بين دمعها والزفير
سئمت عمرها الطويل فما تنـ	م	ـدب الا خلودها في الدهور

فعمر أبو ريشة يعكس على صوت الناعورة ونثار الماء من أطرافها ما أحس به من ضجر قاتل ، وهذا الاحساس يصور ركود الحياة من حوله وعثار الشباب وخيبة الآمال .

ـ ٢١ ـ

ويختص وصف الطبيعة بالصفات التالية :

أ)) استقلت القصيدة بالوصف عند أكثر الشعراء ، فجاءت أوصاف محاسن الطبيعة مقصودة لذاتها ، وقل أن جاء الوصف عرضا أو ثانويا في القصيدة ، وقد يجيء الوصف في مقدمة القصيدة فيمهد به الشاعر للغرض المقصود ، ونجد هذا عند محمد الفراتي وبدر الدين الحامد وبدوي الجبل ، وقد يتخذ الشاعر الوصف الوارد في ثنايا القصيدة اطارا لما يعرض من ذاته ومشاعره وتأملاته ، كما هو الحال عند عمر أبي ريشة .

والوصف الوارد في مقدمة القصيدة أوفي ثناياها ظاهرة من ظواهر تنوع الموضوع في القصيدة العربية .

ب)) وتخصصت القصيدة بوصف الشيء الواحد فاكتسب الوصف شيئا

---

(1) المختار . ص ١١٣ ـ ١١٤

من التعمق والتدقيق ونجد هذه الميزة عند أكثر الشعراء.

ج)) أصبحت الطبيعة قبلة الشاعر ، فهو يلتفت اليها ،ويشغف بها ، ويستغرق في محاسنها،ويتعشقها ، وكان الشاعر القديم يستعير مظاهرها وأحوالها لبيان أغراض أخرى غير الوصف ، ويستخدم صور التشبيه والمجاز والكناية لترصيع القصيدة .

د)) وتعددت الموضوعات التي اشتملت على وصف مظاهر الطبيعة ، وتنوعت بتنوع البيئة الطبيعية،وتميز الفصول بعضها من بعض،واتساع آفاق الثقافة على أثر الاتصال بالغرب والاطلاع على آدابه .

هـ)) واختلفت طرائق الوصف باختلاف الشعراء واختلاف القصائد عند الشاعر الواحد ، ففريق كان يحدق في الشيء أو المنظر فيصفه وصفا مجردا من شعوره وعاطفته فيكون الوصف موضوعيا ، وفريق كان يسحب على الموصوف شعوره ، ويتأمله ، ويعتبر به ، فيجيء الوصف مشوبا بظلال العاطفة الشخصية ونظرات التأمل والاعتبار ، وثالث كان يلقي على الموضوع ذاته ، فيلونه بلون مزاجه ، ويصبغه بصباغ عاطفته ، فيكون الوصف ذاتيا ، وهذا النوع هو من آثار الاطلاع على الشعر الرومانسي الذي يعنى بابراز الذات في موضوع الوصف،وتلوين الموضوع بنظرات الشاعروتأملاته، ولون مزاجه الشخصي .

وقد غلب على وصف الطبيعة الوصف الذاتي والوصف المشوب بالشعور الشخصي ونظرات التأمل والاعتبار .

و)) وفضلا عما تقدم ، فقد شاع الرمز في الوصف ، واتخذه الشاعر للاشارة الى معنى من المعاني أو شخص من الاشخاص ، وتوضيح حالة نفسية عامة أو خاصة .

فالطائر رمز الى الحرية ، وقد يكون رمزا الى الشاعر الذي يندب شجوه ويبكي وطنه ، والصياد رمز الى الأجنبي ، والورد رمز الى المنى ، ومعاني اللطافة والنعومة والجمال والصبا والتواضع ، والآس رمز الى معنى الثبات ، والنهر في السهل رمز الى حالة الركود التي تعتري النفس بعد معاناة المشاق والتغلب عليها ، والبحر وعاصفاته وموجه رمز الى القلق والاضطراب .

وقد يستعار الرمز للافصاح عن أزمة نفسية وتوضيحها كما في قصيدة نسر لعمر أبي ريشة ، اذ عبر الرمز عن ضيق الشاعر بحياته

على الأرض،وتطلعه الى عالم الفن الذى هجره ، وصور شقاءه فى بعده عنه واضطرابه بين الفن والحياة ، وكان البدوى الضال رمزا الى شك على الناصر وحيرته وضلاله فى الحياة وسعيه وراء المجهول .

ز)) واختلف موقف الشعراء من الطبيعة ، فبعضهم كان ينظر اليها فى ذاتها ويتخذها موضوعا للوصف،ويسترسل فى تأملها ووصفها ، وبعضهم كان يربط وجودها بالخالق فيستشعر الهيبة أمام الشئ الموصوف،ويقف منه موقف المعتبر الخاشع لا موقف المتأمل الواصف ، وهذا الموقف موروث عن القديم ، فقد عاش العربى فى الصحراء ، وحفزته مناظرها المتشابهة الى التأمل فى الخالق أكثر مما حفزته الى التصوير ، ثم جاء الاسلام فعزز هذا الموقف فى نفوس العرب وغلب على الشعراء .

على أن الهيبة التى يستشعرها الشاعر أمام الموصوف تحول بينه وبين الجرى وراء ما يصوره له الخيال من مناظر السحر والابداع ، ثم أن موقف الاعتبار موقف ساذج يدل على التواء فى استرسال الفكر ، فقد يقصر باع الشاعر فى الوصف ويدركه العجز فيسبح بقدرة الخالق ويعتبر بملكوته .

وهناك موقف آخر اختلف فيه الشعراء ، فبعضهم وجد ، فى مجالى الطبيعة المتعددة ومناظرها المتجددة ، الانس والجمال والطلاقة والبشر والصفو والأمن ، ففر اليها ،والتمس العزلة فى رحابها،ونعم بالعيش فى أحضانها ، وآخرون لم يجدوا فيها اللذة والنشوة الكاملة،فدعوا الى شرب الراح وسماع الغناء استكمالا لدواعى الانس والطرب ، وهذا الموقف يعكس تأثر الشاعر بالقديم ، فالبحترى صور الربيع الطلق،والورد المتفتح الندى،والشجر المخضر،والهواء العليل ، ثم دعا نديمه الى شرب الراح وسماع ترنم الأوتار ، ويمثل هذا الموقف التقليدى الفراتى وبدر الدين الحامد وعمر يحيى .

وهناك نظرة فى الطبيعة مستفادة من الشعر الرومانسى ، وهذه النظرة ترى فى الطبيعة ذاتا تتصف بالحس والشعور ، والشاعر يمتزج بها ، ويحيا معها،فيشاركها وتشاركه ، ويودعها ذكرياته ، ويجدها مهد حبه، وموضع آماله، ومسرح فكره وأحلامه، ومجالا لغنه وتصويره ، ونجد هذه النظرة عند على الناصر وأنور العطار ورفيق الفاخورى .

ويقابل تلك النظرة نظرة أخرى ترى فى الطبيعة جوا مناسبا يستحضره الشاعر لهطلق فيه عواطفه وخواطره وذكرياته ، ويتخذه

اطارا لهما ، وهذه النظرة نجدها عند عمر أبي ريشة وعند هوجو في قصيدته (حزن اوليمبيو) ، ويرى الشاعر الفرنسي أن الطبيعة مجرد اطار لحياتنا ، وأن الانسان وحده قادر على الاحتفاظ بشيء من ماضيه بفضل الذكرى ، بينما يأتمن لامارتين الطبيعة على ذكراه ، ويكل اليها أمر الاحتفاظ بها في قصيدته (البحيرة) .

وهناك نظرات متفرقة للشعراء في الطبيعة ، فالحامد يدعو الى الاستمتاع بمباهج الطبيعة واغتنام أوقات السرور ، وعمر يحيي يرى الطبيعة تتصف بالحسن والطلاقة والفصاحة ، وعلى الناصر يعتبرها أمه ومبدأه ومنتهاه ، ويجد فيها معاني تصبيه وتسحره وتسمو به فوق الواقع ، كما يجد فيها روح الجمال ، ويحس بما فيها من قسوة ونشاط وحركة ، وعمر أبو ريشة يرى أن سر الحياة يكمن في الطبيعة التي تبدو صورا شتى ، وأن الشعر يعريها من أثواب الخداع والرياء فاذا قضى الشاعر عميت علينا ، وكلهم يجمعون على أن الطبيعة تهز النفس وتحرك الفكر وتبعث على قول الشعر .

ح)) وظهرت النزعة الوجدانية والقومية في الوصف فتأحسسنا بمشاعر الحزن والكآبة والمأس والتشاؤم والسأم والضجر .

ولكل من النزعتين أسباب ترتد اليها ، فبعض الشعراء كبدر الدين الحامد وعمر يحيي وأنور العطار عانوا اليتم والفقر والحرمان، والفراتي كان بعيدا ، في مغتربه بمصر ، عن بلده دير الزور، فولد البين في نفسه ، عاطفة الشوق والحنين ، وأقام خير الدين الزركلي في عمان ثم في مصر بعد وقعة ميسلون ، فأحس بعواطف البين والشوق ، وسدت أبواب الحياة في وجه عمر أبي ريشة بعد رجوعه من انجلترة ، فصور حزنه وكآبته ويأسه وضجره ، وشكا عثار الشهاب ، وصور على الناصر ما فطر عليه من قلق واضطراب ، وهكذا قامت النزعة الوجدانية على أسس من حياة الشاعر الفردية ومزاجه المفطور عليه .

وضاعف حزن النفوس ظروف المرحلة التاريخية التي كانت مرحلة نضال ضد الاستعمار ، فالعدو ذهب بالاستقلال ، وجاء بالاحتلال ، وأنزل بالناس الظلم ، وتولى حكم البلاد بالحديد والنار ، فولد هذا في نفوس القوم الحزن والالم واليأس والتشاؤم وكره الاجنبي .

وقد كان شعر بعض الشعراء ، ولاسيما من كانوا في طور الحداثة ،

مظهرا للصراع بين الذات والمجتمع ، فالذات كانت تدعو الشاعر الى القول ليهدهدها بنغماته ويطفىء ظمأها ، والمجتمع كان يفرض على الشاعر أن يتغنى بكفاحه ، ونجد هذه الظاهرة عند بدوى الجبل والحامد وعمر يحيي وأمجد الطرابلسي والمطار والمحاسني والفاخوري ٠

(وقد وجد الشعراء في الماضي بغيتهم، فاندفعوا اليه يتغنون به ، ويتخذونه سندا في قتال العدو ، ويصلونه بالحاضر ، ويستخرجون منهما جملة الروابط التي تؤلف بين العرب في مختلف ديارهم ، وهكذا ظهرت النزعة القومية في الوصف الى جانب النزعة الوجدانية وتداخلتا وتمازجتا فأصبحتا مصدرا لكثير من العواطف والمشاعر التي عبر عنها الوصف ، ووجدنا الطبيعة الموصوفة يسودها الصمت، ويتمشى فيها الأسى واليأس والتشاؤم والسأم والضجر ٠)

ط)) وظهر في الوصف اللون المحلي واللون العام وصور من طبيعة البلاد العربية التي تجاور سورية ٠

فأما اللون المحلي فقد برز في وصف البحر والغاب في جبل العلويين ، والصحراء ونهر الفرات في دير الزور ، والمطر والبرد والثلج في حلب ، والعاصي والنواعير والرياض والاشجار والأطيار والازهار في حماة ، والعاصي ومتنزه الميماس في حمص ، ومتنزه دفنة وشلالها في أنطاكية ، وبردى والرياض والغوطة والاشجار والازهار والأطيار ومتنزه دمر في دمشق ٠

وأما اللون العام فقد ظهر في وصف ظواهر الطبيعة كالربيع والخريف والشتاء والليل والنهار والصباح والشروق والمساء ٠

وظهرت صور من طبيعة البلاد العربية في الوصف ، فوجدنا الحامد يصف وادى حمانة بلبنان ، والفراتي يعرض صورا من العراق والبحرين في عدد من قصائده ، وعمر يحيي يعرض بعض صور من البحرين ، والمطار يصف لبنان (١) والصحراء ودجلة في الليل والليل في بغداد والبصرة ٠

ى)) وظهر أثر الشعر العربي القديم في موضوعات الوصف كالافلاك والأطيار والصحراء والأطلال والرياض والأزهار والأشجار والأنهار والربيع

---

(١) المختار ٠ ص ١١٤

والشروق والأصيل والليل ٠

وظهر أثر القديم في طريقة الوصف، ونظرة الشاعر في الطبيعة وموقفه منها ، وظهر في الصور المسوقة في معرض الوصف ٠

ك)) وظهرت آثار الشعر الغربي والنزعة الرومانسية في بعض موضوعات الوصف كالخريف والمساء ، وفي طريقة الوصف ، ونظرة الشاعر في الطبيعة وموقفه منها ، وفي بعض الصور المسوقة في معرض الوصف عند بعض الشعراء الشباب ، وفي الرمز المستعار للاشارة الى المعاني والاشخاص والاحوال، والافصاح عن أزمة الشاعر النفسية ومأساته في حياته على الأرض ٠

وتجلت النزعة الرومانسية في الدعوة الى الطبيعة وتعظيم شأنها وجلاء ما فيها من صمت وسكون وطلاقة ورشاقة وصفو ووداعة وأمن وسلام وسحر وجمال ٠

وتجلت في المشاركة التي قامت بين الشاعر والطبيعة والافصاح عن الذات وانعكاس أحاسيس العصر على الشعر ٠

وتجلت في الخواطر والمعاني التي طرقها بعض الشعراء كالبحث عن الجمال في المكان البعيد ، والفرار من زحمة الوجود وفساد المجتمع ، والرجوع الى الطبيعة والتماس العزلة فيها ، والتعلق بالاحلام ونشدان العدل والاخاء والرحمة والعطف بين البشر ، والاعتزاز بالقلب منبع الحب والشعر والسعادة ، والايمان بقوة عليا تتحكم في مصير الانسان والتلذذ بالعذاب الأبدى المقدر على الشاعر ، والتغنى برسالة الشاعر في الحياة ، والتألم لسرعة انقضاء الحياة ، والتعلق بالحب للتخلص من القلق والعذاب ، والتغنى بذكرى الحب والماضي ٠

وتجلت في العناية بالطبيعة وتصوير مشاهدها ولاسيما مشهد الخريف ، اذ مد الشاعر عليها ظلال الحزن والكآبة واليأس والوحشة، وألقى عليها ذاته ولونها بمزاجه ٠

وتجلت في جعل المشاهد الموصوفة والصور المعروضة اطارا لذكريات الشاعر وخواطره ومشاعره ٠

وتجلت أخيرا في الجرى وراء الاحلام والخيالات والتأملات التي يثيرها المشهد الموصوف ٠

ل)) وهكذا ظهر في الوصف التيار العربي القديم والتيار الغربي الحديث ٠

الفصل الثاني

الشعر الوجداني

الخمر

ويلحق بوصف الطبيعة وصف الخمر ، وهو يجيء عرضا في القصيدة وقلما تستقل به ، ومعنى هذا أن وصف الخمر لم يعد غرضا مستقلا يقصد اليه الشاعر وانما غدا عنصرا أدبيا توشى به القصيدة ووسيلة من وسائل الغناء .

ولخليل مردم موشح[1] يصلح أن يكون دليلا على تأثره بالقديم ، وقد صور فيه مجلس شراب ضم رجلا وامرأة ، ووصف الكأس والابريق وتلألؤ الراح ونورها وريحها ورقتها ، ووصف الشارب وزفراته المصعدة ودمعه وخفقان قلبه ، وعاد الى وصف سورة الخمر ومزجها بالماء وظهور الحباب فوقها وحركتها في الكأس بعد المزج ، ووصف آداب الشرب والشرب والشراب مرة بعد مرة وأثر الخمر وصور السكران والاخوة بين الشرب وكرامة الخمر وتآلف السكران والسكرى ، ووصف السكرى وثوبها وحلمها ، ثم صور تمايل الشاربين وقيامهما من مجلسهما ، وغرفتهما التي أويا اليها .

والموشح شكل من اشكال القصيدة المربعة ، وصوغه ملائم لجو الشراب وما يسوده من خفة ومرح وانطلاق ، وهو يقوم على وصف مجلس شراب ووصف الخمر وأدواتها وأثرها في الشاربين ، فهو ذو وحدة فنية ، وفي الموشح عدد من الصور والأوصاف والمشاهد يجمع بينها أنها سيقت في معرض وصف مجلس شراب .

ووصف مجلس الشراب والخمر وأدواتها وأثرها نجده عند الأعشى في الجاهلية والأخطل في العصر الأموي وأبي نواس في العصر العباسي ، ويمتاز خليل مردم بأنه جمع مختلف الأوصاف في قصيدة ذات وحدة فنية قامت على وصف سكران وسكرى ، فهو مقلد في وصف الخمر ومجلسها وأدواتها وأثرها ، ومجدد في عرض هذه الأوصاف في معرض تصوير السكران والسكرى ، وبتعبير آخر هو مقلد في الموضوع والمعاني والصور ، ومجدد في طريقة العرض الخاضعة لوحدة تنتظم أجزاء الموشح .

ويمتاز الوصف بما فيه من تصوير مكشوف يعرض حياة الترف التي عرفها الشاعر في البيئات المترفة في الشرق والغرب .

---

(١) المختار . ص ١١٥ ـ ١١٨

ويصور بدوى الجبل[1] جلسة أنس على ضفاف البردونى حفلت بالشراب والسحر والجمال ، وقد استعان الشاعر بالخمرة والمرأة والطبيعة على الفناء .

ويصف محمد الفراتى[2] أثر الخمر وما يلقاه من عذل لا يحفله ، ويصف مجلس لهو فى ليلة ساهرة[3] فيصور جمال الشادن الذى وافاهم بالخمر ، والمائدة التى هيأها وصاحبه فحفلت بالاطايب ، ثم يصف تعاطى الشراب وسكر الشادن وقيامه للرقص وغناء ، ومثل هذا نجده عند أبى نواس ، فالفراتى يقبل على الشراب وما يتبعه من لهو ، وعماده فى لهوه أشياء ثلاثة هى الكأس والشادن والنديم ، وقد كان وصفه للشادن تقليديا .

ويصف بدر الدين الحامد[4] مغيب الشمس عند شرب الراح ودبيب الراح فيه ، ويسجل صوت الناعورة وشدو العندليب ، والخمرة عنده عنصر غنائى وزينة فنية .

ويدعو عمر يحيى[5] الى شرب الراح الساطعة بين أنس الروض والشكل الحسن والى التملى من سكر المدام وشدو الاغيد الاغن ، ويتخذ الخمرة سبيلا الى الفناء .

والخمرة ركن فى حياة على الناصر ، فهو يدمن شربها ، ويفزع اليها فرارا من حياته على الارض والتماسا للنشوة التى تبعده عن الواقع وتنسيه مأساة روحه وتشل تفكيره .

وينتقل عمر أبو ريشة[6] بالشرب الى عالم بعيد عن الواقع فيحس بتكاثف الظلمات من حوله وبالنعاس فى عينه وبغيبته عن حسه وعن كل شئ ، ثم يفتح عينه فيرى محبوبته ، ويوشى شعره بتصوير الخمرة وأثرها ، فتكون دواء له وزينة لشعره ووسيلة الى الفناء .

وهكذا قل وصف الخمر فى الشعر الحديث فى سورية ، وغدت الخمرة عنصرا من عناصر الفناء وزينة توشى بها القصيدة .

---

(١) المختار ص ١١٨ ـ ١١٩ (٢) المختار ص ١١٩
(٣) ديوان الفراتى ص ٢٣١ (٤) المختار ص ١٢٠
(٥) المختار ص ١٢٠ (٦) المختار ص ١٢٠

الفصل الثاني

الشعر الوجداني

التأملات والانفعالات الذاتية

يقابل هذا الباب باب الزهد والأدب والحكمة في الشعر القديم، ويتضمن وصف المشاعر والخواطر التي ولدتها في نفس الشاعر ظروف المرحلة التاريخية والتجارب في المجتمع ، وهو يتجاوز التعبير عن المشاعر والخواطر الى التفكير في الله والكون والانسان والبشرية والمبدأ والمصير والحياة والموت وما بعد الموت ، ويبحث عن كنه الذات وعن الذات التي تختفي وراء مجرى حياتنا والموت الذي يوقف هذا الجريان ، ومن هنا يتضح أن وصف النفس في الحب وتصوير الطبيعة ينقلبان في أغلب الأحيان الى تفكير في الشيء العام في الكون أو في الشيء المجهول .

— ٢ —

تغنى خير الدين الزركلي بالمشاعر الناجمة عن المرحلة التاريخية[1] فصور الأنين والنوح والبكاء والعناء والضعف ، وعبر عن البين والشوق والحنين في مغتربه بمصر ، ونظر في الدهر والزمان وأحداثه والناس والانسان والحياة والموت .

وقد نصح بترك اليأس والتأهب للدهر[2] واساءة الظن بالناس، ووصف تخلي الصديق عن صديقه ونوم الخير ويقظة الشر ونشوء الناس على الغش والفساد ، وعجب من زمان[3] رخص فيه العز والسفيه وساد فيه المولى .

وعاد فألقى على المجتمع نظرة عطف واشفاق[4] فشارك المعذبين ، وتألم لحال البشرية المتخبطة في الشقاء من جراء الحروب ، ودعا الى السلام وتمنى السعادة للبشرية ، ونظر الى معترك الحياة[5] فوجد أن ادراك الغايات يتطلب الكفاح فدان بمبدأ القوة .

---

(١) المختار ص ١٢١ (٢) انظر قوله بعنوان (كلمات) المختار ص ١٢١ — ١٢٢

(٣) انظر قوله بعنوان (زمن ظالم) المختار ص ١٢٢

(٤) انظر قوله بعنوان (سبيل الهدى) المختار ص ١٢٢

(٥) انظر قوله بعنوان (الحياة) المختار ص ١٢٥

وفكر في الانسان فرآه سرا غامضا ، ووجده يبحث في العلم ويسعى وراء الحقيقة وهو يجهل كنه ذاته ، ووصف الانسان بالصلف والغرور لانه يرمي السلف بالغباوة والحكماء بالجهل، ويهزأ بالعوالم ، وصور العقول تعود من بحثها عودة التائه ·

واعتبر الموت[1] آفة الوجود ، وأوصى الانسان أن لا يجزع اذ لا مفر من الموت ، ورأى الحياة غرورا وأذى يتبعه أذى ، فأوصى بالصبر على ماقضى الله من لقيا المنون ، وشبه الموت بنوم عميق لا ينفع فيه البكاء على الميت ·

ونظراته في المجتمع مستمدة من ظروف مرحلة النضال ومن تجاربه ، وبعضها مقصور على الوعظ والتزهيد في الدنيا والتذكير بالموت والاعتبار بما في الزمان من عبر وعظات ، ونجد مثل هذه النظرات في باب الادب والزهد والحكمة الذي وجد في العصر العباسي على أثر شيوع أفانين اللهو والترف في حياة الناس ·

ونظرات الشاعر الى المجتمع تذكرنا بنظرات المصري ، والتزهيد في الدنيا والتذكير بالموت والاعتبار به يذكرنا بأبي العتاهية ·

ـ ٣ ـ

واعتبر محمد البزم بفناء[2] الاقدمين ، وصور قوة الدهر الذي أتى عليهم وعلى آثارهم ، وعبر عن مشاعر المؤمن[3] ، فوثق بعفو الله، وأقر بأن الخلق من صنعه ، ونصح الانسان بأن يوطن نفسه على الموت ، وقرع من يقضي حياته خائفا من النار آملا في الجنة ، والشاعر ، في اعتباره بفناء الاقدمين وتعبيره عن مشاعر المؤمن ، يسحب على آثار شعراء الزهد أمثال أبي العتاهية ·

ـ ٤ ـ

ووقف شفيق جبري على شاطىء البحر[4] فوصف اضطرابه وقلقه لذل قومه ، ووجد في البحر شبيها له ، فالبحر يعبر عن لواعجه بالامواج ، والشاعر يعبر عن لواعجه بالشعر ، وهما سواء امام الدهر ·

---

(١) انظر مقطوعته (تعزية) المختار ص ١٢٢
(٢) المختار ص ١٢٣ ـ ١٢٣ (٣) المختار ص ١٢٣
(٤) المختار ص ٨٥ ـ ٨٦

وجلا في قصيدته (نجوى آدم) (١) فكرة خلاصتها أن الحياة لا تكمل ولا تحسن الا بالمرأة ، وأن الطبيعة لا يدرك جمالها الا بها ، وقد صور آدم يرمى به في العراء ، ويقف أمام عدد من صور الطبيعة ومشاهدها الجميلة فلا يجد فيها ما ينقص شجوه وتعذيبه ، فيعلن هواه في شبح نشوان يلهو به ويعطيه حبه ، ويلهو به الشبح ويشاركه ، وبينا هو في غمرة من الهم والقلق يحس بروح حواء تضطرب في صدره ، ثم يراها أمامه فيجد فيها ما رآه في الكون من محاسن في شتى الاساليب ، فرونقها من رونق الشمس ، وبريق عينيها أخاذ ، واحساسها متقد ، وغدائرها معجبة ، وبسمتها تسل لهفة الملهوف ، وأخيرا تسكن نفسه الى حواء ، فحواء لا الطبيعة ملأت نفسه .

— ٥ —

وعرض محمد الشريقي (٢) سلسلة من التأملات أثارها في نفسه منظر البحر ، وهي تتناول الشاعر والطبيعة والكائنات والحياة والوجود .

فالشاعر يسمو الى الكمال ، ويلبى نداء القلوب ، ويعيش في دنيا الروح ، وقوام نفسه الحنان والصفاء والنقاء ، والطبيعة محراب الشاعر ومصدر من مصادر الالهام ، ومشاهدها وصورها موضوع للوصف والتأمل .

وقد أوحت اليه الطبيعة أن يوطن النفس على احتمال الحياة التي تحفها المصاعب ، وأوحى اليه رنين الناقوس ونداء المؤذن أن يدعو الى التآخي والتسامح والتقريب بين الاديان ، ورأى الوجود لغزا مستترا في ظلمات الأزمان .

— ٦ —

واستقبل بارع الجبل عهد الاحتلال وهو حدث السن ، فقام صراع بين ذاته والمجتمع ، وكان قيام هذا الصراع أمرا طبيعيا لأن المجتمع في مرحلة نضال وهو يحتاج الى من يتغنى بكفاحه ، وذات الشاعر في طور التفتح فهي تحتاج الى من يهدهدها بنغماته .

وقد تغنى بكفاح قومه ، وشارك المعذبين ، وحزن على الانسانية المتخبطة في الشقاء من جراء الحروب ، وصور سأم روحه (٣) وفرارها من ضوضاء الحياة الى سكون الطبيعة وحنينها الى العالم الامثل الذي هبطت منه ، ووصف مصير الجسم بعد الموت وارتقاء الروح الى عالمها الأول ، وهذه

(١) المختار ص ١٢٣ — ١٢٤ (٢) المختار ص ٨٦ — ٨٧
(٣) المختار ص ١٢٤ — ١٢٥

الافكار نجدها عند ابن سينا الذى يصور، فى قصيدة له، هبوط النفس من محلها الارفع، وحلولها فى الجسم وشقاءها بمحبسها وحنينها الى العالم الاول ٠

- ٧ -

وصور الفراتى حنينه الى بلده، وفاقته وهمه وعذابه فى غربته بمصر، وصور، فى منفاه بالعراق، عدمه واضطهاده فى بلده، واندحاره فى جهاده، وتطلعه الى صفاء العيش، وبعده عن أهله وأولاده، وندب سوء حظه، وشكا كثرة مصائبه، وذكر ما للعراق من نعمة عليه واخلاص العراق فى دفاعه عن وحدة العرب، وتوجع من جور الزمان، وعلل نفسه بكاذب الامانى، وصور نفاد عمره بين ظلم وذل ٠

وشارك الليل فى مناجاته له[1]، وأثار عدة مسائل فلسفية، فالحياة قصيرة، والموت لابد منه، والجسم الى التراب، ومصير الروح مجهول، والانسان محض بريق، وهو يجهل المبدأ والمصير، وكل ما فى الكون غامض، والكون سلسلة من الالغاز والمعميات، وما دام الانسان يجهل جوهر الاشياء فهو لا يستطيع أن يدعى ملكيتها، والظلام شامل ممتد، والليل سرمدى، ولا بعد بل امتداد، والزمان امتداد لابعد، والاثير واسع تجول فيه الكواكب، وروحه تخشى الموت، والحياة مرايا، وكل انسان مرآة، غير أنه لا يرى بها ذاته المحتجبة، وأغلب هذه الافكار فى ديوان اللزوميات للمعرى، والتغنى بالليل معروف منذ القديم ٠

وناجى ربه[2] مبينا قدرته وعظيم خلقه، وانتقد من يرى الكون خلقا من عدم ٠

ونظر فى أديان البشر[3]، فلاحظ تفرق الناس فى طرق العبادة، وأقر بأن الحق مع أحد الاديان ٠

وتأمل ذاته بعقله، وتساءل عن كنهها، وعن مبدئه ومصيره واحساسه بعد الموت، وشعر بحيرته وقلقه ٠

وأقر بوجود الكون[4] ثم أنكره وأثبت وجود ذاته، وأعلن أنه لا يستطيع أن يدرك كنه الاشياء أو يأمن غلط الحواس؛ ووصف ذاته بالصفاء الذى

(١) المختار ص ١٢٥ - ١٢٧ (٢) انظر مقطوعته (يا مبدع العالم) المختار ص ١٢٧
(٣) انظر مقطوعته (وليس بثالث) المختار ص ١٢٧ - ١٢٨
(٤) " " (الكائنات الحية) المختار ص ١٢٨

لا يشوبه كدر وأعلن أنه لم يكن بشرا وان كان من طين وماء، وأن ما كان منه قد تغلغل فى كل شىء وأن نطقه ليس منسوبا اليه[١].

واعترف بأنه لا يعلم مقر نفسه فى الآخرة وسأل عما سيلاقى فى ظلمة القبر[٢]، وجملة أفكاره داخلة فى صلب الفلسفة الاسلامية.

ـ ٨ ـ

وعانى الخامد اليتم والفقر فى صباه فألقى هذا على شعره ظلالا من الحزن والكآبة، وترددت فى شعره نغمات الأنين والبكاء والنوح، وتآلفت المرحلة التاريخية وحياته الفردية فجعلتاه يعيش فى اضطراب وعذاب.

وقد شاع فى شعره الشكوى من الدهر والناس، وأحس باليأس وقلة السرور وكثرة الاشجان وصور نفاد صبره من كثرة المصائب، وأساء على الماضى، وحاجته الى العزلة، وزهده فى اللذات، وانصرافه عن اللهو، وتغنيه بالهموم والأحزان.

وأفاض فى عرض تأملاته، فالموت غاية الانسان[٣]، والأيام تسير بالناس الى المنون، والحياة قصيرة، والشباب غرور[٤]، والدهر قوى جبار، والانسان مسير لا مخير والشر حتم، والناس[٥] مفطورون على الشر وهم قساة غلاظ القلوب، ونفسه[٦] مصدر عذابه وشقائه.

والشاعر ينصح المرء بأن لا يغتر بالدهر، وأن يفعل الخير، ويجعله سبيلا الى النجاة[٧]، ويعتبر بالطبيعة التى تتغير بتغير الفصول، ويسبح بعظمة الله[٨]، ويذكر فضله على عبده الذى وهبه العقل فصرف به الكون، ويصور شك الانسان فى خالقه، ويسأله أن يتوب اليه، ويستغفر من ذنبه.

وجملة تأملاته نجدها عند شعراء الزهد أمثال أبى العتاهية.

وغلبت انفعالات عمر يحيى على تأملاته، فشجنه مقيم من جراء أحلامه ومصائبه وذكرياته، ودموعه تفيض من كثرة بكائه، وهو عليل لكثرة شجونه، وهو مضطرب حائر بين الأمل واليأس، وروحه فى ظلام من جراء كآبته[٩] التى تكاد تقتل نفسه، وقلبه قيثارته، وقد ضاعت

---

(١) انظر قصيدته (ما زلت فى حيرة) المختار ص ١٢٨ ـ ١٢٩
(٢) انظر قصيدته (يا موت) المختار ص ١٢٩
(٣) انظر قصيدته (أتنعم فى الدنيا) المختار ص ١٢٩
(٤) انظر مقطوعته (ظل الحياة) المختار ص ١٢٩ ـ ١٣٠
(٥) انظر قصيدته (فيا سادرا فى اليأس) المختار ص ١٣٠ ـ ١٣١
(٦) " " (يا نفس) المختار ص ١٣٠ (٧) انظر قصيدته (نعمة العيش) المختار ص ١٣٠
(٨) " " (سبحانك اللهم ما أعظمك) المختار ص ١٣١
(٩) المختار ص ١٣١ ـ ١٣٢

آمالـه وتبـددت أحـلامـه فحـزن علـى شبـابـه ، وترحـم على عهد الانس .

وقـد هام بالطبيعـة ، وتعلـق بالمـاضـى لفنـاه بالشعـر والامال ، وتعـزى بالشعـر [١] فكـان سلـواه وقيثـارتـه ونـوره فـى ظلام حيـاتـه ووسيلـته الى التغـزل ووصـف المظـائـم ، وغـدا أنينـا بعـد أن كان غنـاء .

ـ ١٠ ـ

ولرفيـق الفاخـورى نظـرات فى الوجـود والحيـاة والمجتمـع .

والحيـاة عنـده رؤى وأحـلام ، وعلى قـدر ما تتفـق النفـس فى وصلها تشقـى فـى الهجـر ، ومذهبـه [٢] فـى الحيـاة يقـوم على الزهـد فيما طمـع فيـه النـاس من مجـد ، وعلـى حـب الكتـاب والمرأة والطبيعـة والفنـاء ، فمثلـه هى تثقيـف العقـل بالقـراءة ، وتهذيـب الـروح بالعيـش فى الطبيعـة ، وتنميـة الحـس بمعاشـرة المـرأة ذات الدلال والوجـه الموحـى والمنظـر المعجـب ، والاستمـاع للحـن يغنيـه انسـان أو يعزفـه وتـر .

والوجـود [٣] ـ فى نظـره ـ مشهـد يتحـول الى ثان وثالـث فى شـىء من العبـث المكرور أو هـو مصنـع يولـد اسبابـه الشـر والفسـاد فى شـىء من الارتجال الذى لايعتمـد خطـة ولا نظامـا .

والشاعـر يـائس من صـلاح الأحـوال فى المجتمـع، ولـذا فهـو ينصـح بالرحيـل عنـه واعـتزال النـاس ، وينتقـد مظاهـر الحيـاة الاجتماعيـة انتقـادا يبلـغ حـد الهجـاء ويشـوبـه اللـوم والتقريـع، فالمـروءات وشـارات المعالى متجـر ، والشـرف عـرض مـزور ، وخـزف لا جوهـر ، والقـوم عمـى ، والاشرار فيهـم بقـر ، ولا منجـاة من الشـر الا بالرحيـل .

والزهـد فى الدنيـا وتقريـع البطـر يذكرنـا بـأبى العتاهيـة ، وفكـرة الرحيـل عن موطـن الشـر والفسـاد ورثناهـا عن الشعـر القديـم ، ورأى الشاعـر فى الكتـاب يذكـر بالمتنـبى القائـل

أعز مكـان فى الدنا سرج سـابـح وخـير جليـس فى الزمان كتـاب

ورأيـه فى الوجـود يغلـب عليـه التشـاؤم ، وهو يعكـس قلـق العصـر وما عصف بالنفوس من شـك بعد الاحتكاك بالغرب ومعاناة جوره .

(١) المختـار ص ١٣٢ (٢) المختـار ص ١٣٢ ـ ١٣٣

(٣) انظـر قصيدتـه (يا مطـر الخميلـة) المختار ص ١٣٣ ـ ١٣٤

ـ ١١ ـ

وظهر فى شعر (رضا صافى) أثر يتمثل والمرحلة التاريخية ، اذ عبر عن أساه فى صباه ، وأحس بضيق السبل واضطراب أحوال البلاد وقلة السرور وعظم البؤس وقصر العمر فدعا الى الشراب واغتنام اللذات ، وتغنى بالهوى والشعر والخمر، وعدها أقانيم الحياة ٠

وأدرك معنى الفناء فى الطبيعة ، واعتبر بزوال الكائنات ، وأحس بقصر الحياة فأقبل على اللذات ، واستلهم الطبيعة ، وجثا فى محرابها خاشعا، وتاق الى تحقيق أمانيه ، ودعا نديميه الى اغتنام الصفو وتعاطى الشرب فى كوخ بعيد عن الناس٠

وعبر عن أحاسيس العصر اذ صور ما عصف بنفوس الشباب فى عهد الاحتلال من شك وقلق واضطراب ٠

وتعلق بشبابه الحافل بالمنى والهوى واللذات فرمى الدهر بالخيانة والغدر ،وتألم لما أصيب به من صمم أبعده عن الناس(١)٠

ووقف أمام صورة له(٢) فتذكر حياته التى كانت حافلة باللهو واللعب والمنى ، وغاب فى عالم الرؤى والذكريات ، ثم قارن بين ما كان عليه وما انتهى اليه فأدرك خلود الفن وفناء الطبيعة ٠

وانفعالات الشاعر وتأملاته تعكس روح العصر وأحاسيسه ، وتتصف بالطراوة والجدة٠

ـ ١٢ ـ

(٣)
وتدور تأملات جميل سلطان حول الله والنفس وظواهر الطبيعة ، فالله مصدر الكون وآياته حار فيها المتفكر ، والوجود صحيفة دالة على فضله ، والنفس مفطورة على الشر ،والحياة تنازع ٠

والشاعر يعتبر بالصباح والمساء ، فالصباح(٤) يدعو الى السعى والعمل، والحياة نضال وهى لمن كان اقوى من غيره ، والمساء(٥) يدعو الى اللهو،

---

(١) انظر قطعته (العمر يوم) المختار ص ١٣٤ ـ ١٣٥
( ) " " (وحى الصباح) المختار ص ١٣٥ ـ ١٣٦
(٢) المختار ص ١٣٦
(٣) انظر قصيدته (لاهم) المختار ص ١٣٧ ـ ١٣٨
(٤) " مقطوعته (عظة الصباح) المختار ص ١٣٦
(٥) " قصيدته (المساء) المختار ص ١٣٦ ـ ١٣٧

وكل ما فيه جميل ، والناس صائرون الى الموت •

ويعتبر بالفراش[1] المحترق بنور المصباح ، فيرى موته صورة للناس يسقطون صرعى الحسن ، وتذهب أحلامهم •

ويتأمل حاله وحال الناس ، فيرى نفسه متعلقا بالدنيا مغترا بالمطامع، ويرى الناس قد انطووا على حسد وحقد ، وأولعوا بالتهديم ، وينصح بالاستسلام للمقادير •

ونظراته في الله والكون والحياة والناس لاتخرج عن نظرات الاعتبار التقليدية •

_ ١٣ _

وتدور تأملات أنور العطار حول الله والكون والانسان والألم وظواهر الطبيعة ، وقد وصف الله[2] بالبقاء والخلود ، وذكر ألطافه وآلاءه وآياته في الكون وعطفه على من جحد آيات خلقه ، وعبر عن حبه واخلاصه وتذلله له ، ووصف تقى قلبه وهداه ، وجعل قلبه معبدا يعبده فيه ، واعتبر وجوده محض صلاة لله وفناءه في حبه وجودا •

ووقف على الألم[3] وجمله في جبلته ، واعترف بأنه ولد في نفسه الكآبة والميل الى العزلة • ووصف بكاءه وهمومه وأرقه وقلبه الولهان، ووجد الحياة قفرا يبابا ، وأحس بقصر العمر ، وجعل الألم حبيبه وغناءه ودنياه ومرقاة للخلود وسبيلا الى تواصل الناس ، وبين أثره في الفن والنفس اذ يفجر البلاغة، ويغسل أدران النفس، وعبر عن فرحته بالألم فبين أن النعيم والفرح كائنان في النوح والبكاء •

ووصف الفن[4] بالبقاء والخلود وبأنه نتاج القريحة وغذاء العقول والأرواح ، وذكر ما يمتاز به من حرية وانطلاق ونزوع الى التجديد وسمو الى عوالم بعيدة عن الحس والواقع •

وصور مشاعره وتأملاته في الخريف، فقد استشعر الوحشة والصمت في عالم الخريف، وأدرك الفناء في الطبيعة ، ووجد الحياة مفعما بطفح بالسجر ، وأحس بقصر الحياة والفناء في كل مكان ، وغنى في غفلة المنون

---

(١) انظر قصيدته (فراش المصباح) المختار ص ١٣٧

(٢) " (الله) " ص ١٣٨ _ ١٣٩

(٣) المختار ص ١٣٩ _ ١٤٠

(٤) انظر قصيدته (عبقرية الفن) المختار ص ١٤٠

عنه ، ووصف المه الصارخ وجده العاثر وهواه اليائس ، ووجد في نفسه قيثارة تتشكى ، واعتبر وجوده رمزا الى الدمع والاسى والشعور واعتبر الشعر عزاء .

وتغنيه بالله وآلائه وآياته يذكرنا بتأملات لامارتين الدينية ، وقد شهد بما كان لهما من أثر فيه .

وموضوع الألم مستمد من الشعر الرومانسي ، ونجده عند موسيه في قصيدته (ليلة مايس) وكان الشاعر قد نظمها اثر خيانة حبيبته له ، وتجلت له (الهة الشعر) فأظهرته على أثر الالم السامي في تنميته العبقرية وشحذها ، ويرى موسيه أن قصيدة (ليلة مايس) هي القصيدة الكبرى للألم الحق ، وأن الالم نبع الشعر ، وقد جاءت الفكرة في المقطع الثاني من القصيدة على لسان الهة الشعر .

لاشيء يجعلنا عظاما   مثل الآلام عظام

وقصد موسيه في قصيدته الى أن الألم يسمو بالمرء ، ويجعله أقوى شعورا بنفسه وأكثر تقديرا لدوره ، فالتغنى بالذات ولاسيما بالالم هو واجب الشاعر ، وعلى قدر مايعانى من آلام الحياة يكون شعره انسانيا صادقا رائعا ، ورأى موسيه أن كل عاطفة صادقة هي نبع الشعر ، وأن الألم العميق يشحذ شعور الشاعر ويكشف عن عبقريته .

وتأملات العطار تكشف عن تأثره بالاسلام وبموضوعات معينة من الادب الرومانسي ، وهذا يدل على ما كان لاحتكاك العرب بالغرب واتصالهم بحضارته وثقافته وآدابه من أثر في الأدب العربي .

ـ ١٤ ـ

وعرف أمجد الطرابلسي اليتم في صباه ، وتربى وتعلم في عهد الاحتلال وشدا أطرافا من الأدب الفرنسي ولاسيما الأدب الرومانسي ، وتأثر بأحوال العصر، (العصر) ثم انتقل من دمشق الى باريس فعاش فيها ، فساعده هذا على أن يعبر عن روح العصر ، ويرسل خواطره في الكون والالم والشاعر ، ويعبر عن انفعالاته وعن تصارع القيم بين الشرق والغرب .

وقد جعل قلبه [1] مصدر عذابه وشكوكه ومحور خواطره وتأملاته فهو ، نبعة الهوى وفرحة الحياة وبؤساها ومهبط الرؤى والاماني والخيالات،

---

(١) المختار ص ١٤٠ ـ ١٤١

ومعنى هذا أنه جعل قلبه كل شيء في حياته ، واستمر يصور انفعالاته فآثر البكاء والتشكي على العيش في الأحلام ، وأحس بالهم والضجر واليأس والحزن ، وعاودته الأفكار السود في الليل ، واستشعر الوحشة ، ووجد أنه من قلبه وحياته في صحراويين .

ووقف عند الألم[1] فقدسه وعظم أثره في حياة الفنان ووجده ملهما له ، ونصح بتحمله في صمت وإباء ، ووصف ما يهب الفنان من جلال وغنى ومجد .

وتأمل الكون وحياة الانسان فيه ، وخرج من تأمله بطائفة من النظرات ، فالكون أحلام ملفقة ، وهو يقوم على البغي وسفك الدماء ، والحياة تنازع وتخاصم ، والحق هين مغصوب ، والكون الى فناء ، والبقاء مستحيل في عالم الفناء ، والحياة قصيرة ، وجدير بالمرء أن يغتنم أوقات السرور ويكف عن البكاء ، والناس ألعوبة في يد الدنيا ، وهم قافلة في صحراء الحياة يمضون كالانجم ويقضون عيشهم كأنهم سكارى في الحانة الكبرى[2] ، وقد ابتدعوا أسطورة الخلود ليتخلصوا من فكرة الفناء .

وقد عزاه ايمانه عما وجد في الحياة من صور الشقاء ، ووجد الكون عند أذان الفجر سعيدا بعطف الاله ، ورأى الله في كل شيء وكل شيء يشكر الله .

ووضح دور الشاعر في الكون ، فبين أنه رزق فرط الشعور ودقة الحس ورقة القلب فتحسس آلام البشرية ، وغنى ليطرب العالم ، وقام يدعو الى المحبة والعدل والسلام ، وصور أمجد حاجة الناس اليه ، فهو يرويهم بغنائه على حين يبقى ظمآن ، ويستقي غناءه من ينبوع نفسه .

تلك مشاعره وتأملاته قبل سفره الى باريس ، فلما كان فيها بحث عن الحقيقة فلم يجد الا الموت ولاحظ وحدة[3] الانسان في الكون ، وتشابه أيامه ، وأحس بوجومه وحيرته وشكواه من حياته على ما فيها من حب وسعادة وضياء ، وسأل عما في السماء بعد أن مل حياته على الأرض ، وذكر ما كان يحس من سأم في وطنه بين أحضان الطبيعة ، وحن الى الماضي وصور ما تخلل عيشه في باريس من نسك وضلال ، وضاق بدقة حسه وتوفز شعوره ووجد نفسه فريسة الضجر ونهب الأفكار ،

---

(١) انظر قصيدته (كبرياء الألم) ص ١٤١ ـ ١٤٢
(٢) " " (السراج المفقود) ص ١٤٢
(٣) المختار ص ١٤٣ ـ ١٤٤

وصور اظلام الحياة فى وجهه[1] وسأمه ووحشته وألمه وهمومه وذكرياته التى تعاوده فى الليل ، وحنينه الى الديار وأمله فى العودة اليها ، ثم سكت عن الغناء وعاش أحوالا متناقضة[2] ، وهذا كله يعكس الجو العام الذى كان يعيش فيه ، ويصور أثر البيئة الغربية فى نفسه ، فهو لم يستسلم للحياة فى باريس بل أخضعها للتأمل ، وخرج منه بنظرات قاتمة تفصح عما عاناه فى نفسه من صراع بين قيم الشرق والغرب ، وتذكرنا بمزاج الشرقى الذى يسمو فوق الحياة ويأبى أن يضيع أو [illegible] شأنه فيها .

وفكرة حمل الجراح فى صمت وتجلد مستمدة من قصيدة (موت الذئب) لفينى ، وهو شاعر فرنسى رومانسى يغلب عليه التشاؤم ويدين بمذهب الرواقية القائم على اطاعة العقل ، وامتلاك قياد النفس ، والتمرس ببذل الجهد ، وتحمل المصائب فى كبر واعتزاز ، وقد ألقى فينى درسا فى الرواقية بقصيدته تلك ، وجعل موت الذئب بين أيدى الصيادين رمزا الى ذلك الدرس ، ووقف أمام الذئب الصريع يسأل عن أمثل طريقة تودع بها الحياة وشرورها ، ثم أجاب بأن الحيوانات وحدها تعرف الطريق ورأى أن ما يصير اليه الخلق على الأرض وما يدعون فيها جدير بأن يعلم الانسان أن الصمت جليل وأن ما عداه خور ، ومضى يخاطب الذئب بأنه عرفه ، وأن نظراته الأخيرة نفذت الى قلبه وكأنها تقول له :

"" اجهد فى أن تبلغ درجة الكبرياء الرفيعة التى بلغتها منذ حين بفضل ولادتى فى الغابات ، إن التنهد والبكاء والاستعطاف أمور تزدرى . وقم بواجبك الضخم فى السبيل التى دعاك القدر اليها ، ثم تجلد بعد ذلك ومت مثلى دون أن تقول شيئا ""

وتأثر أمجد بفينى فى قصيدته (موسى) التى صورت عزلة الانسان الروحية ، وكان موسى قد فزع الى ربه يسأله أن يعفيه من حمل أعباء الرسالة فى بنى قومه ، ويدعه يعيش على الأرض فى أمن وسكينة وسلام ، وقد قصد فينى الى أن من يسمو بموهبته وفكره وشعوره فوق الناس يعيش بينهم وحيدا ، ويسأم عيشه ، ويزداد حزنه وسأمه كلما سما .

وأمجد مثل ثان لتأثر باب التأملات بالشعر الرومانسى الذى اطلع عليه الشعراء الشباب فى عهد الاحتلال .

(١) انظر قطعته بعنوان (اعصار) المختار ص ١٤٤
(٢) انظر قطعته بعنوان (احترق .. احترق) المختار ص ١٤٤
(٣) المختار ص ١٤٥

ـ ١٥ ـ

وكان على الناصر أبرز من مثل ظاهرة الصراع بين الشرق والغرب، وعكس في شعره الآثار المتخلفة في النفوس من قلق وشك واضطراب وثورة على المألوف في العادات والتقاليد والافكار، وقد عبر عن مشاعر قاتمة، وشعر بفساد أحوال العصر، وكان اطلاعه على ادب المعرى وبودلير وبو مما قوى في نفسه أثر التشاؤم، وأبرز ظاهرة القلق التي مازت حياته وشعره من حياة الشعراء وشعرهم.

وقد وصف روحه [١] بالتبدل والتلون، وجعلها مصدر اضطرابه، وعرف القلق من نفسه وجهد أن يخفف أثره، فأحب المرأة وعبدها، وشرب الخمرة وأدمنها، وشغف بالموسيقى، ولها بشكوكه التي تناولت مشاكل الكون والحياة.

لقد تأمل الشاعر الكون والقوة المدبرة له والحياة والموت، ومأساة الانسان وأوهامه ومعتقداته والرجل والمرأة، وخرج من تأمله بنظرات مطبوعة بطابع التشاؤم، فالكون قاتم [٢]، والحياة تجرى فيه مسوقة بقوة صماء عمياء هي قوة القضاء، والحياة مزيج من الخير والشر، وهذان متلازمان يتعاقبان على غير نظام، فتبدو الحياة بهما فوضى أو مجموعة من المصادفات لا يضبطها قانون ولا يسيرها نظام، والحياة الدنيا لهو ولعب، وهي ملهاة تنتهي بالموت، والموت حقيقة ولا شيء بعده، والناس رعشات تشع وتخبو، والسعادة وهم، وصور الكون شتى تنفث السأم وتوحي باليأس، والدين لم ينزل السكينة في قلبه.

ولمح في حياة الكون تلازم الخير والشر والسعادة والشقاء والسرور والألم والفرح والحزن، وهذا التلازم بين الحالات المتضادة يجعل الانسان مأساة أو شبيهة بالمأساة، اذ يقضي عمره موزعا، رغم ارادته، بين الحالة ونقيضها، ويحس، في كل حين، بالرغبة في البقاء والرغبة في الزوال، فتضطرب حياته ولا تستقر على حال [٣].

وأحس بدوام الالم فطبع هذا الاحساس أدبه بطابع التشاؤم، وتأمل عيشه على الأرض فوجده ينقضي بين أحلام وأوهام وأسقام، ووجد في هذه ملهاة تنسى الانسان شقاءه، واعتبر الحياة كلها ملهاة، ومع أنه وجدها حرية بأن تشاهد فانه لم يتسل بالنظر اليها والاستمتاع

---

(١) المختار ص ١٤٥ (٢) انظر قطعته (السكون) المختار ص ١٤٦

(٣) انظر مقطوعته (حذوت) المختار ص ١٤٦

بمشاهدها وانما مضى اليها يعريها ويظهر حقيقتها ، ويهدم الدعائم التى قامت عليها خلال القرون .

وعلى الرغم مما أخذ به نفسه من ضروب التسلية فانه ظل يعانى القلق والاضطراب ويجد الحياة ابجدية أحرفها البؤس [١] ، واستشعر الضيق والسأم فتطاول الى مقام الاله [٢] وتمنى أن يكونه ليخلق العالم صورا حتى تتجدد كل ساعة وتطرد عن النفس الملل والسآمة .

وطغت حقيقة الموت على تفكيره ، فظل يطالعه فى كل مكان [٣] ، وأوصى أن ترمى جيفته فى جانب الحقل [٤] لتكون نهبا موزعا بين الوحش والطير والدود والنبت ، وقد أوضح أن الطبيعة مبدؤه ومنتهاه ، فمنها خرج واليها يعود ، والحق أن صورة الجيفة تتوشها الطير والوحش ويأكلها الدود ويمتصها النبات تصدم الشعور الانسانى اذ تمتهن كرامة الانسان الذى سوى فى أحسن صورة ، ويزيد فى هولها أن الشاعر لا يلوح للانسان بحياة أخرى انكارا منه للبعث .

وانطبعت حياته الداخلية والخارجية بطابع العصر الذى عاش فيه ، فأحس بمرارة الاسر فى هذه الحياة الفانية ، وبالضياع بعد أن يئس من معرفة المجهول ، ولم يجد فى الطبيعة [٥] والشراء والهوى والطموح والضمير والدين ما كان يرجو من راحة وأمن وتحسس مطالب العصر وروحه واستطاع أن يدرك الناحية الأليمة فيه ، ولم يكن حبه السامى والشهوانى، والشعر الذى تغنى به ، والخمر التى أدمنها وسمت به الى عوالم مجهولة ، والاعراض عن الله ، والثورة على المألوف فى الشعور والتفكير الا تعبيرا عن مأساة الفرد العربى بعد الحرب العامة الاولى حين احتك بالغرب واتصل بحضارته ، واطلع على آدابه وعلومه ، وكان شعره ممثلا للصراع الذى قام داخل النفس على أثر الاتصال بالغرب، وانفجارا ذاتيا ينشد الانسجام مع ضرورات الوزن والقافية ويحوى عالما مضطربا قلقا ، ولكن الشاعر لم يوفق الى القالب الذى يحتوى ذاك القلق ويسكن ذاك الانفجار ، ولهذا كان شكل الشعر مفصحا كالموضوع عن هزيمته فى معركة الحياة .

---

(١) الظمأ ص ٦٧ (٢) انظر قطعته (أحسن الخمر) المختار ص ١٤٧

(٣) انظر قصيدته (تلاقيت والموت) المختار ص ١٤٧

(٤) انظر مقطوعته (اذا مت) المختار ص ١٤٨

(٥) انظر قطعته (السعادة) المختار ص ١٤٧

ولم يكن بد ، بعد أن حطم الشاعر أصنامه وخاب أمله في الشعر والحب والله ، من أن يعيش هذه الحياة بما فيها من سأم وبغض وكذب ومرارة وألم وخداع (١) ، وكانت قصيدته التي أوصى فيها برمي جيفته في جانب الحقل صورة لهزيمته ، وهي تخالف الصورة التي رسمها الشاعر الخارجي بقوله

فيارب ان حانت وفاتي فلا تكن ... على شرجع يعلى بخضر المطارف
ولكن قبري بطن نسر مقيله ... بجو السماء في نسور عواكف

فالخارجي يريد أن يموت في حومة الوغى لا على الفراش، وأن يكون في بطون النسور الحومة في جو السماء لا في القبر ، ومعنى هذا أنه لايريد سكون القبر بل يريد الحركة التي اتسمت بها حياته في كفاح بني أمية ، فهو عنيف في الموت كما كان عنيفا في الحياة ، واذا فقد الحركة بالموت طلبها في النسور التي اتخذت جو السماء مقيلا لها وهذا منتهى العنف الذي يمكن أن يبلغه انسان مقاتل ، وهنا يبدو فرق ما بين الشاعرين ، فعلى الناصر انجلت المعركة في نفسه عن انكسار وتمزق ويأس بدت في صورة الجيفة الملقاة في العراء ، والخارجي ظهر قويا في موته ولم يكتف بما خاض من معارك في قتال بني أمية بل ظل يقاتل وهو في بطون النسور ، وذلك لأن العقيدة جمعت شمل الخارجي وغدت محور حياته بينما هدم الناصر كل شيء ولم يبق له سند في الحياة.

وعدا هذا فقد استسلم لآلامه ، واستعاد ذكرى أحلامه وآماله الضائعة وشارك المحزونين والمعذبين (٢)، وأحب وطنه ، وتعلق بمظاهر الحياة بعد أن أعياه سرها ، وجنح الى العزلة في الطبيعة فرارا من ضوضاء الحياة .

وتأملات على الناصر صورة جديدة في هذا الباب ، وهي تعكس أثر بودلير في الشاعر فبودلير تحسس مطالب العصر ، وفهم روحه المعقدة، وحلم أن يدرك الناحية الأليمة فيه ،وكانت فكرة السأم تسود ديوانه ، وكان يريد الفرار من الحياة ، ولهذا تعلق بالحب السامي والشهواني ونظم الشعر الذي سمى وراء الجمال والفن ، وشرب الخمر التي فتحت له أبواب جنات بعيدة ، وأعرض عن الله ، وثار على المألوف في الشعور والتفكير ، وفر مسافرا في البحر ، وصور الموت يفتح للمحبسين والفقراء والفنانين أبواب سموات مجهولة ، ولم تكن هذه الموضوعات التي شغل

(١) المختار ص ١٤٧ ـ ١٤٨

(٢) انظر مقطوعته (فؤادي) المختار ص ١٤٨ .

بها نفسه الا تعبيرا عن المأساة البشرية ،غير أنه لم يلق الراحة فيما أخذ به نفسه ، ووجد أن الحب كذب ، والمرأة شريرة ، والجمال مخيف ، والفن يتوارى وراء الصنعة ، والأسفار لا تمنح الانسان الا معرفة أليمة ، والفردوس ضائع ، والموت غموض ، ولم يكن بد ، بعد أن خاب أمله في الحب والشعر والاله ، من أن يعيش هذه الحياة على ما فيها من سأم وألم ومرارة وكذب وخداع .

ومهما يكن فان الصراع بين الغرب والشرق يبلغ غايته من التأثير في نفس الشاعر ، يضاف اليه ما عرفه الشاعر من فساد أحوال المجتمع وما فطر عليه من قلق وما طالعه من أدب يعكس اضطراب العصر وقلق الفكر والروح ، وكان أدب المصرى وبو وبودلير فى جملة ما طالعه من أدب .

- ١٦ -

ودارت انفعالات أبى ريشة وتأملاته حول الذات والمرأة والواقع والفن والفنان ، فقد صور كآبته واحساسه بالضجر والظمأ ، وشكا ما لقى من عثار الشباب وما كان من خيبة الرجاء وضيعة الآمال ، وصور أحلامه وأوهامه وهواجسه وذكرياته فى الحب ، ووجد فى الخمر ما يسليه وينقله الى عالم يغيب فيه عن حسه ويرى محبوبته .

والمرأة ، فى نظره ، فتنة الطبيعة وأقوى أنواء الوجود ، فهى تهزه بعواطفها ومشاعرها المتلونة ، وتسمو به الى عالم الحب الطاهر أو تتركه فى الأرض يستمتع بمفاتنها ، وقد صورها نبعة الهوى والشعر والهدى والنور وتمثال الفتنة والجمال والاغراء والشهوات ، وأحبها ، وخاب أمله فى حبه ، فعاش حياة آثمة ، ثم عاد اليها فوجدها تنشد الحب الشهوانى مرة ، ووجد نفسه ميالا الى الاستمتاع بالحب مرة أخرى .

وتأمل الواقع(1) فصور بعد ما بينه وبين المثال ، وصور اضطراب الفنان بين عالم الفن وعالم الواقع ، وعيشه على الأرض مع الأصنام ، وثورته على الواقع ثم استسلامه له ورضاه به ، ولكنه ظل ينظر الى الحياة نظرة الفنان فيرى أن تأمل الحياة والناس فيها خير من معاناة الحياة ومعايشة الأصنام .

وتأمل حياة الفن والفنان فى الشرق(2) ، فوجد أن مورد الفن عقيم مظلم ، وأن حياة الفنان يأس وعقبات ولهذا صور الفنان يفزع الى الخمر

---

(1) المختار ص ١٤٨

(2) انظر قصيدته (مصرع الفنان) المختار ص ١٤٩

والدخان ليقتل بهما كآبته ويحقق أمانيه بالأحلام ، ورأى فى حافظ ابراهيم رمزا الى الفنان الذى عرف البؤس فى حياته وحالت البشرية بينه وبين تحقيق أمانيه وأحلامه .

وقد أشبه المتنبى حين أحس بكبريائه وتغنى بالطموح والمنى والآمال ، ومضى الى بلوغها ، وشكا ما لقى من عثار الشباب وتبدد الآمال وتبعثر الأهواء ، واذا كان المتنبى قد حلم بدولة عربية تبدل وجه الارض وتصلح ما فسد ، فان عمر أبا ريشة قد حلم بطوفان يطهر الناس من الأدران .

وفكرة السأم تسود ديوانه ، وهى تعكس احساس العصر ، وقد جعلها موضوعا لغنه كما فى قصيدته (ضجر)(١) ، وعنى ، فى شعره ، بتصوير ذاته التى تبراءت وراء الحزن والآلام والخيالات والذكريات والمنى والآمال ، وتغنى بالحب السامى والشهوانى ، وصبا فى شعره الى الجمال والكمال فى الفن ، وجهد فى أن يكون بطلا قديسا فأغرق العالم بطوفان(٢) ليغسله من الأدران .

وفكرة السأم والتغنى بالذات وتصويرها والاضطلاع برسالة تجاه المجتمع والفرار من الواقع والجرى وراء الأحلام والمنى والآمال هى من قواعد الرومانسية فى الأدب الغربى .

— ٢٦ —

ونلخص صفات باب الانفعالات والتأملات فى الملاحظات التالية :

أ)) — بعض الانفعالات وليد مرحلة النضال ، وبعضها وليد حياة الشاعر الفردية ، وقد تتعاون ظروف مرحلة النضال وظروف الشاعر على خلق الانفعالات الذاتية ، أما الاحساس بالسأم والقلق واليأس والكآبة والتعلق بالأحلام والحنين الى عالم بعيد عن الحس والفرار الى الطبيعة والتماس العزلة فهى من آثار الاطلاع على الشعر الرومانسى فضلا عن كونها من آثار مرحلة النضال .

ب)) — ظهر فى موضوعات التأمل أثر القديم والجديد ، فتأمل حياة الواقع ، والتفكير فى الله والكون والزمان والمبدأ والمصير والجسم والروح والحياة والموت ، والاعتبار بتحول الكون ، والتزهيد فى الدنيا والوعظ بالموت هى معان وموضوعات قد تناولها الشعراء القدامى ولاسيما شعراء الزهد

(١) انظر قصيدته بعنوان (ضجر) المختار ص ١٤٩ — ١٥٠
(٢) المختار ص ١٥٠



والحكمة أمثال أبي العتاهية والمعري ، أما موضوعات الشاعر والألم والفن فقد عالجها الشعراء الغربيون ، وأخذها عنهم بعض شعراء سورية •

ج)) — وظهر في تأمل الواقع أثر المرحلة التاريخية والجديد ، اذ اتفق أغلب الشعراء على القول بفساد المجتمع ، وصوروا بعض وجوه الفساد ولكنهم لم يحاولوا اصلاحها ، ونصح بعضهم بالرحيل عن المجتمع ، وهي فكرة موروثة عن القديم ، ثم جاء أبو ريشة فثار على الواقع ، وأغرق الأرض بطوفان ليغسلها من الأدران ، وهذه الفكرة ، وان وجدناها عند المعري في قوله :

الأرض للطوفان محتاجة لعلها من درن تغسل

الا أنها تصور برم الشاعر بالواقع ، ويظهر فيها أثر الجديد من ناحية احساس الشاعر بها وطريقة عرضها •

وانتقل بعض الشعراء من دائرة الواقع الى مجال الانسانية الواسع ، فرثوا لحال الانسانية المعذبة من جراء الحروب ، ونشدوا السلم ، وهذا يعكس أثر الحرب العامة الاولى في النفوس

وفكر محمد الفراتي في تعدد الأديان ، واختلاف الناس فيها ، وتعصبهم لها ، ودعا محمد الشريقي الى فكرة التسامح الديني •

د)) — وظهر في تأمل الحياة أثر القديم والجديد ، فاعتبر بعض الشعراء بقصرها وبكونها سبيلا الى الموت وكون الناس ألعوبة في يد الدنيا ، ونظر اليها بعضهم الآخر نظرة واقعية فوجدوها ميدان صراع بين الأقوياء ، وهذا يعكس أثر الحرب العامة الاولى ، وفريق ثالث ألقوا ذواتهم عليها فوجدوها قفرا يبابا ، وهذا يعكس يأس العصر ، وأخضعها على الناصر للتأمل الفلسفي فوجدها ملهاة تنتهي بالموت وتجري حوادثها مسوقة بقوة صماء عمياء كأنها مجموعة مصادفات ، وهذا يكشف عن الشك والقلق والاضطراب التي عصفت بالنفوس اثر احتكاك العرب بالغرب ، ونظر اليها رفيق الفاخوري نظرة فنية مشوبة بالاعتبار فرأى أنها رؤى واحلام ، ونصح النفس أن تحتاط في الاقبال عليها وأن تعتاد النعمة وزوالها ، وهذه نظرة تقليدية •

هـ)) — وظهر في تأمل الموت أثر القديم ، فالشاعر يستسلم اليه لانه لابد منه ، ويحاول أن يخفف أثره في النفس فيصفه بأنه نوم مريح ، وينصح النفس أن تعتاده كيلا تخافه ، وتهوين الموت على الانسان ووصفه بأنه محض نوم نجده عند المعري في قوله :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

و)) — وظهر في تأمل الانسان أثر القديم والجديد ، ويتمثل القديم في طابع النظيرة ، فالانسان مجبول من الخطايا ، مفطور على الشر ، واللؤم والغدر في طبعه ، وهناك نظرة فلسفية تقسم الانسان جسما وروحا ، فالجسم مآله الى التراب ، والروح مصيرها مجهول ، وهذه النظرة نجدها عند المتنبي في قوله :

أما الجسوم فللتراب مآلها   وعييت بالأرواح أنى تسلك

وظهر أثر الجديد في ملاحظة وحدة الانسان في الكون وعزلته الروحية، وانقسامه على نفسه بتأثير تيار الحياة الغربية المادية ، وقد وجدنا هذا عند أمجد الطرابلسي ، وكشف على الناصر عن مأساة الانسان العربي اذ أبرز الصراع الذى يدور داخل نفسه إثر احتكاك العرب بالغرب بعد الحرب العامة الاولى .

ز)) — أما الطبيعة فقد نظر اليها بعض الشعراء نظرة تأمل واعتبار، فرأوها دليلا على الله ، واعتبروا بتحولها ، ونظر اليها آخرون نظرة غنية فوجدوها ذاتا تحس وتشعر وتشارك الانسان وتلهمه وتؤنسه ، ونظر اليها على الناصر نظرة فلسفية مادية فوجد أنها مبدؤه ومنتهاه .

ح)) — وظهر في تأمل الكون أثر القديم والجديد ، ففريق رآه دليلا على وجود الله واعتبر به ، وفريق ألقى عليه ذاته فوجده قفرا يبابا ، وصور ما فيه من بغي وحروب فعكس بهذا أثر العصر، ونظر اليه رفيق الفاخوري نظرة مطبوعة بالتشاؤم، فوجده مضنعا ينتج أسباب الشر والفساد ، وأقر على الناصر بوجود الكون دونما ذكر للخالق .

ط)) — والشعراء يقرون بوجود الله وكونه مصدر الكون ، ويذكرون آلاءه وآياته وفضله على الانسان والكائنات ، ويعبرون عن حبهم وتذللهم له ، ويعرض بعضهم عن ذكره .

ى)) — أما الشاعر وقلبه وغناؤه ودوره في الكون، وأما الالم وأثره في تنمية العبقرية والفن ، وأما الفن وخلوده وما فيه من غذاء للروح والفكر ، وأما الذات ولونها وصورة عرضها، فموضوعات أخذها بعض شعراء سورية عن أدباء الغرب .

ومن هنا يتضح ما للتيار العربي الشرقي القديم والتيار الغربي الحديث من أثر في باب التأملات ، فهذا الباب وغيره يعكس التمازج الثقافي الذى تم بين العرب والغرب رغم الصراع الرهيب الذى قام بينهما .

الفصل الثالث

الشعر الاجتماعي

كان الشعر الاجتماعي أقل الفنون شأنا بين الحربين لغلبة النضال على حياة القوم في سورية ، وقد ساير الشعراء المجتمع فتغنوا بكفاحه طويلا وشغلوا عن ملاحظة الواقع وما فيه من وجوه الشر والفساد ، غير أنهم كانوا قد اطلعوا على شعر شوقي وحافظ وخليل مطران وما ظهر فيه من صور اجتماعية ، واستقرت هذه الصور في نفوسهم ، فلما أتاحت لهم الظروف أن يستقروا قليلا ويلاحظوا حياة المجتمع برزت تلك الصور من جديد في شعرهم .

وهذه الصور من حياة المجتمع متنوعة ، فمنها ما يصور الناس في معاشهم وعباداتهم وتعاملهم وتزاوجهم ، ومنها ما يصور جانبا من جوانب الحياة كجانب البؤس والفقر واليتم والظلم ، ومنها ما يصور ظاهرة جديدة كظاهرة السفور ، وقد اختلف الشعراء في تناول الموضوعات ، فمنهم من بطن التصوير بالنقد ، ومنهم من نقد المجتمع نقدا صريحا .

ومهما يكن فقد ظهر قبيل الحرب الثانية شعر صور تفاوت طبقات المجتمع في عيشها واستغلال الاغنياء للفقراء ، ودعا الى الثورة على الظلم ، ونشد العدالة ، ونجد هذا عند بعض الشعراء .

ـ ٢ ـ

استطاع الزركلي أن يقدم الينا في ديوانه بعض الخطوط التي تصور ألوانا من الحياة الاجتماعية التي عرفها بمزاولة العمل السياسي والصحفي ابان الثورة العربية وأحداثها وما لابسها من ظروف وأحوال .

وكانت الخطوط التي صور بها المجتمع جملة من النظرات والخطرات الفكرية المستمدة من ملابسته للواقع ، والمجتمع الذي عرفه عالم مملوء بالمتناقضات ، ففيه الفقر والبؤس والجوع (١) والكذب وتكالب الناس على المناصب (٢) وتفكيرهم في أنفسهم ، وفيه الغش والتضليل في المعاملة ، وفيه التظاهر بالعبادة والصيام عن الطعام لاعن الهجر (٣) ، وفيه تصوير بعض العادات والتقاليد الدينية الشائعة كالتبرك بالمحمل والاتكال على

---

(١) انظر قوله في الفقير والمعدم . المختار ص ١٥١
(٢) " " في حرص الناس على المنافع . المختار ص ١٥١
(٣) " " في دين الناس . المختار ص ١٥١ ـ ١٥٢

الأولياء لقضاء الحاجات وتحقيق الآمال والتماس الشفاء عند الله ، وفيه الزواج الذى هو بيع وشراء والذى تشقى به المرأة بين زوجها وأبيها ، وفيه الأمة التى تعيش فى خمول وجهل وشر .

والشاعر لا يكتفى بمجرد العرض وانما يدرس الظاهرة الاجتماعية ونتائجها ، فعندما لاحظ انتشار الفقر والبؤس فى الحرب الأولى صور نتائج هذه الأمراض الاجتماعية ، وأرانا نهاية امرأة[1] مات زوجها وخلف لها ولدين ، وخلاصة قصتها أنها أنفقت ثروة خلفها لها زوجها ، ثم مضت تبحث عن المال ، ولما أعجزها تحصيله باعت نفسها ، وواضح من هذه النتيجة أن الشاعر يرى الفقر أصل الشر والفساد ، ولم يكتف بتصوير نتيجة الفقر وشروره ، وانما صور فساد الناس الذين يستغلون حاجة بعضهم الى بعض أسوأ استغلال ، ففى قصته البائسة التى عرضها أبرز دناءة ذلك الانسان الذى اشترى نفسها بالمال ، ثم سلبها اياه بالمكر والاحتيال وتركها فى الطريق وقد فقدت نفسها والمال .

أما زواج البيع والشراء فقد عرضه فى قصيدته " هدية الشمس"[2] وفيها يصور فتاة يأتيها أبواها ليقنعاها بتزوج رجل فى الستين من عمره ، طمعا فى ماله الذى سيصير اليهما بعد موته العاجل ، وتتزوج الفتاة من الشيخ ، فيخسر ماله بعد حين من الزمان ، ويعترى الزوجة الشابة هم لخسرانها آمالها ، وتمر الأيام والزوجة فى أسر وشقاء ، وتود أن تترك زوجها لولا أولادها الصغار ، وتطلب الموت ، ثم تنهض فى احدى الليالى فتشرب السم ، وترتمى ميتة .

ولا يفوت الشاعر أن يعلق على هذه النهاية ، فيرى أن هذه الفتاة لو أتيح لها أن تتعلم فى ماضى أيامها لتجنبت تلك النهاية ، فالعلم ، فى رأيه ، يعين على تنمية شخصية الفتاة ، وتبصيرها فى أمورها ، واعتمادها على نفسها فى الزواج وغيره من شؤون الحياة .

ويعرض الشاعر صورا فى نقد التقاليد والعادات الدينية الشائعة فى المجتمع ، كصورة التبرك بالمحمل[3] ، ويوضح الشاعر حقيقة هذه الصورة ، فالمحمل نسيج دمقس أو حرير يلقى على اللوح الذى يفرسون ، وقد لا يكون

---

(١) انظر قصيدته (البائسة) المختار ص ١٥٢
(٢) ديوان الزركلى ص ٥٩
(٣) انظر قوله فى (المحمل) المختار ص ١٥١

هذا النسج المزخرف أغلى من الثوب الذى يلبسه الناس.

ويعرض الشاعر صورة أخرى لامرأة حملت زيتا مروقا (١)، ومضت تملأ به قنديل الضريح وتهز الشباك وتناجى الولى طالبة منه الرضا وشفاء القلب ومحو الأوزار والأدناس عنها، وتطيل الدعاء، ثم تعود الى دارها وعينها باكية وقلبها مطمئن الى أنها لن يصيبها الشر والأذى، والشاعر يخاطب هذه المرأة مستغربا أن تدعو ميتا في التراب فاقد الشعور والاحساس.

ويصور الشاعر امرأة وقفت أمام ضريح ولى تستغيث به وترجوه أن يرمى ضرتها بالشر والأذى، ويصور المرأة الأخرى التى فعلت فعل ضرتها.

وقد يكون نقد هذه العادات والتقاليد الدينية نتيجة من نتائج حركة الاصلاح التى قامت فى مصر على يد جمال الدين الافغانى ومحمد عبده، ثم امتدت الى بلاد الشام.

وقد دعا الشاعر الى الاصلاح والبناء على أساس مكين، ونادى بوجوب جعل المال فى خدمة المجموع وعطف الموسر على الفقير والجائع، ومضى فى هذا السبيل فجعل بذل المال معيارا يقيم به الناس فخير الناس فى نظره من اتخذ ماله درعا يقيه من الخضوع لفاجر ومن جعله فى خدمة الجائع والطالب والمستغيث.

ودعا الى نبذ الجمود والأوهام وتحرير العقل والتجدد والتعليم ورفع من شأن المدرسة فجعلها دعامة الغد، واعتبرها أما ثانية (٢).

وتخطى الشاعر مجتمعه فعالج مشاكل تمس الانسانية فى صميم حياتها وهى مشكلة الحرب والسلم، وصور تطلع الناس الى السلم وشقاءهم بالحرب وكثرة الخطوب وانتشار البلاء واقتتال الشعوب وموت الجنود فى سبيل القادة، وتساءل أيتاح لمبادىء (ولسن) أن تنتصر فى اقرار السلام بين الشعوب، وتمنى للناس السلم والعيش الأرغد، ونشد السعادة لتضميد جراحاتهم.

ففى قصيدته (السلم) (٣) يصور الناس وقد كادوا ينسون عهد السلام ودموعهم التى أجرتها النكبات وزمان الصفو والرخاء الذى تولى عنهم، ثم يصور اقتتال الناس، ويتساءل عن اليوم الذى يعودون فيه الى

---

(١) انظر قصيدته (زيت وآس) المختار ص ١٥١
(٢) " " (الغد) المختار ص ١٥٢ — ١٥٣
(٣) ديوان الزركلى ص ٢٣

رشدهم ، ويحذر موقدي الحرب بسوء العاقبة .

وظهور الحرب وشرورها في الشعر ووصف تطلع الناس الى السلم أمر طبيعي ، لأن البلاد العربية ، ولاسيما الشام ، قد عرفت نكبات الحرب ، اذ سيق الرجال الى ساحاتها فما تزا ، وبقيت النساء تكدح لتأمين عيشها ، وانتشر الفقر والبؤس في البلاد ، فلا عجب اذا وجدنا الشاعر يتغنى السلم وينشده للانسانية جمعاء .

ـ ٣ ـ

ووصف محمد البزم في قصيدته (ربة الخدر)(١) حال المرأة الشرقية ، فتساءل عن سبب سكوتها عن حقها ، ثم سرد على سمعها أخبار المرأة الغربية من سعيها في طلب العلم ونشاطها في ميدان الحياة الاجتماعية ومنافستها للرجل ، ثم انتقل الى المرأة الشرقية فوصف ظلم المجتمع لها ، وبين ما يجنيه الشرق من تعليمها وتهذيبها في مضمار الرقي والتقدم ، ثم قارن بين ذل الشرق وعز الغرب فرد الأمر الى جهل المرأة الشرقية وعلم الغربية ، وعاد فحث الشرقية على الخروج من اسارها والنضال في سبيل علاها ، ثم حضها على السعي والعمل فوصف طول نومها واغترارها بنفسها وأعلن أن قد حان وقت العمل للنهوض بالأمة ، وأبى أن يكون شعره فيها غزلا ونسيبا ، واستمر يدعوها الى مزاولة السعي لطلب الفخار ، وسأل زوجها أن يحترمها ويعينها في جدها لأنها سبيله الى العلى .

وصدوف الشاعر عن النسيب يذكرنا بثورة حافظ على الشعر التقليدي ، واهتمامه بوصف حال المرأة الشرقية هو استمرار لما بدأه شوقي وحافظ وخليل مطران بمصر من العناية بالمرأة ووصف أحوالها ومقامها وأثرها في المجتمع .

ـ ٤ ـ

وصور شفيق جبري في مقطوعته (جهاد الغواني)(٢) ظهور المرأة السورية في ميدان الحياة الاجتماعية ، اذ شاركت في الجهاد في الثورة السورية وعانت الشدائد وظهرت آثارها في وجهها ، وظهور المرأة

---

(١) المختار ص ص ١٥٣ ـ ١٥٤

(٢) انظر قصيدته (جهاد الغواني) (المختار ص ١٥٤

دليل على تطور المجتمع في هذا العصر ، وكانت قد ظهرت من قبل في شعر حافظ وشوقي على أنها عضو ذو أثر في الحياة الاجتماعية، غير أن الشاعر لم يقف عند تصوير اشتراك المرأة في الثورة وظهورها في المجتمع وحسب ، وانما صور موقف المجتمع منها في زواجها ، فقد كان من عادات المجتمع أن يقوم الأب أو من يخلفه في ادارة شئون الأسرة بتزويج البنت ممن يختار دون أن يكون لها رأي فيه .

وقد تناول الشاعر هذا الموقف الجائر فصور فرق السن بين الزوجين ، وأدار حوله قصة في قصيدته (نابليون والشيخ)(١) زعم فيها أن شيخا اختار لابنته رجلا طاعنا في السن ، فأبته وآثرت عليه ابن عمها الشاب ، وذهب الشيخ الى نابليون يشكو اليه تمرد ابنته عليه ، فنصحه القائد الكبير بأن يترك الحرية لابنته تختار من تشاء .

فالشاعر ينقد التقاليد الاجتماعية التي كانت تسود البيئة الشرقية وتتحكم في ارادة الزوجين ، فالأهل هم الذين يختارون الزوجة لابنهم أو الزوج لابنتهم ، وكثيرا ما كانت البنت تسكت خجلة فلا تستطيع أن تعلن ارادتها، والشاعر يريد اباحة الحرية لها حتى تختار من تشاء لا من يشاء الأهل .

وتعرض الشاعر في قصيدته (العام الجديد)(٢) للذين يتشدقون بذكر السلام ، فصور اقتتال الناس على الحياة ، وتزاحمهم في سبل العيش.

— ٥ —

أما بدوي الجبل فلم يرد في ديوانه عرض لأحوال المجتمع ، وكل ما نجده فيه ذكر لسفور المرأة في دمشق ، ففي قصيدته (جنات الشام)(٣) يعجب من سفور المرأة واختيالها ، وينصح بتهذيب أخلاقها قبل رفع حجابها ، ولا يخفى خوفه على المرأة من السفور ، ويشك في هؤلاء الذين أيقظوها ودفعوها الى الظهور ، وقد وجدناه في شعره الوطني يدعو القوم الى التآخي والاتحاد وتناسي الخلاف بين الأديان والمذاهب والطوائف،

— ٦ —

ودعا بدر الدين الحامد الى العلم والعمل ، وكشف عن الصراع بين

---

(١) انظر قصيدته (نابليون والشيخ) المختار ص ١٥٤ — ١٥٥

(٢) " " (العام الجديد) المختار ص ١٥٤

(٣) المختار ص ١٥٥

الأحياء ، واغتبط ببشائر النهضة فى البلاد ، وحث الشباب على موالاة السعى فى معركة البقاء .

— ٧ —

وعرض محمد الفراتى فى ديوانه سوء الحال (١) فبين صعوبة كسب الرزق وقيام الضر وانتشار البؤس وجهل الشعب الذى قربه من الموت ولاحظ أن بعض قومه يعيشون كالبهم ،وأن الأكثرين قصروا حياتهم على الأكل والشرب ،وشغلوا أنفسهم بالقيل والقال بينا هم فى أسر ، وانتقد جهل رجال الدين ، وسخر من اللحية (٢) ، وصور الوعظ ينقلب شتما ، كما لاحظ ضلال الناس عن الهدى ، واختلافهم فى طرق العبادة ،وصور كل فريق يدعى أن دينه هو الصحيح ، وهذا الرأى الأخير تجده عند المعرى .

وقد أثرت ظاهرة البؤس فى منطقة الفرات فى نفسه ، فثار على الظلم ، ودعا الصعاليك الى ان يحطموا نواميس العصر ، فيثوروا على الظالمين .

وقد أدرك بنظره أن العصر عصر العلم والمخترعات والتعاون ، فدعا الى الاصلاح والعلم والعمل والاخذ بروح العصر (٣) ، غير أنه لاحظ أن ادراك الحضارة يحتاج الى بذل الجهد ، وكرر الدعوة الى العلم ،وقرن العلم بالعمل ،وبين فرق ما بين الغرب والشرق ، وهو فرق يقوم على علم الأول وتقدمه وجهل الثانى وتأخره ، فبينما أوضح العلم الخفايا فى الغرب ، وانتفع الغرب بالعلم فى ميادين الحياة المختلفة وتعاون أبناؤه على تحسين حياتهم ورفع مستواها ،ظل الشرق جاهلا ، وتفرق أبناؤه ، وسار كل فى طريقه .

وقد أخذ الشاعر بنهضة العلوم وتقدم المخترعات فى الغرب ، فأشار اليها مرات فى ديوانه ، وبين أن قوة الغرب لاتقوم على مظاهر القوة المادية وحدها ،وانما تقوم على تقدم الصناعة والزراعة ، فالى جانب الاساطيل بالبحر وخطوط السكة الحديد فى البر والطائرات فى الجو تشاهد زروع موصولة بزروع وقرى عامرة وجنان ممتدة وحصون مشيدة وثغور وجنود ، وهكذا يصور الشاعر مظاهر التقدم فى الغرب فى مختلف ميادين الحياة .

---

(١) انظر قصيدته (أيها الأحفاد) المختار ص ١٥٦
(٢) " مقطوعته (بين اللحى والعمائم) المختار ص ١٥٦
(٣) " قصيدته (وضح الصبح) المختار ص ١٥٦

وقد صور آثار الحرب حين كان مقيما فى مصر يسمع أخبارها ويرى آثارها فى حياة الشعوب ، وكون لنفسه رأيا فى التاريخ ، فالتاريخ تاريخ حروب ودماء ، والقادة والحكام هم أكبر المجرمين لأنهم يسوقون شعوبهم الى الموت .

ـ ٨ ـ

وأغلب شعر عمر يحيى فى هذا الغرض ، نظرات لا يؤلفها رأى ولا ينسقها مذهب ، اذ يصور رمى الوشاة له وتغير الأصدقاء عليه وندرة الصديق الوفى ومكر الناس وخداعهم وايذاء بعضهم لبعض بالكلام المخجل ، ويصف تجبرهم الكاذب وعنايتهم بألقاب أضخم منهم وقلوبهم المشوبة بالحقد ورياءهم وتظاهر أصحاب الجاه والصيت منهم بالعمل فى سبيل الشعب ويصور زعيم القوم يشرب الناس نخبه ، وهو جم الذنوب ، ويصور عقوق الناس ، فهم من نار وان كانوا من ماء وطين ، وينتهى به الأمر الى السخط على الحاضر واعتزال الناس واللجوء الى الطبيعة التى هى رفيق مخلص .

ويلاحظ أن نظرات الشاعر الى المجتمع تجول فى دائرة ضيقة لا تتعدى تجارب الشاعر الشخصية وعلاقته بالناس .

ـ ٩ ـ

ونقع فى ديوان وجيه البارودى على قصائد تصور المجتمع فى حماة تصويرا دقيقا ، بل ان الشاعر ليتعمق الوصف حتى ينتهى الى تشخيص علل المجتمع ووصف الدواء الناجع لها ، ثم يتخطى المجتمع فى سورية ليرقب حياة الشعوب ويقارن بينها وبين حياة قومه فى سورية وغيرها من بلاد العرب

وقبل أن نتناول شعره بالدرس يحسن أن نذكر أن مهنة الطب قد أعانته على الاتصال بطبقات المجتمع ولاسيما الفقيرة منها ، وأخص ما يميز حياة هذه الطبقات هو الفقر والمرض والجهل ، واتصال الطبيب بالمجتمع اتصال يقوم فى الأصل على العلم ، فالطبيب يدرس ظواهر المرض ويربطها بسبب ثم يصف الدواء الذى يجتث جذور الداء .

ولم يظهر فى تصوير الطبيب للمجتمع أثر ثقافته العلمية وحسب وانما ظهر فيه أثر البيئة الغربية التى عرفها فى الجامعة الامريكية ببيروت، ففى الجامعة عرف أنماطا من الحياة راقته ، وأقل ما تتصف به هذه الحياة أنها تمتاز بما فيها من تناسق ونظام وعلم ومعرفة وفن وحرية ، ولصل

ما وجده من فرق بين حياته الحرة المنطلقة في الجامعة وحياته الضيقة في حماة قد أثر في تصوير المجتمع وألقى عليه ظلالا من السخرية قامت على ابراز التضاد الكائن بين البيئتين .

رسم الشاعر في ديوانه أحوال العيش في حماة[١] ، فطعام الطبقات الفقيرة الحثالات ، وطعام سائر الناس الصحيح الطيب ، وملبسها الخروق وملبس غيرها الدمقس والحرير ، وغطاء الرأس مختلف أشكاله فمن (طرابيش) الى عقل الى عمائم مطرزة ، والذقون مرسلة ، والسبحات بالأيدي تحصى بها الحمدلات ، والمصائب كثيرة ، ففي كل محل شجار بين الناس ينتهي بهم الى القبر أو السجن أو المستشفى .

والى هذا ، تحرم حماة على المرء الطيبات ، فينطوي على نفسه ، أو يحمله المجتمع على التجلبب بالوقار والتخلق بأخلاقه .

والمجتمع ، في نظره ، متخلق بالنفاق والرياء ، فالصلاة تقام للتغرير بالناس لا للتكفير عن الذنوب ، والمساجد والكنائس منتشرة ، والناسكون والناسكات كثر ، والمآثم ترتكب باسم التورع والصلاة . والمرأة محتجبة في دارها كأنها في قمقم ، والرجل يستمتع بما يشتهي .

صور الطبيب[٢] تفاوت الطبقات في عيشها ، واستغلال الغني للفقير ، فالعاملون يسألون الخبز والماء ، وحياتهم نتن وأوباء ، وسلاحهم دعاء وتعويذ ، وكثرتهم في سغب ، وهم صابرون على جور الزمان لأنهم يجهلون حقوقهم ، أما المترف فهمه منصرف الى تبديل سيارته التي فقدت جدتها وقد استطاع أن يدعي لنفسه حقوقا كثيرة ويبحث في الشريعة عما يبرر استغلاله للآخرين من الفقراء الذين أقام سعادته على تعاستهم .

ولا يكتفي الشاعر بتصوير استغلال الطبقات الفقيرة لجمع الثروة وبناء الدور والقصور وانما يصور فساد نفوس الأغنياء المترفين ، فهم يفرقون بما لهم الناس شيعا ، ويجعلون بعضهم عدوا لبعض ، ويزعمون أنهم خلقوا أغنياء بينما خلق الآخرون فقراء ، فيرد الشاعر عليهم بأن الناس اخوة وأن من تربة الأرض أجساد العافين والمترفين .

ولا يجد الشاعر حلا لهذا الفساد الاجتماعي الا أن يدعو الأرقاء الى الثورة ، وأن ينذر بيوم يقام فيه العدل ويمحى فيه الفقر والجهل والأوباء .

---

(١) المختار ١٥٧ .

(٢) المختار ١٥٧ ـ ١٥٨ .

وازاء هذا كله يدعو الشاعر الى عالم الغد الذى تعيش فيه النعاج مع الذئاب عيش أمان واطمئنان ، ويسعى فيه الجميع لخير الجميع فيتعاونون على تأمين عيشهم واسعاد أنفسهم ، ويسود فيه العلماء.[(١)]

ولم يغفل الشاعر تصوير الفترق بين العرب وغيرهم من الشعوب، فبينما يعيش العرب فى خمود وجمود يعبدون المال وتتحكم فيهم العادات والتقاليد وقيم الماضى تتغير القيم والمفاهيم فى العالم ، وبينما يبنى الغرب صروحا ويطير كالنسور ويسخر المستحيل يندب الشرق الطلول ويبكى القرون الاولى .

— ١٠ —

ولم يشأ أمجد الطرابلسى أن يلقى نظرة عامة على المجتمع وانما تناول بالوصف السائلة والطفل الشريد ، ونشد العدالة الاجتماعية ، واعتبر المجتمع مسئولا عن حياة أبنائه وعما فيه من شر وفساد .

ففى قصيدته (السائلة)[(٢)] يصف حال السائلة وسؤالها الناس وانتهار السيد لها وتألمها لرده القاسى ، وينقد الشرعة التى نالت من الكريم وأعزت اللئيم ، ويرى هذا الوضع من هزل الزمان ، ويقارن بين الغنى البطر والنساء الفقيرات ، ويتساءل عن مصير الفتاة اليتيمة التى أرمضها الجوع وعزت عليها اللقمة ، ويخشى عليها أن تدفع بها الحاجة الى الطريق المنكر ، وأخيرا يرى أن المجتمع يخلق المجرم .

والشاعر ينقد الوضع الاجتماعى القائم ويرد اليه ما ينجم عنه من شر ، ويقارن بين الغنى والفقر ، ويعتبر المجتمع مسئولا عما يظهر فيه من اجرام ، ويحذر من سوء العاقبة حين يصور الفقيرة تسلك طريق الاثم لتؤمن عيشها ، ومع أن فكرة تجريم المجتمع تستخلص من سياق القصيدة فان الشاعر أوردها فى البيت الاخير[(٤)] .

وفى قصيدته (العدالة) يقابل بين صورتين متضادتين ، ففى الاولى مرقص يقع فى شارع مظلم تنيره المصابيح ، ومرتادوه كثر وأنواره أنوار عرس وأنغامه رنانة ، والليل خارج المرقص حالك الظلمة ، ويدخل الشاعر المرقص فيصور ما فيه من روح وراح ولحون وغيد ، ويعرض لجمال الخدود فيصور لحظها وخدها ونهدها وجيدها ، ويصف شابا أهوج وقد

---

(١) المختار ٥٨ ا (٢) المختار ٥٨ ا

(٢) المختار ١٥٩ (٤) المختار ١٥٩

غدا صريع كأس وحسن ، كما يصف رقص الجمع ونشوتهم ، ويجدهم بين فتى عابس وضحوك ، ويعرض ما في المرقص من غناء وطرب وشراب وسحر وجمال .

وفي الصورة الثانية يخرج الى الشارع وقد أنسى شقاءه وغمره جمال الوجود ، فيرى طفلا نائما على الثرى قد غطته أسمال بالية وجاء الشرطي ينهره ويوقظه من نومه ويأمره أن يذهب الى بيته لأن منظره غصة للسادة ، ويتساءل الشاعر ، في سخر وعجب ، عن دار الطفل وأبويه وأهله وعما اذا كان له قصر مشيد ، ويرى أن يدل على قبر يؤويه ، ويسأل العدل عن جنايته ، ثم يسأل الطفل أن يعيش كلبا طريدا ويهنأ بالفقرووبلاته ، ثم يقيم الفقر والمجد والنبل ساخرا ويندفع بموجة الألم والسخر فيسأل الطفل أن لايحسد الناس ، ولا يكون لصا أو مجرما خشية أن يعاقب و يسأله أن يسكت ويقيم على الذل ويتجاوز عمن اغتصب الأموال ويقنع بالخلود ، ثم يصوره خروفا للذبح ، ويتسأمل في الكون فيراه للقوى ، وأخيرا يصطنع الجد فيرسم الطريق للطفل البائس ويخبره بين اثنتين ، فاما أن يموت جوعا أو ينتزع حقه في الحياة الحرة الكريمة .

فالقصيدة تقوم على التضاد بين صورة المرقص وصورة الطفل الشريد ، والشاعر يخلص من عرض الصورتين الى الحديث عن قضية العدالة الاجتماعية ، ويسخر من قيم الفقر والمجد والنبل التي تخدر البسطاء وتخدعهم عن السير في طريق الكفاح ، ويلقي في نفس الطفل بذور الثورة على الظلم ، ويدفعه في الطريق الى الحياة العزيزة الكريمة ، ويحذره سوء العاقبة ان سكت عن حقه المهتضم .

— ١١ —

١ ووصف جميل سلطان حزن اليتيم وكدره وبكاءه وحرمانه من عطف الأبوين ونقمته على الوصي الذي أكل ماله ظلما ، وصور خوفه

من المجتمع وارتيابه في أمره أو نقمته عليه وتحفزه للثورة .

ويرى الشاعر أن المجتمع يورث العداوة والبغضاء ، ويذكي روح التمرد والثورة في النفوس ، ويقطع ما بينه من صلات الرحم فيبعد عن المروءة والعروبة والاسلام ، ويرى اليتم يميت بذور التفوق في اليتامى الذين قد يكون بينهم العبقري والقائد ، ثم يدعو الى الزكاة التي سمت على كريم الصيام ، ويبين أنها خير عند الله من التعبد والقيام في الليل للصلاة، ويرى أن هذا الزمان أهدى الى الخير وأدعى للبذل والاكرام ، وأن العروبة وفضائل الاسلام لم تمت وأن المروءات خالدات .

ومع أن الشاعر صور اليتامى والأوصياء عليهم تصويرا أليما داعيا الى التمرد والثورة فانه التمس لمشكلة اليتم حلا من نظام الزكاة في الاسلام ، وعرض ما يفيده المجتمع من اليتامى ان هو تبناهم وأعانهم على أمرهم ، والشاعر ، في هذه النظرة الأخيرة ، يتابع حافظ ابراهيم في موقفه من اليتامى .

خصائص الشعر الاجتماعي :

أ)) ـ أغلب الشعر الاجتماعي بين الحربين نظيرات وخطرات مستمدة من ملابسة الواقع لا من دراسته وملاحظته بصورة مستمرة ، وهذه النظرات والخطرات متفرقة لا يجمعها نظام ، ولا تخضع لمنهج في الدرس والتحليل ونجدها عند الزركلي والفراتي وعمر يحيي والحامد .

ب)) ـ وهناك شعر يعنى بدراسة العادات والتقاليد الشائعة في المجتمع ، كالتبرك بالحمل ، والاتكال على الأولياء لقضاء الحاجات وتحقيق الآمال والتماس الشفاء للمريض .

ج)) ـ ونجد شعرا يعرض بعض انظمة المجتمع التقليدية كنظام الزواج وقد عالجه كلا الشاعرين الزركلي وشفيق جبري .

د)) ـ وهناك شعر يسجل الظواهر الجديدة في حياة المجتمع في العقد الثاني من هذا القرن كظاهرة السفور التي عالجها بدوي الجبل، وظاهرة تأخر المرأة وقد عالجها محمد البزم.

هـ)) ـ ونجد شعرا يلتقط بعض مشاكل المجتمع كمشكلة اليتيم أو أو الطفل الشريد ، فيصورها مقدما لها العلاج .

و)) - ويظهر قبيل الحرب العامة الثانية شعر يدرس المجتمع دراسة علمية ، ويقسم المجتمع طبقتين ، طبقة الاغنياء وهي فئة قليلة ، وطبقة الفقراء الكادحين وهي فئة كثيرة ، ويدعو الى الثورة فيصور بهذا بوادر الكفاح الطبقي الذي سيشتد بعد الحرب ٠

ز)) - وقد اختلف الشعراء في نظرتهم الى المجتمع وملاحظة أحواله ودرس مشاكله ، فالزركلي لا يكتفي بعرض المشكلة وانما يبحث عن أصلها ويصور نتائجها ويقدم حلا لها ، وقد يتضمن عرضه للمسألة نقدا لها وايضاحا لحقيقتها ، ويدوي الجبل يعرض ظاهرة الفقر ويتخوف منها ، ومحمد البزم يدعو الى تعليم المرأة ويصور أثر جهلها في تأخر المجتمع ويدافع شفيق جبري عن حقها في اختيار زوجها ٠

وينظر أمجد الطرابلسي الى المجتمع من خلال تصوير السائلة ، والطفل المتشرد فيجعله مسئولا عما فيه من شر وفساد ، ويدعو الى الثورة لاسترداد الحق المهضوم ، ويجد جميل سلطان في نظام الزكاة في الاسلام حلا لمشكلة الفقر ٠

وينظر وجيه البارودي الى المجتمع نظرة علمية فيقسمه طبقات يحكم بعضها بعضا ، ويستغل بعضها بعضا ، ويلاحظ الطبقة الحاكمة التي تستغل الحكم لمنافعها ، فيدعو الى الثورة لتقويض دعائم المجتمع القائم وبناء عالم أفضل منه ٠

ط)) - ويتعرض الزركلي والفراتي والبارودي لمشكلة الحرب والسلم ، فيصور الاول شقاء الناس بالحرب وتطلعهم الى السلم ٠
وينذر قادة الامم بسوء المصير ، ويرى الفراتي أن التاريخ تاريخ صراع وحروب بين البشر ، ويتهم القادة بأنهم مجرمون لانهم يلقون بشعوبهم الى الهلاك ، ويدعو البارودي الى عالم الغد الذي سيعيش فيه الناس عيش سلام ٠

الفصل الاول

بناء القصيدة

وجدنا فى بحثنا عن الشعر بين الحربين ، أن هناك موضوعات ثلاثة هى الشعر الوطنى والوجدانى والاجتماعى ، وسندرس بناء القصيدة فى كل من هذه الموضوعات لنتبين أسس بنائها ·

ونلاحظ أن القصيدة التقليدية (١) تتناول عدة موضوعات ، وأن بناءها يساعد على هذا التعدد ، لأن كل بيت وحدة قائمة بذاتها ، وكثيرا ما يكون البيت مستقلا عما قبله وما بعده ، ومن المكروه فى الشعر العربى أن يكون فى كل بيت كلمة ترتبط ارتباطا نحويا بكلمة أخرى فى بيت سابق أو لاحق، وفى هذا الاستقلال اللفظى تشجيع للاستقلال المعنوى ، ومعنى هذا أن الشاعر الذى يريد الانتقال من موضوع الى آخر يرى طبيعة الشعر العربى تساعده على هذا كثيرا ·

وقد سار تنويع الموضوع فى القصيدة العربية سيرا خاصا بحيث يمكن أن تجزئها أجزاء ، كل جزء يتناول موضوعا خاصا مستقلا ، وكل موضوع يشتمل على عدة معان، وكل معنى مضمن فى بيت أو عدة أبيات ·

أ)) ــ فالجزء الأول موضوعه النسيب أى ذكر الأحباب وديارهم وأطلال منازلهم، وقد ألف الشعراء هذا حتى أصبحت الكثرة من القصائد مفتتحة بالنسيب ،وكثير من الشعراء لم يقولوا شعرا فى هذا الموضوع الا فى أول قصائدهم ، وهذه العادة قديمة جدا نراها فى عصور الأدب المختلفة ، وهكذا أصبح الابتداء بالنسيب سنة الشعر العربى فى العصور جميعا ·

ب)) ــ والشاعر يتخلص عادة من النسيب الى الموضوع الذى يريده مباشرة كالفخر بقومه والحط من خصومه أو الكلام على ممدوحه ووصفه والتحدث عن أعماله ·

جـ)) ــ وكثيرا ما يحدث أن يتخلص الشاعر من النسيب الى شىء آخر غير المدح وهو وصف السفر وشد الرحال نحو الممدوح ، وهذا قد يستدعى وصف الابل أو الخيل أو الصحراء أو وصف بحر أو نهر أو غير ذلك ، ثم ينتهى بأن يقول انه حط رحاله لدى الممدوح ، ثم يأخذ فى وصفه ومدحه ·

فالقصيدة تتألف من نسيب ثم وصف ثم مدح ، وقد يضمنها شاعر متحمس كثيرا من الفخر أيضا ، والشعراء الذين ينزعون الى الحكمة وضرب الأمثال يجدون متسعا لهذا ، وليس هذا الترتيب مطردا فى أنواع الشعر جميعا ، ولكنه كثير فى قصائد المدح ·

فتعدد الموضوعات ، أيا كان الغرض الأساسى من القصيدة ، ظاهرة شائعة فى الشعر العربى وان يكن هناك قصائد كثيرة التزم أصحابها موضوعا واحدا ·

(١) المقدمة مقتبسة من كتاب التوجيه الأدبى ص ١٥٠ ــ ١٥٢

بناء القصيدة في الشعر الوطني

ونلاحظ في الشعر الوطني عدة صور لبناء القصيدة :

أ)) ـ فهناك القصيدة ذات النهج التقليدي ، ونراها عند عدد من الشعراء .

فبدوي الجبل ، في قصيدته (على أطلال الجزيرة)[1] يقف بالديار الدارسة ، ويدعو لها بالسقيا ، ويصف أثر الخطوب فيها وفي أهلها ، ويعبر عن حسرته ، ثم يعود الى وقوفه بالمنازل المهجورة ووصف دموعه ، ثم يتحدث عن شعره وعن الشعر الممتاز ، ثم يعرض صورا من الطبيعة ، ويخرج من هذا كله الى موضوعه فيسأل النسمة التي هبت من الربا أن تؤم الجزيرة ، وهنا يتحدث عن نوم الجزيرة وتحكم العداة فيها . وجمالها الذي أطمع فيها وتقييد رجالها ، ثم ينذر عصبة الأمم بثورة العرب ، ويلوح بالاتحاد مع العراق .

ونلاحظ أن الشاعر أضاف الى وقوفه بالأطلال وتصوير عاطفته ، حديثه عن شعره ، ووصف الطبيعة ، ثم تخلص من هذا الى موضوعه ، وكان انتقاله اليه انتقالا متصلا وذلك بذكر النفحة التي هبت من الربا وأمت الجزيرة .

وقصيدة الفراتي (يوم فتح العقبة)[2] مفتتحة بالنسيب ، فهو يتغزل ذاكرا محبوبته وفراقه لها ، ويهون الأمر على نفسه لقيام من يحمي حماها ، وبهذا ينتقل الى مدح فيصل ، ثم يناجي يوم الفتح ، ويصف أثره في حياة العرب .

فالقصيدة تتألف من غزل فمدح فوصف للفتح .

وتضمنت قصيدته (في النهضة العربية)[3] وصف الرحلة الى الممدوح فهو يصور انتشار أخبار العرب في البلاد ، ثم يصف خروجه الى السفر مع صاحبين له ، ويسأل عن الموطن المقصود ، ثم يصف سير الابل وظمأ الركب وطول الرحلة ، ثم يذكر أن العيس ان كانت قصدت ابن هاشم فانها قد استعدت لشكره ، ويخرج من هذا الى مدح الملك حسين ووصف قتال الترك وانكار الصلات بينهم وبين العرب وانذارهم بالحرب لاسترجاع المجد التليد وتحرير البلاد من نيرهم .

---

(١) المختار ص ١١١ (٢) المختار ص ٢
(٣) ديوان الفراتي ص ٣٢

ففي القصيدة وصف الرحلة الى الممدوح ومدح الملك وحماسة وفخر، ويغيب النسيب في مواقف الحزن. فيبدأ الشاعر قصيدته بالوقوف بالديار والنوح على الطلول ووصف الطبيعة من حوله ..

فالحامد ، في قصيدته (دمعة)[1] يقف بالديار ، وينوح على الطلول، ويصف أثر الدهر فيها ، ويحييها ، ويسأل صاحبيه أن يسامراه ويذكرا له ليالي اللهو ويسأل النواعير أن تنوح وتهمث وجده ، ويصور حزن المغاني وخلو جنبات الوادي ، ويطلب الى الجنبات أن تندب الحمى مع الاطيار ، ويخرج من ذلك الى رثاء الفقيد فيذكر صفاته ، ويعبر عن حزنه ، ويرجو أن يرثيه بأحسن مما قال ، وتصوير عجز الشاعر عن توفية المرثي حقه من الرثاء مألوف في قصيدة الرثاء..

ففي القصيدة وقوف بالديار ونوح على الطلول ووصف طبيعة حماة الحزينة ورثاء الفقيد واعتذار عن التقصير في ميدان القول .

وفي قصيدته (على طلول دمشق)[2] يصف الطلل والطبيعة من حوله ، ويعبر عن حزنه ، ويناجي الديار ، ويستعيد الذكريات ، ثم ينتقل الى موضوعه مباشرة فيناجي دمشق ذاكرا مجدها ومصائبها ، وأخيرا يدعو الى مواصلة الكفاح للفوز في معركة الحياة .

ب)) – وقد يبدأ الشاعر قصيدته بوصف الطبيعة بدلا من الوقوف بالديار ومخاطبة الطلول .

فخليل مردم في قصيدته (تحية شوقي)[3] ، يصور زينة الطبيعة بدمشق ، ويذكر حسان وجبلة بن الحارث ، ويصور عبقرية شوقي ونبوغه في الفن ومكانته الشعرية ، ويعظم مصر منجبته ، ويتحدث عن الروابط بين مصر والشام ، ثم يعود الى دمشق فيصف الغوطتين من حولها والشمس الساطعة فوقها والبدر الذي غمرها بنوره الابيض والخمائل التي تهتز في مهب النسيم ، ويقف على ماضي دمشق فيتحدث عن مجدها ودور الخلافة فيها ويذكر بعض الخلفاء ، ثم ينتقل الى ذكر الحاضر ، وأخيرا يعتذر لعجزه وضعفه أمام الضيف ، ويسأل تكريمه .

فالشاعر وصف دمشق ، ومدح الضيف بالعبقرية والنبوغ والتفوق في الشعر ، ووقف على الماضي مفتخرا متألما ، وذكر الحاضر متحسرا نادبا.

---

(١) المختار ص ١١٢ (٢) المختار ص ٢١ – ٢٢

(٣) المختار ص ٤٣

والفراتي في قصيدته (وضح الصبح)(١) ، يمهد لموضوعه بوصف الطبيعة ، ثم ينتقل اليه فيذكر تقدم العرب في العلم وانتفاع الغرب به ، ثم يخرج من هذا فيدعو الى العلم والعمل والكفاح والافادة من تراث العرب الأولين ، ويصف تقدم الأمم وتأخر العرب، ويرى أن سيادة الأمة تكون بالعلم والعمل والكفاح .

وبدر الدين الحامد ، في قصيدته (حمص)(٢) يمدح هاشما الأتاسي وحمص موطن الشجاعة والجهاد ، ويصف متنزه الميماس ويناجي نهر العاصي ذاكرا خلوده وفناء من مر به ، ثم يودع مثالب الماضي القريب ، ويشيد بمجد حمص التي أنجبت الرجال ولاسيما هاشم وهكذا يتخلص الى مدح الرجل ، ويختم القصيدة بوصف شعره والفخر به فيذكرنا بأبي تمام وغيره من الشعراء .

فالشاعر يمهد للمدح بوصف الطبيعة والتغني بمجد حمص، ثم ينتقل الى المدح فيكون انتقاله متصلا ، وينهي القصيدة بالحديث عن شعره .

والشريقي يبدأ قصيدته (نار في جنة)(٣) بوصف طبيعة دمشق، ثم يذكر الثورة العربية والحكم العربي بدمشق ، ثم يتخلص الى ذكر ما أصاب المدينة في الثورة السورية ، ثم يصف خيبة الأمل في الحضارة ويسخر من مزاعم الغرب ، ويدعو الى قتاله ، ثم يجهر بالقومية العربية، ويؤكد روابط العروبة بين بلاد العرب واتصال الثورات الناشبة فيها بعضها ببعض ، وأخيرا ينادي بزعامة مصر في ميدان الكفاح .

ففي القصيدة وصف الطبيعة ، وتصوير ما أصاب دمشق في الثورة السورية ، وهجو الغرب ، وحماسة ، وجهر بالقومية العربية ، ومناداة بزعامة مصر .

ج)) - وقد يغيب وصف الأطلال ، وذكر منازل الأحباب ، ووصف الطبيعة ، فيعبر الشاعر ، في مقدمة القصيدة ، عن عاطفته الذاتية ، ثم ينتقل الى الغرض المقصود ، وكثيرا ما يحدث أن تكون قصيدته متعددة المعاني متنوعة الأغراض .

فخليل مردم ينظم قصيدته (سلام على دمشق)(٤) بعد غيبته عن دمشق ، ، فيعبر عن عاطفته الذاتية من فرح بلقاء الاخوان وحزن على من قضى ونشوة لمرأى دمشق وذهول لمواتاة النظم له

---

(١) المختار ص١٠٦ (٢) المختار ص٨٢ ، ٩٥ (٣) المختار ص١٩ - ٢٠ (٤) المختار ص٢٣ - ٢٤

ومباهاة بشعره ، ثم يصف ما أصاب دمشق فى الثورة السورية من حريق ودمار ، ويذكر الشهداء الذين ذادوا عن الحق وسقطوا دونه ، وينتقد سياسة فرنسة وأعوانها الاجراء ، ويصف حالة بعد عودته الى الوطن ، وأخيرا يصف تقدم الغرب فى ميدان الاختراع ، وينصح بانتهاج سبيل القوة وركوب الاخطار .

ففى القصيدة تعبير عن العواطف الذاتية ، ووصف دمشق فى الثورة ، وفخر بجهاد الثوار ، وحط من انتصار فرنسة عليهم ، وانتقاد سياستها فى البلاد ، ووصف حاله بعد أوبته ، وتصوير آثار الغرب فى نفسه .

وبدوى الجبل فى قصيدته (جنات الشام)(١) يصور حنينه لدمشق وخوفه على المرأة من السفور ، ثم يتحسر على أمته المتفرقة ، ويبكى الماضى مشيرا الى غدر الزمان ، وأخيرا يعبر عن أمله بالشباب ، ويحذر هؤلاء من سموم الحضارة الغربية .

ففى القصيدة غناء ذاتى ومعنى اجتماعى وغرض قومى .

وعمر يحيى فى تكريم العلامة أحمد زكى(٢) يقف على الماضى ، ويعبر عن الأسى والشوق ، ويحزن لما صارت اليه حال البلاد ، ويقف على ذكرى صلاح الدين وأبى الفداء وقبره ، ثم يخرج من هذا الى مدح خلق الزائر ونتاجه .

فالشاعر يمهد للمدح بالوقوف على الماضى والتعبير عن عواطف الأسى والشوق .

ومحمد الفراتى فى قصيدته (اللحن الحزين)(٣) يغنى عواطفه الذاتية ، ويتغنى بمجد العرب فيذكر معاوية والسفاح ، ثم يصور حاضر العرب ، ويتمنى عودة صلاح الدين الأيوبى ثم يخلص من ذلك الى تشجيع طالب الاصلاح والدعوة الى تعليم الأولاد واستغلال خصب الأرض واصلاح البلاد بالعلم والعمل ، ويلح على مطلب الزراعة ومنافعها .

فالشاعر يغنى عاطفته ، ويقف على الماضى ، ثم ينتقل الى وصف الواقع ، ثم يخرج الى غرضه المقصود وهو الدعوة الى العلم والعمل .

د)) – وقد تأتى القصيدة دون مقدمة فتقوم على تنوع المعانى وتعدد الأغراض .

---

(١) المختار ص ١٥٥ (٢) المختار ص ٤٢ (٣) المختار ص ١٥٦ – ١٥٧

فالزركلي في قصيدته (بين الدم والنار)[١] يفخر بانتسابه الى الشام ، ويصف ما أصاب دمشق في الثورة السورية ، ويندب مجالس السمر والأدب ، ويفخر بالثورة ، ويصور الاستعمار يضمر نفسه من جراء فضله ، ويذكر ثورات شعوب الأرض وطغيان الغرب على الشرق ، ويسخر من الغرب وقوته ، وأخيرا يربط بين الثورة السورية ووقعة ذى قار.

فالقصيدة تضمنت فخرا بانتساب الشاعر الى الشام وبالثورة ، ووصف دمشق في الثورة ، وندب مجالس السمر والأدب الذاهبة ، ونقد الغرب المستعمر فهي موزعة بين الحماسة والفخر والوصف والهجو ، وهذه المعاني تدور حول الغرض القومي .

ويشير شفيق جبرى ، في تكريم حافظ[٢] ، الى زيارته لبنان وما قاله من شعر فيه ، والى زيارة شوقي دمشق من قبل وما أوحت اليه من شعر ، ثم يفخر بجبروت دمشق ، ويرحب بزيارة حافظ لها ، ويفخر بمحافظة الشام على عروبتها ، ثم يبعث الماضي الأدبي والتاريخي فيذكر حسان وآل جفنة وبني أمية ، ويتحسر على ذهاب ملك هؤلاء وزوال آثارهم ، ثم يفخر بمناقب العرب ، ويشير الى قدم الروابط بين مصر والشام وتعاطفهما واشتراكهما في الآلام وضرورة تمتين الروابط باللغة والأدب وظهور النزعة الفرعونية بمصر ، ويثق بقدرة مصر على صيانة عروبتها ، ثم يصور قوة رابطة اللغة المؤيدة بالدين والقرآن ، ويبين أنهما من أسس العروبة ، ثم يوضح دور مصر التاريخي في نضال العرب ، فيجعلها ركن العروبة وقبلتها وباعثة النهضة في الشرق ، وأخيرا يتحدث عن مكانة شعر حافظ وأثره في النفس وفي تنبيه الشعور القومي ، ويظهر دور الشعر في تهيئة الثورات .

فالقصيدة تقوم على تصوير عروبة دمشق وبيان الروابط بين مصر والشام ، وتبيين دور مصر في قيادة العروبة الثائرة ، وأثر حافظ في قومه ، وأثر الشعر في تنبيه الشعوب ، وقد خرجت المعاني في أثواب من الحماسة والفخر والتحسر والمدح ، فهناك فخر بنضال دمشق ومحافظة الشام على عروبتها ومناقب العرب وروابط العروبة ومصر قائدة العروبة ، وهناك وقوف على الماضي وبعث له وتحسر عليه ، وهناك ترحيب بالضيف ومدح له ببيان مكانته وأثره في تنبيه قومه

---

(١) المختار ص ١٣ — ١٤ (٢) المختار ص ٤٤ — ٤٥

بمصر وبلاد العرب •

ومحمد البزم ، في قصيدته (الثورة السورية)(١) ، يمدح سلطان الأطرش ورفاقه وآل معروف وعصبة حسن الخراط ، ثم يحث أبناء الجزيرة على انجاد قومهم ، ويستنصر العرب بوصف ما أصاب البلاد من شر ، ثم يهجو العدو ونظام الانتداب ، وينذر بغضبة العرب، ويدعو المحتل الى الجلاء عن الشام وقصد بلاد أخرى غيرها ، ويسخر من جيشه وقوته ، ويفخر بكثرة العرب وحماستهم وابائهم وكرمهم ويصف جدب الوطن واحتراق دمشق وتهدم الدور والقصور وزوال معالم التاريخ وتساقط الضحايا في المدن الآمنة واستهانة العدو بالحرمات، ويصور مشاهد من غدره ، ويعرض بالحلفاء ووعودهم ومواثيقهم، ويستهين بقوة العدو وظلمه ، ويفخر بشجاعة العرب ، يذكر أعمال الجنرال (غورو) الحقود وتجزئة البلاد في عهده (ويغند) والشر الذي صبه (ساراي) على الناس ، ويفتخر بماضي العرب ، ويستنجد بالمصريين مذكرا بوفاء العربي وتحريك الشام لآلام مصر واشتراكهما في التاريخ

ففي القصيدة مدح قواد الثورة ورجالها ، واستصراخ العرب لانجاد قومهم في الشام ، وهجو العدو ونظامه وسخر من قوته واستهانة بظلمه ، وفخر بماضي العرب وصفاتهم ، ووصف ما أصاب دمشق من شر ، وحط من شأن الحلفاء ، ووصف أعمال المحتل في البلاد ، فالقصيدة موزعة بين المدح والفخر والحماسة والهجو والوصف•

وبدوي الجبل في قصيدته (يا شاعر التاج)(٢) يدعو الزهاوي الى أن ينوح على الخطب النازل ، ويبين وحدة المصاب بين العرب، ويتحسر على الشهداء في الثورة العربية ، ويبكي المجد والسؤدد الماضيين ، ثم يسأل زميله عن العراق وأهله وقادته من الهاشميين ويعبر عما يكن لهم وللعراق من حب ، ثم يعود الى الحاضر فيستخرج منه العبر •

والقصيدة تتضمن النوح على الحاضر ، والتحسر على الشهداء وبكاء الماضي ، والسؤال عن العراق ، والتعبير عن عاطفة الشاعر، وتصوير الواقع ، واستخلاص العبر منه ، واستجلاء حقيقة الغرب المستعمر الذي يقوم على مبدأ القوة •

---

(١) المختار ص ١٤ ـ ١٦   (٢) المختار ص ٤١ ـ ٤٢

هـ)) ـ وهناك القصيدة التي تدور حول موضوع واحد يستمده الشاعر من الأحداث أو من الحالة العامة في البلاد أو من التاريخ ، وبناء هذه القصيدة يتأثر بالموضوع ذاته ٠

ا ـ فالقصيدة التي تصور حادثا أو حالة عامة لا تتقيد بنهج معين ، وانما تستوحي خطتها من الموضوع ٠

فخير الدين الزركلي في قصيدته (الفاجعة)(١) يعظم مصاب الاحتلال بعد وقعة ميسلون ، ويتلهف على الوطن ، ويصور حال البلاد وتردد القوم قبل الوقعة وخروجهم لملاقاة العدو والوقعة ، ويرمي المحتل بالكذب والخداع ، ويصور حزن الناس وحبه لدمشق وحنينه اليها وحاله في بعده عنها ، ويعرض بأعوان فرنسة ، وأخيرا يتحسر على ذهاب النهضة العربية في عهد فيصل ٠

فالقصيدة تصف وقعة ميسلون وحال البلاد قبل الوقعة وبعدها ، وسياسة العدو ، وعاطفة الشاعر ، فهي تدور على موضوع واحد وهو الاحتلال ٠

وجبري في قصيدته (على قصيف الرعد)(٢) يصور وقوف دمشق للشدائد ويعرض بالحكومة القائمة في ظل الاحتلال ، ويذكر الماضي ويربطه بالحاضر ، ويمجد الثورة السورية التي ظهرت فيها وحدة الصف وأيدها العرب جميعا ، ثم يؤكد عروبة دمشق وأخيرا يضفي جلال الماضي على الثورة ٠

والقصيدة مستمدة من أحداث الثورة ٠

وخليل مردم في قصيدته (حديث المعاهدة)(٣) يصور سياسة العدو بين الحربين من احتلال البلاد ، وانتحال مختلف الأسماء كالوصي والولي والمنتدب ، وضن بالمال على سورية وسخاء به على لبنان وجمع ذهب البلاد وابداله بالنقد الورقي ، وجمع سلاح المواطنين ، ودعوة سورية الى التحالف بعد نضال طويل وعقد معاهدة معها ونكول عن تصديقها ، واثارة الفتن والقلاقل في أطراف البلاد واتخاذها ذريعة لاظهار الحكومة في مظهر العاجز عن ادارة شئون الحكم ، وأخيرا يتوق الشاعر الى عهد النضال فيدعو الى اطراح المعاهدة واستئناف الكفاح ٠

والقصيدة في الشعر السياسي ، والشاعر يلخص سياسة العدو بين الحربين فيعرض أحوال سورية في عهد الانتداب والتحالف ٠

---

(١) المختار ص ٥ ـ ٦ (٢) المختار ص١٧ ـ ١٨ (٣) المختار ص٢٨ ـ ٢٩

وبدوى الجبل فى قصيدته (تحية الملك) (١) يمدح حسينا بمناسبة زيارته عمان ، فيصف أفعاله ، ويبين مقامه وأثره فى الثورة العربية، ثم يجمع كلمة الناس حوله ، ويعرض بالمغرضين الذين افتروا عليه كذبا ، ثم يدعو الملك الى مواصلة الكفاح لجمع كلمة العرب وتحقيق آمالهم .

والقصيدة فى مدح الملك ، فهى تتصف بوحدة الموضوع .

وعمر يحيى ، فى قصيدته (جهاد فلسطين) (٢) ، يصور ثورة شعب فلسطين على الاستعمار ، ويحض على الثورة لطرد الواغل الدخيل ، وينزه فلسطين عن أن تكون مأوى شذاذ الآفاق ، وينذر اليهود بالرحيل ، ويدعو العرب الى نصرة الشعب الذى يحاول المستعمر الغاصب افناءه ، ويصف فظائع الاستعمار .

فالموضوع هو جهاد فلسطين ، والقصيدة تتصف بوحدة الموضوع .

وأمجد الطرابلسى فى قصيدته (أمية تهتف) (٣) يصور ترديد نبأ الاضراب الذى استمر خمسين يوما ، ويبارك تضحيات الشباب فى سبيل قومه ، ويشيد بجهود المرأة ، ويصور اشتراك الأمة كلها فى النضال وصبرها على الجوع . وثباتها فى المقاومة وتساقط بالحجارة وتساقط القتلى فى الشوارع وأمام البيوت .

فموضوع القصيدة وصف غضبة الأمة ونضالها ، والقصيدة تمتاز بوحدة الموضوع .

والى جانب وحدة الموضوع فى القصائد السابقة ، نلاحظ وحدة الأثر العام وهى وحدة مستفادة من ظروف مرحلة النضال .

٢ — وهناك قصائد الرثاء التى قيلت فى شهداء السادس من أيار عام ١٩١٦ ويوسف العظمة ، وشهداء الثورة السورية ، وشهداء فلسطين ، وحسين وفيصل وغازى من أفراد الأسرة الهاشمية ، والزعماء القادة مثل سعد زغلول وابراهيم هنانو ، والكتاب مثل المنفلوطى والشعراء كحافظ وشوقى ،

وطريقة الشاعر فى الرثاء هى طريقة الشعراء القدامى من :

أ — تعظيم المصاب بالفقيد

ب — ووصف الحزن عليه ، وتمنى العزاء فيه ، وبكاء الأمانى الضائعة

---

(١) المختار ص ٣٥ — ٣٦ (٢) المختار ص ٣٣ — ٣٤ (٣) المختار ص ٢٥ — ٢٦

بعده ، ووصف حزن الطبيعة .

حـ ـ اكبار خلقه وجلاء صفاته

د ـ عرض أعماله وجهاده ، وبيان أثره فى حياة قومه

هـ ـ رفعه مثالا يحتذى فى الجهاد والتضحية والشجاعة والصبر والخلق الكريم .

و ـ استخلاص العبر من حياته .

ز ـ بيان خلوده فى قومه

ويبرز فى رثاء الملوك والقادة والزعماء :

أ ـ ذكر الروابط بين بلاد العرب

ب ـ وصف حال البلاد وشقائها بالاستعمار ، وذكر ما تلا موت الفقيد من مصائب .

حـ ـ عاطفة الحماسة القومية التى تبلغ حد الانذار بالثورة .

د ـ هجو الاستعمار وأعوانه .

هـ ـ الماضى العربى .

و ـ دعوة الأمة الى الاتحاد ، ونبذ التفرقة ، والتخلق بالخلق الكريم ومواصلة الكفاح .

ويبرز فى رثاء الكتاب والشعراء :

أ ـ خلو مكان الأديب ، وأثره فى النهضة الأدبية .

ب ـ تقويم أدبه من ناحية اللغة والفن .

حـ ـ أثر أدبه فى موطنه وفى بلاد العرب .

د ـ مواهبه الأدبية ومكانته الفنية .

هـ ـ أثر البيئة المادية والمعنوية فى أدبه .

و ـ آراؤه فى الحياة والناس ، وموقفه من الحضارة والعلم

ز ـ شيتنا ؟ العروبة فى أدبه .

ح ـ روابط العروبة ولاسيما رابطة اللغة والأدب .

ط ـ أثر مصر فى النهضة الأدبية .

وسنعرض معانى الرثاء فى قصائد بعض الشعراء لنتبين نظامها فى كل قصيدة .

فالزركلى ، فى قصيدته (الشهداء)[1] ، يصف أحزان العرب ، ويرسم أمارات الحزن فى الطبيعة ، ثم ينتقل الى ذكر الثورة العربية التى دعا

---

(١) المختار ص ١

اليها حسين انتقاما للشهداء ، ويصور اللغة تبكي الشهداء ، ثم يعرض صورا خاطفة من استعداد العرب للقتال وادراكهم الثأر الذى أنعش أرواح الشهداء ، ويختم القصيدة بالتعبير عن أمله في السلام .

والرثاء يقوم على تصوير أحزان النفوس والطبيعة تصويرا مبالغا فيه ، والى جانب هذا تبدو صور من الثورة ، ويظهر تطلع الناس الى السلم في الحرب الأولى .

وفي رثاء الملك حسين(١) يصور محمد الفراتي حزن الناس عليه ، ويصفه بالخلود ويذكر حاجة قومه اليه ، ثم يستعيد ذكرى ثورته وأعماله في سبيل قومه ، ويصور خلو مكانه بعده ، وموت آمال العرب بموته ، وتهدم ما شاده بجهاده ثم يعود الى تصوير الحزن ، وينذر العرب بالثورة .

وخليل مردم يعظم المصاب بفيصل(٢) ، ويعتب على القضاء ، ويصور حال سورية في عهد الاحتلال ، ويصف فيصلا في زيارته له ، ويختم قصيدته بتصوير الحزن عليه وتمني العزاء فيه .

ويعظم عمر يحيي المصاب بفيصل(٣) ويصف الحزن على الراحل وحاجة الشرق اليه ، ويتحدث عن ارتياح الفقيد الى عمله في سبيل العروبة ويذكر طموحه وسموه وقرباه من الرسول وموته عند الحاجة اليه واقامته الملك بالعراق بعد خروجه من الشام واعادته ذكر بني العباس ، ثم يستعيد ذكرى الثورة العربية ، ويصور أحزان العاصي والطبيعة عليه ، ويختم القصيدة بذكر ما شاد من بناء قويم ، وما خلف من عهد ما تزال الأمة تحفظه .

فالقصيدة قامت على تعظيم الخطب وتصوير أحزان النفوس والطبيعة، ووصف جهاد الفقيد وأثره في حياة قومه وخلوده .

وفي رثاء غازي(٤) يحتفل بدوى الجبل الماضي والحاضر لاثارة الحماسة القومية ، ويؤكد وحدة القطرين من قديم ، ويعبر عن هواه للهاشميين ، ويرى التاريخ العربي سلسلة تمتد من الجاهلية الى يومنا هذا ، ويرى الأسرة الهاشمية حلقة من حلقاتها ، ويعتبرها امتدادا واستمرارا لدنيا الرشيد والممثلة لوحدة العرب والمنافحة دونها، ويعدل بهواه للهاشميين وشعره فيهم ورعايتهم له ، ويخرج من هذا فيدعو

---

(١) المختار ص ٣٦ (٢) المختار ص ٣٧
(٣) المختار ص٣٧ (٤) المختار ص ٣٩ ـ ٤١

الفقيد أن يظل الشام برايعه ، ويذكر بيعتها لأبيه وجده من قبل ويجعل البيعة في الرقاب له ولابنه من بعده ، ثم يصور حزن الشام لموته ، وسوء الحال في عهد الاحتلال ، ويدعوه الى اقتحام الشام والانتصار لقومه المعذبين ، وأخيرا يقف على فلسطين ويصور شقاءها باليهود ويدعو الى تأديبهم .

فالقصيدة تقوم على مزج ذكريات الماضي والحاضر بعواطف الشاعر، وتأكيد وحدة القطرين، والدعوة للأسرة الهاشمية، ووصف حال الشام في ظل الاستعمار والصهيونية، والدعوة على ضمها الى العراق، فهي مزيج متجانس على نار من الحماسة القومية ، وهي تختلف عن قصائد الرثاء اذ ترغب عن تعظيم الخطب وتصوير الحزن والبكاء الى بعث دنيا العرب في الماضي، ووصلها بدنيا العرب في الحاضر ، وتعتبر الأسرة الهاشمية ممثلة لاستمرار دنيا العروبة ورمزا للوحدة ، وفي سبيل هذا نجد الشاعر يجعل البيعة في الرقاب، ويدعو الفقيد أن يضم الشام الى العراق لتحقيق الوحدة .

وعمر يحيى ، في رثاء الطبيب صالح قنباز (1) ، يسأل الناس أن يذرفوا الدم اذا نفد الدمع ، ثم يذكر الشهداء المتسابقين الى نيل العلى ، ويصور ذكراهم تطيف بقومهم فتبعث فيهم الحسرة والتألم ، وتحضهم على تلبية نداء المجد وإباء الذل ، ثم يذكر الناعي الذي شرد النوم وأبكى الأعين وهدم القوى ، ثم يصور أحزان النفوس ، ويصف دار الفقيد وهو مسجى فيها ، ويستجلي في الراحل أروع ذكرى للفخار وآيات الخلود، ويصور ما علا وجهه من نور وبهجة وما في قلبه من سر ، ويصف صعود روحه النقية الى ربه تشكو اليه ظلم المستعمرين ، ويصور بعد ذلك ألمه في البحرين عندما بلغه النعي ، ويستعيد صورا للفقيد ، وأخيرا يدعو الى احتذاء سيرة الشهداء .

فالشاعر يعظم المصاب ، ويدعو الى ذرف الدموع ، ويصور أحزان النفوس ، ويرسم صورة للفقيد وهو مسجى في داره ، ويذكر بعض صفاته ، ويصفه بالخلود ، ويجعل سيرة الشهداء مثالا يحتذى .

وينظم أبو ريشة قصيدته (البطولة وهنانو) (2) فيربط سيرة الفقيد بسير البطولة العربية من عهد النبي ، اذ يصف مولد محمد، وهيامه بالحرية، وموته بعد تحقيقها ، ويصور خروج العرب لنشر

---

(١) المختار ص ١٩ (٢) المختار ص٢٤ - ٢٥

الدعوة، وقيام الملك، ثم هوانهم، وانقسامهم، ووقوع بلادهم في أيدي العدو، واستيقاظهم على زئير الليث، وبذا ينتقل الى هنانو فيصور ثورته وجهاده، وموته مصدورا .

ولا ريب في أن هذه القصيدة تكسر طريقة الرثاء التقليدي اذ تلمح معنى البطولة في المرثي فتجسمه، وتربط سيرة المرثي بسير البطولة العربية معتمدة على القص والتشخيص .

ويعظم عمر يحيى نفسي حافظ[(١)]، ويصفه بالكمال، ويصور بكاء العروبة عليه، وينوه بديباجته وغيرته على الفصحى، ثم يذكر هيامه بالجمال الذي كان يستطيع أن يغنيه متغزلا لولا مصاب بلاده، ثم يصف حزنه على الشرق ودفاعه عنه وثورته على الغرب، ويصور ما انطوى عليه شعره من وحي الحياة وأحاسيس النفوس، ويذكر عطفه على البائسين، ويشير الى أنه أحس بالموت قبل أن يتخطفه فذكر رفاقه الذين سبقوه اليه، وأخيرا يخصه بالخلود .

فالشاعر يعظم الخطب ويصور جهاد حافظ بشعره في سبيل الشرق ومصر والعرب، وعنايته بالبؤساء، وغيرته على العربية، ومكانته الفنية، وبعض خصائص شعره .

ويصف محمد البزم[(٢)] خلو مكان الشعر بعد شوقي، وقيام النهضة الشعرية بمصر على يده، وزيارته دمشق وما قال فيها من شعر هز الناس وصور ملك بني أمية وآثارهم والملك المنشود في العصر الحاضر وهاج في النفوس نخوة عربية، ثم يصف الراحل بالخلود، ويستطرد الى مدح العرب، وأخيرا يبين أثر الماضي في النفوس .

٣ ـ وهناك القصيدة المقولة في موضوعات التاريخ العربي، والشاعر يقصد الى التاريخ فيقف عليه ويستلهمه، وهو اما أن يدير النظم على رجل من رجال التاريخ أو على موقف من المواقف كوداع الملك أبي عبد الله الصغير غرناطة، أو يقف على التاريخ العربي فيشمله بنظرة خاطفة، أو يعنى بذكر بعض العظماء والوقائع والفتوح، أو يقف على الآثار فيذكر أصحابها للتأسي أو يعنى بصفات العرب وأعمالهم وفتوحهم وملكهم .

وتمتد ظلال المرحلة التاريخية الى هذه القصائد رغم ايغالها في الماضي، فنجد الشاعر يجمع بين الماضي والحاضر، ويأمل أن

---

(١) المختار ص ٤٦ ـ ٤٧ (٢) المختار ص ٤٧ ـ ٤٨

يكون الزمان عدا على العرب ، وقد يتفضل يقظة الأمة العربية فى كفاحها فيلف الماضى والحاضر بفكرة البعث ، ويوجه الأنظار الى مكة فيجعلها موطن البعث فى الحاضر كما كانت موطنه فى الماضى ٠

وقد يقدم الشاعر لموضوعه بمقدمة ، وقد يتناوله مباشرة وفى كلتا الحالين تظهر القصيدة وحدة متماسكة ٠

فالزركلى يمهد لقصة (صقر قريش) [(١)] بمقدمة ، ثم ينتقل الى سرد القصة ، ويشيد بذكر البطل والاسلام والملك الذى أقامه العرب، ثم يختم القصيدة ببكاء قرطبة وماضى العرب ، ويصور نومهم وذلهم اليوم وعدوان الغرب عليهم ٠

ففى القصيدة تمهيد لقصة البطل ، وانتقال الى الموضوع بذكر بنى أمية وسقوط ملكهم بدمشق واقامته ثانية بالاندلس على يد عبد الرحمن ، وسرد لقصته ، ووقوف على الماضى ، ومقارنته بالحاضر ، والقصيدة تدور على تمجيد بطولة الرجل ٠

ويمهد عمر يحيى للمنصور بن أبى عامر [(٢)] بغناء الطبيعة والشاكين فى الليل والشعر ، والشاعر المسهد والمجد الذى نام عنه أصحابه ثم ينتقل الى مدح المنصور وذكر صفاته ، وأخيرا يبكى الماضى ولا سيما ماضى العرب بالاندلس ٠

ويمهد أبو ريشة لحديثه عن الرسول [(٣)] بوصف قريش فى الجاهلية ، ثم يصور حياته منذ ولادته حتى وفاته ، ويصور الفتوح تمتد شرقا وغربا اتماما لرسالته ، ويأمل أن تطلع مكة على العالم بفجر جديد ٠

ويلقى على التاريخ نظرة خاطفة [(٤)] ، ويمهد للحديث عنه بتصوير ركب ضل فى الصحراء ثم اهتدى الى مكة حيث الدعوة النبوية ، ثم يقص تاريخ العرب من عهد الرسول الى يومنا هذا ، ويشبه العرب فى ضلالهم وحيرتهم اليوم بذلك الركب الذى ضل ثم اهتدى ٠

وفكرة البعث العربى واضحة فى قصيدتى أبى ريشة ، فهو يرى رسالة النبى بعثا للعرب ، ويرى مكة خليقة بأن تكون موطن البعث اليوم كما كانت موطنه فى الماضى ٠

ويصف أنور العطار حركة الصحراء وما ظهر فى أفقها البعيد من جمش أسامة [(٥)] ، ثم يتغنى بصفات القائد وبالصحراء موطن البأس والجرأة

---

(١) ديوان الزركلى ص٦ (٢) ديوان البراعم ص ١٣٢ ـ ١٣٥
(٣) شعر ٠ مطبعة الكشاف بيروت سنة ١٩٤٧ ص١١٢ ـ ١٢٤
(٤) شعر ٠ مطبعة العصر الجديد ٠ حلب سنة ١٩٣٦ ص١٧٩ ـ ١٩٠
(٥) ظلال الايام ص ١٠٠

والحزم والحب والنور والهداية والرجال العظام ، ثم يشير الى الخطوب النازلة بالعرب وقراع المستعمر والصهيونية ، ويستمد من الطبيعة عليهما ، ويرى أن لا حياة للقوم الا بالوحدة ، وأن مجدهم لا يعاد الا بالاتحاد ، ويختم القصيدة باستعادة ذكرى الماضين ودفع القوم الى الثورة على الظلم لاحياء المجد الغابر .

ومع أن القصيدة في جيش أسامة فان الشاعر قصر القسم الأكبر منها على تصوير حال البلاد في ظل الاستعمار والصهيونية والدعوة الى الاتحاد وبهذا جمع بين الماضي والحاضر .

ويتغنى بدوي الجبل في قصيدته (نغمات عودي)(١) بشمره وأثره فيه ، ويشكو اليه بثه وحزنه ، ويسأله عن الماضي فاذا هو به عليم ، وبهذا ينتقل الى ذكر السفاح والمنصور وحضارة جلق وعذوبة مائها وجمال نسائها وملوكها من بني غسان ، ثم يقف على قبر صلاح الدين الأيوبي خاشعا فيذكر سلمه وحربه وفتوحه ، ويأسى على موته .

ففي القصيدة تغن بالشعر ، ووقوف على الماضي ، وذكر لبعض الرجال العظام .

ويقف الحامد على قبر أبي الفداء(٢) ، فيصف القبر ويصور خلوة الدفين الى نفسه في المساء وتأمله في الوجود ، ويذكر كتابه في تاريخ القدماء وملكه بحماة ، ويصف خلوده ، وسوء الحال في عهد الاحتلال .(٣)

ويصور عمر يحيي موقف الملك أبي عبد الله الصغير عند وداع غرناطه فيصف اضطرابه وذهوله من هول المصيبة ، ويمد على طبيعة غرناطة ظلالاً من الحزن ، ويضمن الرصف نظرات تعكس استهانة الملك بخطر العدو .

و)) ـ وهناك القصيدة التي تقوم على الرمز ، فالزركلي يعتمد الرمز في موشحة له عنوانها (العذراء)(٤) يصور فيها بطريقة رمزية احتلال الفرنسيين لسورية ، وخلاصتها أن ليلى كانت تعيش مع أسرتها في كوخ على ساحل البحر ، وفي احدى الليالي يطرق الباب ضيف فيستيقظ أبوها ويستقبله ويسأله عن حاجته ، فاذا هو يريد أن يجاورهم صباح مساء ويرغب في مساعدتهم ، فيشكره الأب الشيخ معتذرا عن قبول العون ،

---

(١) ديوان بدوي الجبل ص ٦٠ ـ ٦٢ (٢) ديوان بدر الدين الحامد ص ١١١ ـ ١١٥
(٣) ديوان البراعم ص ٤٤
(٤) مجلة (الرابطة الأدبية) الدمشقية الجزء الثاني تشرين الأول ١٩٢١ ، ص ٩٢ ـ ١٠٤

وعندئذ يتهم الضيف البنت بأنها أحبته والأب بأنه يريده صهرا له ، وهنا يجيء الهيثم أخو ليلى على صوت الضيف فيعنف في مخاطبته ، ويعلن الضيف أنه يريد الفتاة زوجا له ، فيثور الهيثم وتدور معركة بينه وبين الضيف يسقط فيها صريعا ؟

والعذراء هي سورية ، والهيثم هو يوسف العظمة ، والطارق هو العدو الفرنسي ، وهذا الاطار القصصي الرمزي نجده في قصيدة ثانية له عنوانها (الفداء) (1) .

وشفيق جبري استخدم الرمز في قصيدته (الحرية) (2) اذ صور امرأة أحبها ثم فرق بينهما الدهر وبقي على حبه لها ، والمرأة رمز الى الحرية .

وتشتمل قصائد الشعراء في مناجاة الطير (3) على رموز الى أحوال البلاد في ظل الاحتلال .

وشيوع الرمز في الشعر الوطني ناجم عن الضيق الذي كانت تعانيه البلاد أيام الحكم الأجنبي ، ولاريب في أن الرمز في بعض القصائد هو المحور التي تدور حوله تلك القصائد .

ز)) — وهناك الشعر التمثيلي وهو شكل جديد من اشكال الفن الشعري نجده عند عمر أبي ريشة في مسرحيته (ذي قار) (4) .

ا — والمسرحية مأساة شعرية تتألف من أربعة فصول .

الفصل الأول : يبدو فيه المنذر مهموما لما يعاني من حب ، وتعلم الحرقاء بخبره ، ثم يتلاقيان عند الغدير ويظهران حبهما .

الفصل الثاني : يظهر كسرى مع حاشيته وهو مشغول البال لتوقيع خروج أحد تابعيه عليه ، ثم يلهو بالاستماع للنديم والغناء ومشاهدة الرقص ، ويستقبل بعدئذ قائده الطميح العائد من القتال ومعه السبايا ، ويسمع بخبر جمال الحرقاء فيوفد قائده الى النعمان لطلب ابنته .

الفصل الثالث : تبدو فيه الحرقاء قلقة لتأخر المنذر في الحضور ، ويجلس النعمان ليقضي بين الناس ، ثم يستمع للشعراء ، وبينما هو يتهيأ للشراب يأتي الطميح فيستقبله النعمان ويرفض طلب كسرى لانه ليس كفءا للعربية .

---

(1) ديوان الزركلي ص ٩٥ (2) المختار ص ٧ — ٨

(3) المختار ص ٧٨ — ٨١ (4) مسرحية ذي قار . مطبعة المعارف . حلب سنة

الفصل الرابع : يجيء فيه المنذر الحرقاء مودعا ، ويخبرها برحيله الى مضر ليستنهضها ، فتشجعه الحرقاء على المضي في طريقه ، ويستعد النعمان هو ورجاله لملاقاة الفرس ، ثم يشتبك الطرفان فيقع النعمان قتيلا ، وتفر الحرقاء ، فيرسل الطميح الجند لأسرها فلا يجدونها ، ويتلاقى هو وابنه عصام حاجب النعمان ، ويتبارزان فيقع الابن صريعا ، ويطارد الفرس الحرقاء من حي الى حي فتفر حتى تبلغ خيام بكر ، فيجيرها هانيء ابن مسعود ، ويرد رسول الطميح فينذره الرسول بالحرب ، فيستنجد بتغلب فتجيء منجدة ، ثم يزحفون الى ذي قار ويكمنون فيه ، ثم يبلغ جيش الفرس المكان فينقضون عليه وهو يجتاز الوادي ، وتأتي نجدة عربية ، ويقتل الطميح بضربة من فارس ملثم ، وينهزم الفرس ، ثم يظهر أمر الفارس فاذا هو المنذر ، وينادي به العرب ملكا عليهم، ويتزوج المنذر الحرقاء .

٢ - ومنذ الفصل الأول نطالع حب المنذر ، وفي الفصل الثاني تبتدىء العقدة بالتكون عندما يطلب كسرى بنت النعمان ، وفي الفصل الثالث تنمو العقدة وتقوى حتى تبلغ الذروة عندما يرفض النعمان طلب كسرى . ويهدده الطميح بالحرب ، وفي الفصل الرابع تبتدىء العقدة تنحل اذ يقتل النعمان ، وتفر الحرقاء ملتجئة الى بكر ، وتقاتل العرب الفرس وتهزمهم في ذي قار ، وتنحل العقدة بالمناداة بالمنذر ملكا ، وتزوجه .. من الحرقاء .

٣ - ويقوم عنصر الدرام في المسرحية على أنواع الصراع التي تجري داخل النفس وخارجها ، ويقوم الصراع بين العوامل النفسية والاخلاقية ، فالصراع يدور في قلب المنذر والحرقاء بين الحب والواجب القومي ، وفي نفس النعمان يبين هوى الملك والرغبة في الاحتفاظ به وبين عزة النفس والاباء والنخوة العربية ، وفي نفس الطميح بين حبه لقومه العرب واخلاصه لكسرى مولاه ، وفي نفس عصام بين حبه لقومه واخلاصه للنعمان مولاه وبين حبه لأبيه الطميح ، ويدور الصراع بين الفرس والعرب ، فهؤلاء يريدون الانعتاق من حكم الفرس ، وأولئك يريدون الاحتفاظ بسلطانهم على العرب .

ومن الواضح أن الصراع بين الحب والواجب في قلب المنذر والحرقاء ينتهي بانتصار الحب والواجب ، اذ يتزوج المنذر من الحرقاء وينتصر العرب ، وينتهي الصراع في نفس النعمان بموته في ساحة المعركة ، وفي نفس عصام بموته في المبارزة بينه وبين أبيه ، وفي نفس الطميح بموته في ذي قار ، وينتهي الصراع بين الفرس والعرب بانتصار العرب .

٤ ـ والمسرح يطفح بمنتصر المأساة ، فهناك مقتل النعمان ومقتل عصام وأبيه الطميح ، وهناك تساقط القتلى في الحرب بين جنود النعمان والطميح مرة وبين جنود الطميح ورجال بكر وتغلب في ذي قار مرة أخرى.

٥ ـ والصراع بين العواطف والمشاعر والأهواء سطحي لا يمس جوانب النفس ولا يبلغ أعماقها ، فالشاعر يطيل الوقوف عند تصوير عاطفة الحب في الفصل الأول مع أن المقدة لم تكن قد تكونت ونمت ، بينما يقلل من الوقوف عند تعقد الأزمة وتشابك العوامل الخارجية والنفسية الداخلية في نفوس أشخاص الرواية ، فالحرقاء ، في الفصل الرابع ، تهيم على وجهها في القفار وقد فقدت والدها النعمان ، وبعدت عن حبيبها المنذر ، وغدت طريدة الفرس ، وكان في امكان الشاعر أن يوضح تشابك هذه الأسباب وعملها المدمر في نفس الحرقاء ، ولكنه لم يفعل بل قصر عمله على تصوير حزن الحرقاء وألمها وبكائها ويأسها وتفكيرها في الانتحار.

وكذلك لا نجد تحليلا لنفس المنذر الذي وقفت الحوادث دون تحقيق آماله في الحب ، وذهبت بالنعمان وملكه ، وكل ما نطالعه وصف لبكائه وحزنه وعدوان الحادثات عليه وتألمه مما صارت اليه حال البلاد ، وكان خليقا بالشاعر ، وقد اجتمع الحبيبان في أول الفصل الرابع ، أن يصور موجة الحزن العارمة التي غمرتهما من جراء الفراق الذي يوشك أن يكون ، ويصور اضطرابهما بين عاطفة الحب وواجب الدفاع عن الوطن ، ولكنه اكتفى بأن يصور عزم المنذر أن يصون الحرقاء من أذى الأعداء ويسير الى مضر للاستنجاد بها ، ووصف أساه على الماضي ويأسه وصور الحرقاء تعاهد المنذر أن تحفظ وده وتشجعه على المضي في طريقه لنيل المعالي.

وعندما أجرى الشاعر الحوار بين الطميح وابنه عصام تمهيدا لما سيكون بينهما من مبارزة وجدناه يصور عصاما يشقى بالصراع بين المشاعر المتضاربة في نفس أبيه بدلا من أن يشقى بها أبوه ذاته ، ذلك أن الطميح تناسى قومه العرب ، ووقف الى جانب كسرى في غضبه على النعمان ورغبته في ازالة ملكه.

٦ ـ على أن الشاعر استخدم الحيل المسرحية المختلفة لتقوية عنصر الدرام والمحافظة على خيط سيره ، ومن تلك الحيل المفاجأة والائتمان والمناجاة.

والمسرحية حافلة بالمفاجآت ، ففي المنظر الثاني من الفصل الأول تفاجأ الحرقاء بخبر حب المنذر لها ، وفي المنظر الثالث يفاجأ المنذر بظهور الحرقاء أمامه عند الغدير .

وفي الفصل الثاني يفاجأ كسرى بخبر رجوع الطمع منتصرا على شيبان ، وخبر جمال الحرقاء ، وفي الفصل الثالث يفاجأ النعمان وحاشيته بشاعر ملثم يظهر بعد أنه النابغة الذبياني الذي جاء مستغفرا ثم يفاجأ النعمان بمجيء الطمع يحمل رسالة كسرى التي تضمنت طلب الحرقاء ، وفي الفصل الرابع يفاجأ المنذر بظهور الحرقاء أمامه ثم يفجؤها بخبر وصول جيش الفرس لأخذها عنوة وفراقه لها وسيره الى مضر لاستصراخها ضد الفرس ، وفي آخر الفصل يفاجأ جيش الفرس والعرب بوصول نجدة عربية يتقدمها فارس ملثم ، بحسر الفارس اللثام عن وجهه بعد هزيمة الفرس فاذا هو المنذر .

أما الائتمان فنجده بين مريم والحرقاء ، فمريم تغدو موضع سر الحرقاء منذ أن حملت اليها خبر حب المنذر لها ، ولذا نجد الحرقاء تفصح ، أمام مريم ، عن مكنون نفسها وقلبها كلما أحست بالضيق .

والمناجاة أن نستمع للبطل يتغنى بخواطره ومشاعره كلما انفرد بنفسه ، وقد وجدنا المنذر في الفصل الأول ينشد أربع قطع معبرا عن عاطفة الحب والاشجان والهموم ويظل يناجي نفسه كلما واتته الفرصة .

٧ — وقد قصد الشاعر الى تصوير البيئة التاريخية في بلاط كسرى والنعمان فوجدنا بلاط كسرى يقوم على العرب ، فالطمع قائد جنده ، ودعبل نديمه ، وجساس وحسان من شعرائه ، والحارث مطربه وهؤلاء كلهم عرب ، وإنما دل هذا على شيء فانما يدل على ما كان من اتصال وثيق بين العرب والفرس قبل الاسلام .

وصور الشاعر بلاط النعمان فوجدنا النعمان يحكم بين الناس بالعدل ويستمع للشعراء ، ويدعو بالشراب مع الحيور والغيد .

ويبدو أن الشاعر كان يطمع في تصوير البيئة التاريخية التي استمد منها موضوع مسرحيته ، وقد جاء تصوير بلاط كسرى والنعمان في تضاعيف عنصر الدرام وكان له تأثير مباشر في سيره

٨ — على أن في المسرحية عنصرا دخيلا على الدرام وهو العنصر الغنائي ، فالمسرحية ، مع التزامها قواعد الفن المسرحي ، مطبوعة بطابع غنائي ، وهذا الطابع واضح في القطع التي يتحاور ويتغنى

بهـا ، والشـاعـر المـولـع يرسـل نفسـه علـى سجيتهـا فـى القطع المغنـاة وقطـع الشـاجـاة والقـطـع الـتى ينشـدهـا الشـعـراء فـى بـلاط كسرى والنعمان ، ويطلـق عـواطفـه الـذاتيـة ويغنيهـا غنـاء خالصـا .

٩ ـ وقـد كـان عمير أبـو ريشـة مقلـدا للمـذهـب الكلاسيكـى فى مسـرحيتـه ، فـقـد اختـار موضـوعـا تـاريخيـا استمـده مـن تـاريـخ العـرب ، واستخدم الشعر فـى معالجـة الأدب المسرحـى ، وقـامـت مـأسـاتـه علـى تصـويـر حيـاة الملـوك والأمـراء والـقـواد علـى الـرغـم مـن تـقـدم العصـر وظهـور الـدرامـا البورجوازية والـدرامـا الحديثـة الـتى تصـور حيـاة العامـة ومشكـلاتهـم الانسـانيـة والاجتماعيـة وقـد بنى الشـاعـر مسـرحيتـه علـى أزمـة تتصـارع فيهـا قـوى نفسيـة وأخلاقيـة متعـارضـة .

١٠ ـ ومـع أن الشـاعـر استمـد الأصـول العامـة لمسرحيتـه من الكلاسيكيـة الا أنـه خـرج عليهـا فى نـواح عـدة :

أ)) ـ فقـد خـرج علـى وحـدتـى الزمـان والمكـان فنقـل مشاهـد المسـرحيـة مـن الحـيرة الـى بـلاط كسـرى ، ثـم عـاد بهـا الى بلاط النعمـان وانتقـل بهـا أخـيرا الى منـازل بـكـر ومـوقـع ذى قـار ، وهـذا كـلـه لايمكـن أن يـتم فى أربـع وعشـريـن سـاعـة كمـا تشـترط وحـدة الزمـان .

ب)) ـ وعـدا ذلك ، فـالاتجـاه الأصيـل فى المسـرح الكـلاسيكى أن تنتهى المـأسـاة بخاتمـة محـزنـة ، وتنتهـى الملهـاة بخاتمـة مضحكـة أو سـارة ، ولكـن الشـاعـر لـم يـأخـذ بهـذه القاعـدة ، وان تكـن غـير مطلقـة ، ووجدنـاه ينهـى مسـرحيتـه بخاتمـة سـارة ، اذ يـتزوج المنـذر مـن الحـرقـاء ، وينـادى بـه العـرب ملكـا عليهـم ، ومـن شـأن هـذه الخاتمـة أن تخفـف قـوة الانفعـالات الـتى أحـس بهـا الـقـارىء عندمـا شاهـد مناظـر المأسـاة التى سـالت فيهـا الدمـاء ونثـرت الأشـلاء علـى خشبـة المسـرح .

جـ)) ـ وقـد جعلـت الكـلاسيكيـة من أصـولهـا مبـدأ فصـل الأنـواع الـذى يقضـى أن تكـون أحـداث المـأسـاة محـزنـة متتـابعـة الحلقـات ، وتكـون أحـداث الملهـاة مضحكـة لا تجـرى المـأسـاة فيهـا ، ولكـن الرومانسيـة سخـرت مـن هـذا المبـدأ مستشهـدة بمـآسـى شكسبـير التى تتضمـن منـاظـر سـاخـرة ضاحكـة وشخصيـات هـزليـة ، ويظهـر أن الشـاعـر تـأثـر بمسـرح شكسبـير اذ صور فـى بـلاط النعمـان شخصيتـين هـزليتـين همـا عبـد ومسعـود الخادمـان ، وجعل فـى بـلاط كسـرى شخصيـة هـزليـة هـى شخصيـة دعـبـل نـديـم كسـرى ، ويمثل

شكسبير والرومانسيون هذا الأمر بأن المسرح عرض للحياة ، والحياة تجمع بين المضحك والمبكى فى آن واحد ٠

د)) — ومع أن الكلاسيكية قامت على محاكاة المسرح الاغريقى والرومانى القديمين ، الا أنها حققت لفن المسرح استقلاله ومقوماته الذاتية ، ففصلت فن التمثيل عن الغناء والرقص والموسيقى والنحت والتصوير التى كان يجمع بينها المسرح الاغريقى والرومانى لينحصر انتباه المشاهد فى ملاحظة حركة الشخصيات وسماع حوارهم ومتابعة تيار الفكر والاحساس الجارى فى المسرحية ، ولكن الشاعر ، وقد كان فى مستهل حياته الفنية ، لم يستطع مجاراة المسرح الغربى فى هذا الاتجاه لتمكن النزعة الغنائية منه ومن فنه ، ووجدناه يوطى مسرحيته للغناء والرقص ٠

اا — والشاعر ، فى محافظته على أصول الكلاسيكية فى فن المسرح وخروجه عليها فى بعض النواحى ، انما يقلد أحمد شوقى الرائد الأول فى الأدب التمثيلى ، فهو قد بدأ من حيث انتهى شوقى فى آخر عمره ، فشوقى استقى موضوعات مسرحياته من تاريخ مصر والعرب، واستخدم الشعر فى معالجة أدب المسرح ، ودارت مآسيه حول الملوك والأمراء والأبطال ، وآثر الوصف على مشاهد المأساة فى المسرحية لصعوبة اخراج المشاهد ، وبنى مسرحياته على أزمة تتصارع فيها قوى نفسية وأخلاقية متعارضة ، وخرج على مبدأ الوحدات الثلاث ، وأنهى مآسيه بخاتمة سارة فخفف بهذا من قوة الانفعالات فى نفس المشاهد ، وخرج على مبدأ فصل الأنواع ، وضمن مآسيه ألوانا من الفكاهة ، وصور فيها شخصيات مضحكة ، وأبقى على الغناء فى مسرحه فلم يفصله من فن التمثيل لأنه ، بطبيعته ، شاعر غنائى ، وقد لمس نجاح المسرح الغنائى فى مصر ، وعدا هذا فالشعر العربى شعر غنائى بحكم خصائصه الفنية ، وقد كان يتغنى به على ضروب الموسيقى المختلفة ٠

بناء القصيدة في الشعر الوجداني

رأينا الشعر الوجداني يشتمل على الغزل ووصف الطبيعة والخمر والتأملات ، وسندرس بناء القصيدة في كل غرض من هذه الاغراض لنرسم الصورة العامة لبناء القصيدة في الشعر الوجداني ·

الغزل :

ونتبين في الغزل نماذج مختلفة لبناء القصيدة :

أ)) ـ وأولهما القصيدة التي تتخذ الغزل وسيلة الى غيره من الاغراض ونجد هذا النوع عند الفراتي في قصيدته (يوم فتح العقبة) ، وفي قصيدته (ذكرى الغريب) كما نجده عند بدوى الجبل في قصيدتيه (على أطلال الجزيرة) و (مرابع الاحباب) ، ويغلب أن يكون نهج هذه القصائد نهجا تقليديا ، فتفتتح بوصف الاطلال والنسيب ، أو بالنسيب وحده ، ثم يكون الانتقال الى الغرض المقصود ·

ب)) ـ وثانيهما القصيدة التي تستقل بالغزل ، ونجد هذا النوع عند أكثر الشعراء ، وقصيدة الغزل من هذا النوع تقوم في أغلب الاحيان على الخطوط التالية ·

١ ـ وصف المشاعر والخواطر التقليدية في الحب ، ومزجها باحساس العصر وصور الطبيعة في بعض الاحيان ·

٢ ـ وصف جمال المحبوب وخلقه وزينته وشمائله

٣ ـ وصف ظما الحس ، والاستمتاع بجمال المحبوب ، والتعبير عن الحاجة الى الحب وقد اختلف الشعراء في مقدار اعتمادهم على هذه المعاني كلها أو على بعضها دون بعضها الآخر ·

فخير الدين الزركلي(١) يصور المشاعر والخواطر التقليدية في الحب ، ويصور جمال المحبوب ، وشيئا من أخلاقه ، ويحس بالظما والحاجة الى الاستمتاع بالمحبوب فيشبه ريقه بالعسل ·

وخليل مردم يصف وجه الطيف(٢) وقده وعبيره وصفاء لونه وذوائبه وسحره ، ويعرض بعض صفاته وخلقه من اغراء ودنو وبعد وقسوة ولين ومداورة ومخاتلة ، ويصور بعض مشاعره هو ، وأخيرا يبيح له الطيف رشف رضابه ·

---

(١) المختار ص ٥٤ (٢) المختار ص ٥٤ ـ ٥٥

فالقصيدة لا تخرج عن وصف جمال المحبوب وخلقه ومشاعر الشاعر وحاجته الى الاستمتاع بالمحبوب ٠

أما قصيدته في مي فقد (١) استقلت بوصف العواطف والمشاعر والخواطر التقليدية في الحب ٠

وعمر يحيي أوفر الشعراء حظا من الغزل ، فقد نيفت قصائده فيه على العشرين ، وله عشر قصائد ونيف قامت على وصف ذاته ومشاعره ووصف جمال المحبوب ، أما قصائده الباقية فقد استقلت بوصف ذاته والتعبير عن مشاعره وخواطره في الحب ، ونجد في بعض قصائده ظلالا من الطبيعة ، ويمازج مشاعره احساس المصر الناجم عن ظروف مرحلة النضال ٠

ففي قصيدته (الريم (٢)) يجد نفسه في ارتماض ، ويستسلم للريم يقتاده بجفونه الساحرات ، ويشتكي بأنين ، ويعلن أن الحب جمع شمله وأن المحبوب دولة الروح ، ويصف ذله في الحب واضطرابه ، وطيف الحبيب وأثره في احيباء هيامه وايقاظ أحلامه ، ويجعل نفسه صريع حبه ، ثم يصف المحبوب يتهادى كالغصن ساحر الجفن بسام الثغر ، وينساب بقامته الهيفاء بطلاقة ورشاقة ، ويقف كالبنفسج مكللا باللآلى مضمخا بالعبير ، ويلقظ لفظ الظبي الغرير ، ويبدو صورة للجمال ٠

فالقصيدة تقوم على وصف ذاته ومشاعره ، ووصف جمال المحبوب وشمائله ، وفيها ظلال من الطبيعة البادية في صورة الريم والغصن بين الرياض والاقاح الفواح والبنفسج ، والوصف مترف ، والشاعر يتغزل في شيء من التظرف والتألم والتشكي ٠

وقصيدة الحامد (يا ظالمي مهلا (٣)) تصف جمال المحبوب وشمائله وخلقه من جفن ساحر وشعر أثيث وجبين واضح أغر ورائحة طيبة وحديث عذب وغنج ودلال ونفور ، وتصف مشاعره من تأثر بالنواظر وحب للمحبوب ، ونار بالقلب وسهد وقناعة بالحديث والنظر ، وتصف ظمأ الحس من تشهي القبلة وتوق الى معانقة المحبوب وشم خده ٠

وتظهر الطبيعة في صور الغزال والزهر والفلة وطلوع الصبح والاقاح العرف المنتشر من الرياض ٠

---

(١) المختار ص ٥٥ (٢) المختار ص ٦٠ _ ٦١ (٣) المختار ص ٥٨

وبدوى الجبل فى قصيدته (شماع العيون)(١) ، يتشوق حديث سلمى عن الهوى والصبا وقدود الحسان والماضى ، ويعطف على الخميلة الذابلة فيدعوها أن تسقيها بدمعها ، ويتشوق سماع عزفها وغنائها ، ويصف أثر دموعها وغنائها فى الخميلة ، ثم يعود فيصف حنانها ودمعها وغناءها ، ويصف شماع عينيها واهتداءه بهما ، وأثر شماع العيون فى الأحياء ، ودمعتها فى قلوب العشاق ، وبسمة شفتيها فى تبديد الظلام ، ولمسة بنانها فى تبريد الجوانح الظامئات ، ونفحة نهديها فى تعطير نسيم الربط ، ويجدها سر الحياة وأنشودة الله وشفاء الداء العصى ، ويتألم فيجعل هواه بلا رجاء ، ويسأل سلمى أن تعطف عليه ، ويعترف بذنبه أمام كاهنة الحب ، ويصلى لاله الهوى ، ويذكر أجداده الذين طافوا فى هيكل الحب ، ويرضى منها بنظرة أو وعد يشفى علته ٠

وعواطفه ومشاعره متدفقة وأكثرها تقليدى ، ويصب ظمأ حسه فيتشوق الى بسمة شفة ولمسة بنان ونفحة نهد ، والطبيعة ظاهرة فى ذكر الخميلة ، وجمال المحبوبة يبدو فى ذكر شماع عينيها وبسمة شفتيها ولمسة بنانها ونفحة نهديها وعزفها وغنائها وحديثها ٠

وشأن الفراتى فى الغزل كشأن بدوى الجبل ، فهو يمهد بالغزل لغرضه المقصود ، أو يقوله لذاته مستقلا عن غيره من الأغراض ، ففى قصيدته (صدى غريب مستهام)(٢) يصور مشاعر الغرام والهيام والوجد والسقام والشوق والحب والحزن والسأم والحيرة والغربة ، ويصف سقام المقلتين ، ودل النساء وظرفهن وقوامهن ، ويرسل التحية الى الأحباب مع النسيم ٠

وجميل سلطان ، فى موشحه (شبح)(٣) ، يصف وجيب قلبه ودنوه من الشبح ، وهواه المستمر ، واشتياقه الى المحبوب فى قربه وبعده ، ويصف شعره وجبهته ولحظه وخده وثغره وشفاهه وأسنانه ، ويصور متعة الحس حين دنا منه وضمه وقبله ٠

والموشح يقوم على وصف جمال الحس ، وظمأ الحس ، ومتعة الحس

وأمجد الطرابلسى ، فى قصيدته (اليها)(٤) يكتم حبه وألمه ،

---

(١) ديوان بدوى الجبل ص١٨٢ (٢) ديوان الفراتى ص ٤٣
(٣) المختار ص ٦١ (٤) المختار ص٦٢ — ٦٣

ويعرض ذكرى حبه في اطار من الطبيعة ، ويأسى على ماضيه ، ويعتب على الدهر القوي ، ويصور حاله بعد الحب ، وزيارة الطيف لنفسه ، ويصف أثر الحب في نفسه ، ونعيم المحبين ، ويتمنى عودة الحب ليغني به حياته .

فالقصيدة تدور حول نفس الشاعر ، وتوشي الوصف بصور من الطبيعة التي تعكس طبيعة دمشق .

ويناجي رفيق الفاخوري الطيف (١) فيصور ما أثاره في نفسه من تباريح الحب وفقر النفس بعد انقضاء العهد ومرتع الحب حيث يعيش شبحا الحبيبين ، ويصور أثر الحب وما يتصف به من صدق واخلاص ونقاء .

فالقصيدة تصور نفس الشاعر التي تشعر بالجدب وتتعزى بالماضي وتناجي الأطياف في عالم الحب .

ويتقمص شخصية المجنون (٢) فيقول على لسانه شعرا يصف به عذاب الحب ونعيمه وأثره في نفسه ونظرته الى الكون ، ويصور بعض المشاعر كاستعذاب الحب والشقاء فيه ، والصبر على جراحه وافاضته على الكون واعلانه والشكوى الى الحبيب وطلب الرحمة والعطف .

فالقصيدة تدور على وصف نفس العاشق .

وثالثها قصيدة على العناصر التي لا تمت بصلة الى القصيدة السابقة ، وتصور مأساة الشاعر ونظرته الى الكون وموقفه من الحياة وتبين مدى ارتباط المرأة بذلك كله ، ومأساته أنه يعيش قلقا في كون كله لغز ، ويطالع في هذا الكون كثيرا من الصور والمشاهد ويمل هذه المشاهد فيتمنى أن يغدو الها ليخلق العالم صورا شتى على نحو يغاير الخلق الماثل في الكون ، ويحس بالمرأة في كيانه فلا يستطيع أن يعيش دونها ، ويعاني في حياته القصيرة على الأرض كثيرا من الشدائد ، وينشد السعادة فلا يجدها ، ويرى الحياة منهزلة تنتهي بالموت ، ولا شيء بعده ، ويعود الى نفسه فيجد في أعماقه مغريات تقلق باله ما عاش ، ويحاول أن يداوي قلقه بالخمر والشعر والطبيعة والمرأة .

---

(١) المختار ص ٦٧   (٢) المختار ص ٦٨ ـ ٦٩

والمرأة أساس فى حياته لأنها بمصدر وجوده وسبيل الى تسكين قلقه وباعث على قول الشعر ، وجمالها يثير فى النفس ألوان المشاعر ، ويخلق فيها حالة من الوجد تسمو بها الى مغانى الخلود ٠

ولم ينس أن يفكر فى نفسها وجمالها وزينتها ، وعنده أن المرأة قلب نزاعة الى الزينة قد ركب فى طبعها التلون والتمثيل ، واستكملت فيها الحياة صور الخلق والابداع ٠

ويتضح ، مما تقدم ، أن قصيدة الغزل لاتقوم على تصوير عاطفة الحب ووصف جمال المرأة ومتعة الحس ، وانما تقوم على تصوير مأساة روح الشاعر، ومعنى هذا أن قصيدته تحمل دائما بذرة من قلق النفس، ولا نغالى اذا قلنا : ان قصيدته فى الغزل وأية قصيدة فى ديوانه هى انفجار ذاتى يقذف بأفكار وأحاسيس تحمل طابع الشاعر وتشف عن جوهر المأساة التى عصفت بنفسه وكرمتها تدميرا ٠

ولذلك كانت ملامح القصيدة هى أنها :

١ ـ تصف مأساة الشاعر لا عاطفة الحب وجمال المحبوب ٠

٢ ـ وتصور الذات ٠

٣ ـ وتصوّر نظرة الشاعر الى الحياة والكون وتصور المرأة من خلال هذه النظرة ٠

٤ ـ وتقوم على فكرة واضحة واحساس متميز يشف عن مأساة الشاعر ٠

٥ ـ وتصور أثر العصر فى الشاعر وما كان من صراع بين قيم الشرق والغرب وأثر هذا الصراع فى نفسه ٠

وخلاصة القول أن قصيدته مرآة لذاته أكثر من أن تكون مرآة للمرأة وجمالها ٠

د)) ـ ورابعها قصيدة أبى ريشة ، فهو يعرض قصائده فى المرأة من خلال ذاته وما تحس به من كآبة وضجر واضطراب ، وقد تدور القصيدة على ذكرى حب استفاق فى نفسه اثر لقاء تم بينه وبين من أحب ، وقد ينظم قصة حب ماض ويوسع اطارها لضمنه ما شاء من صور ، وقد يقيم قصة الحب على عنصر مأساة ٠

والقصيدة ، التى تصور اللقاء ، يقيمها الشاعر على وصف رغبتين مختلفتين : رغبة المحبوبة فى الاستمتاع بالحب ورغبته فى العودة الى رحاب الحب الطاهر[(١)] ، وقد يعكس الأمر فى قصيدة ثانية[(٢)] ٠

(١) المختار ص ٧٤ (٢) المختار ص ٧٤ ـ ٧٥

أما القصة المنظومة فنجدها في قصيدته (عاصفة)[1] وهي تقوم على تتابع عدد من المشاهد والمواقف الحافلة بالصور ، فهذه امرأة يراها في المرقص تعرض مفاتن جسمها بين الرقص والغناء والشراب ، فيعرفها وتعرفه ، وتخجل وتفزع اليه أن ينتشلها مما هي فيه ، وتظهر خوفها من النهاية ، ويتذكر حبه الماضي وما عاناه في سبيله فتثور نفسه ويريد أن يروي نفسه منها انتقاما ، وحين يرى جسمها الذابل وانطفاء حسنها . يبكي ويتركها ويخرج .

وقد تكون هذه المرأة واحدة من غانيات الملاهي التي عرفها الشاعر فألف القصة حولها ، وسحب عليها شعوره وعاطفته .

ونجد عنصر المأساة في قصيدته (أجمل عيون)[2] ، فنرى فتى يسأل محبوبته أن لا تتيه بعيونها ولا تعطف عليه كيلا يصدق قلبه الحزين ، ثم تمر الأيام ويفتقر الفتى ، ويمر بقصر فتاته وهو جوعان ، فيهم بأن يستجديها موقنا أنها لن تعرفه ، وبينما هو ذاهل في موقفه يراها تتعثر في مشيها فيدرك عماها ويسارع اليها ويذكر اسمه لها ، فتبكي وتسأله عما اذا كان لا يزال يذكر عيونها ويراها جميلة ، فيجيب صدقا لانها لا تراه بها .

وهكذا تقوم القصيدة على فكرة أليمة مؤداها أن الحب بين الفتى والفتاة قد بقى لفقره وعماها ، وعنصر المأساة في القصيدة يثير الشفقة ويولد الحركة التي تجذب انتباه القارئ .

ويتضح مما تقدم ، أن قصيدته في المرأة تختص بالصفات الآتية :

١ — فهي تصور ذات الشاعر وما يعروها من حزن وكآبة وهم وغم وسأم وضجر ويأس وضيق .

٢ — وتصور نفس المرأة ، وتسبر أغوارها مستعينة بالتحليل النفسي .

٣ — وتصور أثر الحب في حياة الرجل والمرأة .

٤ — وتعرض صورا من الحياة في حديثها عن الحب فتفد و قطعة منها .

٥ — وتصور عوالم من السحر والجمال يخلقها الشاعر بخياله ، ويتخذها اطارا لصوره ومشاعره وخواطره .

---

(١) المختار ص ٧٥

(٢) شعر . مطبعة العصر الجديد . حلب سنة ١٩٣٦ ص ١٤٦ .

((د)) ـ وتعكس جدب الحياة واحساس العصر ، وتصور عثار الشباب ٠

((هـ)) ـ وخامسها القصة الشعرية فى الغزل ، ونجدها عند على الناصر وأبى ريشة ٠

أما على الناصر فيدير قصة الراهبة (بولين)[1] على حياة الراهبات فى الدير ، وهذه القصة تختص بالصفات الآتية :

١ ـ فهى تتألف من أحد عشر مقطعا تصور وقائع القصة، فنرى دخول عيسى الدير وجمال عيسى والدير فى الليل ومكانة عيسى عند الراهبات ووجه (بولين) الذى يشف عن الوداعة والطهر والسلام؛ ثم نرى صلاة الشعب وضباب البخور وعمق الشموع ، ونشم عرف الزهور ثم يمتزج هذا كله بصوت عيسى وهو يرتل الاناشيد الدينية فى الصلاة ، وتحلم (بولين) بأن السماء تزفها الى عيسى وتنعم بالحلم ، ثم تفيق منه فتتوجه الى الله أن يغفر ذنبها ويخلصها من عذابها ، ثم يمرض عيسى فتصلى الراهبات التماسا لشفائه ، ويشفى فيجىء ليشكرهن على رعايتهن له ، فيجلس أمام (البيان) ويداعب أصابعه مغنيا شقاء الحياة فى الدير ، فتذهل الراهبات عن أنفسهن ، وتحس الرئيسة بالخطر فتنهض وتخرج الصبى من الدير ٠

٢ ـ والقصة تكشف عن بؤس الحياة فى الدير وجدبها وعقمها ، وعن غريزة الأمومة المكبوتة فى الراهبات ، وعاطفة الحب الموءودة فى قلب الراهبة (بولين) ، وهى صورة لكل راهبة ، وحول غريزة الأمومة وعاطفة الحب تدور القصة ٠

٣ ـ وقد دفع الشاعر بعيسى الطفل الى الدير فأيقظ بهذا غريزة الأمومة فى كل راهبة ، وأثار عاطفة الحب فى قلب (بولين) ، ونمى هذه العاطفة حتى رأينا (بولين) تبكى حين تسمع صوت عيسى وتتنهد ويفيض دمعها وتحمر عيناها ويجف ريقها ويشرد ذهنها وتحلم بأن الملائكة تزفها الى عيسى ، ثم تفيق على هول الواقع فتتذكر أنها راهبة وستبقى راهبة حتى الموت ، وتستغفر الله من ذنبها لأنها أخطأت فى حب عيسى ٠

٤ ـ ويبدو عيسى هم الراهبات جميعا فهن يصلين التماسا لشفائه ٠

٥ ـ وتبلغ العقدة الذروة حين يغنى عيسى شقاء الراهبات

---

(١) المختار ص ٧١ ـ ٧٢

فى الدير وعقم حياتهن ، فتذهل الرئيسة عن نفسها وتتصور ما سيئول اليه الحال لو بقى عيسى فى الدير ، ثم تعجل المقدة باخراجه منه .

٦ - وقد كاد الشاعر يقوض دعائم الحياة فى الدير بسداع من العطف على الراهبات ، واعتمد فى تقويض تلك الحياة على غريزة الأمومة وعاطفة الحب اللتين هما قوام حياة المرأة ، واستعان ببصيرته الواعية على ادراك أثر غريزة الأمومة فى حياة المرأة فلم يجر فى التحليل ، ولم يخضع لمقاييس علم النفس .

٧ - والحق أن القصة تمتاز بدقة التحليل وبراعة التصوير وهى صورة جديدة من صور الفن الشعرى فى الشعر العربى فى سورية .

وقد أعجب بالقصة المستشرق الروسى كراتشقوفسكى ، فقال من رسالته الى المؤلف : " ومن السلاسل التى جلبت فكرى بكايته (على باب الفردوس) فان فيها من دقة التحليل وعبقرية التصوير ما يجعلها من نماذج الفن الشعرى فى أعلى درجاته " .

(١)

وأما عمر أبو ريشة فقد نظم قصتين ، الاولى قصة (جان دارك) وفيها يدير النظم على تصوير نفس البطلة ، ويعتمد علم النفس فى هذا التصوير ، وقد ذهب الى أن بطولتها لم تكن الا انحرافا بالغريزة عن خط سيرها الطبيعى وتصعيدا لها ، وعلى هذا الأساس أقام بناء قصيدته ، فصور الفتاة تحلم فى فراشها ، ثم تستيقظ من نومها وتتمطى بفتور ، ويزلق الغطاء عن ترائبها ، وتلعب أناملها بشعرها ، ويضطرب نهداها ، وتشد عليهما بوسادتها ، وتتطلع الى هيئتها بالمرآة ، وتتمثل خدنا يرويها ، ثم عرضها وهى تقود جيش البلاد فى الحرب ضد العدو المحتل ، وتهزمه ، وتقع أسيرة فى يده ، فيحرقها .

وفى القصة الثانية يصور الشاعر ديك الجن[(٢)] الذى تقدم فى السن وشعر بعجزه عن ترويه جاريته الحسناء فذبحها غيرة من أن تصير الى غيره ويبيت منها فى حسرات .

وفى كلتا القصتين يتابع الشاعر عليا الناصر فى قصة الراهبة بولين . والاثنان متأثران بالنماذج الغربية التى اتخذت علم النفس سبيلا الى تصوير الاشخاص وتفسير أعمالهم

---

(١) المختار ٧٥-٧٦

(٢) المختار -٧٦

وصـــف الطبيعـــــة :

ونتبين في وصف الطبيعة نماذج مختلفة ·

أ)) _ فهناك القصائد التي تبتدئ بوصف الطبيعة ، ويكون فيها الوصف مقدمة لموضوع الشاعر ، وتجدها عند بعض الشعراء ·

فهذا خليل مردم يمهد للترحيب بشوقي بوصف طبيعة دمشق[١] ·

وبدوي الجبل يتغنى ، في قصيدته (طمع الاقرباء)[٢] ، بعاطفته التي يكنها لدمشق ويصف طبيعتها ، ثم يخرج من هذا الى موضوعه ·

والحامد يصف الطبيعة في قصيدته (حمص)[٣] ، ويناجي نهر العاصي ويصفه ثم ينتقل الى مدح هاشم الاتاسي ·

والفراتي ، في قصيدته (أدمشق)[٤] يمهد للغرض القومي بوصف همومه وأشجانه ببغداد وحنينه الى دمشق ووصف الطبيعة وظمئه الى بردى وحبه لبغداد وبعث ذكرى الماضي وتصوير المشاعر ·

وعمر يحيي يتغنى بالسرو والريح والغصن والمصري والسحب المرعدة والنجم والليل والشاكين فيه والشاعر المسهد والشعر والمجد الذي نام عنه أصحابه ، ثم يخرج من هذا كله الى موضوعه[٥] ·

والطرابلسي يصف تحليق الصقر وبلوغه النجوم وسقوطه بعد صورة الربيع والعاصفات وانهمار الأمطار وجلجلة الرعود ، ثم ينتقل الى رثاء غازي[٦] ·

وأبو ريشة يمهد لموضوعه في قصيدته (لمحة)[٧] بتصوير ركب ضل طريقه في الصحراء ثم اهتدى الى مكة حيث شع نور الدعوة ·

ب)) _ وهناك قصائد يجيء الوصف في ثناياها ، ونجدها عند أكثر الشعراء ·

والوصف الوارد في ثنايا القصائد اما أن يكون سمة من سمات القصيدة العربية التي تقوم على تعدد الموضوعات أو يكون زينة واطارا لما يرسم الشاعر من ذاته ، وفي الحالة الأولى تتصف القصيدة

---

(١) المختار ص ٤٣ (٢) ديوان بدوي الجبل ص ١٥٩

(٣) المختار ص ٨٢ ، ٩٥ (٤) ديوان الفراتي ... ص ١٥٢

(٥) البراعم ص ١٣٢ (٦) المختار ٤١

(٧) شعر مطبعة العصر الجديد حلب ١٩٣٦ ص ١٧٩

بتنوع الموضوعات ، أما فى الحساسة العثمانية فإن القصيدة تتصف بوحدة الموضوع ، وتكون الذات محورها .

والوصف ، الذى يكون أحد أغراض القصيدة ، نجده فى شعر بدوى الجبل وبدر الدين الحامد وعمر يحيى والفراتى ، أما الوصف الذى يتخذ حلية وزينة لما يعرضه الشاعر من ذاته فإننا نجده عند الشعراء الذين أخذوا بحظ من أدب الغرب .

ج)) — وهناك القصيدة التى تستقل بالوصف ، ويكون الوصف فيهما مجردا من العاطفة الذاتية والقومية ، أو مشوبا بالعاطفتين معا مذيلا بنظرة تأمل واعتبار ، أو معنيا بإظهار الذات والكشف عن لون مزاج الشاعر وموقفه من الكون والحياة ، أو رمزا الى حال القوم أو حالة من حالات النفس أو شخص من الأشخاص .

١ — واللون الأول نجده عند بعض الشعراء .

فمردم يصف الشمس (١) فيعرض لها عدة مناظر من شروقها الى غروبها ، وهكذا تستقل القصيدة بوصف شيء واحد ، ويكون تسلسل المناظر خاضعا لجريان الشمس من المشرق الى المغرب .

والفراتى ، فى قصيدته (خواطر البادية) (٢) ، يصف البوادى وما به من نبات ، وزفرات الهجير التى تمنع الركب من السير ، واختفاء الربا والوهاد وراء الآل ، وانطلاق الركب وراء قطيع من حمر الوحش كشف عنه الآل ، وصيد ثلاث منها ، ولجوء الشاعر وصحبه الى واد متغير ماؤه ، وأكلهم الشواء .

فالقصيدة تقوم على وصف طبيعة الصحراء بما بها من حيوان ونبات وصيد ، فهى مخصصة بوصف شيء واحد .

والحامد يصف الناعورة (٣) فيسوق عدة صور لها وللطبيعة القائمة حولها ، ويدور الوصف حول قدمها وخلودها ودورانها ومرور العاصى بها ونشرها الماء وصوتها وجلالها ، كما يدور الوصف حول الطبيعة المحيطة بها من نهر ونسمات وجنان ممتدة ، فالقصيدة اختصت بوصف شيء واحد .

وقصيدة (طلل) (٤) لأبى ريشة تمثل تطورا فى بناء القصيدة ، فهى

---

(١) المختار ص ٧٧ (٢) المختار ص ٨١ — ٨٢
(٣) المختار ص ١١٢ — ١١٣ (٤) المختار ص ١١١

وحدة تامة مطلقة بفكرة ، والفكرة فى البيت الاخير ، والابيات عبارة عن عتبات تقود القارىء الى الهيكل ولوجوء الخارج في الفكرة في البيت الاخير لضاعت وحدة القصيدة وضاع المعنى .

والفراتي يصف ليلة ماطرة (١) فيقص خروجه الى الضاحية ، واستقبال عمار له ، واكرامه ، ثم يصف هطول المطر وما رافقه من برق ورعد وما نتج عنه من سيل هدد سكان الضاحية بالغرق ، ثم يصف طلوع الصبح واشراق الشمس وطيران الطير وخروج الماشية الى المرعى .

فالقصيدة تتألف من أربعة أجزاء ، والوصف ينمو من جزء الى جزء ، والوحدة هى وحدة الزمان الذى استمر ليلة كاملة ، ولوحات الوصف متعددة ، فلوحة تصور خروجه الى الضاحية وثانية تصور استقباله ، وقراه ، وثالثة تصور ثورة الطبيعة ليلا ، ورابعة تصور طلوع الصبح ودبيب الحياة فى الطبيعة ، وكلها تصف ما وقع فى الليلة من أولها الى آخرها ، وهى موضوعية .

والقصائد السابقة تتفق فى أنها تتخصص بوصف شىء واحد ، وأن الوصف فيها موضوعى ، ولكنها تختلف فى أمر وحدة البناء ، فقد تكون الوحدة وحدة الموضوع أو وحدة الفكرة أو وحدة الزمان .

٢ ــ واللون الثانى نجده عند بعض الشعراء .

فالزركلى ، فى قصيدته (الشلال) (٢) ، يصف صمته حيال الطبيعة وولهه بحبها ، ويعرض صورا منها ، ثم يصور الشلال ، ويوازن بين حاليهما فكلاهما يشكو الحوادث وتصده العوائق عن قصده .

والقصيدة تتصف بوحدة الموضوع ، والوصف ذاتى .

وشفيق جبرى يقيم قصائده فى مناجاة الطير (٣) على حرية الطائر وأسره هو وعيشه الذليل ، ويتغنى بشجونه ، ويذكر وطنه ، ويعظم الخطب النازل بقومه .

فالوحدة فى قصائده تلك هى وحدة الفكرة ، ووحدة الاثر العام الحاصلة من عواطف الشاعر وظروف مرحلة النضال .

والحامد يصف الربيع (٤) فيرسم ما تقع عليه عينه من صور ، ثم يتبع لوحة الوصف بتصوير أثر الربيع فى نفسه .

---

(١) المختار ص ٩٥ ــ ٩٦ (٢) ديوان الزركلى ص ٥٣
(٣) المختار ص ٧٨ (٤) المختار ص ٩٨

فالوحدة فى قصيدته هى وحدة الموضوع ، والوصف مشوب بالعاطفة الشخصية ٠

وعمر يحيى يكثر من الوصف المحمل بالعاطفة الشخصية والقومية ، ففى قصيدته (شاعر الطبيعة)(١) يدعو الى الرفق بالهزار الذى لم يعجبه العيش فى المدن ، وينعت غناءه بأنه حر وغناء الشاعر بأنه مقيد ، ويسأله عن حزنه ، ويعجب من بكائه وسكوت الانسان عن حقه ٠

فالشاعر يحمل غناء الهزار حزنه ، ويعبر عن عاطفته القومية ، وبناء القصيدة يقوم على الموازنة بين حال الطائر وحال الانسان ٠

ويصف (ربيع البائس)(٢) فيصوره يبكى شجوه ويهيج النسيم شوقه الى الروض المنمنم ، ثم يصور زهور الروض وسرور العندليب بجمالها وتغريده ويصور النسيم يحمل تباشير الربيع وينسج درعا فوق الماضى ، ثم يترحم على عهد الانس ، ويندب حال الغادة المنعمة التى صارت الى شقاء ، ويصف حيرة الولهان يهيجه الطير بتغريده ، وأخيرا يذكر المغنى الحبيب الى النفس ٠

والقصيدة فى وصف الربيع ، والوصف يشتمل على لوحة الربيع ولوحة النفس ، وهما متداخلتان ، والوحدة وحدة الموضوع ووحدة الاثر المستفادة من عواطف الشاعر التى أثارها قدوم الربيع وذكر الحمى والحبيب ٠

والعطار يصور بردى(٣) جاريا فى الأودية والرياض ، راويا سيرة العرب فى الجاهلية والاسلام ، حزينا لتذكر الماضى ، مغيظا من قومه ، ويصف النسيم فوقه ، والرياض والينابيع من حوله ، والاشجار على ضفافه ، ويناجيه فيمحضه وده ، ويجعله مفزعا له فى همومه ، ويصف ماءه وخريره وخيره وجماله ، ويصوره يدخل دمشق تحف به الاشجار وعليها الطير ، ويعبق الجو بالشذا فيوحى بالشعر ، ويتغنى به الحب ، وتسقط فوقه الطير لترتوى منه ٠

فالوصف يدور حول بردى ، ويقوم على وصف النهر والطبيعة من حوله ، وذكر الماضى المتعلق به والحاضر القائم فيه ، والتعبير عن المشاعر الذاتية والقومية ، فالوحدة هى وحدة الموضوع ، ووحدة الاثر العام المستمدة من بعث الماضى والحاضر واثارة عاطفة الشاعر ٠

---

(١) المختار ص ٧٩ (٢) المختار ص ٩٨ (٣) المختار ص ٨٢ ـ ٨٣

والقصيدة لا تخضع لخطة معينة فى النظم ، ففيهما مناظر متباعدة يفصل بينهما حكاية التاريخ ووصف المشاعر ، ويداخلهما أحيانا تصوير المشاعر .

وهكذا تتداخل لوحية الوصف ولوحة التاريخ ولوحة النفس، ويجمعهما وحدة الموضوع .

وجميل سلطان يصف بردى (١) والطبيعة من حوله ، ويصور الماضى يخيم على النهر ، ويصور النهر مغيظا من اختلاف الناس منتظرا عودة الماضى .

وقصيدته جملة من الصور يمازجها حب الناس للنهر وذكريات الماضى وآلام الحاضر والأمل فى عودة المجد ، فهى تتصف بوحدة الموضوع ووحدة الأثر العام .

وعمر يحيى يصور الآس (٢) يحمله الناس الى قبور موتاهم ، فآس الغنى مزين بورق الذهب ، وآس الفقير مبلل بالدمع ، ويستخرج الشاعر من خضرة الآس الدائمة معنى الثبات فيمده على حياة المجتمع ، ويذكر الخلان الذين يتغيرون مع الأيام ، وأخيرا يدعو للآس بطول البقاء .

وهكذا يغدو الآس موضوعا للوصف والتأمل والاعتبار .

ويرسم سلطان صورا للمساء (٣) ويذيلها بنظرة تأمل واعتبار ، فيرى أن كل شئ يدعو الى اللهو ، ويصف اضطراب الناس فى الحياة وجريهم فيها الى مقدار وانتهاءهم الى القبر ، فالمساء موضوع للوصف والاعتبار .

٣ ـ واللون الثالث نجده عند عدد من الشعراء اطلعوا على الشعر الغربى وتأثروا به فوصفوا ذواتهم وأخرجوا قصائدهم على نحو ما طالعوا من نماذج غربية .

ففى قصيدة (شلال دفنة (٤)) للمحاسنى نطالع لوحتين متداخلتين : لوحة تصور الشلال يرغى ويزبد ويهوى من الأعالى ، وتصور أدغال المتنزه ، وما يعقد فيه من مجالس الخمر والأفراح تحت الدوالى ، ولوحة تصور ذات الشاعر وذكرياته ومشاعره وتأملاته ، وهذه اللوحة تطغى على لوحة الوصف فتغدو محور القصيدة ، وتغدو لوحة الوصف اطارا لذات الشاعر .

والشاعر يسحب شعوره على الطبيعة ، فالشلال يهوى منتحرا من الاعالى

---

(١) المختار ص ٨٤ (٢) المختار ص ٩١ ـ ٩٢ (٣) المختار ص ١٣٦ ـ ١٣٧
(٤) المختار ص ٨٥

لان له ثأرا على الدهر ، ومعنى هذا أن الشاعر حمل الشلال نقمته على الدهر الذى ذهب بآماله ، ويخرج من هذا الى ذكر حبه الأول، ثم يصور نشوته فى مجالس الأفراح ، ويمضى فى وصف ذاته فينعت روحه بأنها فى حركة دائمة، وحياته بأنها هموم وأحزان ، ثم يندب حبه ، ويسمو به ، ويعلن أن كل فتون الى زوال فيعبر بهذا عن فكرة الفناء التى كانت تفزع (الرومانسيين) ، ويتحسر على عهود الشباب الخالية ، ويتشوق نسمات الربيع التى تحمل ذكر الحبيب .

والقصيدة ملونة بذات الشاعر ، والذات مطبوعة بطابع الحزن ، والوصف اطار للذات التى حملت الهموم والأحزان، وعاشت على ذكريات الحب المحروم .

والفاخورى ، فى قصيدته (يا مطرب الخميلة[1]) ، يرسم لوحتين : لوحة تصور الخميلة المظللة والطائر المغرد وشفق الغروب والنهر وظلام الليل ، ولوحة تصور ذات الشاعر وتأملاته ، فهو يرجو التملل ، وروحه فى ضجر ، ويحب اللحن الحزين ، والوجود مشاهد وعبث يتولد من عبث ومصنع يرتجل أسباب الفساد ، وحظه فى الحياة اليأس وهو ينشد السلم فيأباه عليه الناس ، والليل يحمل اليه هما جديدا ، وهو يغبط الطائر بعيشه ، وعيش الطائر صفو بلا كدر وعيش مختصر .

ولوحة الذات أرحب من لوحة الطبيعة ، والقصيدة تدور على الذات ، والشاعر يضفى ذاته على الطبيعة ، فالنهر يطوى حشاه على محنة ، وهو يجرى مثقل الخطو مغضن الجبهة وينساب فى تيه من الأحلام ، وقد مل الحياة الراتبة .

والمطار ، فى قصيدته (الخريف[2]) ، يتغنى بقلبه وأشجانه ووحشته التى تشبه وحشة الخريف ، ثم ينتقل الى وصف الخريف وما يوحى به من معنى الموت والفناء وما يبدو فى مناظره من فتور وخمود وذبول وما يسمع فيه من أصوات ، ثم يتغزل فيستعين بذكرى الحبيب على رسم لوحة تنسيه وحشة الخريف ، ويغنى حبه غناء يفيض بالحزن والتشاؤم ، ثم يصور عالمه فى الخريف ، وأخيرا يرثى الطبيعة والوادى وعالمه المستطاب من قبل .

---

(١) المختار ص ١٣٣ — ١٣٤ (٢) المختار ص١٠١ — ١٠٣

ففي القصيدة وصف للخريف ، وتأمل في الكون ، وتغزل بالحبيب، وتصوير للذات ، أى أن فيهما بعض سمات القصيدة التقليدية من حيث طولها وتنوع معانيها .

والقصيدة تتألف من لوحتين : احداهما تصف الخريف، والثانية تصور ذات الشاعر وما فطر عليه من مزاج وما ركب فيه من طبع .

وقد عرض في اللوحة الأولى خراب المشاش واكتئاب المروج وركام الغيوم ونوم العصافير وسكون الغراش ، وسجل الاصوات في الطبيعة ووصف مظاهر أخرى من الخريف بدت في بلى الروض وتجمع السحب أشكالا وألوانا واضطراب الافق وغياب الانوار .

أما لوحة الذات فقد بدت في نظرات الشاعر وتأملاته وفي تعبيره عن العاطفة الشخصية ، فمن ناحية التأمل يلمح الشاعر في الخريف معنى الفناء وبسطه على الكون ، ويرى الكون ملعبا يطفح بالسخر ، ويجد العمر قصيرا والفن عزاء وشفاء ، ومن ناحية التعبير عن العاطفة وتصوير الذات يتغنى الشاعر بقلبه وما به من شجن وسقم ووحشة ، ويتساءل عن الهوى والسرور ، ويتحسر على تولى الافراح وقيام الأسى في الطبيعة ، ويذكر الحبيب ، ويعبر عما يكن له من حب ، ويصور ذاته تصويرا يشف عن تشاؤمه وكآبته وفرط حساسيته ، فهو يغنى في غفلة الموت عنه ، والحياة قصيرة ، وهو ، أى الشاعر ، الدمع والأسى والشعور ، وهو مفطور على الحزن ، والشعر عزاء له .

فالقصيدة لم تخلص للوصف ، وانما شابها نظر الشاعر وتأمله في الحياة والكون وتعبيره عن العاطفة الذاتية ، ومزاجه ، كما يبدو ، مزاج انسان كئيب حزين متشائم دقيق الحس والشعور سريع الانفعال .

والحق أن القصيدة غنية بألوان الوصف والمشاعر والتأملات ، وقد خرجت كلا منسجما ، وتمازج الوصف والنظر والتأمل وتصوير الذات ، وكان الخريف موضوع الوصف ، وكان تصوير الذات العنصر البارز في الموضوع .

وقصيدة المساء (١) للطرابلسي وصف وتأمل في الكون والحياة وتعبير عن الذات .

فالوصف يعرض صمت المساء وأشعة الشمس الشاحبة وغروبها وحمرة

---

(١) المختار ص ١٠٧

الشفق وعودة الراعي مع القطيع والأكواخ التي يسودها الصمت والقوم النيام والطيور تدب شجواً .

والتأمل في الكون والحياة يكشف عن موقف الشاعر منهما ، فالليل والنهار في صراع ، والكون بغي وحروب ودماء مسفوكة ، والقلاب سنة الحياة ، والحق صريع مغصوب ، والليل موت وفناء ..

والتعبير عن الذات يتضح فيما يرسل الشاعر من خواطر ومشاعر ، فهو يصف سهره وسهده وخفقان قلبه ، ويرعى النجوم ، ويتحسر على النهار ، ويصور لسيل الخلي والشجي والمترفين وحظه المنكود وقلبه الذي يعيش في ظلام وأسى وألم ، ويصور كثرة القلوب الوجيعة في الليل ، ويناجي الاله ، ويشكو من سأم الليل وظلمة القلب ، ويصف حزنه وشكوكه وذهول فكره وغرقه في هواجسه وتشوقه الى النور والشدو .

ومع أن القصيدة سيقت في وصف المساء فانها جاءت تعبيرا عن ذات الشاعر وخواطره وتأملاته ، فالذات محور القصيدة .

وظهر ، في القصيدة ، أثر مرحلة النضال واحساس العصر وأثر الشعر الغربي ولا سيما الرومانسي ، والذات ، وبرز ، في تصوير الذات ، دور الشاعر في الحياة فهو يشدو ليطرب الناس وقد خلق للعذاب .

وخلاصة القول أن القصيدة لوحتان متداخلتان ، ولوحة الذات تطغى على لوحة المساء ..

وأبو ريشة ، في قصيدته (شاعر الطبيعة) (1) ، يصور نفسه فوق جبل عال يحدق في الفضاء ، ويرقب الفجر ، ويغمره الندى ، ويموج شعره في الهواء ، ويخفق قلبه بالحب ، ويميل الى الوحدة وتبدو سيماء الوداعة في وجهه وشعلة الروح في عينه ، ثم يصف طلوع الفجر والهجيرة وغروب الشمس وحلول الظلام ، ثم يبين أن ما في الطبيعة من صور وأصوات وحركة وحياة يبعث على الفناء الذي يسكب فيه الشاعر روحه ، ويجلو به سر الحياة .

وقد مهد الشاعر لوصف الطبيعة في ساعات النهار والليل بتصوير شخصه ونفسه ، ثم وصف الطبيعة وانتهى الى أنها ملهم الشاعر ، ثم أظهر دور الشعر الذي يعري الحياة من أثواب الخداع والرياء ، ويعرضها للاغين في صور شتى ، ويقدمها للأنفس في نغم متسق ، وتظل هذه الصور تتحرك أمام أعيننا ما عاش الشاعر فاذا قضى خفيت علينا .

---

(1) المختار ص ١٠٩ — ١١١

فالقصيدة تبتدىء بوصف شخص الشاعر وسيماء نفسه وروحه ، ثم يجىء وصف الطبيعة ، ثم تنتهى القصيدة ببيان أثر الطبيعة فى الشاعر ودور الشاعر فى الحياة .

٤ ـ واللون الرابع نجده عند على الناصر وأبى ريشة .

فبنفسجة على الناصر رمز الى امرأة أحبها ثم فقدها وقام يرثيها ، وقد شبه نفسه بعدها بالأم التى ثكلت وحيدها .

والبدوى الضال(١) رمز الى الشاعر وما هو فيه من قلق وشك وحيرة وضلال ، وقد صور البدوى يضل طريقه ويظمأ فيلوك الحصاة ، ثم صور هبوط الليل وطلوع النجم وسكون الصحراء وظهور الاشباح وقيام البدوى وسط السكون المهيب يتطلع الى نجمة القطب علها تهديه السبيل الى حيه ، وأخيرا صور خيبة أمله فى النجمة .

وهكذا اتخذ الشاعر من الصحراء وضلال البدوى فيها وتعلقه بنجم القطب عناصر ورموزا لتمثيل اضطرابه وقلقه وحيرته ورغبته فى النجاة من شكوكه وأوهامه فى الحياة .

والثعبان(٢) رمز الى روحه التى تتصف بالتغير والتكبر والهدوء والثورة والقوة .

ويرمز أبو ريشة بصورة النهر الى حالة الركود التى تعترى النفس بعد معاناة المشاق والتغلب عليها ، فالنهر يتدفق فى الربا ، ويقتلع الجذور ، ويشق الصخور ، ثم يبلغ السهل فيسيل فيه هادئا مطمئنا ثم ينقطع خريره ويسكن .

والنسر(٣) يرمز الى الشاعر الذى شك فى قيمة الفن وجدواه وهبط الأرض يلتمس أسباب الرزق ، ثم ضاق بحياته ذرعا وتاق الى عالم الفن الذى هبط منه ، وقد كان انتحار النسر تعبيرا عن تألم الشاعر لبعده عن عالمه الأمثل .

ولا ريب فى أن قيام القصيدة على الرمز تجديد فى بناء القصيدة والوحدة هى وحدة الرمز .

التأملات :

ونجد فى التأملات والانفعالات الذاتية نماذج مختلفة لبناء القصيدة

(١) المختار ص ٨٢   (٢) المختار ص ١٤٥ ـ ١٤٦   (٣) المختار ص ٨٠ ـ ٨١

أ)) ـ القصيدة التى تقوم على تنوع الموضوع ، ونجدها عند بعض الشعراء الشباب الذين اطلعوا على أدب الغرب ، ووجه التنوع هنا يختلف عن وجه التنوع فى القصيدة العربية التقليدية ، ويأتى من امتداد الذات فى أطراف القصيدة ، فالموضوع واحد ولكنه ملون بلون الذات والشعور الشخصى .

فالفاخورى يصف الخريف[1] ثم يتبع لوحة الوصف بنظرات فى العمر والدنيا والسعادة والشقاء والنعمة والردى والصبا والشيخوخة وشبح الفناء وراحة الموت . فقصيدته تقوم على وصف الخريف وما يثير فى النفس من خواطر ومشاعر .

والعطار يسوق عدة صور للخريف[2] ، ويعرض خلال ذلك تأملاته ، فهو يستشعر الوحشة ، ويدرك الفناء فى الطبيعة ، ويجد الحياة ملعب سخر ، ويحس بقصر العمر ، ويفنى فى غفلة المنون عنه ، ويصف ألمه وجده وهواه ، ويجعل وجوده رمزا الى الدمع والأسى والشعور . ففى القصيدة وصف وتأمل .

وعمر أبو ريشة فى قصيدته (سكون[3]) يجعل وصف الطبيعة امتدادا ذاتيا لشعوره الشخصى ، فهو يحس بالبرد فيسأل صاحبته أن توقد النار وتكف عن اغرائه بمفاتن جسمها ، ثم يصور الطبيعة فى الشتاء ، ويسأل صاحبته الباكية أن تؤمل عودة الربيع وظهور المروج ودبيب النشاط فى الكون ، وأخيرا يعود الى ذاته التى انطلق منها فيصف كآبته ويأسه وأهواء قلبه وتعزيه بالشعر الباكى ، فالذات منطلق الشاعر ومنتهاه ، والوصف فى غمرة منهما .

ب)) ـ القصيدة التى تقوم على وحدة الموضوع .

فالفاخورى فى قصيدته (مذهبى فى الحياة[4]) يكون لنفسه مذهبا يقوم على الزهد فيما طمع فيه الناس وعلى حب الكتاب والطبيعة والمرأة والفناء ، وهو ينصح بالرحيل عن المجتمع ، وينقد مظاهر الحياة فيه ، ويرى اعتزال الناس ، فالقصيدة عرض لمذهب الشاعر فى الحياة .

والعطار فى قصيدته (الله[5]) يدير خواطره ومشاعره حول

---

(١) المختار ص ١٠٥ ـ ١٠٦ (٢) المختار ص ١٠١ ـ ١٠٣ (٣) المختار ص ٩٧ ـ ٩٨
(٤) المختار ص ١٣٢ ـ ١٣٣ (٥) المختار ١٣٨ ـ ١٣٩

الخالق وصفاته وآياته في الكون وفضله على عباده ، فالقصيدة تدور حول موضوع واحد ٠

وفي قصيدته (الألم)[1] يجعل الألم في جبلته ، ويصور عواطفه وقلبه ودبيب الحياة من حوله ، ويحس بقصر العمر ، ويبين أثر الألم في تواصل الناس وفي الفن والنفس ، ويعبر عن فرحه به ، وهكذا تدور المشاعر والخواطر حول الألم ٠

وقصيدته في (الفن)[2] هي من هذا النوع ، فقد وصف الفن بالخلود ، وجعله نتاج القريحة وغذاء العقول والأرواح ، وصور بعض ما يمتاز به من حرية وسمو وانطلاق ٠

وقصيدة الطرابلسي ، وعنوانها (كبرياء الألم)[3] تدور على موضوع الألم فالشاعر ينصح بحمله ، ويصور أثره الملهم الخلاق ، وينكر وجود المواسي في الآلام والطبيعة ، ويقر بما لعذابه في الهوى من أثر في شعره ٠

وقصيدة (الشاعر)[4] لعمر يحيى ، تصور سهده وبكاءه واهتزازه لقول الشعر وهيامه بالطير والزهر وسعيه وراء السعادة ورأيه في الشعر، فالأحاسيس والخواطر تدور حول الشاعر ٠

ج)) ـ القصيدة التي تقوم على فكرة

فالبزم في قصيدته (كلنا من صنع كفيه)[5] يقر بقدرة الله ، ويصور ضعف الانسان وخوفه من عذاب النار وأمله في الجنة ٠ فالقصيدة تقوم على تصوير قدرة الله وضعف الانسان أمامه ٠

وجبري في قصيدته (نجوى آدم)[6] يرى أن الحياة لاتكمل الا بالمرأة وأن جمال الطبيعة لا يدرك الا بها ، وقد عرض هذه الفكرة في سياق قصة آدم الذي هبط الأرض ولم يجد في صور الطبيعة ما يسكن روعه ، ثم أحس بروح حواء تضطرب في صدره وبشخصها يتمثل أمامه ، فسكنت نفسه اليها ووجد فيها كل ما رأى في الطبيعة من محاسن في شتى الأساليب ٠

---

(١) المختار ص ١٣٩ ـ ١٤٠
(٢) المختار ص ١٤٠
(٣) المختار ص ١٤١ ـ ١٤٢
(٤) المختار ص ١٣٢
(٥) المختار ص ١٢٣
(٦) المختار ص ١٢٣ ـ ١٢٤

ويطرق بندوى الجبل فى قصيدته (الروح الشاشرة)[1] فكرة فلسفية خلاصتها أن النفس من عالم المثل ، وقد هبطت منه فحلت فى الجسم ، فشقيت بحبيسها ، وأخذت تحن الى عالمها الاول ، وأن الجسم من التراب واليه مآله ، فالروح خالدة والجسم فان ٠

وقصيدة على الناصر فى المرأة[2] تقوم على تصوير نفسهن المتلونة ٠

ويصور أبو ريشة فى قصيدته (سراب)[3] بعد ما بين الواقع والمثال فى حياة الفنان ، فهو يلابس الواقع مضطرا ، ويتظلع الى المثال دوما ، ويشقى فى حياته على الارض ، وهذه الفكرة نجدها عند فوزى المعلوف فى ملحمته (على بساط الريح) ٠

والافكار التى تدور عليها القصائد ، منها ما يرتد الى الدين ، ومنها ما يرتد الى الفلسفة اليونانية ، ومنها ما يرتد الى تجارب الانسان فى الحياة وفى الفن ٠

د)) ـ القصيدة التى تقوم على تصوير احساس خاص أو جملة أحاسيس:

فعمر يحيى فى قصيدته (الكآبة)[4] يصور ظلام روحه لكآبته ، وغلبة الكآبة عليه رغم جمال الطبيعة ، ويجد فى شعره عزاء وسلوى ، ويبالغ فى تصوير أثر الكآبة فيه ، فالقصيدة تدور على تصوير احساس الكآبة ٠

وعمر أبوريشة فى قصيدته (ضجر)[5] يصور هذا الاحساس ، ويفر من عالم الواقع الى عالم الطبيعة ، فيستمتع بالمشاهد الجميلة ، ويتعاطى الشراب على نغم الوتر ، وينعم بلذاذات الهوى ، ثم يتعلق بالحب الطاهر ، فلا يجد فى هذا كله ما يشفى نفسه ويذهب عنه سأمه ، ويظل شقيا بهذا الاحساس كما شقى به بودلير ٠

والطرابلسى فى قصيدته (عاصفة فى قلب)[6] يصور حيرته وشكوكه واضطرابه وآلامه وأحلامه ورؤاه المبددة وظلام الواقع الذى يلابسه ٠

هـ)) ـ المسرحية الشعرية ونجدها عند أبى ريشة ، فقد نظم مسرحيتين تقع كلتاهما فى فصل واحد ٠

---

(١) المختار ص ١٢٤ ـ ١٢٥
(٢) المختار ص ١٠٧
(٣) المختار ص ١٤٨ ـ ١٤٩
(٤) المختار ص ١٣١ ـ ١٣٢
(٥) المختار ص ١٤٩ ـ ١٥٨
(٦) المختار ص ١٤٠ ـ ١٤١

والأولى عنوانها (طوفان)[1] ، وتجرى أحداثها فى حانة تحت الأرض تضم أنماطا من الناس بينهم صاحب الحانة والخادم والشاب اللاهى وزوجه البائسة ، والفقير السائل و (لورا) المومس والشرب والتاجر والقسيس .

ا ـ والشاعر يعرض واقع الحياة من خلال تصوير المشاهد وتحريك الأشخاص فيها ، فهناك الشاب الذى يترك زوجه يوم الحانة ، وزوجه التى تتبعه باحثة عنه فينهرها وينعتها بالبغى ضيقا بها وسأما منها ، وهناك الفقير السائل الذى ينهره الخادم فيولى هاربا ، وهناك (لورا) المومس التى تغنى للشرب ذاكرة ماضيها مع الحبيب الذى خلاها للوحدة والشقاء ، وهناك الخادم الذى يغش الشرب بما يقدم من نبيذ يزعم أنه قديم ، والشرب الذين يشربون على غناء (لورا) ، وهناك التاجر الذى يخاصم زميله التاجر الآخر ، والقسيس الذى يعظ الناس ، وهناك الخمار ، وهؤلاء الاشخاص منتزعون من واقع الحياة ، وبهم تكون حركة المشاهد التى تعرض الواقع .

والشاعر يمهد لفكرة الطوفان بالرعد الذى تسمعه (لورا) وتسأل عن خبره ، فيجيب الشاب بأنها رعود السماء التى توشك أن تنفجر وبهذا يهيئنا الشاعر لفكرة الطوفان .

ثم تكون المفاجأة التى تذهل الشرب فى الحانة اذ يعلن القسيس أن العيون فاضت والأنهر سالت والسيول طغت ، وأن الطوفان يوشك أن يغرق الأرض ليطهرها من الأرجاس ، فيتولى الناس الذعر، ويذهلون عما هم فيه ، ويسارعون الى مغفرة من ربهم ، ويتساءلون فى خوف عن غفران الله للذنوب ويصلون ويبكون ويتصافون : فالتاجران يجنحان للسلم ، والشاب يسأل زوجه أن تصفح عنه ويعتذر عن فعلته بالخمر ، و (لورا) تغنى وتسأل الله أن يعفو عنها ، والقس يطمئنها هى والتائبين ، والفقير يظهر بين الجمع فيطعمه الخادم، والخمار يسقى الشرب أطيب الخمر ، والقس يزهو بما فعل ، والخادم يعترف بأنه لم يكن أمينا فى عمله فيغفر له الخمار ، ثم يدعو القس الناس الى السير خارج الحانة واستقبال الموت وتبلغ العقدة غايتها .

---

(١) المختار ص ١٥٠

لكن الخادم يعلن أنه رأى أناسا تمشي على الرصيف ، فيبتهج الشرب بعودة الحياة ، ويسقط في يد القس ، وينفض الجمع من حوله .

ويرتد بنا الشاعر الى الواقع فيصور الناس يقسون في مخاطبة القس ، ويرمونه بالغباوة والجنون ،ويعودون الى ما كانوا فيه من لهو وضلال : فالقس يستند الى الجدار مذهولا ، والشاب يلهو من جديد ، والخمار يسأل الناس ثمن الخمر فينقده الشاب اياه ، وتخرج لورا مع الشاب الى حيث يلهوان ، والزوج الشابة تتهم زوجها بأنه لطخ شرفها وتركها ، والتاجران يختصمان ، والخادم يطرد الفقير، والخمار يطرد الخادم .

ويرى القس أخيرا أن الشكوى لا تنفع وأن الأرض خليقة بالطوفان .

٢ — وقد أخذ الشاعر الفكرة عن المعرى في قوله :

الأرض للطوفان محتاجة لعلها من درن تغسل

وعرضها في مسرحيته عرضا تأثر فيه بالمثل العليا للشاعر الرومنسي الذي كان يعتقد أنه يقود البشرية الى عالم الخير والحق والعدل والمساواة ، والمسرحية تصور الشاعر تواقا الى خلق عالم تسوده تلك المبادئ ، وتعكس برمه بالواقع الفاسد وثورته عليه ورغبته في أن يستبدل به ما هو خير وأبقى ، وهذا مطلب سعى اليه الانبياء والمصلحون ودعا الى تحقيقه الرومنسيون .

٣ — ويقوم عنصر الدرام في المسرح على تصوير الصراع بين العوامل النفسية والخلقية في نفوس الاشخاص ، ففي بدء المسرحية تتغلب نزعات الشر على الخير ، ويعكس الواقع النفسي عالم الواقع الفاسد ثم يكون الطوفان فيتبدل الواقع النفسي ، ويتولى الناس الذعر ، فيفزعون الى الله يسألونه التوبة والمغفرة ،ويحاولون أن يستوثقوا من عفوه وصفحه ،ويصلحون ،ويتصافون ، ويعفو بعضهم عن بعض ويتهيئون لوداع الحياة ومالهم فيها من أهل وصحب وآمال ، ثم تنجلي الغمرة فيعودون الى ما كانوا فيه من ضلال وفساد ، وهذا الانقلاب المتكرر في الواقع النفسي هو الذي يخلق الحركة في المسرحية .

٤ — وقد استخدم الشاعر المفاجأة من حيل المسرح ، فالزوج الشابة تفجأ زوجها الشاب في الحانة ، والتاجر يفجأ زميله التاجر بحضوره ، والقسيس يفجأ الشرب بوعظه ، والطبيعة تفجأ الجمع بالرعود والأمطار والسيول ، والخادم يفجأ الشرب بزوال خطر

الطوفان ، والشرب يفجئون القسيس بعودتهم الى ما كانوا فيه من لهو وشراب وغناء ٠

وخلاصة القول أن المسرحية ثورة على الواقع ودعوة الى عالم أفضل منه وهي شكل جديد من أشكال الفن في باب المتأملات والانفعالات الذاتية ٠

والثانية عنوانها (عذاب) [1] وتجرى أحداثها في صالة للتصوير تضم أشخاصا ثلاثة هم جميل المصور وزوجه سعاد وصديقه نزار٠

١ — ونطالع في البدء سعادة الزوجين وانصراف جميل الى عمله ، ثم يجيء نزار ليزور صديقه فتضطرب سعاد ، ويكون بين الصديقين حديث يكشف عن ضيق نزار بالحياة وسأمه منها ورغبته في الاستقرار ثم يخرجان معا ، ولكن نزارا يعود الى بيت صديقه في غيبته ليطارح سعاد الغرام ، وهنا نفهم حبه لها من قبل ، ونحس باضطراب سعاد وحيرتها بين حبيب الأمس وزوج اليوم ، ويسألها نزار أن تمنحه القبلة التي تنقع غلته فتأبى ثم ترضى مؤملة أن يخرج من عندها ، وبينما هو يقبلها يدخل جميل فيذهل عن نفسه ويسأل أن تنقضي سعادته ، وترتمي سعاد عليه من هول الموقف ، ويستأذن نزار في الخروج فيستمهله صديقه كأن لم يكن شيء ، ويخلو جميل الى نفسه متأملا يغني الدوري ، ثم ينادي سعاد فتجيء باكية ، ويحاول أن يخفف عنها في سخر ، فتحس بوخزه وتتألم ، ثم يناجيها مناجاة الحبيب للحبيب ويقدم اليها رداء اشتراه لها ، فتضطرب وتنهض ، وتلقي بنفسها من النافذة ، فيقوم جميل ويجلس أمام صورة فتاته ويمضي في إتمامها ٠

٢ — ويعتمد عنصر الدرام في المسرحية على الصراع بين العوامل النفسية والخلقية في نفوس الأشخاص ، فالصراع في نفس سعاد يدور بين حبها لنزار في الماضي واخلاصها لزوجها في الحاضر ، ويدور في نفس نزار بين حبه لسعاد واخلاصه لصديقه جميل ، ويدور في نفس جميل بين حبه لسعاد واخلاصه لصديقه نزار وبين نقمته على الدوري الذى حطم حياته ، ويشقى الثلاثة بهذا الصراع بعد افتضاح خيانة سعاد ونزار لجميل ، فأما نزار فيخرج فرارا بنفسه من سخر صديقه وتبكيت ضميره له ، وأما سعاد فتشقى بعذاب الضمير ووخز جميل لها فتلقي بنفسها من النافذة خلاصا من الأذى وأما جميل فيعود الى عمله ٠

---

(١) المختار ص ١٥٠

٣ ـ واعتمد الشاعر عنصر المفاجأة ، فنزار يفجأ جميلا بزيارته له كما يفجأ سعاد التي عرفها من قبل ، ونزار يفجأ سعاد برجوعه اليها في غيبة زوجها عن البيت ، وجميل يفجأ صديقه وهو يقبل زوجه ، وسعاد تفجأ زوجها بانتحارها ٠

بناء القصيدة في الشعر الاجتماعي

نجد في الشعر الاجتماعي بضعة نماذج من بناء القصيدة

أ)) ـ فهناك القصيدة التي تقوم على تنوع الموضوع ، ونجدها عند بدوي الجبل ، ففي قصيدته (جنات الشام)(١) يرد الغرض الاجتماعي في ثنايا القصيدة اذ يعجب من سفور المرأة واختيالها ، وينصح بتهذيب أخلاقها قبل سفورها ، ولا يكتم خوفه عليها منه ، ويشك في نية هؤلاء الذين أيقظوها ودفعوها الى الظهور ٠

ب)) ـ القصيدة ذات الموضوع الواحد ، ونجدها عند بعض الشعراء٠٠ فمحمد البزم يصف في قصيدته (ربة الخدر)(٢) تأخر المرأة الشرقية ويوازن بينها وبين الغربية ، ويرد تأخر الشرق الى جهل الشرقية وتقدم الغرب الى تعلم الغربية ، ويبين ضرورة تعليم الأولى ، ويصور أثرها في رقي المجتمع ، فالقصيدة تتصف بوحدة الموضوع ٠

والطرابلسي في قصيدته (المدالة)(٣) ، يعرض صورتين متضادتين : صورة المرقص وما فيه من غناء ورقص وشراب وجمال ونشوة وطرب وصورة الشارع الذي يحتضن طفلا متشردا غطته أسمال بالية وجاء الشرطي ينهره ، ويأمره أن يثوب الى داره لكيلا يؤذي السادة بمنظره ، والشاعر يتساءل عن داره وأهله ، ويسخر من قيم النبل والسمو والجود ، ويلقي في نفس الطفل بذور الثورة ٠

فالقصيدة تقوم على عرض صورتين متضادتين ٠

وجميل سلطان ، في قصيدته (اليتيم)(٤) ، يصور حال اليتامى ، والذين يأكلون أموالهم ظلما ، ويصور بذور الثورة تنمو في نفوسهم والمجتمع الذي يذكي فيهم روح التمرد فيبعد بهذا عن المروءة والمروءة والاسلام ، ويصور المهتم بميت بذور التفوق في اليتامى الذين قد يكون

---

(١) المختار ص ١٥٥
(٢) المختار ص ١٥٣ ـ ١٥٤
(٣) المختار ص ١٥٩
(٤) المختار ص ١٦٠

بينهم العبقرى والقائد والنابغة ، وأخيرا يدعو الى الزكاة التى أبرت على كريم الصيام ، فبناء القصيدة يقوم على نظم جملة من الافكار فى سلك واحد يدور حول اليتم واليتيم ٠

جـ)) ـ القصيدة التى تصف الأحوال العامة فى البلد الواحد أو فى البلاد ، وتعتمد النظرية الاشتراكية فى دراسة المجتمع وتبديل نظامه ٠

فالبارودى ، فى قصيدته (الحمراء) (١) ، يصور حياة الفقراء وكثرتهم ، وترف الاغنياء وقلتهم واستغلالهم للأولين وبحثهم فى الشريعة عما يبرر استغلالهم ، ويصور فساد نفوسهم وتفريقهم بين الناس بأموالهم ، وينادى بالمساواة ويدعو الى الثورة لمحو الظلم واقامة العدل ٠

فالشاعر يصف تفاوت طبقات المجتمع فى عيشها ، ويدعو الى الثورة لتحقيق مبادئ المساواة والعدل ٠

د)) ـ القصيدة التى تتضمن قصة تدور ، فى الغالب ،على موضوع واحد ٠

فالزركلى قص فى قصيدته (البائسة) (٢) حياة امرأة مات عنها زوجها ، وخلف لها ولدين وشيئا من مال أنفقته ثم مضت تبحث عن لقمة العيش ، ولما اعجزها تحصيلها باعت نفسها ٠

وقد نادى الشاعر فى نهاية القصيدة بضرورة مساعدة المحتاجين ٠

هـ)) ـ القصيدة التى تعرض صورة من صور العادات والتقاليد الشائعة فى المجتمع ٠

فالزركلى يصور صورة المحمل (٣) وعادة التبرك به ويوضح حقيقته ويبطن الصورة بالنقد ٠

ويعرض صورة امرأة حملت زيتا مسروقا (٤) ومضت تملأ به قنديل الضريح وتهز الشباك ، وتناجى الولى ، وترجو رضاءه وشفاء قلبها ومحو الأوزار عنها ، ثم تعود الى دارها راضية ٠

والشاعر يوضح أمر الولى الذى غدا رميما فاقد الشعور ٠

---

(١) المختار ص ١٥٧ ـ ١٥٨ (٢) المختار ص ١٥٢

(٣) المختار ص ١٥٢ (٤) المختار ص ١٥١

ونرى مما تقدم أن بناء القصيدة يكون بأشكال مختلفة ٠

أ)ــ القصيدة التي تقوم على تنوع الموضوع وهي أشكال :ــ

١)ــ القصيدة ذات النهج التقليدي وهي التي تتخذ من الوقوف بالديار، ووصف الاطلال، وذكر الاحباب وظعنهم، والتعبير عن عاطفة البين و الشوق، ووصف الرحلة الى الممدوح وسيلة الى الغرض المقصود ٠ وقد يضيف الشاعر الى تلك المعاني حديثه عن شعره، فيورده في سياق القصيدة او ينهي القصيدة به ، وقد ينوب النسيب او وصف الرحلة الى الممدوح عن الوقوف بالديار ووصف الاطلال ٠ ونجد هذه القصيدة في الشعر الوطني عند بدوي الجبل ومحمد الفراتي وبدر الدين الحامد ٠

٢)ــ القصيدة التي تبتدئ بوصف الطبيعة ويمازج الوصف فيها تعبير عن العاطفة الذاتية، ثم تنتقل الى الغرض المقصود ، ونجدها في الشعر الوطني عند خليل مردم ومحمد الشريقي ومحمد الفراتي وبدر الدين الحامد ٠

٣)ــ القصيدة التي تبتدئ بالتعبير عن العاطفة الذاتية، ثم تنتقل الى الغرض المقصود ، ونجدها في الشعر الوطني عند خليل مردم وبدوي الجبل ومحمد الفراتي وعمر يحيى ٠

٤)ــ القصيدة التي تخلو من مقدمة لها، وتقوم على تعدد الموضوع ونجدها في الشعر الوطني والتأملات والشعر الاجتماعي ونجدها عند الزركلي والبزم وجبري وبدوي الجبل ومحمد الفراتي وانور العطار ورفيق الفاخوري ٠

ويغلب ان تكون اجزاء القصيدة في النماذج السابقة غير مترابطة ترابطا تاما ، وان يكون الانتقال من أحدها الى الآخر انتقالا مباشرا او غير مباشر ، وأن يكون البيت وحدة تعبيرية وموسيقية قائمة بذاتها ٠

ب)ــ القصيدة التي تقوم على وحدة الموضوع ــ ونجدها في مختلف فنون الشعر ٠

١)ــ ففي الشعر الوطني نلاحظ قصيدة الرثاء، وهي قصيدة تقليدية مفككة الاجزاء، والبيت فيها وحدة قائمة بذاتها ــ أما قصيدة ابي ريشة في رثاء هنانو فانها تبدو ذات وحدة عضوية ، اذ يرغب الشاعر عن طريقة القدماء ، ويجسم معنى البطولة في الفقيد ، ويربط سيرته بسير البطولة العربية من عهد الرسول حتى اليوم، وبهذا تبدو القصيدة سلسلة مترابطة الحلقات ٠

٢)ــ وقصيدة الغزل تقليدية وهي مفككة الاجزاء، والبيت فيها وحدة قائمة بذاتها إلا قصيدة على الناصر وابي ريشة وبعض الشعراء الشباب، فانها تبدو ذات وحدة عضوية ٠

٣)ــ القصيدة التي تقص حياة شخص، وتصور حالة من حالاته، او موقفا من مواقفه، وتتأثر في هذا بنظرات من علم النفس التحليلي ، ونجدها عند على الناصر في قصة الراهبة " بولسين " وعند أبي ريشة في قصيدته (جان دارك) وقصيدته (كأس)، وهذه القصيدة تجمع كالقصة بين السرد والوصف والتحليل ، وتقوم على تصميم موضوع ٠

٤)ــ وقصيدة الوصف التي تستقل بوصف شئ واحد نجدها عند القدامى ، وهي اما أن تكون مجردة من العاطفة الذاتية او مشوبة بها ، او مذيلة بنظرة تأمل واعتبار ٠

٥)ـ القصيدة الرمزية، وهى تدور على كائن واحد، وترمز الى شخص أو حالة من حالات النفس أو مأساة روح، ونجدها عند على الناصر وأبى ريشة وهى مستعارة من الشعر الغربى، والوحدة فى هذه القصيدة هى وحدة الرمز •

٦)ـ قصيدة التأمل وتقوم على موضوع مستمد من القديم او الجديد •

٧)ـ القصيدة فى الشعر الاجتماعى وتقوم على موضوع منتزع من الحياة •

ج)ـ القصيدة التى تقوم على فكرة معلقة بالبيت الاخير، ونجدها عند على الناصر وأبى ريشة، والابيات فى القصيدة أشبه ما تكون بدرجات تقود خطى المرء الى الهيكل حيث تجسّم الفكرة، وأوضح مثل لهذا النوع قصيدة (طلل) لأبى ريشة، فهى وحدة تامة معلقة بفكرة •

د)ـ القصيدة الذاتية وهى التى تعبر عن الوجدان الفردى، وتضفى على الموضوع ذات الشاعر، فتلونه بلون مزاجه، وتصبغه بصباغ عاطفته، وتخرجه بحيث يشف عن نظرة الشاعر الى الكون والحياة وأثرهما فيه • وهذه القصيدة من ثمرة الاطلاع على أدب الغرب •

هـ)ـ المسرحية الشعرية وهى شكل جديد من أشكال الفن الشعرى أدخله شوقى فى الشعر العربى الحديث، وقلد فيه الغرب، وتابعه أبوريشة فى هذا الطريق، فأخرج عدة مسرحيات •

وعلى ضوء ما تقدم نلاحظ أن القصيدة تطورت فى بنائها، فبعد أن قامت على تنوع الموضوع وجرت على غرار القصيدة التقليدية صارت ذات موضوع واحد، وبعد أن كان البيت وحدة تعبيرية وموسيقية مستقلة بذاتها وأجزاء القصيدة مفككة أصبحت القصيدة ذات وحدة عضوية، وغدا موضع البيت فيها كموضع العضو فى الجسم، أو كموضع الصورة الجزئية فى الاطار العام للمنظر •

وكذلك دخل فى أشكال القصيدة العربية أشكال جديدة كالقصة الشعرية التى تمثل التحليل النفسى والقصيدة الرمزية والقصيدة الوجدانية الذاتية والمسرحية الشعرية وهذا ينتهى بنا الى أن القصيدة ••• العربية تطورت ودخلتها أشكال جديدة من أشكال التعبير فى الشعر الغربى بسبب تمازج الثقافات فى العصر الحديث •

الفصل الثاني

الصياغة

نقسم الكلام على الصياغة أقساما ثلاثة ، فندرس اللفظ أولا ، ثم ندرس التركيب ، وأخيرا ندرس الصورة ٠

والفصل بين اللفظ والتركيب والصورة أمر يقتضيه منهج البحث ، وهو كالفصل بين الموضوع والشكل ، وأمر الموضوع مع الشكل كأمر حدى المقص فكلاهما أساسي ، وما أحدهما بأمضى من الآخر ، وهذه الصورة تنطبق على ما نحن فيه من تقسيم الصياغة ، وكل ما نرمي اليه هو أن نجزئ الصعوبة ونسهل العمل ٠

اللفظ

وندرس في اللفظ مجانسته للمعنى ، ثم ندرس النغمة البديعية ، ثم الألفاظ الموحية ، ثم صيغ الألفاظ ، وأخيرا ندرس فصاحة اللفظ ٠

واللفظ أداة الشاعر ، فهو يستخدم الكلمات كما يستخدم الموسيقى أنغاما خاصة في تأليف اللحن ، وكما يلتمس المصور ألوانا معدة اعدادا خاصا في تصويره ، وقد استطاع الشاعر بأداته أن يخرج فنا يسمو على الفنون جميعا ٠

والشعر ينبعث عن احساس قوى يمتاز عن سواه من الاحساسات المألوفة وقد استطاع أن يستخدم لغة خاصة تجانس هذا الاحساس ، فليس المعنى وحده هو الذي يؤثر في النفس بل إن الألفاظ تؤثر في النفس تأثيرا خاصا بها ٠

ويختلف اللفظ باختلاف الاحساس ، فاللفظ المستخدم في وصف الحروب وتصوير الغضب والسخط أقوى من اللفظ المعبر عن الحزن والعشق والوله ، ومعنى هذا أن اللفظ المستخدم في الحماسة والهجاء أقوى من اللفظ المستخدم في الرثاء والنسيب ، واللفظ المستخدم في وصف الطبيعة وسط بين ألفاظ الحماسة وألفاظ الغزل والرثاء ، وقد يختلف اللفظ جزالة ورقة في الفن الواحد من معنى الى آخر ٠

فاللفظ يختلف باختلاف الاحساس الذي يعبر عنه والمعنى الذي يصوره في الموضوع الواحد ، ويختلف باختلاف الموضوعات ، كما يختلف باختلاف شخصيات الشعراء ٠

١)) ـ مجانسة اللفظ للمعنى :

أ ـ والشعر الوطني ، كما عرفنا ، متنوع المشاعر ، متنوع الاغراض

ففيه الحماسة والمدح والرثاء والوصف والتعبير عن الذات ، وهذا يدعو الى أن تختلف قوة اللفظ من غرض الى آخر .

ففي الحماسة نجد رحى الحرب والوغى والهيجاء والروع .

ونجد الخيل والبنود والرايات واللواء والقلاع والحصن والصعدة والحديد والعتاد .

وترد أسماء أدوات الحرب كالسيف والعضب والصارم والصمصام والقضب والمواضي والمشرفية والظبى والرمح والخطي والمران والقنا والسمر والعوالي والنصول والمناصل والأسنة واللهاذم والسهام والنبال والخنجر .

ويرد ذكر أدوات الحرب الحديثة كالطائرات والزاحفات والحوائم بالردى والرواجم بالنيران والمدافع والقنابل والماخرة .

وفي المحاربين نجد ألفاظا أمثال جيش وجحفل وجند وعسكر مجر وكتائب وفيالق وعصائب وطلائع ومغوار وصليب العود ومدجج وزعيم وأروع وشاب وبطل وقريع وكماة وقاحمين وصناديد وأماجيد وميامين ومطاعين ومناجيد ومقاحيم وأشاوس وأبطال .

وفي ضحايا المعركة نجد الحصائد والأضاحي والأشلاء والدم والنجيع والجراح والضماد والطعين .

ويرد ذكر القطا والرخم والصقر والنسور والشواهين والأسود والضراغم والضياغم والأشبال والليث الهصور الرابض والعقبان .

وهناك ألفاظ تدل على حدث مثل نهاد وثورة وزحف وصراع ونضال وصيال وكفاح وجهاد وتهويل وتهديد وتنكيد ووعيد وتشديد وتمزيق وترويع وتطويح وتجريح وتطريح واستبسال واستشهاد واقتحام واجتياح واضطراب واعتصام والتفاف وازدحام واختراق وتخاذل واتقاطع وصمود وصد الصداة وعض الحديد ورجم وفتكة بكر وصدمة ورجرجة وتغلغل وتمصر وتنكب .

وفي الأسماء التي تدل على معان مجردة نجد الاباء والشمم والعز والتيه والمجد والحمية والمروءة والخلود والذل والهوان والضيم والغيظ والغضب والجلال والعظم والهمم والعلياء والعلى والمعالي والمحامد والمكارم .

وترد ألفاظ مجموعة مثل خطوب ونكوب وصروف ومظالم وجماجم وغلاصم ومضائم ومدامع ومصامع ومضاجع ومطامح وأضالع وجوانح وجماجح وأساطح وشدائد ومحاجر ولواعج وغوائل ومهالك ومفاخر وفراقد وأواصر وعواصف وأعصار وأمصار وأرزاء وأهوال وأقيال وأمجاد وأصفاد

وكارثــات ونازلات ٠

والألـفـاظ ، بمجمـوعهـا ، مطبـوعـة بطـابـع الـقـوة والعنـف وهـى ملائمـة لجـو الحمـاسـة ٠

وفـى هجـو أعمـال المستعمـر نجـد الظلـم والجـور والبغـى والاستبـداد والاعتقـال والتعـذيـب والتشتيـت والنفـى وضـرب الهـام والطغيـان والعدوان والانتقام والأمـر بالبـاطـل والائتمـار بالشعـب واهتضـام الحـق وانحـطام العطـف والتمثيل بالشهـداء والتسلـط والاغـلال والـوثـاق والاستئسـاد ٠

وفـى أوصـاف المهجـو نجـد المجتـرم والملـح والـواغـل والـدخيـل والمعتدى والـعـادى والمستعـبد والعـاتـى والشيطـان المـارد والكـف المفرجـة والوجـه الأسـود والأجـافـيـل والرعـابيد والثعـالـب والمـاكريـن والطغـاة واللئـام والذؤبان

وفـى وصـف اليهـود نجـد عصبـة المـال وشيمـة الـغـدر وأحـفـاد الذل ، والشـذاذ وطـرائـد الغـرب ٠

وفـى وصـف أجـراء المستعمـر نجـد الأصنـام والنـوام وبسطـة الأجسـام والخيانة والخذلان ٠

والألـفـاظ تعبـر عن احسـاس الغضـب والغيـظ والحقـد علـى المستعمـروالهزء بـه وبـأجرائـه وهـى أقـل قـوة من ألـفـاظ الحمـاسـة ٠

وفـى وصـف حـريـق دمشـق نجـد النـيران والحمـم واللهيـب وطـوفـانـا من لهـب ومـوجـا مـن الـنـار ومـارجـا من سعـير والـوابـل المـدرار من حمـم اللظـى ونـار الـقـواذف وبـل الـقـذائـف والشظيـة ٠

وفـى وصـف الخـراب يـرد ذكـر الخـرائـب والذكريـات الدارسـة والانقـاض والـرسـوم والدمن والطلـول ٠

والألـفـاظ تـلائـم أعمـال الحـرق والتـدمـير وهـى مطـبـوعـة بطابـع العنـف ٠

وفـى رثـاء الشهـداء والـقـادة والملـوك والأدبـاء نجـد ألفـاظـا تصـور هـول المصـاب وتعبر عن المشاعـر مثـل الأسـى والحـزن والألـم والنـدب والنـوح واللطـم والتفجـع والأنـين والبكـاء والـدمـع والصـبر والصمـت والجلـد والاطـراق والكمـد والنكـد والبـؤس وسعـير البـث والحـرق والشقـاء والمـأتـم والـعـزاء والسلـوى والحنـو والـذهـول والـنـزع والمنـايـا وكـأس الموت والمـورد الرهيـب والمحـنـة والبـلوى والفجيعـة والنـازلـة والمصـاب والهـول والثكـل والخطـب والسهم القـاصـد والفقيـد والصـرع والـدم المهـدور والمهـراق والمطلـول والجـرح والجنـح المكسـور والقلـب الظـامـئ والقلـب الخـافـق الجـزع والصـارخ المستجـير والفنـاء والانطـفـاء وسيـلان المهـج علـى الصليـب والضحـايـا وقـوافـل الشهـداء ٠

ويرد في الرثاء ذكر صفات المرثي من علو ومجد وخلود وفخار ونبل وسداد ودهاء وحكمة وحلم ومهابة وحزم وبأس ومضاء عزم وشجاعة وتضحية وفداء وبساطة جنان ونقاء روح وطهر ضمير وعلو نسب وبعد نظر وعبقرية وشمس وبدر وكوكب وقريض وبيان .

وترد ألفاظ الفازي والمظفر والعظيم والطود والسيف والصارم والأسد الهصور والنسر والصقر والأشوس الأروع .

وترق ألفاظ الرثاء في تعبيرها عن مشاعر الحزن والألم وتقسو وتعنف متأثرة بجو الحماسة .

وألفاظ المدح المقول في الشريف حسين وابنه فيصل وقادة الثورة السورية والشعراء الذين زاروا سورية مطبوعة بطابع الحماسة والقوة .

وترق الألفاظ في التعبير عن المشاعر الذاتية التي يحس بها الشاعر حين يقيم في وطنه فيعاني مرارة الأسر والذل ، أو حين يغترب فيكابد ألم البين والشوق ، ومن أمثال تلك الألفاظ النوح والندب والبكاء والحنين والشكوى والبلوى والأسى والقلق والحيرة والضلة والهوى والقلب ودبيب الحب والصبر والحلو والمر ونوح الحمام وأسجاع الطير .

ونلاحظ في الشعر الوطني، بعد ما تقدم ، تجانس اللفظ والمعنى، فيكون قويا عنيفا في مواضع القوة والعنف رقيقا في مواضع الرقة غير أن قوة اللفظ تغلب على أغراض الشعر الوطني .

ب)) - وترق ألفاظ الغزل في التعبير عن المشاعر والعواطف وتصوير المرأة وذكر صفاتها، وايراد معاني الحب، وتصوير المحب، ووصف الاستمتاع بالمحبوب ، وتوشية هذا كله بصور من الطبيعة .

فأما المشاعر والعواطف فيستخدم الشعر للتعبير عنها ألفاظا مثل هم وسهد وهوى وحب وصبابة وهيام وغرام ودمع وعبرة وبكاء وحيرة وشوق وولة وضنى وسقم وصبر ووجد وجروح وشكاية وخفقان قلب ولهف وعذاب وبلاء ويأس وجوى وحسرة وارتماض وأنين وفرح وهم وأتراح ونشوة وعشق ولاعج ووجيب واستعار وشجو وهياج وصفو وشغف وسأم وألم وقلق وضيق وشجن وزفرة ورعشة وغيرة .

وأما تصوير المرأة فيستخدم فيه الشعر ألفاظا مثل قامة وقد وقوام وفرع وذوائب وغدائر وجبين ولواحظ ونواظر وجفون ووجنتين وشفتين وثغر ولمى وزند ومعصم ويد وكف وراحة وأنامل وأظافر وجيد وصدر ونهد وناهد .

ويستخدم الشعر في وصف الاستمتاع بالمحبوب ألفاظا مثل ضم وشم وعناق ومعانقة وقبلة ولثم ورشف رضاب وخمر وريق عذب وماء الشعر وسلسل عذب وعسل وشهد وشهوة عمياء ونعيم وارتشاء.

ويورد الشعر بعض صفات المرأة وشمائلها من حسن وسحر وملاحة وجمال وفتون وجلال وغواية وطلاقة ورشاقة ودلال واختيال وحذر وصد وغنج وفتور واغراء.

ويستخدم في وصف المحب ألفاظا مثل لب وفؤاد وكبد وقلب وأحشاء وأسماع وصب ومغرم وولهان ونشوان وهيمان وعان وشقى وهائم وموجع وكئيب وصريع.

وهناك ألفاظ تدور في كل غزل مثل سهد وسهر وهجر ونوى وفراق وبين وقرب ووصل ودنو وبعد وتسل وسلو وبعاد وداد ولهو وتسلاق وصبوة وجفاء ومحنة وعتب ووحدة وكرب وبث وتذكار ونعمة وصفاء والهيام ورجاء وشقاء ونعمى وسلوى وهناء.

وهذه الألفاظ رقيقة ملائمة لموضوع الغزل.

ح)) — ويشتمل وصف الطبيعة على موضوعات متعددة.

ففي وصف الأفلاك وجو السماء والأفق نجد الشمس والنجم والزهرة والبدر والسحب والغيم والغمائم والمزن والمشرق والمغيب وصفاء الجو والجو السمح.

وهناك ألفاظ تصور النور والظلمة من سنا وضوء ولألاء وبهاء وشعلة ونور وغياهب وليل وظلام.

وهناك أسماء الطير وما يلحق بها من عندليب وبلبل وهزار وباز ونسر وورقاء وحمام وهديل وبغاث وأفراخ ومنقار ومخلب وجناح وريش ووكون وعشاش وسهم وشرك وصياد.

ونجد ألفاظا تسجل بعض الأصوات من ترديد الصدى، وترجيع الصوت وغناء ونوح وشدو وتغريد وصداح وسجع وترنم الولهان وتشكي البلبل في الغصون وأنين الدولاب وتموج الأصداء وجهش الأرض وصخب الدأماء وأنة النهر وشدو الوتر وخشخشة الورق وقهقهة الرعد وانفجار الغمام.

وتتردد في الوصف ألفاظ الليل والسحر والفجر والصبح والصباح والبكور والضحى والهجيرة والمساء والغروب والغسق.

وفي وصف الخريف نجد الروض السليب والزهد المندوف والشعاع الميت والأيكة العارية والجدول الساهي السأمان ونفحات الزهر وتداعى

الغصن والزهر وهبوب النكباء واستنفار الطير ونأى العصفور وتعرى الشجر وحزن الروض وهمود الحقل واكتئاب المروج وفتور الدغال وامحاء فرحة الطبيعة وطى حلم الحياة وغياب الأنوار وضيعة الألحان وهوى النجم .

وفى وصف الشتاء نجد الزمهرير والثلج والمطر واستطارة البرق ووميضه ودمع الغيم والسيل والاتى والدجن وانقشاع الغيم ولفحة البرد وايقاد النار وارتعاش البروق .

وفى وصف الربيع نجد الألوان والأصباغ ووشى الرياض والمفاتن والفراش

وفى وصف الصحراء نجد القفار والصخور الصم والربى والوهاد والاكام والفيافى والروية الدهماء والمعزاء والصفاة والال والماء الآجن والشيح والقيصوم والرمث والغضا والدوح والكنهبل والطلح والسرى والركب والنياق والمطية والفرنس الصوادى والمهارى والصوى والطوى وصريو الجن وزئير الاسد وقعاقع الرعد .

وفى وصف النهر نجد الجدول الرقراق والماء الهادر والعيون والينابيع والسواقى والاشباح المزبدات ، والرحيق وتحدر النهر ورفيف بين الحقول وتدفقه وانسيابه وتثنيه وانتشاءه واقتلاع الجذور وشق الصخور والتفاف الانهار بالانهار .

ونجد من الاشجار الصفصاف والرند والبان والدوح والحور والدلب والخمائل والدغال والادغال والغصون والاغصان والافياء والظلال وعرائس الاحراج وصبايا الفراس وعجائز الاشجار وتثنى الاغصان وانعطاف الغصن على النهر .

وفى وصف الزهر ألفاظ مثل ورد وآس ونرجس وخزامى، وأقاح ونور ونوار وقضب الشقيق وبنفسج وفل وياسمين وزنبق وبهار وبنات الربى وعرائس الحسن وعروس الزهر .

وفى الروض نجد ألفاظا مثل كرم وغابة وبستان وماء وحسن المنظر ورقة الهواء وصفاء الكوثر وصحو السماء وغوطة وغياض وخمائل وتماشيب واطار خضيب ومغان ضاحكات ووشاح سندسى .

وفى الريح نجد نسمة الصبح والريح الطلق العليل وتحية النسيم ونسائم الربيع ودغدغة النسائم للنهر وتناوح النسمات وصفير الريح .

وفى الروائح نجد العبير والاريج والشذا والطيب والعرف والانفاس المعطرة ونفحات الزهر وعبق الخلد وشذا المسك والاريج العائم .

وألفاظ المشاعر والعواطف كثيرة من هيام وأسى وهوى وهموم وغموم وذهول ووجوم ودمعة وبكاء ومرحمة وعطف وحسرة وضنى وحنين وشجون وحزن وصمت وبث ووحشة وكآبة ووحدة وآلام وأفراح وبشاشة وبشر ونشوة ومتعة ومنية ونجوى ولهب وكدر وعناق ووجد وخفق القلب واهتزازه وحنان وحنو وخمول وسأم وندب وسلو وروع وزفرة ووداع .

وألفاظ وصف الطبيعة متوسطة بين القوة والرقة الا ما جاء منها في وصف الصحراء فانها جافية خشنة .

د)) — ونقع في وصف الخمر على بعض أسمائها من راح ومدام وبنت الحان وبنت الكروم ونقع على بعض أدواتها من كأس وابريق وقدح وعلى بعض صفاتها من طيب طعم ورائحة ورقة ونزوة قبل مزجها بالماء .

ونجد وصفا لجو الشراب من تحية الشرب بعضهم لبعض وقرع الكأس بالكأس وافراغ الكأس على الريحان وإدارة الخمر على الشرب وقيام الاخوة بينهم .

ونجد وصفا لاثر الخمر من اغماض العين والعطاس وظهور الحمرة في الخد ورمي النعاس في العين وحل عقدة اللسان وارهاف الحس وهياج الشجن وايقاظ العاطفة ورمي الجفن والجسم بالفتور وبعث الاماني والنعيم والسرور وهوان الدنيا على الشارب وافساح جو المنى واطلاق الاحلام والنشوة والسكر وميلان الجسم ونوم العقل ويقظة الهوى .

ونجد ألفاظا مثل سنا ، ولالاء ونور ونار ،ونجد وصفا للمشاعر كالزفرة والشهقة والدمع والمدمع والبكاء والشكوى والاحلام والسعادة والبهجة واللذات .

وهذه الالفاظ متوسطة بين القوة والرقة .

هـ)) — وفي الانفعالات والتأملات الذاتية تطالع اليأس والامل والسرور والالم والدمع والاسى والشعور والهيام والحب والوله والسهر والسهاد والسأم والهم والوحشة والوحدة والضجر والسلوى والعزاء والمنى والرجاء والصمت والوجوم والعطف والحنان والفرحة والذل والانكسار والانة والشجون والسقم والنصب والاعياء والضنى والكآبة والذهول والتشكي والتسامي والنجوى والمراحم والخشوع والظمأ والنعيم واللذات ومتع العيش والحيرة والشكوك .

ونطالع عوادي الدهر والزمان والايام والمجائب ومصائب الحياة

واقتحام الحنين والمعترك والعيش والزمن الدائر وزعزاع الفلك •

وترد في التأملات ألفاظ الخير والشر والضياء والظلام والنسك والضلال والهدى والتقى والرجس والخطايا والوجود والعدم والبقاء والفناء والحياة والموت والابتداء والانتهاء والجسم والروح والفكر والشعور والخلق والسراب وكنه الطباع وجوهر الاشياء وصفاء الجوهر وكدره والقضاء والمقدر والكون والطبيعة والجحيم والنيران والكينونة والصيرورة والديمومة والله والانسان والشاعر والوحي والمعاني والقريض والألحان والبيان والخلود •

وألفاظ الانفعالات والتأملات متوسطة بين القسوة والرقة • ..

واذا كانت قوة اللفظ قد غلبت على الشعر الوطني فان رقته قد غلبت على الشعر الوجداني ولاسيما الغزل •

٢)) — الصنعة البديعية واللفظية

جدد ابن المعتز في كتابه (البديع) خصائص المذهب الجديد فجعلها خمسة • (١)

١ — الاستعارة وهي عنصر أصيل في الشعر •

٢ — التجنيس وهو عبث لفظي يعتمد على الاشتقاق ويستند الى التداعي الشكلي ، وهو لعب بالمعاني ومهارة في استخدام مفردات اللغة المتحدة أو المتقاربة في اللفظ والمختلفة في المعنى •

٣ — الطباق وهو مقابلات بين المعاني • . . .

٤ — رد اعجاز الكلام على ماتقدمها وهو حلية لفظية ولباقة في طرق الاداء •• ..

٥ — المذهب الكلامي وهو نوع من الجدل العقلي والقدرة على توليد المعاني والدقة في المفارقات •

أما الاستعارة فهي لباب الشعر ، وأما الوسائل الثلاثة التالية فهي طرق في الاداء تتعلق بالشكل ولا تمس جوهر الشعر ، وأما المذهب الكلامي فهو مذهب عقلي أخذه ابن المعتز عن الجاحظ •

والبديع لم يخترعه أبو تمام وانما سبق اليه بشار ومسلم بن الوليد وأبو نواس ، ووجدت أصوله منذ القديم في القرآن والحديث ، واستمرت تعمل في الادب حتى جاء العصر العباسي فاتسعت آفاق العرب لاحتكاكهم بالشعوب وترجمة الثقافات الأجنبية ، وظهر أناس ينزعون الى التجديد ، ولكن أحدا منهم لم يحاول أن يأتي بأفكار جديدة في صياغة قديمة بل حاولوا ان يقولوا الافكار القديمة في صياغة جديدة • ولم تتجدد المعاني الا في القرنين الرابع والخامس عندما تخمرت الثقافات الأجنبية في النفوس فهزتها وجددت خباتها وظهرت آثارها في شعر المتنبي والمعري

وقد تناول البديع شكل الشعر وانتهى الى الصنعة اللفظية ، وطغى على فن أبي تمام ، وكان هذا قد توفر على النظر في شعر القدامى والمحدثين ، وأراد أن يجدد فلم يستطع الافلات من التقاليد الشعرية الثابتة •

واستمرت الصنعة البديعية عالقة بشكل الشعر حتى عصور متأخرة ، وغدت مع الايام سمة من سمات التقليد في الشعر العربي •

وسنعرض ألوانا من البديع في الشعر العربي في سورية •

(١) النقد المنهجي عند العرب — الدكتور محمد مندور مطبعة نهضة مصر سنة ص ٤٦ — ٦٢

أ)) — الطباق أكثر ألوان البديع ظهورا فى الشعر ، ولا يخلو منه فن من الفنون ، والشعراء سواء فى استخدامه ، ولكنهم يختلفون فى مقدار هذا الاستخدام ، وسنعرض أنواع الطباق ·

١ — فالأول طباق ايجاب ، ونجده عند مختلف الشعراء الذين نظموا فى الشعر الوطنى ·

والزركلى يصف حال قومه :

شداد والعزائم فاترات ··· وأيقاظ ولكن كالنيام

والعزم يستنهض الهمم :

واذا الفتى قصدت به أعماله ··· لم تجده غير الأسى أقواله

وشفيق جبرى يذكر شهداء الثورة السورية

ذكرى الدفين وان تقادم عهده ··· تحيي الدفين وتبعث الموءدا

وخليل مردم يشير الى شهيد ايرلنده

بعينيه رأى احياء شعب ··· فأيقن أن بعد العسر يسرا

ويصف مشاعره بعد عودته من انكلترة

تلاقوا بعدما افترقوا طويلا ··· فما ملكوا المدامع أن تسيلا

وبدوى الجبل يصف حال قومه

مالى وللناس جد الناس كلهم ··· وضاع قومى بين الجد واللعب

ويقول فى رثاء غازى

إيه دنيا الرشيد تفنى الحضارات ··· م وتبقين من لدات الخلود

والحامد يقول بعد الثورة السورية

فليكن همك الحياة بعز ··· كيف يرضى بالهون ندب نبيل

والفراتى يقول فى رثاء حسين

بعثت بها روح الحماس وقد نهيا ··· الى المجد بل أيقظت من هو نائم

وعمر يحيي يقول فى رثاء حافظ

الغرب لا تهدأ مطامعه ··· والشرق غاف عن مدى الحيل

والشريقى يقول فى دمشق وفتيانها

تمهدتهم بآمال مقدسة ··· لا لذة العيش تغنيها ولا الألم

والعطار يقول فى الشهيد

وسرى الطيب يملأ العالم الرحب ··· م فينادى طريفه وتلاده

وأبو ريشة يقول فى رثاء هنانو

وغفت هذه المرابع حتى ··· أيقظتها صيحات ليث هصور

ويرثى حافظ ابراهيم بقوله

ونسراءت له صروف لياليه ··· م شخوصا انسية جنية

ونجد هذا النوع من الطباق في الغزل

فشفيق جبري يخاطب نفسه في هواه

لا تحسبن صدى هواك مرددا | في قرب حلتها وبعد حلالها (١)

وخليل مردم يستخدم الطباق كثيرا في قصيدته (الطيف)

والفراتي يقول

أطعت الهوى حينا لأمر فقادني | الى الحين والعاصي الهوى غير جائر

وعمر يحيي يخاطب قلبه

يغفى الخلي وأنت تسهد م | طالما بعض المنابه

كأننا في ربنا عدن | فلا سكر ولا صحو

والفاخوري يقول بلسان المجنون

عفا الله ياليلاي عن ذلك الحب | وجدد ما قاسيت في القرب والبعد

وسلطان يقول

سوغت لي الحياة صفوا وشجوا | وأجدت لي المنى بعد درس

وعلى الناصر يقول

فشعري ملؤه شجن | يحاكي نشرك الشاكي

وأبو ريشة يقول

ذكرياتي كلها أغفت فلا | توقظيها من دياجير كراها

ونجد الطباق في وصف الطبيعة

فشفيق جبري يوازن بين قول الناس وبين شدو (العندليب)

وان قيد الوزن أفكارهم | لقد أطلق الشدو أوزانه

وخليل مردم يصف (الشمس)

كل شيء باسم ان سفرت | فاذا ما احتجبت خلف غطاها

عبس الجو اكتئابا وأسى | وبدمع المزن من وجد بكاها

وبدوي الجبل يصف البلبل الصريع

فغدا اليوم أسيرا بعد ما | كان حرا بين روض وغدير

والحامد يقول في (الناعورة)

يشجى لها في الحي امسا م | رجعت قاص ودان

وعمر يحيي يقول في وصف دولاب الناعورة

ذو عيون كأنها الانجم الزهر م | تراءى وتختفي عن عيانه

والفراتي يقول في الطير

فراحت الطير تجوب الفضا | كأنها قد أعتقت بعد رق

---

(١) المختار ص ٥٤

والمحاسني يقول في شلال دفنة

ان روحي كالنهر تجرى فتسقى الصمر م صفوا أو كدرة الأوحال

وسلطان يصف بردى

لم يطأ ظله الفيافي الا عاد روضا به المكان الجديب

والمطار يصف الخريف

فعلى ضاحك المروج اكتئاب وعلى باسم الدغال فتور

وعلى الناصر يقول

هذا الفراش الجميل بالحب يحيا ويقضي

وأبو ريشة يقول في مصرع هزار

وعرته ارتعاشة حين لاحت ذكريات الافراح في أتراحه

ونجد الطباق في الخمر

فخليل مردم يقول في موشحه (سكران وسكرى)

كلما قبلها هام بها فحساها بصغير وكبير

ويقول بدوى الجبل

أنحتسى الخمرا ونرتوى سكرا

والورد ظمآن

ونجد هذا اللون في التأملات

فالزركلي يقول

واللبيب اللبيب من يؤثر الموت م على أن يعيش في الذل دهرا

والفراتي يستخدم الطباق كثيرا في قصيدته (ياليل) (١)

والحامد يتساءل عن غناء الحمامة .

ثكلت نفسي أحزن غناؤها أم سرور

والمطار يناجي الله

يا الهي أنا الفناء أناديك م وأنت البقاء ترجى وتقصد

وأنا العبد هام وجدا بمولاه م وان أفن في المحبة أوجد

ونجد هذا اللون من الطباق في الشعر الاجتماعي

فالزركلي يقول

رب قلب أجاعه العدم لو أشبع م لاقتاد شعبه بالزئير

والبزم يخاطب المرأة

أطلت المنام فهل يقظة وطال العتاب فهل معتب

---

(١) المختار ص ١٢٥ ـ ١٢٧

وشفيق جبرى يخاطب المرأة

الناس فى يوم الرخاء م ... وأنت فى اليوم الشديد

وبدوى الجبل يقول فى سفور المرأة

ان قيدت دهرا فقد شاء الاولى ... صاغوا القيود ثقيلة اطلاقها

من أيقظ الحسناء بعد رقادها ... من حتفها مستعجلا من ساقها

وسلطان يقول فى اليتيم معرضا بالاغنياء

حرمت جيبهم على كل طاو ... وحلال لهم جيوب الانام

والطرابلسى يقول فى مصير السائلة معرضا بمن دفعها فى طريق الضلال

وترى سادة النضار عبيدا ... يتمنون عطفها بـذالا

ووجيه البارودى يقول فى استغلال الدين فى أحكام الارث

وكم حللوا ثم كم حرموا ... فصول مآس من المضحكات

وهناك طباق بنى على المضادة تأويلا .

فالزركلى يقول معرضا بالحلفاء

هم عاهدوك على الوفاء وما وفوا ... ووثقت منهم بالحليف فخانا

وجبرى يستنهض العراق للثورة

ثارت شعوب الارض بعد خنوعها (ضنو) ... ان الخنوع نقيصة الاتام

والحامد يقول بعد الثورة السورية

ووقفنا ما بين خسر ونجح ... تارة ننثنى وأخرى نصول

والفاخورى يقول فى الخريف

الايكة الخضراء قد أصبحت ... بعد الشذا منهوبة عاريه

والعطار يقول فى الخريف

تطفح السحب فى عنان السموات م ... ويخبو منها السراج المنير

وتغيب الانوار الا شعاعا ... يختفى تارة وأخرى ينور

٢)) ـ والثانى طباق سلب ، ونجده عند بعض الشعراء

فالزركلى يقول متأملا

رأيت سبيل الهدى وعرة ... ولم أر فى الناس من يسلك

وبدوى الجبل يقول فى شهيد ايرلندة

ولم تبخل بنفسك وهى علق ... متى بخلت بأنفسها الكماة

والشريقى يقول فى العرب

ان أدال الزمان منهم ملوكا ... لم يدل من نبوغهم وجلاله

وأبو ريشة يقول فى رثاء فيصل

يا شعار العلياء والخلق صرفا ... ليس يطوى كما طويت الشعار

والبزم يقول في المرأة

لئن غلبوها على أمرها ... فليست على عقلها تغلب

٣)) ـ والثالث طباق مقابلة ، ونجده عند بعض الشعراء .

فالزركلي يصف قومه

وتجتمع الجسوم على تراض ... فتفترق القلوب على خصام

والبزم يستنهض الهمم

واذا الفتى اعتقل المداة يمينه ... نشطت الى فك الوثاق شماله

وشفيق جبري يقول في الحرية التي طواها العدو

لئن طوى استبداده ليلها ... فما طوى عن مقلتي فجرها

ومردم يصف تقدم الغرب

الى كبد السماء سموا صعودا ... وقيعان البحور هووا نزولا

وعمر يحيى يقول في ذكرى يوسف العظمة

وأين الزعيم يثير النفوس ... يحب الورود ويخشى الصدر

ويتغزل بدوى الجهل

كان تلاق بعده فرقة ... ما أقتل البعد وأحلى التلاق

والفراتي يصف روضة

بالأمس كانت جنانا ... واليوم أضحت حطاما

وسلطان يصف بردى

الصحارى من حوله عابسات ... ومغانيه ضاحكات تطيب

وعمر يحيى يصف الآس

ففنى زانه بالبهجة ... وفقير زانه بالدمعة

ومردم يصف السكران بقوله

الهوى يقظان صاح والنهى ... غاله من سورة الصهباء غول

والزركلي يتأمل

عزيز يذل ودون يجل ... وفي كل أرض دم يسفك

والبزم يقول

ذل من يصحب هذا الدهر م ... مذعور الجنان

بين خوف من لظى النار م ... وتأميل الجنان

والفراتي يناجي الليل

يا ليل بعدك عني ... نفع وقربك ضر .

والزركلي يقول في الاجتماع

وانما الفوز لشعب صحا ... والخسر حظ الأمة الساجيه

ويقول البزم فى المرأة

وان ذل من جهلها مشرق | فقد عز فى علمها المغرب

ويقول وجيه البارودى

فيارب باسمك كم توجوا | جناة وكم أهلكوا من ثقاة

ودراسة أنواع الطباق تنتهى بنا الى الملاحظات الاتية

١ — قد ينبعث الطباق عن احساس صادق اذا كان بما يوحى به الجو العام فى البلاد ، ونجد هذا فى الشعر الوطنى ٠

٢ — قد يكون الطباق طباق الذاكرة ، فيجئ بتأثير عملية التداعى اللفظى دون أن يظهر فيه أثر لروح العصر وثقافته ٠

٣ — قد يكرر الطباق بلفظ آخر كما فى قول جبرى

ذكرى الدفين وان تقادم عهده | تحيي الدفين وتبعث الموءودا

٤ — قد يجتمع فى البيت طباقان اثنان دون أن تكون مقابلة

٥ — قد يجتمع الطباق ولون بديعى آخر فى البيت الواحد

٦ — يقع الطباق فى حشو البيت ، أو فى حشو الصدر ، أو فى حشو العجز ، أو فى آخر الصدر وآخر العجز ، أو فى آخر الصدر وحشو الصدر أو العجز ، أو فى آخر العجز وحشو الصدر أو العجز ، وإلحاح الشاعر على بعض المواقع قد يكلفه جهدا فوق جهد تكلف الطباق٠

٧ — قد يكثر ورود الطباق فى القصيدة كما فى قصيدة (الهوى الذاهل) لشفيق جبرى ، وقد يغلب عليها فيطبعها بطابع خاص كما فى قصيدة (الطيف) لخليل مردم ، وقصيدة (ياليل) للفراتى

٨ — قد يكون الطباق ذا رونق وماء ، وقد يجف فيثقل على النفس

٩ — قد يجئ الطباق عفوا ، وقد يكون متكلفا

١٠ — يختلف الشعراء فى مقدار استخدامهم للطباق ، فشعراء الرعيل الاول أكثر الشعراء عناية به ، ويليهم فى هذا الفراتى وعمر يحيي والحامد والعطار وجميل سلطان ، ويقل الطباق عند أبى ريشة ، ويغيب فى شعر على الناصر ٠

ب)) — والجناس لون ثان من ألوان البديع ، وهو أنواع

١ — المتكافئ وهو أن يختلف اللفظان فى أنواع الحروف ، ونجده عند بعض الشعراء ٠

فالزركلى يصف زمننا

زمن ظالم ومولى مولى | وكريم على بساط كربه

والبزم يصف ضحايا الثورة السورية

وغضة بضة يغتالها لهب   والملح يرمقها نشوان جذلانا

وخليل مردم يصف مشاعره بعد رجوعه الى قومه

وجدت أحبتي الا يسيرا   أسيرا أو شريدا أو قتيلا

ويقول بدوى الجبل متحمسا

وعقيدة وطنية عربية   فيها نصول على العدى ونطول

وعمر يحيي يقول فى ذكرى استقلال سورية

أى عيد عاد فينا مأتما   وربيع حال بؤساً ونكد

وأبو ريشة يقول فى رثاء سعيد العاصى

غضبة للنسور لا النصر فيها   بمتاح ولا الونى بمباح

٢ - والناقص وهو أن يختلف اللفظان فى أعداد الحروف، ونجده عند أكثر الشعراء.

فالزركلى يصف أحوال البلاد

هنا وهناك تشتيت ونفى   وتعذيب يذيب وضرب هام

ومردم يقول فى شهيد ايرلندة

اذا كانت حياة المرء أسرا   فان الموت بالأحرار أحرى

وجبرى يذكر مروان

فكأنما مروان فى جنباتنا   يعد الموعود وينجز الموعودا

ويطمئن بدوى الجبل دمشق فى رثاء غازى

بنت مروان لا تراعى وخلى   عنك تهويل عدة وعديد

والحامد يصف متنزه الميماس

يميس على الميماس ورد رياضه   سمير الدجى والطل لم يجر ذائبه

وعمر يحيي يقول فى استقلال سورية

ونفوس طامحات ومنى   بارقات وعديد وعدد

والفراتي يتغزل

عذيرى من عذراء زمت ركابها   الى حيث لا أدرى فهل أنت عاذرى

ويصف نجمة الزهرة والزهر عند الصباح

وضاحك الزهرة زهر الربى   لما بدت فى أفقها تأتلق

والطرابلسى يقول فى الشهداء

شهداء مثل الزهر فى أكمامه   كانوا على ظلم القوى شهودا

٣ - والمحرف وهو أن يختلف اللفظان فى هيئات الحروف والاختلاف قد يكون فى الحركة، وقد يكون فى الحركة والسكون جميعا، ونجده

عند الفراتي في قوله

أطعت الهوى حينا لأمر فقادني ‏‏‏‏ الى الحين والعاصي الهوى غير جائر

واحسرتا هلا نهاني النهى ‏‏‏‏ عن التصابي يوم بانت سعاد

وعلى الناصر يقول

سماؤها وثراها ‏‏‏‏ نور ونور وسيم

٤ ـ والقلب وهو أن يختلف اللفظان في ترتيب الحروف ، وهو في الشعر قلب بعض لا كل

فمردم يقول بعد رجوعه الى دمشق .

فيالك موقفا أروى وأورى ‏‏‏‏ وبث لواعجا وشفى غليلا

وجبري يقول في دفاع حافظ عن الشرق

ما زلت تدفع عنه كل عادية ‏‏‏‏ حتى تمزق لادنيا ولا دينا

والحامد يقول بعد الثورة السورية

فالأماني محفوفة بالمنايا ‏‏‏‏ واليها الخطوب نعم السبيل

ونلاحظ في دراسة الجناس الأمور الآتية

١ ـ عناية الشعراء بالجناس أقل من عنايتهم بالطباق

٢ ـ أكثر الشعراء عناية بالجناس شعراء الرعيل الأول ولاسيما الزركلي ومردم، ويليهم في العناية به عمر يحيى والحامد والفراتي، وتقل العناية بالجناس عند جميل سلطان والطرابلسي ، ولا تكاد تظهر في شعر على الناصر وأبي ريشة .

٣ ـ لا نكاد نرى أثرا للجناس التام في الشعر

٤ ـ قد يجتمع الجناس والطباق في البيت الواحد .

جـ)) ـ والتدبيج فن من فنون البديع ، وهو ذكر ألوان يراد بها التورية أو الكناية .

فمردم يكني بزرق المنايا عن مجيء أجل الشهيد في قوله

اذا كلحت به زرق المنايا ‏‏‏‏ تهلل وجهه وازداد بشرا

وأبو ريشة يكني بالأزرق عن البحر في قوله

والاغادي تلوح كالأزرق الرجراج ‏‏‏‏ م في موجه العتي المطم

وشفيق جبري يكني بالحمراء عن كثرة خوض العرب الحروب في حركة الفتوح فيقول

كأنما مضر الحمراء ما زحفت ‏‏‏‏ الى المقطم في شيب وشبان

ان لم تكن مضر الحمراء سائدة ‏‏‏‏ فما يقر عيون العرب تسويد

ويكنى بالأحمر القانىء عن الدم المسفوك فى الثورات ، فيقول

صحف بأحمر قانىء مكتوبـة ضمن الزمان لأهلها التخليدا

ويكنى بالحمراء عن الثورة التى كثر فيها القتل وسفك الدماء، فيقول مخاطبا حسينا فى ذكرى الثورة العربية

بمنتها ثورة دهواء مائجة بالهاشميين مخضوبا حواشيها

حمراء أوقد جنبيها القنا وسقى فتيانها من نجيع الترك ساقيها

ويكنى بدوى الجبل بحمر البنود عن قوة الفرس وبأسهم فى قوله يصف غلبة العرب على الفرس.

دوخوا الروم وثلوا عرشها وطووا حمر البنود الفارسيه

ويكنى المطار بحمراء عن الثورة المصبوغة بالدماء فى قوله

أوقدوها حمراء تلتهم الأفق م فتشوى بها اللظى والسمائم

وأبو ريشة يكنى بالحمر عن قنابل الاعداء المميتة

تشتم الأرض من قنابلها الحمر م ويشكو العجاج جفن الأثير

ويكنى بالبرد الأحمر اللون عن استشهاد سعيد العاص فى قوله

أى برد خلعته أحمر اللون م على كاهل الجهاد الصراح

ويكنى خليل مردم بالكف المضرجة والوجه الأسود عن خزى المستعمر وعاره فيقول مخاطبا المتنبى فى ذكراه الألفية

شكواك ما زلنا نعانى مثلها كف مضرجة ووجه أسود

ويكنى شفيق جبرى بسود المنايا عن أفظع صور الموت فى قوله مشيدا بالوطن الذى ألقى ببنيه الى القتال

ألقى الى سود المنايا ربعه فتقحموا فيه المنايا السودا

ويكنى بدر الدين الحامد بالسواد عن الحزن فى قوله فى دمشق بعد الثورة السورية

لبست حلة السواد حدادا وعليها من المعانى الذهول

ويكنى على الناصر بالجدران السود عن البؤس والشقاء

فتارة أصبح فى عالم أسمى ومعبودى بنات العلى

وتارة فى حانة يطمئنت جدرانها السود بآه الشقا

ويكنى أبو ريشة بالعصاب الأرجوانى عن شفق المغيب وباليد السمراء عن أول الليل وبالملاءة السوداء عن ظلام الليل فيقول

فأطلت من خدرها غادة الليل م وتاهت فى ميسه الخيلاء

وأكبت تحل ذاك العصاب م الأرجوانى باليد السمراء

وذوائبات شعرها تترامى فى فسيح الآفاق والأجواء

وعيون السماء ترنو اليهنا من شقوق الملاءة السوداء

ويكنى بدوى الجبل بالخضراء عن كثرة الماء والشجر فى قوله

لبنان والغوطة الخضراء ضمهما ماشئت من أدب عال ومن نسب

ويكنى المطار بالاخضرار عن انتشار الخضرة وامتدادها فى قوله يصف الغوطة

عالم من نضارة واخضرار فاتن الوشى عبقرى الاطار

ويكنى بالصفرة عن الكآبة والفناء والحزن فى قوله يصف الخريف

صفرة توقظ النؤوم من الشجو م ورمز الى الزوال يشير

ويكنى عمر يحيى بالبياض عن الصفاء والبهجة فى قوله

لجأت الى غدائرها أظلل بيض أحلامى

ويكنى جميل سلطان بالبيض عن الصفاء فى أماسى الربيع فى قوله

والزهر عند الأماسى البيض تحسبه جفنا يغالبه الامساء وسنانا

ويكنى المطار بالزبد المندوف عن الغمائم البيض فى قوله

ويمح الفضاء بالزبد المندو ف والافق كالخضم بمغور

ويكنى بالمفضضات عن النجوم المتلألئة فى قوله

والنجوم المفضضات عيون شاخصات والكائنات مباسم

ويريد الحامد بالفضة الصفاء فى قوله

وابتسام الصباح فى الروض حلى عسجدى يزين فضة مائه

د)) - ومن ألوان الصنعة البديعية رد العجز على الصدر وهو أن يجعل أحد الركنين فى آخر البيت والآخر فى أول صدره

فالزركلى يرثى الشهيد فؤاد سليم بقوله

شددت والليث ملو وان للحق شدك

وشفيق جبرى يقول فى تكريم حافظ

آمنت باللغة المرواع مفرسها فما يزلزل ريب الدهر ايمانى

والبزم يحض على النضال بقوله

ناضل اذا رمت الحياة فانما وهب الفتى عز الحياة نضاله

وبدوى الجبل يقول فى البلبل الصريع

وعروس الزهر هل يضحكها ناعم العيش وقد مات العريس

ويقول عمر يحيى فى شهداء فلسطين

يا مأتما فيه العروبة تنثنى كلمى يعاودها الاسى فتميل

قد سجلت فيه العدالة أنها ظلم وان لم يجدها التسجيل

ويقول الفراتى متغزلا

عذيرى من عذراء زمت ركابها الى حيث لا أدرى فهل أنت عاذرى

هـ)) ـ والارصاد أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة أو القافية من البيت ما يدل عليها إن عرف الروى ، وهو لون بديعي استخدمه عدد من الشعراء .

فالزركلي يصف حال قومه بقوله

وتجتمع الجسوم على تراض ... فتفترق القلوب على خصام

والعزم يستنهض همم الفتيان

واذا الفتى اعتقل القناة بيمينه ... نشطت الى فك الوثاق شماله

وشفيق جبري يقول في الحرية

بليوث في ظل الصبا حلوها ... فهل تراني بالبيا مرها

لاتخفضن يا دهر من قدرها ... كل كريم رافع قدرها

ومردم يقول في تقدم الغرب

الى كبد السماء سموا صعودا ... وقيعان البحور هووا نزولا

وبدوي الجبل يقول في ربوع العرب

كل الربوع العرب لي وطن ... ما بين مبتعد منها ومقترب

مالي وللناس جد الناس كلهم ... وضاع قومي بين الجد واللعب

وعمر يحيي يقول في يوسف الشهيد

وأين الزعيم يثير النفوس ... يحب الورود ويخشى الصدر

والفاخوري يقول على لسان المجنون

عفا الله يا ليلاى عن ذلك الحب ... وجدد ماقاسيت في البعد والقرب

وسلطان يقول في الحب

وأثارت بي الصبا وأثارت ... وجه يومي من بعد ماوبد أمسي

ويغلب أن يكون طباق بين القافية والكلمة التي تأتي قبلها لتدل عليها

و)) ـ والجمع مع التفريق نجده عند قليل من الشعراء

فمردم يقول بعد رجوعه الى دمشق

وجدت أحبتي الا يسيرا ... أسيرا أو شريدا أو قتيلا

بكيت لمن نجا فرحا وحزنا ... على من قد هوى حرا نبيلا

ويقول في رثاء شهيد ايرلنده

كأنك من ذوي قرباي لما ... رثيتك باكيا نظما ونثرا

ويقول في تقدم الغرب

هم ملكوا الرياح فسخروها ... لأمرهم دبورا أو قبولا

وجبري يقول في تكريم حافظ

لكن مصر وان هشت وان عبست ... ركن العروبة للقاصي وللداني

ويقول بـدوى الجبل

فالمحبون صنوف جمة بين ناسين وقوم ذاكرين

وعمر يحيي يقول فى الآس

ففنى زانه بالبهجة وفقير زانه بالدمعة

والفاخورى يتأمل فى الخريف

دنياك يا نفس روى حالم فى قربها شروقى بعدها

وأبو ريشة يقول فى رثاء حافظ

وتراءت له صروف لياليه م شخوصا انسية جنسية

.. ويلاحظ أن مردم أكثر الشعراء استخداما لهذا اللون

ز)) — والتورية تغيب عن الشعر فلا تظهر الا فى بيتين

فالفراتى يقول فى مدح فيصل

هو فيصل والخصم يشهد أنه ليث هصور حازم لا يغلب

وعمر يحيي يقول فى رثاء حافظ

يا حافظ الفصحى وحارسها بالأمس كنت الحصن فى الجلل

ح)) — والعكس يظهر فى بيتين

فالزركلى يقول فى أحوال الاجتماع

يسرى يعدونه فى الجناة وجان يبرأ أو يترك

ومردم يتغزل بقوله

أنا ما بعدت دنا الى م فان دنوت عدا وشدا

ط — تكرير اللفظ ظاهرة واضحة فى الشعر وصناعة محكمة افتن فى استخدامها الشعراء ، وقد تكون أكثر ألوان الصناعة ظهورا فى الشعر، والتكرار ، بحسب الكلمة المكررة ، أنواع :

١ — تكرار الكلمة ذاتها ، ونجده عند مختلف الشعراء

ففؤاد الخطيب يقول فى الثورة العربية

حى الشريف وحى البيت والحرما وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

من ذلك البيت من تلك البطاح على تلك الطريق مشت أجدادكم قدما

ويصف الزركلى دمشق فى الثورة السورية

ما انهار قصر فى حماك ممرد الا ليرفع فيك قصر فخار

والبزم يخاطب العدو فى الثورة السورية ويستنهض الهمم لمناصرة دمشق

لا ترهقوا العرب فالعرب الكرام لهم ان أرهقوا ثبة الضرغام غضبانا

أين الحمية بل أين العروبة هل غاض الوفاء وآض الود هجرانا

وجبرى يقول فى تكريم حافظ

اذا بكت جنبات النيل من ألم بكت دمشق بدمع منه هتان

ويقول في تأبين حافظ

فكم بكيت على مصر وحاضرها   وكم حنوت على مصر وباقيها

ويقول مردم في رثاء الملك حسين

تمطى ليل محنتنا فلما   سفرت سفرت صبحا مستنيرا

ويقول بدوى الجبل مفتخرا بالعرب

ان فاتهم معقل يوم الوغى أشب   بنوا من السمر صرح المعقل الأشب

ويقول في الخلاف بين قادة مصر

ماذا دها مصر حتى ريض جامحها   وما دها شعبها المظلوم فانقسما

والفراتي يقول في فتح دمشق

ان فتح الشآم أعظم فتح   ترتقى مجدها به الاسلام

وعمر يحيي يقول في رثاء صالح قنباز

أبى صالح الا الوفاء بعهده   وتأبى له الا الوفاء المحتما

والحامد يناجي الديار

يا ديارا أخنت عليها الليالي   والليالي تروع ثم تدول

ويقول الطرابلسي في فلسطين واليهود

ياشيمة الغدر وأنصاره   يا عصبة المال وعباده

يا عرب هيا فانصروا موطننا   للعرب هاج القد أفراده

ويقول الشريقي في مصر والشام

لن تموتا والغرب غرب وهذا م   الشرق شرق في روحه وآياله

نهضا ينشران في الناس أن م   الناس أسمى في العيش من أنواله

والعطار يخاطب العرب

واملكوا الأرض أنتم سادة الأرض م   وأنتم بنو الليوث الضراغم

ويقول أبو ريشة في ذكرى فيصل

قذفته الصحراء صارم حق   فيه من صارم الرسول مضاء

٢)) ـ تكرير الاسم بجمعه ونجده عند بعض الشعراء

فالخطيب يقول في رجال الثورة العربية

من كل أروع وثاب اذا انتسبت   بعض الصوارم كان الصارم الخذما

والزركلي يرثي لحال أمته بعد ميسلون

وثقت بعهد الاقوياء فأسلمت   هيهات ما للاقوياء عهود

ويقول جبري في نوح العندليب

فلم أر في لحنه كلفة   تهجن ان ناح ألحانه

ومردم يقول فى رثاء الملك حسين

ركلت التاج لا ترضاه غــــلا … وغيرك يلبس التيجان تــــيرا

وبدوى الجبل يقول فى رثاء غــازى

صاحب التاج دمعة من دمـــوع م … الشام ذوبت عطرها فى قصيـــدى

وعمر يحيى يقول فى رثاء شوقى

وما أبأس الشرق الذى كنت ان صبا … بيت وان يحزن نطقت بما أدمى

ليالى ان أن العراق وجـــــاره … شكا النيل مما نال جيرانه غمـــا

٣)) - تكرير المشتق بمشتق آخر ، وهو قليـــل

فمردم يقول فى موشح (المحـــزون)

ورأى الظالم لا يرقب فى المظلوم ذمـــــه

وجبرى يقول فى شهداء الثورة السورية

من كل مهشوم على طرف القنـــا … أو كل محصود يلز حصيـــدا

٤)) - تكرير المصدر بالمشتق من فعله ، وهو قليـــل

فالزركلى يقول فى قصيدة (الشهداء)

هو الثأر أدركه الثـائـــرون … أشجى فروقا وسلطانهـــا

وجبرى يقول فى رثاء حافظ

ما كان شعرك الا وحى عاطفـــة … ظل الجزيرة والاهرام موحيهـــا

ومردم يقول فى تكريم شوقى

واعطف لقبر أبى المظفر ساعيـــا … أفام يمز بسعيه الاســــــلام

٥)) - تكريـــر الفعل بمشتق منه وهو قليـــل

فجبرى يقـــول

ما هاج فى ظل المقطم هائـــج … الا سرت أصـــداؤه فى الشام

ومردم يقول فى تكريم شوقـــى

فاجمع مشتت شملها فلربمـــا … قامت مقام سيوفها الاقـــــلام

ويقول فى المهرجان الألفى للمتنبى

فالماكرون أذل من أن يمكـــروا … والمعتدون أقل من أن يعتـــدوا

٦)) - تكرير الفعل بالمصدر ، ونجده عند بعض الشعراء

فالزركلى يقول فى الشهداء

نعى نادب العرب شبانهـــا … فجدد بالنعى أحزانهـــا

ويمدح جبرى مصر فى تكريم شوقى بدمشق

نهضت الى الاغلال نهضة واثــق … بالله حتى حطمت أغلالهـــا

وينادى مردم دمشق مخاطبها بعد عودته اليها

فيا خدر الاباة بلا هوان ... صبرت على الأذى صبرا طويلا

وبدوى الجبل يقول فى رثاء (مالك سويدنى)

بسطت يديك بسطة أريحى ... فكانت من عطاياك الحياة

والبزم يقول فى آل معروف

جاوزتم العرف فى بذل وفى كرم ... حتى بذلتم ونعم البذل أبدانا

ويقول الشريقى فى الترك

نقموا علينا أن نحب بلادنا ... والحب فى شرع البلاد مصدق

ويقول الحامد مخاطبا قلبه

حسن أن تذوب ما دمت حيا ... واذا مت فالممات جميل

ويصف عمر يحيى دفاع حافظ عن العروبة وثورته على المستعمر

كم ذدت عنها من يروم لها ... سوءا ذياد الأروع البطل

فيثور ثورة حانق شهدت ... عيناه عيث الذئب بالطلل

ويصور أبو ريشة باليهود ويخاطب بغداد فى رثاء غازى

لفظتها لفظ النواة الممالك ... ودعتها تهيم فى كل واد

يا عروس الصحراء ضحى جناحيك ... على الطفل ضمة الاسعاد

ونلاحظ من مواضع التكرار المواضع الآتية

١ ــ أن تجىء احدى الكلمتين فى آخر الصدر

فجبرى يقول فى تأبين حافظ

أحببت مصر وسارت فى محبتها ... قصائد من عباب النيل ترويها

ومردم يقول فى مهرجان المتنبى معرضا بالعدو المحتل

العرب ما صلحت على يد أعجم ... حكم الأعاجم للعروبة مفسد

لو دافع المستضعفون دفاعه ... ما كان ثم ثعالب تستأسد

ما ضمه قبر وكيف يضمه ... أرأيت حيا فى الضرائح يلحد

فالماكرون أقل من أن يمكروا ... والمعتدون أقل من أن يعتدوا

وعمر يحيى يقول فى تأبين شوقى

وكنت اذا رددت شعرك رددت ... من الشرق أرجاء قوافيه المصما

ويقول فى شهداء فلسطين

شر العداوة فى الحياة عداوة ... فيها قتيل أو دم مطلول

٢ ــ أن تجىء احدى الكلمتين فى آخر العجز والثانية فى حشو البيت

فالزركلى يقرع أبناء قومه

من خال أن المجد يدرك هينا ... فلينتظر بعد الهوان هوانا

ويصف زحف الامة فى ميسلون

زحفت تذود عن الديار ومالها — من قوة فجهت كيف تذود

ويصف دمشق فى الثورة السورية

الوابل المدرار من حمم اللظى — متواصل كالوابل المدرار

وجبرى يقول فى نوح العندليب

فلم أر فى لحنه كلفة — تهجن ان ناح ألحانه

ويقول فى الحرية

تجهز الدهر لاقلاقها — ما حمدت فى ليلة دهرها

ويقول فى (الوطن اللهيف)

ألقى الى سود المنايا ربعه — فتقحموا فيه المنايا السودا

ويقول فى (ثورة قريش) مخاطبا حسينا

لما رأيت قلوب العرب واجفة — من الشدائد ما تسجو سواجيها

بعثتها ثورة دهواء مائجة — بالها شمين مخضوبا حواشيها

حمراء أو قد جنبيها القنا وسقى — فتيانها من نجيع الترك ساقيها

ما زلت بالقوم حتى انجاب ظلهم — عن الحمى ورمى بالترك راميها

ومردم يقول فى شهيد ايرلنده

عجبت له جليدا ذا اختيار — يعانى نزعة شهرا فشهرا

ويصرح بالعدو فى مهرجان المتنبى

فالماكرون أذل من أن يمكروا — والمعتدون أقل من أن يعتدوا

وبدوى الجبل يقول فى (تحية الشام)

وخذوا شعاركم القلى لعصابة — تخذت موالاة الغريب شعارها

ويقول بمناسبة زيارة الزهاوى لسورية

عرش يطوح فتعتلى — شرفات عرش غير طائح

ويقول فى رثاء غازى

لوحوا بالقيود فابتدر الموت م — أباة تمرروا للقيود

والفراتى يمدح الملك حسينا

صدقت ظنها بك الأيام — يا امام الهدى ونعم الامام

ويقول أديب التقى فى دمشق

الشرق والعالم الغربى مرتقب — أن تنهجى للمعالى خير منهاج

والطرابلسى يحض فلسطين على الثورة

قومى فهل أخلد ممن قضى — فشاد للتاريخ ما شاده

وأبو ريشة يقول في اليهود

ايه أرض الميعاد لاتطيعيها فهي من حتفها على ميعاد

٣ ـ أن تجيء احدى الكلمتين في آخر الصدر والثانية في آخر العجز

فالزركلي يصف طغيان العدو في الثورة

أرأيت كيف طغى الفرنج وأوغروا صدر الاسنة أيما ايغار

والبزم يصف تألب الوشاة عليه

مقتوه اذ نقموا عليه جلاله فسموا به كيلا يبين جلاله

وجبري يقول في (نوح العندليب)

فهل شط عن وكنه جاره فودع بالنوح جيرانه

أم الباز أودى بخلانه فأصبح يندب خلانه

أم الريح هبت بأفنانه فزلزلت الريح أفنانه

ويقول في الحرية

ان تمسك الاقدار عن نصرها فما أنا مطرح نصرها

أو تعبس الظلماء في خدرها فأنت يا برق أنر خدرها

ومردم يقول في رثاء شهيد ايرلندة

كأن له على الانفاس وترا فأدرك من افاظتهن وترا

ويقول في رثاء فيصل

وآثر أن يكون لهم فداء لقد جل المفدى والفداء

بصير بالسياسة ذو وفاء وهيهات السياسة والوفاء

ويسخر من نواب البرلمان في عهد المحتل

عكفت زواياه على أصنامهم من لي بابراهيم للاصنام

وبدوي الجبل يقول في اتحاد لبنان والشام

ما في اتحادهما تالله من عجب هذا الفراق لعمري منتهى العجب

اليعربيون لا حقد ولا غضب قد يسلب الحق بين الحقد والغضب

ويقول في رثاء غازي

ليس بين العراق والشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

والطرابلسي يقول في اضراب سورية

خمسون يوما للجهاد مجيدة كانت فخارا للشآم مجيدا

ودراسة التكرار تقودنا الى الملاحظات الآتية

١ ـ تكرر الكلمة اسما أو فعلا أو حرفا

٢ ـ تكرر كلمة واحدة ، وقد تكرر كلمتان ، ويندر أن تكرر ثلاث كلمات

٣ ـ يختلف التكرار باختلاف الكلمة المكررة

أ ـ ففى تكرار الاسم ، يكرر المفرد بمفرد أو بجمع ، ويكرر الجمع بالجمع

ب ـ وفى تكرار الفعل ، تكرر صيغة الفعل بالصيغة ذاتها ، أو بصيغة أخرى غير صيغته الاولى ، وقد يكرر الفعل بفعل آخر من صيغته أو من صيغته بعد اتصاله بضمير

ج ـ وفى تكرار الفعل بالاسم ، يكرر الفعل بمصدره أو بمشتق منه

د ـ وفى تكرار المشتق ، يكرر المشتق بمشتق آخر أو بمصدر فعله

٤)) ـ مواضع التكرار : يقع التكرار فى حشو البيت ، أو فى آخر الصدر وحشو البيت ، أو فى آخر العجز وحشو البيت ، أو فى آخر الصدر وآخر العجز

٥)) ـ تدل دراسة أنواع التكرار وأحواله ومواضعه على أن التكرار صناعة لفظية ذات قواعد ورسوم تتطلب بذل الجهد لاتقانها واستخدامها بمختلف صورها وألوانها .

٦)) ـ شعراء الرعيل الأول ، ولاسيما جبرى ، ومردم ، أكثر الشعراء استخداما لهذه الصناعة واتقانا لها وتفوقا فيها .

٧)) ـ وشفيق جبرى أظهر شعراء سورية فى هذه الصناعة ، فقد أتقنها أيما اتقان وظهرت فى شعره بمختلف صورها وألوانها ، وتحكمت فى فنه حتى غدت عمادا له وقلما خلت قصيدة منها .

أ ـ ففى قصيدته (الهوى الذاهل) يستخدم التكرار فى عشرة أبيات منها وهى اثنا عشر بيتا .

ب ـ وفى قصيدته (نوح العندليب) يكرر الغصن والريح والحنين بالتحنان ، ويكرر الفعل (دوّن) بلفظ ديوانه ، ويكرر اللحن والوزن والدمع والجار بجموعها ، ويكرر الخلان والافنان والاوطان ، ويكرر الشجون بالأشجان والجفون بالأجفان ، ويلتزم بعض مواضع التكرار ولاسيما آخر الصدر وآخر العجز ، وهذا الموضع الذى التزمه الشاعر فى الأبيات الستة الأخيرة من القصيدة البالغة أحد عشر بيتا ، يظهر الكلمة المكررة ويبرزها للأعين ، ويجعلها تستقر فى السمع .

ج ـ وفى قصيدته التى يناجى بها الحرية ، يكرر الريح والدهر والنصر والخدر والصدر والقدر ، ويكرر فعل (صبر) بمصدره ، وفعل (بلا) باسم الفاعل المشتق منه ، وفعل (دحر) بمصدره ، وفعل (طوى) ، ويلتزم من مواضع التكرار آخر الصدر وآخر العجز .

٨)) ـ قد يجتمع التكرار ولون آخر من ألوان الصناعة فى البيت الواحد .

٩)) ـ يتأثر التكرار باللفظ من حيث قوته ورقته ، وبصيغته ، وبموضعه وبموضوعه المستخدم فيه ، فلفظ (أوطان) في بيت شفيق جبرى

أتبكى المنازل أوطانها ... ولا يندب المرء أوطانه

قوى، ومجموع ، وهو فى موضع يسترعى النظر حين يقرأ ، ويستقر فى السمع حين يسمع ، وموضوع الأوطان حبيب إلينا حين يثار فى جو حماسى ·

٣)) ـ الألفاظ الموحية

الايحاء باللفظ معناه تخطى المعنى اللغوى الى الأثر النفسى الذى يريد الشاعر تصويره ونقله الى القارئ أو السامع ، فالألفاظ الموحية لا تستعمل للتعبير عن المعنى وحسب بل تستخدم للايحاء بأثر نفسى، أو اثارة احساس معين فى نفس السامع، أو نشر صورة أمام الخيال ينفعل بها الاحساس ، وبذلك تتحول تلك الألفاظ من كونها أداة تعبير الى أداة ايحاء ، وفى هذا تبرز خاصة أساسية من خصائص التعبير الذى يميز فن الأدب من غيره من فنون الكتابة ·

وسندرس الالفاظ الموحية فى مختلف فنون الشعر

أ ـ ففى الشعر الوطنى نقع على الألفاظ الآتية :

فالزركلى يصف القوم فى ميسلون

ولقد شهدت جموعها وثابة ... لو كان يدفع بالصدور حديد

ويصف العذاب الذى صبه العدو على دمشق فى الثورة السورية

الوابل المدرار من حمم اللظى ... متواصل كالوابل المدرار

فلفظ حديد قوى الجرس ، وهو يوحى بقوة العدو وكثرة عدده التى لا تقاوم ، ومدرار ، بصيغته يوحى بتساقط قنابل العدو تساقطا جما مستمرا ·

والبزم يمدح سلطان الأطرش وصحبه

تحف شخصك أبطال غطارفة ... كانت ولما تزل فى الحرب جنانا

فلفظ (جنان) يطلق الخيال ، ويوحى بالهول لما قام فى الذهن من قدرة الجن على اتيان الأفعال المعجزة

ومردم يقول فى (شهيد ايرلندة)

فلولا الظلم والأطماع كنا ... لأخرى دهرنا ماء وخمرا

ويصف حريق دمشق فى الثورة السورية

باتت دمشق على طوفان من لهب ... يا دين قلبى من خطب تكابده

موج من النار لا تهدأ زواخره ... يمده آخر ما ارتد وافده

ويل القذائف هطالا له مدد | والنفط والنار والتهديم رافده

فالماء والخمر متشاكلان ، وهما يوحيان بتآخي الشعوب وتآلفها لسهولة مزج الخمر بالماء ، ولفظ (طوفان) يوحي بالهول لما يثير في النفس من ذكريات أليمة ، والموج يوحي بالرهبة لعظم البحر وجلاله ، وهطال بصيغته ، يوحي بكثرة تساقط القنابل ·

ويقول جبري في قصيدته (يا للثغور)

لو أن في ظل المقطم | جحفلا يحمي المنازل
لجلا الأعاجم عن ضفاف | النيل من هول الزلازل

ويقول في ترابط مصر والشام ، ويصف أحوال الشام

ما هاج في ظل المقطم هائج | الا سرت أصداؤه في الشام
ماجت بأطراف البلاد هزاهز | يهتز منها شامخ الأعلام

ويناجي الحمام

وحصونك الجو المديد | فمن يدل على حصونك
تطوى السماء فترتوي | من كل واطفة هتون

ويقول في قصيدته (الوطن اللهيف)

ألقى الى سود المنايا ربعه | فتقحموا فيه المنايا السودا
من كل مهشوم على طرف القنا | أو كل محصود يلز حصيدا
يسطوا بحد سيوفهم أفياءه | لم تلف ركن بنائه مهدودا
رفع الشعوب على الحديد قلاعهم | ودمشق ترفع بالرفات حديدا
أن تخفت الأصوات ماجت بعدها | ذكرى تبل عوارضا وخدودا
ان لم تكن مضر الحمراء سائدة | فما يقر عيون العرب تسويد

ويقول في قصيدته (على قصيف الرعد)

هبت فيالق مصروف يطوف بها | في الفوطتين مطاعين صناديد
يمهدون على الخطى دولتهم | وما لها بسوى الخطى تمهيد

ويقول في رثاء الملك حسين

بعثتها ثورة دهواء مانجة | بالهاشميين مخضوبا حواشيها
حمراء أوقد جنبيها القنا وسقى | فتيانها من نجيع الترك ساقيها

ويقول في رثاء حافظ

قد كنت بلبلها الغريد هيجه | غول على مصر محتل روابيها

ويقول في رثاء شوقي

قصائد بدم الأحرار مائجة | من وحي جلق نمليها وتمليها

ويقول في قصيدته (نابليون والشيخ)

اذا ما غضبت على أمـة	زحفت اليها بريب المنون
برجراجة مثل موج الخضم	تضيق السهول بها والحزون

فالزلازل ، بصيغتها وحروفها ، توحي بتحرك الجحفل لملاقاة العدو وارتفاع أصوات الفرسان والسلاح ، وهائج ، بصيغته وتنكيره ، يوحي بكل ما يتصف بالثورة والعنف ، ولفظ الاصداء بعكس التجاوب القائم بين البلدين ، وهزاهز ، بصيغته وجرسه ، يوحي بمختلف الاحداث الأليمة التي شهدتها البلاد ، والمديد بصيغته يوحي بسعة آفاق الجو ، وطي السماء يوحي بسرعة الطيران ، وسود المنايا توحي بفظاعة المنايا وبشاعتها ، ومهشوم ، بصيغته ، يوحي بعظيم ما نزل بالشهيد ، ويثير في النفس الألم والحسرة ، ومحصود ، بصيغته ، يصور استخفاف العدو بالقتل والتقتيل ، وفعل (يلز) يصور كثرة الشهداء ولفظ الافياء، برقته ، يوحي بالراحة والأمن والاطمئنان التي يشعر بها المرء في وطنه بعد كفاح مرير ، وحديد يوحي بصلابة الكفاح وعنف النضال وضراوة القتال ، وموج الذكرى يوحي باضطراب النفوس لذكر الشهداء، والحمراء صفة مضر توحي بالقوة والعنف ، ومطاعين ، بصيغته وقوة جرسه ، يوحي بالقوة وسرعة الحركة وكثرة الطعن ، وصناديد ، بصيغته وجرسه ، يصور القوة والبأس ، والخطى يرمز الى القوة ، ومائجة ، صفة ثورة ، توحي بالحركة ، وحمراء تصور عنف الثورة لما سفك فيها من دماء ، والفريد يوحي بكثرة ما غنى شوقي من شعر وجمال غنائه ، وغول يوحي بالخوف ويطلق الخيال لتصور شيء راعب ، ومائجة ، صفة قصائد ، توحي بما كان للضحايا من أثر في نظم الشعر ، ورجراجة توحي ، بتموج جرسها ، بأصوات الكتيبة الزاحفة للقتال .

ويقول بدوي الجبل في رثاء غازي

صرع الموت غازيا هاشميا	عبقري المنى نضير الصعود
أشفقوا أيها النعاة على الشام	ولا تجهروا بنجوى البريد
بل أذيعوه يزحف البر والبحر	بهول كهول يوم الوعيد
صاحب التاج دمعة من دموع الشام	ذوبت عطرها في قصيدي
حاطني بالحنان صقر قريش	وسقى دوحتي ونضر عودي
فيء الشام باللواء ونضر	شاطئيها بظلك الممدود
لاتسلني عن الشآم فقد حز	بجيد الشآم عض الحديد
لوحوا بالقيود فابتدر الموت	أباة تمردوا للقيود

فتمروا غضب لقومك وارجم ... بالشهاب اللماح كل مريد

واغز بالجيش قمة الفلك الدائر ... واقحم به عرين الاسود

جيشك الجيش لو تنكر للنوم ... لضاقت به جفون الرقود

فاذا هجته ترنحت الاعلام ... وازينت لفتح جديد

واذا هجته تلفتت الدنيا ... وهمت أفلاكها بالسجود

ووصف غازى بأنه عبقرى المنى يوحى بكل ما يمكن أن تتصف به مناه من سمو وجمال وجلال وابداع ، والفعل (يزحف) يصور عظم اضطراب البر والبحر لوقع المصاب ، وهول يوحى بكل شيء راعب ، ويوم الوعيد يشير ما هجع فى النفس من مشاعر وذكريات وصور تتعلق بهذا اليوم ، وصقر قريش يوحى بذكرى عزيزة من ذكريات التاريخ العربى ، وبعظمة فيصل ، ودوحة الشاعر توحى بما يمكن أن يتصف به شعره من جمال وجلال وابداع ، والصورة فى الفعل (فيء) توحى بضم الشام الى العراق ، وعض الحديد يوحى بما صبه العدو على الشام من عذاب ، والتنمر يوحى ببأس الأحرار المناضلين ، ورجم الشيطان يوحى بما فيه من صورة وحركة بحرب العدو المحتل وطرده ، وقمة الفلك الدائر توحى بالضخامة ، ولفظ (الجيش) يوحى بتفرد جيش غازى بصفات لا تتوافر فى غيره من الجيوش ، وتنكره للنوم يوحى بما يكون لتحركه من أثر فى تأريق الناس ، وترنح الاعلام يوحى بما يعتريها من نشوة تهزها شفقة بنصر الجيش الزاحف ، وتلفت الدنيا يوحى بما يملأ سمعها من أخبار تجعلها فى حيرة وقلق من أمر هذا الجيش .

ويقول العطار فى (ذكرى المولد)

يا بقايا السيوف رمز الاضاحى ... وشمار الفدى وسر العظائم

أوقدوها حمراء تلتهم الافق ... فتشوى بها اللظى والسمائم

فبقايا السيوف توحى ببأس العرب الاولين وقوتهم ، وحمراء توحى بعنف الثورة التى يريدها الشاعر .

ويقول عمر أبو ريشة فى قصيدته (شهيد)

وبجنبيك ثورة من اباء ... تأكل الضيم نارها المشبوبة

ويقول فى قصيدته (شاعر الحكمة أبو الطيب)

وطموح مجنح يترك النسر ... كسيحا فى زحمة الانواء

رب جذلان فى الكرى زاره الحلم ... وأغواه بالمنى البيضاء

صور من بيانك البكر تبقى ... نهبة الطرف غضة الايماء

أين لمع المنى وحمحمة الخيل م ووهج القنا وخفق اللواء

الميامين يا غرام المهامين م يخوضون لجة من شقاء

القيود الثقال عضت عليهم وجرى سمها على الأحشاء

ويقول في قصيدته (لمحة)

جلجلت صرخة النبي فردت رجع أصدائها أعالي النجود

فقريش مغلوبة وأبو سفيان م في شبه رجفة الرعديد

دفقت موجة الهدى تغسل الشرك م وتروى النفوس بالتوحيد

فرمت بالكتائب الخرس روما وبأبطالها الغزاة الصيد

فأطلت تلك الفلول من الصوب م بعزم النبوة المشدود

وانحنت فوق ضمر تعلك اللجم م وتنزو مجنونة في الصعيد

جولة ترعف الصوارم فيها وتصيح الآلاف هل من مزيد

وخبت نارهم وصبت عليهم عاصفات التعذيب والتنكيد

ويقول في قصيدته (البطولة وهنانو)

وطيوف الأجيال خلف خطاها تتغنى متمتمات الثغور

كاختلاج التسبيح من زمر الكهان م في هيكل الصلاة الوقور

وزنود مفتولة وعروق كالأفاعي تململت في الهجير

يشبع المجد والبطولة لحنا عبقري الايقاع والتأثير

ويصب الأصداء في مسمع الظلم م فيلوى بشره المستطير

عرفت فيه طارقا في الجبال الشم م يمشي بالجحفل المنصور

وفتى المجد خالدا يلقم اليرموك م أشلاء خصمه المدحور

والأعادي تلوح كالأزرق الرجراج م في موجه الصتى المطير

تشتم الأرض من قنابلها الحمر م ويشكو العجاج جفن الأثير

تتهاوى كالشهب من كبد الجوزاء م في لجة الظلام الضرير

هكذا تمهر العلى بصحاط من دماء وقبسة من قبور

قل لمن يعشق الحياة على الذل م ويخشى بروق عمر قصير

النواعير تنفث الضجر القاتل م ما بين دمعها والزفير

ويقول في قصيدته (فيصل بعد عام)

كلما مرت الليالي عليه نفضته الذكرى من الأكفان

يا طليق الجناح في العالم الأقدس م رفرف في جو هذي البلاد

هل ترى غير صاخب من شقاء فاغر الشدق لاطم الازباد

والأعادي حمر النواجذ تنقض م كسرب من الذئاب العوادي

أجهدوا النعجة الهزيلة بالحلب م فخارت من وطأة الاجهاد

وترامت ما بين جلد وعظم ... تتلوى على يد الجلاد

متجل البغي راعف ... ليس يبقي ولا يذر

فتنة الحرب في الجزيرة بالأمس ... أسالت منه الجراح الثخينه

طرفت مقلة السماء وأدمت ... كبد الأرض نارها المجنونه

ويقول في قصيدته (سورية)

يا عروسا تنام ملء المحاجر ... شهي الحلم والطيوف السواحر

آن أن تفتحي العيون الى النور ... وتلقي على الظلام الستائر

تتمشى على ثراك وللقيد ... عويل في مسمع المجد زائر

فالفعل (تأكل) يوحي بمحو الضيم وعنف ثورة الشهيد ، ومجنح يوحي ببعد الطموح وسموه ،والبيضاء توحي بصفاء الأماني التي لم يكدرها الواقع ، وغضة توحي بجدة الصور على مر الأيام ، ولمع المنى يوحي باقتراب تحققها ، وحمحمة الخيل توحي باضطرابها في زحمة القتال ، ووهج القنا يوحي باحتدام الحرب ، وخفق اللواء يوحي بحركة المتقاتلين ، ولجة توحي بعظم الشقاء ، وعض القيود يوحي بشدة وطأة الاحتلال ، وصرخة النبي المجلجلة توحي بقوة الدعوة التي جهر بها ، والتركيب الاضافي (شبه رجفة الرعديد) يوحي باضطراب أبي سفيان عند فتح مكة ، و(دفق موجة الهدى)يوحي بسرعة انتشار الدعوة ، والخرس صفة الكتائب بضراوتها في القتال و(علك اللجم) يوحي بنشاط الخيل وقوتها ، ومجنونة توحي بنشاط الخيل وشدتها وثورتها ، ورعف الصوارم يوحي بعنف المعركة ، وصباح الأكف يرمز الى كثرة أعمال السيف في الرقاب ، وصب التعذيب على العرب يوحي بمبلغ ما نزل بهم من عذاب ، واختلاج التسبيح يوحي بتموج أصوات المسبحين ،والأفاعي توحي بمزيد من الشدة والقوة والعنف واللحن يرمز الى أفعال المجد والبطولة ، والأصداء ترمز الى قيم الدعوة والتقام اليرموك أشلاء القتلى يوحي بكثرة القتلى من الروم ، والأزرق يرمز الى البحر ، والرجراج يرمز بتموج جرسه الى اضطراب البحر ، وشتم الأرض يوحي بقذفها بالقنابل ، والحمم توحي بما يكون منها من حرق وقتل وتدمير ، والضرير يوحي بكثافة الظلام وحلوكته ، وبساط يوحي بكثرة الدم المسفوك ، وقبة توحي بكثرة الشهداء ، وبروق الصمصام توحي بفناء الأفعال المجيدة ، ونفث الضجر يوحي بالألم من معاناة الحياة الرتيبة ، وطليق الجناح يوحي بسمو فيصل في عالم الخلد ، وصاخب يوحي بعظم الشقاء النازل بالقوم ، وفاغر الشدق بصور الشقاء

الذى يريد أن يفترس ، ولاطم الازباد يصور فمله الالأليم ، وحمر النواجذ توحى بوحشية المستعمر ، والنعجة الهزيلة ترمز الى الشعب الضعيف المستغل والجلد والعظم يوحيان بهزال النعجة بعد الحلب ، والجلاد يرمز الى المستعمر العاتى ، ومنجل البغى يوحى باستخفاف الباغى بتقتيل الناس وراعف يوحى بالدم المسفوك ، والمجنونة توحى بشدة النار ، وعروس توحى بجمال سورية ، والنور يوحى بما فى الحاضر من علم وحضارة ورقى ، والظلام يوحى بما فى الماضى من جهل وتأخر ، وعويل يرمز الى شدة الظلم النازل بالقوم ٠

ب — ونقع على ألفاظ موحية فى الغزل

فمردم يقول فى وصف الطيف

أرأيت دمية مرمر ترتج رائفة ونهدا
أخفى بمنشور الذوائب م من محاسنه وأبدى

فلفظ (دمية مرمر) يوحى بالجمال الناعم المترف ، وفصل (ترتج) بجرسه ، يوحى باضطراب جسم المحبوب الممتلىء عندما يتحرك ، ومنشور يوحى بوفرة الشعر ٠

ويقول بدوى الجبل فى رثاء غازى مصورا ماضى بغداد فى العهد العباسى

وجوار يمرحن فى الزورق الساجى م ويضحكن عن ندى برود
رف مجدافه على الماء وانساق م بأحلى معاصم وزنود
فانتشى من طيوفهن وجنت قطرات علقن بين النهود

فـفـصـل (يمرح) يوحى بجو السرور فى الزورق ، ولفظا (ندى وبرود) يوحيان بجمال الثغور ، ورفيف المجداف يوحى برشاقة من يحركه ، وانسياق الزورق وانتشاؤه ، وجنون قطرات الماء العالقة بين النهود توحى بجمال الجوارى ٠

ويصف السفراتى نظرات العيون :

رمتنى فلم تخطىء سهام قسيها على غير ما قصد عيون الجآذر

فلفظ السهام يوحى بقوة وقع النظرات

ويقول عمر يحيى متغزلا

لجأت الى غدائرها أظلل بعض أحلامى
تماهدنا على الحب وعهد الحب علوى
يردد فى خميلته هزار الحب ألحانا
رجعت وقد ربا شوقى الى شعر لها فاحم

أفيء الى سحابتــه لأنهت حلمي النائــم
تركني لحظك خمــري وسحر فنك سحــري
وواقفا كالبنفسج على فراش وثــير
مكللا باللآلــي مضمخا بالعبــير

فالفصل (أظلل) يوحي بوفرة الشعر ، ولفظ بيض يوحي بصفاء الأحلام وخلوصها من اكدار الحس، وعلوى يوحي بسمو عهد الحب وقداسته ؛ وهزار يوحي بجو الحب السعيد ، وسحابة توحي بوفرة الشعر المنشور ، وخمر توحي بقوة تأثير اللحظ فيه ، وألفاظ البنفسج والفراش الوثير واللآلي والعبير توحي بجو الترف .

ويقول الطرابلسي في قصيدته (اليها)

حبيبي ان في قلبي ظلاما ما له فجر
ألسنا في الشباب الحلو م زنبقتين في ربوه
فما للعاصف المجنون م يفرق بين غصنينا

وظلام يوحي بالغم والهم والكآبة والوحشة ، والزنبق يوحي بجمال الشباب ونضارته ، والغصن يوحي بحداثة المحبين .

ويقول الفاخوري في مناجاة الطيف

يا طيف ما أغراك بي بعدما سلوت من ذا في خيالي رماك
ردت على السالي تباريحه بعد انطفاء موجة من سناك
يا مطلق الأحلام من محبس ما فيه ان فتشت غير الظلام
واسمع الى أصدائنا تنتجي في دعة خالدة والتزام

ويقول في قصيدته (الجذوة الباقية)

خضرة عيشي ، وان تصوح في مرتع خد من وقده ناري
ومبسم أهلكت وشايته ومقلة ، بل مضار أسرار

ففعل (رمى) يرمز الى علوق الطيف بخيال الشاعر ، وموجة توحي بشدة النور ، وجديد يوحي باستعداد القلب للحب ، والمحبس يوحي بالقلب، والظلام يوحي بالهم والغم والوحشة ، وأصداء ترمز الى أشباح المحبين وخضرة ترمز الى طراوة العيش وجماله ونضرته ، ووشايته توحي بعذوبة الحديث وطيبه وفتنونه ،

ويقول على الناصر في قصيدته (بعد لأي)

بعد لأي دخلت هيكل حبي فاذا هيكلي العزيز خراب
نسجت بيتها العناكب فيه وتداعى يا ويلتا المحراب

رتل البوم يأسه فيه ليلا ونعاه عند الصباح الغراب
بعد لأى دخلت هيكل حبى واهنا أستحث أنقاض روحى
ثم أوقدت شمعتى وبكيت

فالهيكل يوحى بقداسة حبه الماضى ، والعناكب توحى بمكان مهجور، ونعيب البوم والغراب يوحى بالشؤم والمكان الخرب ، والانقاض ترمز الى الخراب واليأس ، والشمعة الموقدة ترمز الى حسرة الشاعر على حبه الذاهب، وتعكس تأثير جو الكنيسة فيه .

ويقول

منية النفس فى زمرد عينيك م سماء ضحيانة بالجمال
كم تصورت فجرها فى ظلامى وتمنيت فهمها بخيالى

فسماء توحى بعمق احساس المحبوبة وصفائه وجماله

ويقول فى وصف (وجه)

هل تخيلت صاح فردوس جن يشده العين عج بالمغريات
لونته شمس الغروب بشتى دفقات الانوار والظلمات
رقشه طلاسم تملأ الروح م بوهم طغى على الكائنات
يستبيح النهى بسكر عجيب ويوجد فيه غموض الممات

ففردوس الجن يوحى بتصور أفانين الجمال الغريبة المعجزة ، وفصل (عج) يرمز الى مفاتن الوجه الأخاذة ، وطلاسم توحى بغموض جمال الوجه ، والوهم والسكر العجيب والوجد بغموض الممات توحى بتأثير الوجه القوى الغريب فى الشاعر .

ويقول عمر أبو ريشة

فاسدلى الستر فوق نهدين ضجا ـــــ واشرأبا كجانحى ورقاء
أنت جنحت أمانى التى حلقت تهزج فى أقصى سماها
فتعالى نطلق الروحين من صورة الوهم ونبغى ما وراها
ان حبى لك لم يترك الى الشهوة العميا هشيما للظاها
شربت وبى كل عرق يكاد يولول بالشهوة الصاتمة
فادفع هذى واجذب تلك ـــــ الى قبلات الهوى الدامية
أقسمت يدك بالخيال وقلما ـــــ دفن الظلام ما احتوانا مضجع
فاملئى الليل نغمة واتركى الفجر م ـــــ يصب الأصداء فى الآذان
لست أنت التى أضمك بل دنيا ـــــ فتون وعالما علويا
وخصل الشعر على صدرها ـــــ فواحة تنثر ما تنثر
وكلما اهتز بدا ناهد يهفو لها ، أو ناهد ينفر
كم ذقت من سمرة طوقيهما وكم شكا للاسمر الأسمر

فالضجيج يرمز بجرسه الى حركة النهدين واضطرابهما فى الصدر ،وتجنيح الأماني يوحي بانطلاقها وسموها ، وصورة الوهم رمز الى الجسم ، والمميا * توحي بجوع الشهوة ونهمها ، والولولة ترمز الى شدة الشهوة ، والدامية ترمز الى عنف القبلات ، والاقتيات بالخيال يوحي بعيشه فى عالم الخيال ، وصب الأصداء يرمز الى ملء الآذان بأصداء النغمة ، ودنيا الفتون توحي بجمال المرأة الغني الخصب ، والعالم العلوي يوحي بقداسة هذه المرأة ، وقوله (تنتشر ما تنتشر) يوحي بما ينتشر من عبير شعرها ، و (كم) توحي بكثرة ما ذاق الشاعر وكثرة ما شكا النهد للنهد ٠

حـ ـ ثم ننتقل الى دراسة الألفاظ الموحية فى وصف الطبيعة

فمردم يقول فى وصف الشمس

هي مرآة على صفحتها	نور وجه الله مذلاع جلاها

فنور وجه الله يوحي بتجلي الله فى صور الكون

وجبري يتساءل عن نوح العندليب

فهل شط عن كنه جاره	فأصبح يندب جيرانه
أم الريح هبت بأفنانه	فزلزلت الريح أفنانه

فالزلزلة ، بجرسها ، توحي بشدة الريح التى حركت أفنان العندليب وذهبت بعشه

ويقول الفراتي فى فلاة كان يقطعها

بداوية دهماء زرق صخورها	وحمر رباها موقدات حرارها

فالصفات والموصوفات توحي ، بجرسها وألوانها ، بما يتعرض له قاطع الفلاة من شدائد وأهوال

ويقول الحامد فى منتزه الميماس

ودغدغت الماضي النائم مثلما	يدغدغ ذو وجد حبيبا بصاته

ويقول فى ابتسام الصباح

موكب الزهر رف فى أندائه	تسرح العين فى نظام روائه
وابتسام الصباح فى الروض حلي	عسجدي يزين فضة مائه
وبنات الربا عرائس حسن	قد سقاها الدلال من صهبائه

ويقول فى وصف الناعورة

واذا الظلام بدا وألقى م	فوق واديك الجران
مثلت عفريتا يزمجر م	محنقا ما بين جان
وكأنما أنت المسروس م	يحف هالتك القيان

يقر . .

ويقول في حنينه الى الماضي

يقر بعيني من رباك عرائس ... كساها الندى ثوبا فماست به حسنا

اذا ما الربيع الطلق هب نسيمه ... عليها سمعت الغصن يستنطق الغصنا

فالدغدغة توحي بحركة النسائم اللطيفة ، وتموج صفحة النهر يوحي بملامسة النسيم لها ، وموكب يوحي بكثرة الزهر المتفتح ، وابتسام يوحي بجمال الصباح وبهجته ، وبنات الربا رمز الى الازهار ، وعرائس توحي بجمال الازهار ، وزمجرة العفريت المحنق توحي بصوت الناعورة المهيب في الليل ، وهالة توحي بمنظر دولاب الناعورة ، والقيان توحي بشجر الحور الذي قام حولها ، وعرائس توحي بما يكسو الربا من زهر وشجر ، والطلق يوحي بما في الربيع من جمال وبهجة ومرح ٠

ويقول عمر يحيى في وصف (ربيع البائس)

نسيم اذا ما هب أوقد جذوة ... من الشوق للروض الذي قد تنمنما

ويقول في (مناجاة الورد)

تفتر في الكم وقد أشرقت ... إشراقة الآمال بين الغيوم

وتنمنم الروض يوحي بمنظر روض نسقت أزهاره وأشجاره في نظام بديع وإشراقة الآمال توحي بتفتح النفس ٠

ويقول الفاخوري في (الخريف)

والجدول الساهي له أنة ... مدفونة في مائه لاتبين

سأمان من سير بلا آخر ... مطرد ما غيرته السنون

شطآنه سجن له دائم ... يرسف فيه موجه الوادع

يجري خليا لا الى غاية ... كأنه في أذل ضائع

فالساهي يوحي ببطء مسيل النهر ، وكذلك لفظ سأمان ، والسجن يوحي بسكون النهر ، وكذلك لفظ الوادع ، وضائع يوحي بالحيرة والتيه ، والساهي والسأمان والضائع تعكس أزمة الشباب في عهد الاحتلال ٠

ويقول المحاسني في شلال دفنة

ألهذي الأمواه ثار على الدهر م ... دهاها بضيعة الآمال

فأتت تنحر الشباب على الصخر م ... وتهوي الى الفنا والزوال

ونحر الشباب يوحي بيأس الشبان في عهد الاحتلال

ويقول سلطان في الربيع

مرت على السهل والآكام أنمله ... فخلف الكون غض اللون فينانا

والزهر عند الأماسي البيض تحسبه ... جفنيا يغالبه الامساء وسنانا

ويقول في بردى

الأزاهير عطرت جانبيه ... فهي من لوحه الاطار الخضيب

نبتت حوله الحياة قواماً صاعداً في السماء ليس يؤوب

فاللون الغض يوحي بأزهى وأنضر ما يكون عليه اللون في الربيع ، والخضيب يوحي بألوان الأزهار ، والقوام الصاعد يوحي بشجر الحور الباسق ٠

ويقول المعطار في (الخريف)

خشخشت في الرحاب أوراقه الصفر م وللريح بينهن صرير
تعصف الصرصر العتية بالغاب م فيهوي الدوح الاغن الشجير
ويضج الفضاء بالربد المندوف م والافق كالخضم يفور

ويقول في وصف (غوطة دمشق)

عالم من نضارة واخضرار فاتن الوشي عبقري الاطار
وينابيع حفل بالاغاريد م تناجي بالساكب الهدار
وأغان مسلسلات رقاق فاتنات سالت من الأوكار

ويقول في وصف (بردى)

بردى سلسل البقاء ولحن عبقري على المدى يتغنى
رف بين الحقول نشوان هيمان م وغنى الربا فجنت وجنا

ويقول في وصف (دمر)

بلبل في غصونه يتشكى ونهير بدمعه يترقرق
والمساء الجميل شعر بهي دغدغته قيثارة تتشوق

ويقول في (لبنان)

والذرا البيض في الملاء نسور حومت تكشف الخفي المغلق
ضجت الربوة الانيسة بالشدو م وغنى السفح الحبيب وزقزق
والمساء الساجي البهي رسوم وروى كلها تحب وتعشق

فالخشخشة بجرسها توحي بصوت تساقط الورق وتطايره في مهب الريح ، والصرصر ، بجرسها ، توحي بشدة الريح ، وكذلك العصف والاغن يوحي بالظل مع الصوت ، والمجيج يرمز ، بجرسه ، الى امتلاء الفضاء بالسحب ، والمندوف يوحي بالغيم الابيض الشاف ، واخضرار يوحي بوفرة الخضرة وامتدادها في مسرح النظر ، والهدار ، بصيغته وجرسه ، يوحي بخرير الينابيع ، وسيلان الاغاني يرمز الى رقتها وعبقري يوحي بجمال اللحن واعجازه ، وجنون الربا يوحي بالحياة القوية التي نبتت وقامت حول النهر ، وجنون النهر يوحي بصخبه وتدفقه وتلويه بين الربا ، وترقرق النهير بجرسه يوحي بالحركة والصوت الناعمين ، وشعر يوحي بما في المساء من سكون وجمال وروى وأحلام

والدغدغة توحي بامتداد لحن القيثارة واطلاق ما في المساء من سحر وجمال ، والبيض توحي بمنظر الثلج في ذرا الجبال ، والضجيج يرمز الى امتداد الشدو وارتفاعه ، وزقزقة ، بجرسها ، توحي بأصوات العصافير ورسوم توحي بما في المساء من صور ومناظر بهيجة ، ورؤى توحي بما في المساء من جمال يطلق الخيال .

ويقول عمر أبو ريشة في وصف (طلل)

فما يرضع الشوك من صدره ... ولا ينصب البوم في رأسه
وتلك العناكب مذعورة ... تريد التفلت من حبسه
هنا ينفض الوهم أشباحه ... وينتحر الموت في يأسه

ويقول في وصف (الركود)

أرأيت ذاك النهر ما بين الربا ... متدفقا برعونة هوجاء
يهوى فيقتلع الجذور بدربه ... ويشق قلب الصخرة الصماء
حتى اذا ما حل فيه تقلصت ... أعصابه ووهى من الاعياء
وغفا صريعا هادئا ولهاثه ... ينمي أريج الزهرة الفيحاء

ويقول في وصف (الغرور)

وسفين هوجاء جن بها الركب ... وأفق الانواء في تصخابه
لطمت عارض الخضم فأرغى ... فكه واعتلى ضجيج عبابه

ويقول

وعذارى برزت عارية ... واتكت صرعى على مضجع زهر
تصرخ الشهوة في أعينها ... صرخة الظامي على أنقاض بئر .

ويقول في قصيدته (شاعر الطبيعة)

هبط السهل والهجيرة تنقض ... وتطوى مطارف الأفياء
وتصب الخمول والسأم الصاخب ... والصمت في فم الغبراء
فصدور الحقول متعبة تلهث ... في غمرة من الاعياء
مأتم الشمس ضج في كبد الأفق ... وأهوى بطعنة نجلاء
عصبت أرؤس الروابي الحزاني ... بعصاب من جامدات الدماء
فأطلت من خدرها غادة الليل ... وتاهت في مسة الخيلاء
وأكبت تحل ذاك العصاب ... الأرجواني باليد السمراء
وعيون السماء ترنو اليها ... من شقوق الملاءة السوداء
فاذا الكون لجة من جلال ... فجرتها أصابع الظلماء

فصدم رضاع الشوك يوحي بجدب الطلل ، ونعيب البوم يوحي بالمكان الخرب ، والعناكب توحي بالمكان المهجور ، وانتحار الموت

يوحي بهزيمته أمام الطلل الباقي ، والرعونة والهوجاء توحيان بصخب النهر وانحداره الشديد ، وتقلص أعصاب النهر يوحي ببطء جريانه ولهاثه يوحي بخفوت صوته وبطء مسيله ، وهوجاء توحي بسرعة السفينة في عرض البحر ، وجنون الركب يوحي بما هم فيه من فرح ومرح وضجيج العباب يوحي بصخب الأمواج وتلاطمها ، وصراخ الشهوة يرمز الى قوتها ، والصب يرمز الى ما يرين على الكون من سأم وخمول وصمت شديد ، ولهاث الحقول يرمز الى سكونها في الهجيرة ، وضجيج مأتم الشمس يرمز الى سرعة حركة الشمس واضطراب الأفق بأشعتها ، وجامدات الدماء توحي بلون شفق المغيب والعصاب الارجواني يوحي بشفق الغروب ، واليد السمراء توحي بزوال النهار ومجيء الليل ، والملاءة السوداء توحي بظلمة الليل الحالكة ، واللجة توحي بما في الليل من عظيم المهابة والجلال .

٥د — ثم ندرس الألفاظ الموحية في التأملات

فالزركلي يقول

وما الموت الا سبات عميق	فغيم البكاء على الهاجع

فعميق يوحي بطول النوم

ويقول العزم

لا تخف نقمة رب	م	الأرض جبار السماء
فهو أدرى بمكان	م	الضعف من طين وماء

فجبار ، بجرسه القوى ، يوحي بعظمة الله وقدرته ، ولفظا الطين والماء يوحيان بضعف الانسان وعجزه .

ويقول بدوى الجبل في الروح

أمللت ضجيج الحياة ففرت	تريد الحياة بظل السكون

فضجيج ، بجرسه ، يوحي بزحمة الحياة وما فيها من صراع

ويقول الفراتي

أين العصور الخوالي	بل أين أين الجدود
أمست رفاتا سحيقا	عضت عليها اللحود

فعض اللحود على الجدود يوحي بافتراس الأموات وتمزيقها شر ممزق

ويقول الطرابلسي

أيها الوحشة خلي المنكبوت	تنسج الأكفان في أحناء صدري
وانشري الليل على كهفي الصموت	واصبغي باليأس والأهوال فجري
أظمئي زهري وزيدي سأمي	وارتمي في خاطري يا وحشتي

أنا من صمتك أغذو نفسي   وبوبيلاتك أسقي جنتي

فالمنكبوت توحي بما يملأ النفس من هم وغم وكآبة ، والاكفان توحي بموت الآمال واليأس ، والكهف الصموت يوحي بجفاف ينبوع الحياة في الشاعر، والفجر يوحي بحداثة الشاعر ، والزهر يوحي بشبابه الغض والجنة توحي بجمال حياة الفنان .

ويتأمل الفاخوري الخريف فيقول

يا نفس ما بعد احتدام الهوى   وثورة الاشواق في أضلعي

الا رقود في مطاوي البلى   برد على الأحشاء والمضجع

ويقول في قصيدة أخرى واصفا النهر متأملا

أوغل في الآباد مثقل الخطا   عليه من أسراره الخرس غطا

مشاهد تشابهت بل مشهد   وعبث من عبث مولد

ومصنع الوجود في تماد   مرتجل عناصر الفساد

فبرد يوحي بأمن الميت وسلامه واطمئنانه ، والخرس توحي بغموض الأسرار ، وتشابه المشاهد يوحي بسأم الشاعر من الحياة ، وعبث يوحي بالسخرية منها ، ومصنع يوحي بمادية العصر وآليته ، ومرتجل يوحي بكثرة ما في الوجود من أسباب الشر والفساد

ويقول المحاسني

أنبتت ضفتي هموما وحزنا   كسياج في شوكة القتال

يا جمال الربيع كل فتون   لم يكن منك زائل كالخيال

وربيع الحياة ورد وعطر   أين مني تلك العهود الخوالي

فضفة توحي بحياة الشاعر المعذبة ، والورد والعطر يوحيان بما في طور الشباب من نضرة وجمال وانطلاق

ويقول العطار في الخريف

اسى القلب فاستراح الى الصمت   وللصمت عالم مسحور

تترامى به الشجون فيميا   ليس يشكو الضنى وليس يثور

ملعب للحياة يطفح بالسخر   ويشقى بساحه المغرور

غفلت عنى المنون فغنيت   ولحن الحياة لحن قصير

المى صارخ وجرحي ضرى   والهوى يائس وجدى عثور

وبنفسي قيثارة تتشكى   وأنا الدمع والأسى والشعور

ويقول في قصيدته (الألم)

ويلوح الوجود قفرا ببابا   عج في ساحه الصفاء وأطبق

ضاع عمري كما تضيع الينابيع   وتخفى أمواهها وتغلق

وانطوى مثلما تمر الضبابات	م	ويفنى خيالها ويمزق
أنا قيثارة تنوح على الدهر	م	ودمع على المدى يترقرق
أنا لحن مضرج بالمآسى		كادت النفس من تشكيه تزهق

ويقول فى (الله)

فنيت مهجتى بحبك يا رب	م	وغلغلت فى الفناء لأشهد
شفنى الحب فاستحلت نداء		ومن الحب أن تذوب وتسهد
وأنا العبد هام وجدا بمولاه	م	وان أفن فى المحبة أوجد
أنا فى هيكلى اللهيف دعاء		فاض من سرك اللطيف الممجد

فالصمت يوحى بالسكون ، وترامى الشجون فى القلب يرمز الى كثرة شجون الشاعر وعلوقها بالقلب ، وملعب يوحى بما فى الحياة من مهما زل تمثل أمام العين ، واللحن رمز الى العمر القصير ، وصارخ رمز الى شدة الألم ، والقيثارة المتشكية بنفسه توحى بما فطر عليه من حزن وكآبة والقفر اليباب يوحى بجدب الحياة ويأس الشباب وعثارهم ، وعجيج الصفاء يرمز الى ظهوره فى صور الكون جميعا ، والضياع يوحى بالحسرة والأسف على ما انقضى من العمر ، والضبابات توحى بقصر العمر ، وقيثارة توحى بما فطر عليه الشاعر من حزن ، وكذلك اللحن المضرج بالمآسى فاللحن رمز الى عمر الشاعر القصير ، ومضرج رمز الى ما فى حياته من عذاب أليم ، وفناء المهجة بالحب والغلغلة فى الفناء لشهود الله ، ولستحالته هو الى نداء بالحب وذوبه وسهده وهيام العبد بمولاه والوجد والفناء فى المحبة بغية الوجود وكونه دعاء فى هيكله اللهيف وفيضه من سر الله اللطيف ، هذه الألفاظ كلها توحى بجو صوفى .

والألفاظ الموحية الواردة فى الأبيات السابقة ترد الى مصدرين :

أ)) ـ الأدب العربى القديم ، وهو الينبوع الأول الذى يستقى منه الشعراء ، فشفيق جبرى فى استعماله لفظة (الحمراء) يهتدى بالمتنبى فى قوله يمدح سيف الدولة فى الحرب بينه وبين الروم عند قلعة الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها	وتعلم أى الساقين الغمائم

ويهتدى بشوقى فى العصر الحديث حين يقول :

وللحرية الحمراء باب	بكل يد مضرجة يدق

ويهتدى الجبل فى استعماله الفعل (تنمر) فى قوله يرثى غازيا

فتنمر واغضب لقومك وارجم	بالشهاب اللماح كل مريد

يهتدي بقول الشاعر العربي القديم :

قوم اذا لبسوا الحديد م تنمروا حلقا وقددا

والفعل (صبت) في قول أبي ريشة يصف حال العرب :

وخبت نارهم وصبت عليهم عاصفات التعذيب والتنكيد

نجده في قوله تعالى : "وصب عليهم ربك سوط عذاب "

ب ـ الشعر الغربي وقد علم الشعراء الشباب كيف يوظفون الالفاظ للاداء الرمزي ، وقد وجدنا الشعراء أمثال العطار والفاخوري وأبي ريشة وعلى الناصر يستعملون الرمز في اداء معانيهم ·

٤)) ـ صيغ الألفاظ

الصيغ وسائل لفظية يستعين بها الشاعر على ابراز معانيه ، وسنبحث مختلف الصيغ التي وردت في الشعر

أ ـ ترددت في الشعر صيغ الجموع واسم الفاعل والصفة المشبهة واسم المفعول واسم التفضيل واسم المكان والمصدر الميمي ومصدر المرة ومصدر الهيئة ، وكان استعمالها في كل فن جاريا ، من حيث الكثرة والقلة ، على الترتيب السابق الذكر الا صيغة اسم الفاعل واسم المكان ، فاسم الفاعل استخدم في الشعر الوطني أكثر مما استخدمت صيغ الجموع ، واسم المكان استخدم في وصف الطبيعة أكثر مما استخدم اسم التفضيل ·

ب ـ ورد من صيغ الجموع جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وجموع القلة ولاسيما ما كان منها على أوزان أفعال وجموع الكثرة ولاسيما صيغ منتهى الجموع وصيغة فُعُول ·

واستعمل جمع المذكر السالم في الشعر الاجتماعي وقل استعماله في الغزل ووصف الطبيعة والتأملات لأن موضوعات هذه الفنون تتصل بوجدان الانسان ·

وكثر استعمال صيغ منتهى الجموع في الشعر الوطني وفي وصف الطبيعة ، وقد أضفى استعمالها الفخامة على اللفظ في الشعر الوطني ، وأوحى استعمالها في الوصف بكثرة الأشياء في الطبيعة ·

وجاء استعمال صيغ الجموع في الوصف دليلا على سعة الطبيعة وتعدد كائناتها ·

ج ـ واستعملت صيغة المثنى في الغزل وحده ، وكان سبب استعمالها التغزل ببعض أعضاء المرأة التي تملك زوجا من كل منها ·

استعملت
د ـ واستعمل اسم الفاعل فى الشعر الوطنى أكثر مما ساتعملت الصيغ الأخرى ، كما استعملت صيغ المبالغة ، وقد أكسب هذا الاستعمال اللفظ قوة وحيوية وفاعلية ، وجعله ملائما لجو الحماسة ٠

وتأثر اسم الفاعل بجو وصف الطبيعة والتأملات فدل على الصفات أكثر مما دل على أحداث واقعة ، وعبر عن المشاعر التى يحس بها الشاعر حين يتغزل أو يصف ويتأمل ٠

حـ ـ وشارك اسم المفعول والصفة المشبهة اسم الفاعل فى الدلالة على الصفات والتعبير عن المشاعر ٠

و ـ واستعمل اسم المكان فى وصف الطبيعة ، وهذه الصيغة تلائم موضوع الوصف الذى يشغل حيزا فى المكان ٠

ز ـ واستخدم الشعراء مختلف الصيغ فى شعرهم ، وألح بعضهم على صيغة معينة فى القصيدة الواحدة ، فشفيق جبرى التزم بعض صيغ منتهى الجموع فى قصيدته المسماة (يا للنفور) فاستخدمها ثمانى وعشرين مرة فى القصيدة التى تعد ثمانية عشر بيتا ٠

وفى قصيدته (نوح العنادليب) يستعمل جموعا على وزن فُعُول، وجمعا على وزن فعال ، وجمعا على وزن فعلان من جموع الكثرة ، وهكذا يستخدم عددا من صيغ جموع القلة والكثرة فى القصيدة الواحدة ٠

٥)) ـ فصاحة اللفظ

وضع النقاد العرب القدماء قواعد عامة لتقويم الشعر من ناحية اللفظ والتركيب وملاءمتهما للمعانى ، ومن هذه القواعد مايتعلق بانتقاء الالفاظ وتخيرها للتراكيب ، ويسمى فصاحة الكلمة والكلام ، وقد اشترط فى فصاحة الكلمة أن تكون حسنة الوقع فى السمع، مأنوسة فى الفهم، سهلة النطق، جارية على قواعد الصرف ٠

الأذواق
غير أن فصاحة الكلمة أمر نسبى يتبدل بتبدل الأذواق وتطور اللغة فى مختلف عصور الأدب ، ولذا كان من الصعب وضع مقاييس ثابتة لفصاحة اللفظ ٠

ولن يتسع المجال هنا لدراسة فصاحة اللفظ وفق الشروط الموضوعة، وحسبنا أن ندرس بعض الالفاظ التى وقعت فى شعر الشعراء فتنافرت حروفها، وصعب النطق بها ، وثقل وقعها فى السمع ، وغدت غريبة غير مأنوسة فى عصرنا

فالزركلى يستعمل لفظة (استشاطت) وهى متنافرة الحروف فى قوله

غلت المراجل فاستشاطت أمة عربية غضبا وثار رقود

ولفظة (مستصرخ) ثقيلة فى النطق فى قوله يرثى أحد الثوار

شهد الله أنهم حملوا موئل مستصرخ وليث صيال

ولفظة (تصطاد) ثقيلة فى النطق والسمع فى قول البزم

ان للموت يدا تصطاد م فى الجو المقابا

ومثلها (مصلد) فى قوله يصف المرأة

فما زندها فى الحجا مصلد ولا برقها فى المنى خلب

وترد فى قصيدة جبرى وعنوانها (على قصيف الرعد) ألفاظ غريبة ثقيلة فى النطق والسمع ، متنافرة الحروف ، وتقع فى حشو الابيات وفى مواضع القافية ، ومنها قوله

بسامة الثغر ان ماجت مواثجها هشت ولم تعمها عميا ، صيخود

فى ميلون ذمول ملوها مضر وما ينام عن الثارات مضهود

ذكرى العروبة ان يغضب لنصرتها يغضب مقاحيم من فهر خفاديد

فما السراجم بالنيران طاوية من عز جلق ان العز صيهود

تستأسدون وأنتم فى حواضرنا وفى البوادى أجافيل رعاديد

والشاعر يعارض المتنبى فى قصيدته التى مطلعها

عيد بأية حال عدت ياعيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

فيضطر الى البحث فى معاجم اللغة عن ألفاظ للقافية ، فيقع فى الغريب ويورد ألفاظا متنافرة الحروف .

ويقول خليل مردم فى وصف الشمس

عصفرت دارتها فاتقدت كشواظ النار يستشرى لظاها

ولفظة (عصفرت) ثقيلة فى النطق ، وكلمة (يستشرى) متنافرة الحروف ، ثقيلة فى النطق .

ولفظة ، (جلم) غريبة فى قوله

بلادنا ويد التقسيم تصلقها كأنها رقعة ينتابها جلم

ولفظة (مشمخر) غريبة ثقيلة فى النطق فى قوله يصف لهيب النار

اذا ما مس قصرا مشمخرا هوى فأحاله رسما محيلا

ولفظة (اصطبر) ثقيلة لتوالى الصاد والطاء فى قوله

فتى دمشق اصطبر للخطب تجبهه ان العروبة جيش أنت قائده

ولفظتا (الجحاجح) و (الصحاصح) غريبتان ثقيلتان فى قول بدوى الجبل :

هوت الجحاجح فى العراق م وها هنا هوت الجحاجح

رويت بأكناف العراق م وجلق ظمأى الصحاصح

و (كفكفت) ثقيلة فى النطق فى قوله يصف روحه التى ذكرت عالمها الأول .

لقد ذكرته فما كفكفت ... بيمنى يديها عقود الشئون

وكلمة (جنجاث) غريبة ثقيلة في قوله يشبه السفينة بناقة

تنكبت
ونكبت خضر البطاح فما رعت ... جنجاثها يوم النوى وعرارها

والصوى والخريت غريبتان في قول المفرانى :

لا أرى من ربا أدق خفاء ... مثل هذى الربا وتلك الوهاد

طامسات الصوى عمى لا يسرى ... م الخريت فيها لدركه من رشاد

و(قرقف) غريبة ثقيلة في النطق في قوله

ريح بها الراح ممزوج بقرقفها ... والزنجبيل وذوب الشهد في المزن

و(هضوم) و (قماقع) ثقيلتان في النطق في قوله يصف فلاة :

كأن صرير الجن طي هضومها ... حنين نياق زل عنها حوارها

كأن زئير الأسد فوق أكامها ... قماقع رعد تهمش الموت نارها

و(دجوجي) ثقيلة في النطق في قول عمر يحيي يتغزل

يرد مظنة الواشي ... بنا الشعر الدجوجي

و(الخيس) غريبة في قوله

وعلى الخيس ظلام قاتم ... يستفز الدمع من قاسي الخلد

و(أغطش) غريبة في قوله يرثي شهداء فلسطين

فجع الحمى بهم فأغطش ليله ... وبدت عليه روعة وذهول

و(الجدن) غريبة في قوله في الطبيعة

فيها الفناء محبب ... بين الأزاهر والجدن

و(الصحصحان) غريبة ثقيلة النطق في قول الحامد يصف الناعوره

وتعانقت قضب الشقيق ... م على بساط الصحصحان

وكلمة (أشتار) ثقيلة النطق في قوله

أوردتني يا نفس وردا به ... أشتار كأس العيش سما مستذاب

ويقل الغريب في شعر الشعراء الشباب ممن اطلعوا على أدب الغرب لقلة زادهم من الأدب القديم من جهة، ولتغير الذوق الأدبي العام من جهة أخرى .

فأعضاد ثقيلة النطق في قول أمجد يصف المعتدى على فلسطين :

قد تخذ الختل إلهاله ... والمال والباطل أعضاده

والمفضضات ثقيلة في النطق في قول العطار في ذكرى المولد

والنجوم المفضضات عيون ... شاخصات والكائنات مباسم

والقشاعم غريبة في قوله يصف كتائب المسلمين :

رفــرفــت رايـــة النبى عليهـــــا　　　　فاستظلـــت بها النســور القشاعــم

وكلمــة (تلجلجــت) ثقيلــة فى النطــق فى قول أبــى ريشـــة

فتلجلجــت خجــلا وغــصـــــت　　　م　　　بالشهـــى　　مـــن الخواطـــــر

وكلمــة (قهــقهــات) ثقيلـــة فــى قولــه

هكــذا استعــرضو الوجود مليـــا　　　　فــى غضــون الاصباح والامســـاء

فــى اختلاج الــبروق فى قهقهـــات　　م　　الرعــد فى صاخــب من الدأمـــاء

والكلمتــان (أستنطــق ، أستنهض) ثقيلتــان فى قولــه :

أأ ستنطــق الصخــر عن ناحتيــــه　　　　وأستنهــض الميــت من رمســـــه

واللفظ فى الشعر العربى فى سورية يتصف بالقوة والفصاحة والرنين وهو يختلف باختلاف طبقـــات الشعراء والشعراء وموضوعات القول ، فشعراء الرعيل الاول متمكنون من اللغة ، وهم أقـــــدر من غيرهم على معرفة الفصيح والغريب، وتخير الالفاظ للتراكيب، وانتقاء الالفاظ التى تمتاز بفخامـــة الجرس ، ويلهم فى هذا طبقة الفراتى والحامد وعمر يحيى ، ويلحق بهولاء المطار وأبو ريشـــة ، وأقل الشعــراء زادا من القديم وأضعفهم لغة هو على الناصر .

ويقع الغريب فى شعر شعراء الرعيل الاول ولا سيما محمد البزم ، ويخشن اللفظ ويضرب فى شعــر الفراتى ، ويقوى ويضرب فى شعر عمر يحيى ، ويلين ويعذب فى شعر الحامد ، ويتأثر المطار الشعــراء السابقين فى انتقاء اللفظ دون أن يدانيهم فصاحـــة لفظ، ويتوسط أبو ريشة بين السابقين والشعــــراء الشباب ، ويضعف اللفظ فى شعر على الناصر .

والشعر الوطنى أقوى من الشعر الوجدانى لفظا ، والغزل رقيق اللفظ عذبه ، ولفظ الوصـــــف والتأملات وسط بين القوة واللين .

ومهما يكن من أمر الفروق التى تميز طبقات الشعراء وموضوعات القول بعضها من بعض فان الشعر العربى فى سورية يتصف بالقوة والفصاحة والجرس .

والصنعة البديعية سمة من سمات التقليد ، وأوضح ماتكون فى شعر شعراء الرعيل الأول ومـــن يليهم من طبقة الفراتى والحامد وعمر يحيى، وتوجد على قلة فى شعر المطار وجميل سلطان ، وتظهـــر فى شعــر أبى ريشة بعض الظهــور ، وتغيب فى شعر على الناصر ، وجبرى أكثر الشعراء استخدامـــا لصناعة تكرار اللفظ واتقانا لها ، ويأتى بعده خليل مردم .

ويختلف الشعراء فى اختيار الألفاظ الموحية ، فبعضهم يستعيرها من القديم لاتصاله بـــــه ومعرفته بأسرار اللفظة العربية ، وبعضهم يضيف الى هذا المصدر مصدرا آخر هو أدب الغرب الـــذى افتن فى الايحــــاء بطريـــق اللفظ ، فشعـــــراء الرعيـــل الأول يستمدون الألفاظ الموحيـــة مما حفظوا وعرفوا ، والمطـــــار والفاخورى وأبـــو ريشة وعلـــــى الناصـــر يهتدون بتجارب أدباء الغرب فى هذا السبيل فضـــلا عما عرفـــوا فى الأدب العربى .

التركيب

يقسم الكلام على التركيب قسمين : فنتحدث أولا عن التركيب في الشعر الوطني، ثم نتحدث عن التركيب في الشعر الوجداني .

التركيب في الشعر الوطني

أول ما نلاحظ في الشعر الوطني قوة اللفظ والتركيب، ومتانة السبك وجزالة التعبير، وفخامة الجرس ، وتتوافر هذه الصفات في شعر شعراء الرعيل الأول .

فالعزم يقول :

والحر ان لقي الهوان بمنزل	فالرأي أجمع أن تشد رحاله
قد يوهب العز الفتى برحيله	كالسيف يمنحه المضاء صقاله
ناضل اذا رمت الحياة فانما	وهب الفتى عز الحياة نضاله
واذا الفتى اعتقل العداة يمينه	نشطت الى فك الوثاق شماله

فيخرج قوله مخرج الحكم والأمثال ، ويكون قوي اللفظ متين التركيب عظيم الحظ من الجزالة .

وشفيق جبري يقول في قصيدته (على قصف الرعد)

فما الرواجم بالنيران طاوية	من عز جلق ان العز صيهود
ولا الحوائم في الأجواء هادمة	مجدا بناه ميامين أما جيد
لاتحسبوا قصفات الرعد تفزعنا	قصيف رعدكم في السمع تغريد
هبت فيالق مصروف يطوف بها	في الغوطتين مطاعين صناديد
يمهدون على الخطى دولتهم	ومالها بسوى الخطى تمهيد

والأبيات تفيض حماسة ، ولها وقع قوي في السمع ، والألفاظ فخمة رنانة ، والتراكيب متينة السبك .

ويقول عمر أبو ريشة في ذكرى المتنبي

أين ملك في ظله ترقص النعمى	وتشدو شبابة الصليباء
أين لمع المنى وحمحمة الخيل	ووهج القنا وخفق اللواء
المياسين يا غرام المياسين	يخوضون لجة من شقاء
القيود الثقال عضت عليهم	وجرى سمها على الأحشاء

والأبيات تتصف بقوة اللفظ وجزالة التعبير وفخامة الجرس .

ويقول أنور العطار في ذكرى المولد

يا بقايا السيوف رمز الأضاحي	وشعار الفدى وسر العظائم
أوقدوها حمراء تلتهم الأفق	فنشوى بها اللظى والسمائم

وامنحوهـا دماءكم تتنـزى ... واهـروهـا أرواحـكم والجماجـم

واملكوا الارض أنتم سادة الارض ... وأنـتم بنـو الليوث الضراغـم

أنتم الاشبقون فى حلبة المـجـد ... بكم تنجلى الصوادى الفواشـم

وحماسة الشاعر تبدو فى قصر الجمل وتتابعها وتكرير صيغة فصل الأمـر ، والالفاظ فخمة ، والتراكيب متينة ، وبعضها معاد مكرور ، والتعبير جـزل ، والجرس قـوى ٠

ومع تفاوت طبقات الشعراء،واختلافهم فى التعبير وتخير الالفاظ للتراكيب،فان الشعر الوطنى يمتاز بقوة اللفظ ومتانة التركيب وجزالة التعبير وقوة الرنين ٠

وتتردد فى الشعر الوطنى روح الحماسة فيميل الشاعر بتراكيبه وجمله الى اسلوب الخطابة ، ولهذا الأسلوب فى الشعر الوطنى مظاهر عدة أهمها:

أ ـ قصر الجمـل

ب ـ استخدام صيغ الانشاء

حـ ـ تأكيد الجملة الخبرية

د ـ الاسهاب فى التعبير

أ ـ واشتمال الشعر الوطنى على جمل قصيرة ملائم لطبيعة الموضوع فالشاعر ، فى موقف الحماسة ، لا يستطيع أن يتروى ويطيل فى التعبير عن فكره واحساسه ، وهو يرمى الى اثارة عواطف السامعين ، ولـذا كانت الجملة القصيرة أقوى وقعا فى الاذن وأسرع نفاذا الى القلوب ٠

والجملة القصيرة كثيرة الورود فى الشعر الوطنى ، فالزركلى يصف اسراع العرب الى تلبية نداء حسين للثورة ، فيقـول :

كتائب هبت تلبى الدعـاة ... تطوى القفار وكثبانهـا

برمح يرن بعضب يـئن ... ينيـه فى الترك وسنانهـا

فالبيت الأول يشتمل على أربع جمل ، والثانى يشتمل على ثلاث ، وكلهما تصور سرعة انتشار الدعوة وتلبيتها وخفة الثوار واحتدام القتال ، ولا ريب فى أن توالى الجمل القصيرة أفاد وصف الحماسة التى تجلت فى الثورة وأعمالها ويقـول

ياشرق مالك لاتفيق ... وقد بدت منك المقاتـل

وتصدر الجمل القصيرة يفصح عن قلق الشاعر وألمه ، فهو ينادى الشرق ويسأل عن حاله مستنكرا،ويعجب من نومه على حين أشرف على الهلاك٠

وخليل مردم يتساءل عن سبب التقاطع فى بلاد الشام فيقول

فـيم التقاطـع والأرحام واشجـة ... والدار جامعـة والملتقى أمـم

فهو يستفهم ، ثم يلقى معانيه الى السامعين فى جمل اسمية قصيرة فيقرر بهذا وضوح الروابط بين البلاد ·

ويقف على دمشق بعد الثورة السورية،فيبكى فرحا بنجاة اخوانه الأحياء وحزنا على الشهداء منهم ، ويصور هذا الموقف فى شئ من التعجب فيقول :

فيا لك موقفا أروى وأورى وبث لواعجا وشفى غليلا

واضطراب الشاعر بين مختلف المواطف واضح فى تعدد الجمل وتنوعها·

ويصور ، فى ذكرى المتنبى ، جرائم العدو المحتل ، فيقول فى ايجاز شديد

شكواك ما زلنا نعانى مثلها كف مضرجة ووجه أسود

ويصور صعوبة الحماية التى عرضت على المتنبى ، فيقول :

عرضوا حمايتهم عليه بجزية أمران ذا نكد وذلك أنكد

والجمل الثلاث فى الشطر الثانى فى منتهى الايجاز

ويقول بدوى الجبل فى تأبين المنفلوطى والألوسى

ما للجزيرة أين نور نبوغها الزيت جف وأطفئ القنديل

بغداد شاكية ومصر مرنة والشام حاسرة القناع شكول

وعاطفة الحزن ظاهرة فى صيغة الانشاء وفى قصر الجمل الاسمية وتتابعها·

ويقول فى رثاء غازى

لاتسلني عن الشآم فقد حز م بجيد الشآم عض الحديد

لوعوا بالقيود فابتدر الموت م أباة تنمروا للقيود

روعوا الأمهات فى حلك الليل م وراعوا صغارها فى المهود

فتنمروا غضب لقومك وارجم بالشهاب اللماح كل مريد

فيعبر عن ثورة العاطفة بهذه الجمل الفعلية المتتابعة التى تقصر حتى تغدو كلمة واحدة ، وينتقل من صيغة الماضى الى صيغة الأمر فيفجأ السامع ويبلغ بعاطفة الحماسة ذروتها بعد أن ملأ القلب حزنا على الشام فى ظل الاحتلال ·

ويقول عمر يحيى فى ذكرى المتنبى

ولدته وهو الى العلاء يليح فربا وشاب ودأبه التطويح

الأرض مسقط جسمه ولروحه أفق السماء وما يضم اللوح

وقد أفاد تتابع الجمل القصيرة التعبير عن عاطفة الاجلال التى يكنها الشاعر الشاعر ·

ويقول أنور العطار فى مولد النبى مناجيا ·

يا سماء الجلال يا رفرف الخلد م ويا صورة النعيم الدائم

فيعبر بهذه الصيغة الانشائية المكررة عن حبه للرسول

ويغضب في هذه المناسبة لقومه فيقول :

يا سماء اهبطي ويا أرض ميدي غصب الأ الأمون مجدا لأكارم

ولاشيء أشد تمثيلا لعاطفة الغضب من قوله الذى بلغ غاية الايجاز في الشطر الأول فقد استخدم صيغتين من صيغ الانشاء وكررهما متأثرا بالصيغ الانشائية القرآنية مثل :

ويقول الطرابلسي في غضبة دمشق :

ألمت دمشق من الخنوع فزمجرت أنفا وطبقت الفضاء رعودا

فيورد ثلاث جمل فعلية موجزة

ب — وأقوى مظهر لغلبة روح الخطابة على الشعر الوطني هو شيوع الأسلوب والانشائي فيه ، فهذا الأسلوب يبدو بصيغه المختلفة ، ويلتزمه الشعراء في أداء معانيهم ، ولا عجب في هذا فالجملة الانشائية تفيد قوة الطلب ، وتستثير الانتباه ، وتحرك المشاعر ، والأدب العربي ، الذى غلب عليه السماع والرواية ، أميل بطبيعته الى الأسلوب الخطابي ، والشاعر في مجال الحماسة يدور على ما يستنفد احساسه بتلاوينه المختلفة ، والجملة الانشائية توفي مرامه بما تملك من وسائل لا تتوافر في الجمل الخبرية .

والشاعر يستخدم صيغ الانشاء المختلفة ، ويكرر الصيغة الواحدة في البيت أوفي الأبيات المتتالية ، وقد يستخدم صيغتين اثنتين من صيغ الانشاء في البيت ويكررهما ، وصيغ النداء وفعل الأمر والاستفهام أكثر الصيغ ورودا في الشعر الوطني .

ففؤاد الخطيب يقول

حي الشريف وحي البيت والحرما وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

ايه بني العرب الأحرار ان لكم فجرا أطل على الأكوان مبتسما

فيكرر صيغة فعل الأمر ، ويكرر فعل الأمر بلفظه ، ويعبر بهذا عن تقديره للشريف حسين واجلاله للأماكن المقدسة وتحمسه للعمل ، ويحاول نقل مشاعره الى مخاطبه ، ثم ينتقل الى مخاطبة السامعين مستخدما صيغة اسم فعل الأمر ، والنداء .

ويقول عمر يحيي

فليمض الاستعمار في تعذيبه فاليوم أقرب والجهاد كفيل

فيستخدم للأمر صيغة المضارع المقرون بلام الأمر ٠

ويستخدم القراتي المصدر النائب عن فعل الأمر فيقول

يا بني العرب هبة من رقاد ان ذاك الرقاد عار وذام

ويحث بدوى الجبل أبناء مصر على البذل مستخدما صيغة الأمر والنهي ، فيقول :

جودوا بأنفسكم لله خالصة لا ترتضوا دون ذا مجدا ولا كرما

ويقول شفيق جبري

ليت ابن هند يرى تدليل عترته وما الهوان بأهل الشام معهود

فيتمنى أن يرى معاوية ذل قومه ، وهو انما يتمنى المستحيل ، ولكنه يشفي نفسه بذكر الماضي ٠

ويستخدم الزركلي النداء والتمني في قوله في الثورة السورية

والظلم منطلق اليدين محكم يا ليت كل الخطب خطب النار

ويقول خليل مردم في تكريم أحمد شوقي

أعزز على الخلفاء ذل بلادهم ولو انهم تحت التراب رمام

فيورد صيغة الأمر للتعجب مصورا ألمه لذل البلاد

ويقول عمر يحيى في رثاء شوقي

وما أبأس الشرق الذى كنت إن صبا رنمت وان يحزن نطقت بما أدمى

فيستخدم صيغة الماضي للتعجب مصورا تألم الشرق لموت الشاعر الذى تغنى بأحداثه ٠

ويقول محمد البزم في ضحايا الثورة السورية

وكم فتاة على الأنقاض ماثلة خود رداح بقد يخجل البانا

فيستخدم (كم) الخبرية معبرا عن ألمه لموت كثير من الفتيات

ويمدح آل مصروف بالبذل والجود ، فيستخدم (نعم) من أفعال المدح

جاوزتم الصرف في بذل وفي كرم حتى بذلتم ونعم البذل أبدانا

ويقول خليل مردم في رثاء الملك حسين

ورب مملكين علوا عروشا كأنهم بها نزلوا قبورا

والانشاء الطلبي غالب على الشعر الوطني ولاسيما ما جاء منه بالنداء والأمر والاستفهام ، ويكثر استخدام فعل الأمر من صيغ الأمر ، فخليل مردم يقول في قصيدته (يوم الفزع الأكبر) :

قف في الخرائب وابك المجد منحطا فانها يا لأحزاني مراقده

فيكرر صيغة فعل الأمر ، ويصور حزنه على الآثار التي أتى عليها الخراب .

ويكرر بدوى الجبل صيغة فعل الأمر فى رثاء غازى فيقول

دم غازى يا حمرة الفجر فاسقى م وارشفى من دمائه واستزيدى

ويكرر فعل الأمر بلفظه ، ويصور ظهور غازى وبيده راية الوحدة فى قوله :

وبيمناه راية الوحدة الكبرى م فميدى يا راية الله ميدى

ولاريب فى أن تكرار اللفظ من سمات الأسلوب الخطابى

وأنور العطار يكرر الجملة الانشائية الواحدة ثلاث مرات فى البيت ، فيقول:

يا سماء الجلال يا رفرف الخلد م ويا صورة النعيم الدائم

وقد يكرر صيغتين اثنتين من صيغ الانشاء فى البيت الواحد فيقول

يا سماء اهبطى ويا أرض ميدى م غصب الا لأمون مجد الأكارم

وقد يلح الشاعر على صيغة واحدة من صيغ الانشاء فى القصيدة الواحدة ، ونجد هذه الظاهرة عند خير الدين الزركلى وشفيق جبرى وبدوى الجبل وأنور العطار وأمجد الطرابلسى وتكرار الصيغة الواحدة يجعل نغمة الأبيات رتيبة

فشفيق جبرى فى قصيدته (نوح العندليب)(١) يتخذ الاستفهام سبيلا الى معرفة سبب نوح العندليب ، فيورد سببا بعد سبب حتى ينتهى الى تهديم عشه ، وهنا يقرن نوح العندليب بسكوت الانسان ، ويبلغ غايته من التأثير فى النفس .

ويكثر بدوى الجبل من استخدام صيغة فعل الأمر فى رثاء غازى(٢) فيقول :

أشفقوا أيها النعاة على الشام م ولا تجهروا بنجوى البريد

بل أذيعوه يزحف البر والبحر م بهول كهول يوم الوعيد

واحملوه الى الأمير ابن حمدان م ولموا بخالد بن الوليد

ثم وافوا به أمية فى الشام م وغسان فى الذرى والنجود

ودعوا الشام تستفيق على البعث م وتبكى لركنها المهدود

وتكرار صيغة فعل الأمر يطبع الأبيات بطابع الحماسة والخطابة

ويكرر أنور العطار الصيغة ذاتها فى قوله فى ذكرى المولد :

أوقدوها حمراء تلتهم الأفق م فتشوى بها اللظى والسمائم

وامنحوها دماءكم تتنزى م وامهروها أرواحكم والجماجم

واملكوا الأرض أنتم سادة الأرض م وأنتم بنو الليوث الضراغم

---

(١) المختار

(٢) المختار ص ٣٩

وصيغة فعل الأمر أكثر الصيغ الانشائية دورانا في الشعر الوطني

ح ـ ومما يلائم روح الخطابة في الشعر الوطني تأكيد الجملة الخبرية ، وهذا يكون بمؤكد واحد وهو كثير أو بمؤكدين وهو قليل ٠

فخير الدين الزركلي يؤكد أثر موت الشاعر أحمد مريود بقوله

ان في موت أحمد لك بعثا   يا أماني لم تكن بخيال

ويؤكد قساوة (ساراى) القائد الفرنسي بالقسم فيقول

ساراى أذكر تنا تيمور منتقما   بل أنت والله أقسى حين تنتقم

وقد يؤكد معانيه بمؤكدين كما في قوله ينذر العدو بالقتال

انا لنقدم والأشلاء ناهدة   في الجو تعبث فيها الريح والنسم

وشفيق جبري يؤكد قوة العروبة في الشام ، فيقول في تكريم شوقي

ان العروبة في الشآم تأصلت   كر الليالي ما يطيق نزالهما

ويؤكد أثر شعر حافظ في النفوس بمؤكدين ، فيقول في رثائه

لقد خلعت على الأحزان مشرقة   من الحبور طوت من شجو شاجيها

وخليل مردم يخاطب فتى دمشق في الثورة السورية بقوله

فتى دمشق اصطبر للخطب تجبهه   ان العروبة جيش أنت قائده

وبدوى الجبل يؤكد رابطة الأدب بين بلاد العرب بقوله

ان لم تكن وحدة الانسانية جامعة   فاننا جمعتنا وحدة الأدب

ويؤكد نعمة الهاشميين عليه بحرف الجر الزائد ليزيد تأكيد المعنى قوة فيقول :

لكم نعمة على وما كنت م   لنعماء ليتكم بالجحود

وعمر يحيى يؤكد خلود ذكرى شهداء فلسطين بالقسم فيقول

تا لله لاتنسى البلاد مصابها   بهم وان عز البلاد دخيل

ويؤكد مرارة ذكرى الثامن من آذار بقوله

ان آذار لذكرى مرة   كلما عادت لنا أورث رند

ويؤكد المطار قوله في ذكرى المولد بمؤكدين

لأصوغن من نداك الأناشيد م   وأفتن في ضروب الملاحم

ذ ـ ونلاحظ تكرار المعاني في الشعر ، فالشاعر لا يكتفي بالجملة الواحدة في التعبير عن معناه ، وانما يعرضه في صورة ثانية ، وتكرار المعاني في تعابير مختلفة من سمات أسلوب الخطابة ٠

ويزيد في سمة الأسلوب ورود عدد من الألفاظ والتراكيب التي تفيض عن المعنى ، ولعل قوة العاطفة وتدفق الشاعر في النظم واقامة الوزن والقافية هي سبب ذلك القدر الزائد من الألفاظ والتراكيب ٠

والاسهاب في التعبير واضح في الشعر ، والشاعر قد يضطر اليه، فالزركلي يقول في قصيدته الفاجعة :

من ذا يكفكف أدمعا مهراقة   كالغيث تهطل حسرة وتجود

فيصور انسكاب الدمع تصويرا مبالغا فيه ، ثم يورد لفظة (تجود) ليدل على غزارة الدمع ، ولا سبب لوجودها الا ضرورة القافية ، وفي هذا ضعف.

ويقول خليل مردم في وصف شهيد ايرلندة :

اذا كلحت به زرق المنايا   تهلل وجهه وازداد بشرا

وتهلل الوجه علامة من علامات السرور ، ولا حاجة الى الجملة الأخيرة .

ويقول في القصيدة ذاتها معرضا بالمستعمرين

وأف للأولى ظلموا وجاروا   وآلوا أن يسودوا الناس قهرا

وجملة جاروا لا تزيد شيئا على المعنى في قوله (ظلموا) ومعنى الشطر الثاني متفرع من الشطر الأول .

والاسهاب في التعبير غالب على ديوان بدوي الجبل ، فهو يقول

كل الربوع ربوع العرب لي وطن   ما بين مبتعد منها ومقترب

والشطر الثاني في كلا البيتين من قبيل الحشو

ويقول : (١)

ها هنا مثوى الصناديد الأولى   دوخوا الأرض ببيض المشرفية

دوخوا الروم وثلوا عرشها   وطووا حمر البنود الفارسية

وقضوا بين الموالي والظبى   هكذا تقضي الأسود العربية

فيكرر معنى غلبة العرب على غيرهم من الاقوام ، ويكرر بعض الألفاظ ويكثر من استعمال الصفات .

— ٣ —

تميل السليقة العربية الى الايجاز في التعبير ، ونجد هذا في الأمثلة السائرة ، والخطب المتقطعة الى فواصل كثيرة ، والبيت الذي جاء وحدة قائمة بذاتها ، فالجملة القصيرة هي المظهر الطبيعي للجملة العربية ، فاذا طالت كان البيت الواحد مبدأها ومنتهاها ، وقد تتعداه الى ما يليه من الأبيات ، ولكن تجاوز الجملة البيت الواحد قليل في الشعر .

وقد غلب على شعراء سورية الايجاز في التعبير وتركيب الجمل القصيرة ، وجنح بعضهم الى التعبير عن المعاني في جمل طويلة ، غير أننا لا نجد بينهم واحدا أطال في التعبير عن معانيه ، وغدا طول الجملة عنده خاصة تميزه من الشعراء .

---

(١) المختار ص ١٣

ويغلب على الجملة التى تستغرق البيت أن تكون شرطية أو مشتملة على أسلوب من أساليب القصر أو تشبيه من التشبيهات ، وهذه الجملة يستوى فيها الشعراء جميعا .

وقد تتصدى الجملة الشرطية البيت كما فى قول شفيق جبرى

لو أن فى ظل المقطم جحفلا يحمى المنازل
لجلا الاعاجم عن ضفاف النيل من هول الزلازل

فقد جاءت جملة جواب الشرط فى صدر البيت الثانى وتلاها شبه الجملة والتركيب الاضافى .

وقد يجىء المبتدأ فى بيت والخبر فى آخر فتطول الجملة كما فى قول خليل مردم :

لمفحص من أفاحيض القطا حرج حامت على سمته العقبان والرخم
أبقى وأوسع عند الظن من دول يحصى مساوفهن الشبر والقدم

وقد يجىء الفعل فى بيت والفاعل فى بيت آخر كما فى قول شفيق جبرى :

عز النصير فليس ينصر فى الشدائد والنوازل
الا الاسنة والصوارم والمدافع والقنابل

ونلاحظ كثرة الاسماء المعطوفة فى البيت الثانى

وقد يكون تعدد الحال سببا فى اطالة الجملة كما فى قول أبى ريشة يرثى حافظا .

ومشت حوله الهموم حيارى برؤوس مصوبة محنيه
باكيات على حبيب وفى لم تكن فى هواه غير وفيه

وقد تطول الجملة لتعليق البيت الثانى بالاول ، ويتم هذا بحرف الجر أو الظرف ، أما حرف الجر فنجد مثلا له فى قول شفيق جبرى

ألقى الى سود المنايا ربعه فتقحموا فيه المنايا السودا
من كل مهشوم على طرف القنا أو كل محصود يلز حصيدا

وأما التعليق بالظرف فمثله قول الفراتى يخاطب الترك :

أم ذكرتم يوم الزمرد والخيل تصادى كأنهن السهام
اذ عقدنا الغبار فوق رحى الحرب سماء عمادها الاعلام

ويقول عمر يحيى يرثى أحمد شوقى

وما أيأس الشرق الذى كنت ان صبا رنمت وان يحزن تطقت بما أدمى
ليالى ان أن العراق وجاره شكا النيل مما نال جيرانه غمما

ودراسة الجملة التي تتصدى البيت الواحد تدل على أن طولها يكون بسبب استكمال أجزاء الصورة التي يرسمها الشاعر أو جمع أطراف المعنى، أو تصوير حال من الأحوال، أو حكاية قول من الأقوال.

فخليل مردم يصور فتاة في الثورة السورية فيقول (١):

ورب مكنونة كالدر ضن به ... على العيون فصانته نواضده

تخطت النار ليلا وهي حاملة ... طفلا قضى برصاص القوم والده

فما تناءت به حتى أتيح له ... شظية بان منها عنه ساعده

ضمت الى صدرها شلواً يسيل دما ... كالطير هاض جناحا منه صائده

وانما طالت الجملة لتعلق الشاعر برسم أجزاء الصورة، فهناك امرأة محتجبة تتخطى النار مسرعة، وطفل تحمله وقد مات عنه أبوه برصاص العدو، وقنبلة تنفجر شظايا فتصيب واحدة منها الطفل وتذهب بساعده وتتركه شلوا ينزف دما، فهذه الجملة مركبة تتألف من عدد من الجمل التي يربط بينها الشاعر ليؤلف الصورة العامة.

ويقول محمد البزم في الثورة السورية (٢)

وكم طلاء من الابريز كان على ... مجد طوته يد الأيام عنوانا

وراح لم تذهب الأيام جدته ... على المهارة والتبريز برهانا

أتته هادمة منكم وهازمة ... حيرى تدمر سكانا وبنيانا

والجملة طويلة مركبة، فالبيتان الاولان يصفان قدم الطلاء وما فيه من جدة ومهارة وفن، والبيت الثالث يخبر بحاله الذي انتهى اليه.

ويقول شفيق جبري في قصيدته (ثورة قريش) (٣)

لما رأيت قلوب العرب واجفة ... من الشدائد ما تسجو سواجيها

وأهل جلق بالأعواد عالقة ... أعناقهم وسيوف القوم تفريها

مبعثرون عن الأوطان تلحظهم ... عين المنية ما تغفو غوافيها

بعثتها ثورة دهماء مائجة ... بالهاشميين مخضوبا حواشيها

حمراء أوقد جنبيها القنا رسقى ... فتيانها من نجيع الترك ساقيها

والجملة تصور اضطراب العرب لهول ما أصابهم وتصليب الشهداء على الجذوع وتفرق الأحرار في البلاد، ثم تفاجئ القارئ بثورة الشريف التي نشبت واتصفت بالقوة والعنف وانتهت بالغلبة على الترك، ونلاحظ تعدد الجمل التي جاءت بين جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط، وأشباه الجمل، وكثرة الصفات، وهذا كله أطال الجملة فضلا عن الجملة الشرطية التي هي طويلة بطبيعتها.

---

(١) المختار ص ١٧ (٢) المختار ص ٤٦ (٣) المختار ص ٣١

ويقول عمر أبو ريشة في رثاء حافظ (١)

وكأني أراه وهو مسجى	وبه من دم الحياة بقيه
راح يستعرض الطيوف ويقرا	صفحات من عمره مطويه
وعلى ثغره ابتسامة لطف	هي للمورد الرهيب تحيه

فهو يصور حافظا في ساعة النزع مسجى يستعرض ماضيه ، وترتسم على وجهه ابتسامة لطيفة ، وتتردد في صدره أنفاس الحياة .

ويقول بدوى الجبل في رثاء غازى (٢)

قل كما قال للغمامة هارون	وفي الجو زمزمات الرعود
قل لها أيها الغمامة جودى	شاطئ الرافدين أولا تجودى
حومي ما أردت شرقا وغربا	في تخوم الكون الفسيح المديد
ستروين مخصبا من سفوحي	وترويين ظامئا من نجودى
أمطرى حيث شئت فالكون ملكي	وبنوه قبائلي وجنودى

والقول الذى يحكيه ينسب الى هرون الرشيد

وقد يبني الشاعر جملته على قول له يسوقه في مصرع النظم ، فعمر يحيى يقول (٣)

قلت والليث كليم رابض	يرقب القيد بغيظ وحرد
وعلى الخيس ظلام قاتم	يستفز الدمع من قاسي الخلد
ان تطل كفك يا غرب فلا	تغتر فالدهر أقوى وأشد

فجملة مقول القول جاءت في البيت الثالث ، والبيتان الأولان جسما الوطن في صورة ليث جريح رابض يرقب القيد بغيظ ، والظلام يخيم على العرين وهذا التصوير أطال الجملة .

ويقول أبو ريشة في آخر قصيدته في رثاء هنانو (٤)

قل لمن يعشق الحياة على الذل	ويخشى بمسروق عمر قصير
النواعير تنفث الضجر القاتل	ما بين دمعها والزفير
سئمت عمرها الطويل فما تندب	الا خلودها في الدهور

فجملة مقول القول قد استنفدت البيتين الثاني والثالث

وخلاصة القول أن الوسائل المعينة على اطالة الجملة هي أدوات الشرط ، وتداخل الجمل بين جملة فعل الشرط وجوابه ، وتعليق البيت بما قبله بحرف الجر أو الظرف ، وشبه الجملة ، والتركيب الاضافي ، وجملة

---

(١) المختار ص ٤٧ (٢) المختار ص ٤٠
(٣) المختار ص ٣٢ (٤) المختار ص ٢٥

الصلة ، وتعدد الحال والصفة ، وكثرة الأسماء المعطوفة ·

— ٤ —

ومما يكمل دراسة الجمل والتراكيب فى الشعر الوطنى أن نلاحظ بعض قيود الجملة كالنعت والحال والتمييز والمفعول المطلق ·

أ — والصفة أكثر القيود دورانا فى الشعر الوطنى ، وهى أداة تعين على تصوير أطراف المعنى وتلاوين الاحساس ·

والصفة على أنواع ، فهناك الصفة الملونة ، ونجدها عند بعض الشعراء ·

فجبرى يصور احساسه ببشاعة المنايا التى تخطفت أبناء وطنه فيستخدم اللون الأسود فى قوله :

ألقى الى سود المنايا ربعه ... فتقحموا فيه المنايا السودا

ويفخر بنضال قومه فيستخدم اللون الأحمر القانى فى قوله

صحف بأحمر قانئ مكتوبة ... ضمن الزمان لأهلها التخليدا

وعمر أبو ريشة يصف كثرة الأعادى فيشبههم بالبحر الأزرق فى قوله

والأعادى تلوح كالأزرق السرجراج ... فى موجه الصتى المطير

وهناك الصفة الموحية بصورة أو بطرف من أطرافها

ففؤاد الخطيب يبرأ من وطنية تؤثر الموطن الصغير على الوطن العربى الكبير ، فيقول

ولقد برئت اليك من وطنية ... عرجاء تؤثر موطن الميلاد

ويصم هذه الوطنية بالعرج ، ولا ريب فى أن الصفة (عرجاء) توحى بصورة

ويصف شفيق جبرى جو الطائر بالسعة والامتداد فى قوله

وحصونك الجو المديد ... فمن يدل على حصونى

ويصف عمر أبو ريشة طموح المتنبى بأنه مجنح فى قوله

وطموح مجنح يترك النسر ... كسيحا فى زحمة الأنواء

ويصف الظلام بأنه ضرير ، فيقول مصورا تساقط رجال هنانو فى الثورة

تتهاوى كالشهب من كبد الجوزاء ... فى لجة الظلام الضرير

والشاعر يكثر من استخدام الصفات التى توحى بالصور

وهناك الصفات التى تبرز خاصة طبيعية فى الموصوف ·

فشفيق جبرى يصف الدم بالحمرة فى قوله

صحف بأحمر قانئ مكتوبة ... ضمن الزمان لأهلها التخليدا

وأبو ريشة يصف البحر بالزرقة فى قوله

والاغادى تلوح كالأزرق الرجراج م فى موجه المتى المطير

ويصف الليالى بالسواد فى قوله

ومن الصعب أن يشاهد أعمى قبس الحق فى الليالى السود

ويصف القيود بالثقل فى قوله يصف قومه

القيود الثقال عضت عليهم وجرى سمها على الأحناء

وأمجد الطرابلسى يصف السلاسل بالصلابة فيقول

يا غضبة أموية من جلق حطمت سلاسل صلبة وقيودا

وهناك الصفات التى تميز الموصوفات بعضها من بعض وهى كثيرة

وقد لا يكتفى الشاعر بالصفة الواحدة فيورد صفات متعددة ليستنفد

احساسه ، وتعدد الصفات ظاهرة واضحة فى الشعر الوطنى .

فالسبزم يصف الفتاة على الانقاض بصفات عدة ، فيقول :

وكم فتاة على الانقاض مائلة خود رداح بقد يخجل البانا

ومردم يصور الفتى الاثير عنده بقوله

ولكنى بكل فتى كريم أخى ثقة عزيز النفس مضرى

ويصف وبل الرصاص بعدة صفات فى قوله

وأمطرت الرصاص فكان وبلا شديد الوكف منهمرا وبيلا

ويصف جبرى الثورة العربية فيقول مخاطبا الملك حسينا

لما رأيت قلوب العرب واجفة من الشدائد ما تجو سواجيها

بعثتها ثورة دهواء مائجة بالهاشميين مخضوبا حواشيها

حمراء أوقد جنبيها القنا وسقى فتيانها من نجيع الترك ساقيها

ويقول بدوى الجبل فى رثاء غازى

صرع الموت غازيا هاشميا عبقرى المنى نضير الصعود

ويقول أنور العطار فى ذكرى المولد

صفوة الخلق أى نور على الافق م بهى جم التلاميع حائم

وقد يزدحم البيت بالموصوفات والصفات

فشفيق جبرى يقول فى رثاء حافظ الذى غنى النهضة المصرية

قد كنت بلبلها الغريد هيجه غول على مصر محتل روابيها

ومردم يقول فى ذكرى المتنبى

ساموه خطة عاجز فأبت له نفس مشيعة وعزم أيد

يأبى له أنف أشم وصفحة تزور من صعر وعنق أصيد

ويقول أبو ريشة فى وصف حال العرب فى العصور المتأخرة

أسكرتهم لذائذ الترف الأهوج ..... عن يقظة القضاء المنيد

والصفة اذا زادت عن الحد المألوف للمعنى كانت حشوا ٠

ب ـ ويكثر استعمال الحال في الشعر الوطني ، وتتردد في بعض القصائد فتغدو سمة لها تميزها من غيرها ، وترد لتدقيق المعنى وتدقيق الوصف وتهويله ، ولضرورة القافية ، وقد تكون حشوا في الكلام ٠

وأمثلة الحال التي تعبر عن المعنى بدقة كثيرة نذكر منها قول البزم في الثورة السورية

بني الجزيرة والأنساب جامعة ..... والحازم الشهم يلقى الدهر يقظانا

فقد أشار الى ما ينبغي أن يتحلى به الحازم الشهم من يقظة دائمة لملاقاة الدهر ٠

ويقول شفيق جبري في رثاء حافظ

أحببت مصر وسارت في محبتها ..... قصائد من عباب النيل ترويها

يجول فيها هوى الفسطاط مزدحما ..... على فؤاد عناه خطب أهليها

أردتها حرة لا النير يثقلها ..... اذا تهادت ولا الأصفاد توهيها

فالحال في البيت الثاني صورت حب حافظ لمصر ، وصورت في البيت الثالث تطلعه الشديد الى حريتها ٠

ويخاطب أمجد الطرابلسي غازيا الصريع بقوله

ثم قربرا فوحدة العرب سارت ..... بسناها النجوم كل مسير

والحال المستعملة في تدقيق الوصف ظاهرة واضحة في قصيدة البزم في الثورة السورية[1] ونذكر منها قوله يصف قذف دمشق بالقنابل :

أمطرتموها بصوب من قنابلكم ..... حوائما بالردى مثنى ووحدانا

وقوله يصف موقف العدو مما يصيب الناس

وغضة بضة يغتالها لهب ..... والعلج يرمقها نشوان جذلانا

وقوله يمدح آل معروف بالبسالة والشجاعة والغلبة على العدو

لما رأيتم عدو العرب يمنتكم ..... طرتم اليه بجنح الليل عقبانا

طاروا اليكم ومتن الريح يحملهم ..... فشاهدوكم شواهينا وشهبانا

بيتموهم بجرد الخيل ساهية ..... دهما تغادر صقر الصبح حيرانا

ودراسة الحال في الأبيات المتقدمة تدل على أن الشاعر يقصد الى استعمالها قصدا بغية تدقيق الوصف ، ويستغلها في التعبير عن عواطف المتحاربين ، ونلاحظ تعدد الحال ، ووفاءها بغرض القافية

والزركلي يستعملها لتدقيق الوصف في قوله يصف حريق دمشق وامتداد النار :

---

(١) المختار ١٤ـ١٦

تنساب في الأحياء مسرعة الخطى تأتي على الأثمار والأعمار

والقوم منغمسون في حمآتها فتكا بكل مبرأ جبار

والشيخ متكئا على عكازه يرمي وما للشيخ من أوزار

فالحال ، في البيت الأول ، تصور سرعة امتداد النار ، وفي الثالث تصور الشيخ العاجز يرمي بالرصاص.

ويقول شفيق جبري في تكريم حافظ مصورا اتحاد العرب

اذا التففنا غصونا في شدائدنا فما تطيق الليالي هصر أغصان

ويقول خليل مردم في رثاء شهيد ايرلنده

أبى ساغ كأس الموت صرفا دهاقا حين طعم العيش مرا

ويقول عمر يحيي مصورا صفة في طبع المتنبي

مهما تراكمت المواصف لا ترى الا مجدا والشجاع نطوح

ويصف عمر أبو ريشة نشاط الخيل في حركة الفتوح بقوله

وانحنت فوق ضمر تملك اللجم وتنزو مجنونة في الصعيد

وقد تستعمل الحال لتهويل الوصف كما في قول خليل مردم يصور تساقط القنابل فوق دمشق ، وغرق القباب في وبل القذائف

وبل القذائف هطالا له مدد والنفط والنار والتهديم رافده

ترى القباب به غرقى فتحسبها سفنا تهاوى بحر ثار راعده

ويقول محمد البزم في وصف دمع النساء

وكم ربيبة عز أطلقت جزعا فرائد الدمع مرجانا وعقيانا

وقد لاحظنا ، فيما تقدم ، تعدد الحال عند بعض الشعراء ، ونلاحظ هذا عند آخرين فالزركلي يقول مخاطبا العربي

أسليل يعرب طال منك تربث حتام تلبث لاهيا حيرانا

وعمر يحيي يقول في ذكرى يوسف العظمة

أقمت فريدا نزيل العراء وعضت اباء نعيم الحضر

وأبو ريشة يصور هنانو في ثورته على العدو المحتل

رجع السيد الجرىء كئيبا ثاكلا فقد عونه والنصير

حاملا في فؤاده ألم الجرح ومستمصما بروح صبور

ضاربا في الجبال يلتحف الليل ويغفو على يد الزمهرير

حـ — ويستعمل المفعول المطلق في بعض الأبيات وفي بعض القصائد فيكون سمة تطبعها بطابع خاص ، ونجد هذا عند بعض الشعراء

فالزركلي يقول :

أرأيت كيف طغى الفرنج وأوغروا — صدر الأسنة أيما ايغار
أرأيت كيف استهتروا بمطامع — فيها المصارع أيما استهتار

ويقول خليل مردم في قصيدته (سلام على دمشق)

تلاقوا بعد ما افترقوا طويلا — فما ملكوا المدامع أن تسيلا

ويقول بعد وصف ما أصاب دمشق في الثورة السورية

فيا خدر الاباة بلا هوان — صبرت على الأذى صبرا طويلا

وشفيق جبرى يكثر من استعمال المفعول المطلق في قصيدته في تكريم شوقي ، فيقول (١) :

كهفان تضطرب العروبة فيهما — حتى تجول على السنين مجالها
ان رامها صخب الحوادث زلزلت — مصر وأربع جلق زلزالها
بالله بالقرآن بالبيت الذى — قذفت اليه جرهم أبطالها
لاتقطعوا صلة العروبة بيننا — حتى تدل على اللغى ادلالها
بمأبى النفوس السائلات على الظبى — البانيات على القنا استقلالها
نهضت الى الأغلال نهضة واثق — بالله حتى حطمت أغلالها

ويقول في قصيدته (ثورة قريش)(٢) مخاطبا الملك حسينا

صمدت صمدة جبار فما اختلجت — منك الجوانح في جلى تعانيها
ضحيت بالتاج لم تعبأ برونقه — ضحيت قد تمت في المنفى تواليها

وعمر يحيى يستعمل المفعول المطلق في قوله يرثى حافظا ، ويذكر غيرته على الفصحى وثورته على المستعمر

كم ذدت عنها من يروم لها — سوءا ذياد الأروع البطل
فيثور ثورة حانق شهدت — عيناه عيث الذئب بالطلل

ويشير في رثاء شوقي الى وقوفه على آثار العرب في الأندلس ،

وقفت على الفردوس وقفة جازع — لتنشر من تاريخها الحسب الفخما

والمفعول المطلق اما أن يستعمل لتوكيد الفعل أو للموسيقى أو للأمرين معا أو لغرض التشبيه

د — والتمييز يطبع بعض قصائد الشعراء بطابع خاص (٣)
فالبزم يقول في قصيدته (الثورة السورية)

لئن ملائتم ضفاف الأرض ماخرة — فقد ملأنا عراض البر مرانا
وما جيوشكم مهما ربت عددا — الا سوائم يوم الزحف حملانا

---

(١) المختار ص ٤٢ — (٢) المختار ص ٣١
(٣) المختار ص ١٤-١٦

ولاقتنابلكم في الجو قاصفة ... الا معازف تقرى السمع ألحانا

ويقول في وصف الخرائب

وكم خرائب كانت في نضارتها ... تزهو على الدهر بنيانا وعمرانا

حذق العروبة مجلوا بأدورها ... صنعا وفنا وترقيشا واتقانا

وبلدة دمرت ما القاطنون بها ... بشائرين خوت دورا وسكانا

ويقول في مدح حسن الخراط

سيرت ذكرك في الآفاق تحمله ... جوائب الجو أفراحا وأحزانا

لازلت توهب تمكينا على ظفر ... وتوسع القوم تمزيقا واثخانا

ويقول في آل معروف

جاوزتم العرف في بذل وفي كرم ... حتى بذلتم ونعم البذل أبدانا

والقصيدة تنفرد بظاهرة الحال والتمييز

وجبرى يقول في قصيدته (الوطن اللهيف)(١) ذاكرا ضحايا الثورة السورية

ملأت مهادهم الربوع مكارما ... واليوم قد ملأوا العراء لحودا

تلك القبور على التواء بيانها ... لأجل من هذا النشيد نشيدا

ومردم يقف على دمشق بعد رجوعه من الغرب فيقول(٢) ذاكرا شهداء الثورة السورية فرحا بلقاء اخوانه الأحياء

فيالك موقفا أروى وأورى ... وبث لواعجا وشفى غليلا

بكيت لمن نجا فرحا وحزنا ... على من قد هوى حرا نبيلا

وجدت أحبتي الا يسيرا ... أسيرا أو شريدا أو قتيلا

هم أبلوا مهادنة وعنفا ... فكانوا فيهما أهدى سبيلا

وظاهرة الحال والتمييز واضحة في القصيدة

ويقول في رثاء الملك حسين(٣)

صدقت فكنت أوفى الناس عهدا ... وأنقاهم وأطهرهم ضميرا

فلما أيسروا خذلوك بغيا ... وكنت لهم بشدتهم نصيرا

ويقول عمر يحيى في رثاء صالح قنباز(٤)

دموعك اذرفها اذا نفدت دما ... فلا خير في السلوان عمن تقدما

اذا لم تذب حزنا على من تسابقوا ... لنيل العلى المنشود كنت ملوما

قضى والحمى يرجو النصير فياله ... مصابا أليما ما أصيب به حمى

فقل للاولى شادوا بذكر فعالهم ... تمدينتم قولا وأجريتم الدما

---

(١) المختار ص ٢٢ (٢) المختار ص ٢٣

(٣) المختار ص ٣٦ (٤) المختار ص ١٩

ويقول أمجد الطرابلسي في قصيدته (أمية تبعث)(١)

يا غضبة أموية من جلق ... حطمت سلاسل صلبة وقيودا

ضجت لها كل الشعوب أما ترى ... كيف استفاضت في الدنى ترديدا

ألمت دمشق من الخنوع فزمجرت ... أنفا وطبقت الفضاء رعودا

وقفت تناضل كاللباة جراءة ... لا شرة حفلت ولا تهديدا

— ٥ —

والصنعة البديعية تميز الشعر الوطني من غيره من الفنون ، وقد رصدنا آثارها عندما درسنا اللفظ ، ووجدناها بارزة في شعر شعراء الرعيل الأول فهي اذاً ظاهرة تطبع تراكيب الشعر الوطني بطابع خاص ، وخاصة فنية يمتاز بها شعراء الرعيل الأول ومن سار مسيرهم .

— ٦ —

موسيقى الشعر الوطني قوية الرنين ، وهذه القوة تنبع من عاطفة الحماسة القومية التي تنتظم الشعب في ميادين النضال ، وحين يغني الشاعر هذه العاطفة ينقل احساسه الى اللفظ المنظوم فيستخدم اللفظ القوي والتركيب المتين والتعبير الجزل فالركن الثاني في موسيقى الشعر يكمن في قوة اللفظ والتركيب وجزالة التعبير .

والتآلف اللفظي هو الركن الثالث في موسيقى الشعر الوطني ، ونعني بالتآلف اللفظي تشاكل الالفاظ وانسجامها في العبارة ، وأوضح مايكون هذا في شعر شفيق جبري وبدوي الجبل وعمر أبي ريشة ، ولا ريب في أن موسيقى التآلف اللفظي تعبير عن موسيقى نفس .

والصنعة البديعية تؤلف الركن الرابع في هذه الموسيقى ، فبدوي الجبل يستخدم التكرار والطباق في قوله في رثاء غازي(٢)

صاحب التاج دمعة من دموع الشام ... ذوبت عطرها في قصيدي

وأنا الشاعر المدل على الدنيا ... بغيب في حبكم وشهود

هاشمي الهوى أحب فما داري ... وعادى على هواكم وعودي

في الشام باللواء ونضر ... شاطئيها بظلك الممدود

ليس بين العراق والشام حد ... هدم الله ما بنوا من حدود

وشفيق جبري يتقن صناعة التكرار أيما اتقان في قصيدته (الوطن اللهيف)(٣)

ويستخدم خليل مردم ألوان الطباق والمقابلة والجناس والتفريق بعد الجمع وصناعة التكرار فى قصيدته (سلام على دمشق)(١)

والحروف القوية الجرس وحروف المد تؤلف الركن الخامس فى موسيقى الشعر الوطنى ، فشفيق جبرى يستخدم بعض حروف القلقلة وحروف المد فى قوله

ذكرى الأضاحى ان سمعت عجيجها جاب العجيج تهائما ونجودا

ويتكرر حرف الطاء فى قوله

هبت فيالق مصروف يطوف بها فى الغوطتين مطاعين صناديد

وأنور العطار يستخدم حروف المد فى قوله يناجى الرسول

يا نداء المعذبين الأسارى، ودعاء المروعات النوادم

دينك السمح شرعة من علاء وحنان وطيبة ومراحم

والهدايات حانيات عليه والمنايات طائفات حوائم

ويتكرر بعض الحروف فى قوله

أسمع الرمل يملأ الأرض تسبيحا بصوت مجلجل كالزمازم

ويتكرر حرفا الجيم والدال فى قول بدوى الجبل يرثى غازيا

همدت ثورة الشهيد وقرت يا دويا مجلجلا فى القيود

ويتكرر ذانك الحرفان فى قول أبى ريشة

جلجلت صرخة النبى فردت رجع أصدائها أعالى النجود

ومن أركان الموسيقى فى الشعر الوطنى تكرار قالب من قوالب الجمل والتراكيب وتكرار القالب الواحد فى البيت أو فى الأبيات المتلاحقة يسم الأبيات بميسم واحد ، ويحدث نغمة راتبة ، ونجد هذا فى قول شفيق جبرى فى تكريم حافظ

فلا الربوع على الأردن هادئة ولا هدوء على أرباع بغدان

وفى قول بدوى الجبل يرثى غازيا

جيشك الجيش لو تنكر للنجوم لضاقت به جفون الرقود

فاذا هجته ترنحت الأعلام وازينت لفتح جديد

واذا هجته تلفتت الدنيا وهمت أفلاكها بالسجود

وفى قول خليل مردم فى ذكرى المتنبى

فالماكرون أذل من أن يمكروا والمعتدون أقل من أن يعتدوا

وفى قول الحامد

فعرفت الأحداث كيف توالى ورأيت الديار كيف تحول

---

(١) المختار ص ٢٣

قد شجاني من الغصون ذبول ... وبراني من الحمام هديل

وفي قول العطار في ذكرى المولد

تتناجى بك القلوب الحيارى ... وتغني بك النفوس الهوائم

وقد يكون لتكرار التركيب الاضافي وشبه الجملة أثر في موسيقى الشعر كما في قول شفيق جبري

في كل ناحية ملك يمزقه ... باغ من الانس أو طاغ من الجان

وقول بدوي الجبل

ايه دنيا الرشيد تفنى الحضارات ... م وتبقى كالدهر دنيا الرشيد

صرع الموت غازيا هاشميا ... عبقري المنى نضير الورود

وقول العطار في ذكرى المولد

أنت نجوى الأرواح في كل جيل ... وشعاع الهدى وروح النواسم

يا سماء الجلال يا رفرف الخلد ... م ويا صورة النعيم الدائم

وقول أبي ريشة

جلجلت صرخة النبي فسردت ... رجع أصدائها أعالي النجود

فتهاوت تلك الصفوف من الأصنام ... م عن أوج عرشها المفقود

أمة يعربية نزلت في مسمع ... م الدهر آية التمجيد

وقوله في رثاء هنانو

هكذا تمهر العلى بيساط ... من دماء وقبة من قبور

وفضلا عن هذا كله فان الشعر ذاته موسيقى ، وما كانت أوزانه وقوافيه وألفاظه المتزاوجة المتآلفة الا أنغاما ، فإذا نظرنا الى تراكيبه وجمله وألفاظه نظرة موسيقية فاننا نكون قد أضفنا الى موسيقى الوزن والقافية موسيقى الالفظ والتراكيب

ـ ٧ ـ

والشعر الوطني يميل الى الاطناب ، ويبدو هذا في :

١ ـ الاسهاب في التعبير عن المعنى الواحد

٢ ـ تكرار المعنى في صور مختلفة

٣ ـ تكرار اللفظ

٤ ـ تكرار التراكيب والجمل

٥ ـ الاكثار من استعمال الصفات

٦ ـ تعدد الحال

٧ ـ تعدد الخبر

٨ ـ الاكثار من استخدام شبه الجملة

٩ ـ الاكثار من الاسماء المعطوفة

وتلك السمات تتفق مع طبيعة هذا النوع من الشعر الذى يرمى الى تعميق بعض المعانى فى النفوس حتى ترسب فى الاحساس وتصبح حافزا الى العمل . ويتم ذلك فى غير الحالات القليلة التى لاحظنا فيها حشوا أو فضولا أو ضرورة قافية .

التركيب فى الشعر الوجدانى

يشيع الانشاء فى الشعر الوجدانى فيشف فى الغزل عن روح الضعف والتخاذل ، وفى الوصف عن الاعجاب بجمال الطبيعة والفرار والسكون اليها ، وفى التأملات عن التفكير فى الله والكون والخلق والحياة والموت والاعتبار بأحداث الدهر .

أ ـ وشيوع الانشاء فى الغزل يوافق طبيعة هذا الفن القائم على تصوير عاطفة الحب ، وهى عاطفة جياشة تتطلب التدليل اللفظى لها ، لكن اصطناع الانشاء لا يدل دائما على صدق العاطفة ، فأغلب الشعراء يجرون على غرار القدماء فى التعبير والتصوير ، ولذا اتسم غزلهم بالتقليد وهذا يفسر ما نحس به من فتور فى الغزل الذى يغدو استخدام الانشاء فيه وسيلة تخفى فتور العاطفة عند أكثر الشعراء .

فالزركلى يعارض الحصرى القيروانى بقوله

واحر فؤادى من غصن سلب الألباب تأوده

فيعنى بتصوير قوام المحبوب أكثر مما يعنى بتصوير عاطفته ، وليس يخدعنا عن قصده ابتداء البيت بصيغة الانشاء التى صورت عذابه .

ويصف خليل مردم الطيف فى قوله

أ أتى لينظر كيف أقضى ليلتى هما وسهدا

وكم استلبت فؤاده يا للمواطف ما أشدا

فيزدحم قوله بصيغ الانشاء ، وهمه تصوير المشاعر التقليدية من هم وسهد ، وتصوير خلق المحبوب من قسوة وشدة ، وما صيغ الانشاء الا أستار للعاطفة الفاترة !

ويقول بدوى الجبل

ضمى على حر فؤادى يدا كأنها من خالص الفضة

وابتسمى عن لؤلؤ واسفرى عن بشرة ناعمة بضة

فيعنى بتصوير يد المحبوبة وأسنانها وبشرتها ، ويكتفى من تصوير عاطفته بذكر حرارة قلبه . وسؤال المحبوبة أن تضع يدها على صدره .

ويعنى بالمقابلة أكثر مما يعنى بالعاطفة فى قوله :

كان تلاق بعده فرقة   ما أقتل البعد وأحلى التلاق

ويقول محمد الفراتى

يا طول ليلى اذ أرى ظعنها   تحدو به الركبان فى كل واد

واحسرتا هلا تهانى النهى   عن التصابى يوم بانت سعاد

واحر قلبى من جوى فرقة   ما بين أحشائى كورى الزناد

فيعنى بتصوير حال المحب ومشاعره ، ويستخدم صيغ الانشاء للغلو فى وصفها ، والصيغة الأخيرة تذكرنا بقول الزركلى ، وأغلب الشعراء يشكون حر الفؤاد ٠

ويقول بدر الدين الحامد

يا ظالمى مهلا فقد   كحلت عينى بالسهر

فيصور معنى السهر كما وجده عند القدامى ، ويفتبط بتصوير ضعفه أمام المحبوب ٠

ويعظم عمر يحيى جمال المحبوب ، ويغلو فى تصوير ضعفه ، فيستخدم صيغة النداء وصيغة فعل الأمر فى قوله

يا صورة للجمال   بدت بأروع صوره

ارحم صريع الليالى   فقد غدوت أسيره

ويقول جميل سلطان

سألت قلبى ايه يا قلبى   أى العهود ألذ فى الحب

لهف الفؤاد وقال وا أسفا   خير الأحبة فاتن القرب

وسؤال القلب وجوابه أبعد ما يكونان عن روح الغزل ، وتخطئة رأى أبى تمام فى شأن الحب الأول لا تكون بمثل تلك الطريقة بل بالتعبير عن تجربة حية ٠

والاقوال السابقة (بقية) ، فى جملتها ، تجعلنا نحس بفتور عاطفة الشاعر وضعف روحه ، والحق أن استخدام الانشاء فى الغزل هو متابعة للقدماء فى أساليب التعبير ، ووسيلة تعين على ستر التصنع الذى عرف فى الغزل فى العصر العباسى ٠

وتتردد فى الغزل صيغ معينة من صيغ الانشاء ، ويكاد أغلبها يكون استفهاما ونداء وأمرا ، فعمر يحيى يستخدم النداء فى قصيدته (الريم)(١) وجميل سلطان يستخدم فعل الأمر فى قصيدته (قبلة)(٢) ، وأمجد الطرابلسى يستخدم النداء والاستفهام فى قصيدته (اليها)(٣)

---

(١) المختار ٦٠ — ٦١   (٢) المختار ٦١ — ٦٢   (٣) المختار ص ٦٢ — ٦٣

وقد يزدحم البيت الواحد بصيغ الانشاء كما في قول رفيق الفاخوري على لسان المجنون :

حنانيك يا ليلى ألم تحلى الهوى	ألم تعلمي يا منية النفس،ما حسبي

وكثرة الصيغ هنا تصور قوة العاطفة وتلاوينها .

ب — وشيوع الانشاء في الوصف يعبر عن احساس الروعة والافتتان بجمال الطبيعة والاغتباط بالعيش فيها والشوق اليها ، فخليل مردم يصف شروق الشمس في قوله :

مالها تشرق حمرا أتراها	مقلة وسنى أفاقت من كراها
أم تراها شعلة والسحب من	فوقها مثل دخان قد علاها

فيعبر عن احساسه بروعة المنظر دون أن يسهب في وصفه ، ويلتمس صور التشبيه والاستعارة في القصيدة ليرضي حاسته الفنية في التصوير ، ويعود الى وصف احساسه بروعة المنظر فيسأل الله أن يثبت ايمانه خشية أن يجوز حد التوحيد الى الشرك ، فيقول :

ثبت اللهم ايماني فقد	ظنها يوما أبو الرسل الها
أنت عظمت الضحى والشمس اذ	قلت : والشمس يمينا وضحاها

ويقول محمد الفراتي متشوقا الى دير الزور

فيا مرتع الآرام في ذلك الحمى	أباق على عهدي به البان والرند
أم البان لم يترك له البين منبتا	وعفى على آثاره الزمن النكد
ويا ماء رأس الكسر من لي بجرعة	يروى بها قلبي وينتقع الكبد

فيناجي موطنه مناجاة الحبيب للحبيب ، وتسعفه صيغ الانشاء في هذه المناجاة ، فيعبر بها عن عواطف البين والشوق

ويصف شوقه الى دمشق أيام الثورة السورية ، واعجابه بتدفق دجلة في مجراه وفيضانه على ما حوله ، فيقول :

أظما الى بردى وهذى دجلة	ينساب تحتي ماؤها سلسالا
أو ما تراها كيف يقذف موجها	فوق الزبرجد لؤلؤا سيالا

وعنايته بالوصف تفوق عنايته بالتغني باحساسه .

ويعجب بدر الدين الحامد من أمر الناعورة ، فيقول

أترى أخذت على الزمـ(ز)ـان م	وصرفه عهد الأمان
ما أنت بالدة الخلود م	تكلمي فالوقت حان

فتتبع الصيغة الانشائية بالصيغة مصورا حيرته في أمر الناعورة .

ومع وجود الوسائل المعينة على وصف آثار الطبيعة في النفس، فاننا

لانجد ما يصور تلك الآثار تصويرا قويا عميقا ، بل ان بعض الوصف يشف عن فتور العاطفة كما فى قول جميل سلطان يصف الربيع ويخاطب الطائر :

يا مطرب الروض غاد الروض جذلانا ... واحمل الى غصنه سحرا وألحانا
وانقل جناحك من غصن الى فنن ... واشمم من الزهر أشكالا وألوانا

واحساس الشاعر بجمال الربيع سطحى لم يبلغ قرارة نفسه ·

والحامد يطول به النوم فى الربيع فيوقظه الطائر بتغريده :

فى كل رابية يغرد بكرة ... طير ينادى قم بنا يا نائم

ويشيع الانشاء فى الوصف ، وتدور صيغ معينة منه فى بعض القصائد كما فى قصيدة (مناجاة الورد)(١) لعمر يحيى ·

ج — ويشيع الانشاء فى التأملات عند الشعراء الشباب ، فيصور قلقهم وشكهم ، فأمجد الطرابلسى يقول فى قصيدته (عاصفة فى قلب)(٢)

مالى وللحلم الرفاف يسعدنى ... فى عالم ماثج بالشر ظلام
ما قيمة العيش لا تلقى بساحته ... من المنى غير أشباح وأوهام

ثم يخاطب قلبه قائلا :

وأنت ياخافقا فى كهفه صخبا ... حتام تمعن فى شجوى وايلامى
أ أنت معبد شك لاتنى قلقا ... أم أنت ياخافقى ناقوس آلام

فهو يرغب عن حياة الأحلام ، ويستهين بالعيش لا تتحقق فيه المنى ، ويضيق بقلبه الخافق القلق ، ويستعين بالاستفهام على تصوير تلاوين الفكر والاحساس·

ويقول فى قصيدته (السراج المفقود)(٣)

يا هناء الصخور فى هذه الدنيا ... م ويا شقوة الشعور النبيل
يا ضلال العقول فى الحانة السكرى ... م ونعمى المعربد الضليل
يا سراجى أنت العناء ولكن ... فى تواريك مصرعى وأفولى

والسراج رمز الى القلب الذى صدمته الحياة ، والشاعر ، على ضيقه به وتحمله منه ما لايطيق ، ضنين به ، وقد استعان بصيغة النداء المكرورة على تصوير تلاوين احساسه وفكره ·

ويقول فى قطعته (وحشة)(٤)

أيها الوحشة خلى العنكبوت ... تنسج الأكفان فى أحناء صدرى
وانشرى الليل على كهفى الصموت ... واصبغى باليأس والأهوال فجرى

فيستخدم صيغة فعل الأمر ، ولايبالى بالوحشة التى كدرت صفو حياته ·

---

(١) المختار ٩١ (٢) المختار ١٤٠ـ١٤١ (٣) المختار ١٤٢ (٤) المختار ١٤٢

ويفزع الى ربه في الفجر فيناديه نداء حارا

ربـاه كم نـوءت بمـا أحـمـل   وكنت يا رب مناط الرجاء

والنداء يصور ضعف الشاعر لما ناله من اعياء ، فهو يلوذ بالله ويشكو اليه الصب الملقى عليه ، وقد أفادت (كم) تصوير العناء الذى كابده .

ويطول الكلام لورحنا نستقصى دراسة الانشاء فى أقوال الشعراء ، وحسبنا ما قدمنا دليلا على عنايتهم بأساليب الانشاء فى التعبير عن ألوان العاطفة والشعور .

— ٢ —

وتطول الجملة فى الشعر الوجدانى فيكون طولها متعدد الاشكال مختلف الأسباب .

أ)) فقد يجرى الشاعر فى صياغة الجملة على غرار القدماء فتجىء صياغته مطبوعة بطابع التقليد ، ومن هذا الجملة الاسمية الخبرية المنفية بما والمجرور خبرها بحرف جر زائد ، ونجدها فى قول النابغة يمدح النعمان :

فما الفرات ، اذا هب الرياح له   ترمى أواذيه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب   فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصما   بالخيزرانة بعد الأين والنجد

يوما بأجود منه سيب نافلة   ولا يحول عطاء اليوم دون غد

وانما طالت الجملة بسبب من المعنى الذى قصد اليه الشاعر ،وهو تصوير جود النعمان تصويرا ممتازا ، فقد انتزع صورة النهر من الواقع ، ووصف فيضانه وصفا رائعا ، ثم قرنه بجود النعمان ، وفضل جود هذا عليه .

وفى الابيات جملة أصلية وجمل فرعية هى متممات وقيود للأولى، فالجملة الأصلية هى الجملة الاسمية الخبرية المنفية بما والمجرور خبرها بحرف جر زائد ، والجمل الفرعية هى التى تصف النهر فى فيضانه ، وتقيد المعنى الذى تضمنته الجملة الأصلية وهو تفضيل جود النعمان على ما عداه ، وهناك جمل فرعية مقيدة بجملة فرعية أخرى، ففى البيت الثانى قيدت الجملة فى الشطر الأول بالجملة فى الشطر الثانى .

والى تلك الأبيات وما فيها من نظم نظر الشعراء حين نظموا بعض معانيهم ، فلمجد الطرابلسى يقول فى قصيدته (عاصفة فى قلب)[1]

ما روضة برزت للعين سافرة   اذ جادها سحرا دمع الندى الهانى

---

(١) المختار

تهيج في الصب نار الحب خابية ... وتملأ النفس من وحي والهام
ترى الطيور على الافنان حالية ... سكرى تلهو بألحان وأنغام
والنحل يرقص حول الزهر منتشيا ... صبا ولوعا بتقبيل وتضمام
هبت على بشرها هوجاء عاصفة ... فخيم البؤس فيها بعد انعام
لاطائر ناغم في الروض مرتفع ... فوق الغصون ولا نحل بحوام
كالقلب هبت رياح الشك تلفحه ... فقطع الصبر في عزم واحجام

فيصور الروضة الندية تملأ نفس المحب بهجة ، ويغرد فيها الطير ويحوم النحل حول الزهر ، ثم يصورها تهب عليها الريح ، ويخيم فيها البؤس ، ثم يقابل بين ما صارت اليه وما هو فيه ، وينتهي الى أن قلبه في حيرته وشكه أكبر من الروضة مصابا وأشد ألما .

ونلاحظ أن الشاعر قصد الى تصوير ما هو فيه من قلق وشك ، فانتزع صورة الروضة من الواقع ، وعرضها كاسية وعارية ، ثم قرنها ، في عريها ، بقلبه ، وجعله أعظم منها مصابا .

ونلاحظ كثرة الجمل الفرعية التي تقيد الجملة الأصلية ، كما نلاحظ الجمل القصيرة التي تقيد بعض الجمل الفرعية ، وكلها قيود ومتممات للجملة الأولى .

ونحس ، في الأبيات ، بأثر عنترة الذي استطرد في التغزل بعبلة في معلقته الى وصف الروضة الأنف يجودها الغيث كل عشية ، ويغرد خلالها الذباب .

ب — وقد يكون التقليد والتكلف في التعبير والاطناب سببا في طول الجملة ، فنرى الشاعر يلجأ الى تأكيد الجملة بأحد المؤكدات ، ويصف جمال الحسن في المرأة ، ويكثر من استعمال اللفظ فيجوز حد المعنى ويغدو بعض لفظه حشوا كما في قول الحامد يتغزل :

وحياة جفنك والدلال ... م وسحر جفنك يا قمر
وأثيث شعرك والجبين ... م الواضح الصلت الاغر
وأسيل خدك والثغير ... م وما بريقك من سكر
ما ملت عن حبيك قط ... م ولا صبوت الى بشر

وانما طالت الجملة ليؤكد الشاعر تعلقه بالمحبوب ويصف جماله وصفا تقليديا ، ونلاحظ ركام الالفاظ في الابيات .

حـ)) وقد تطول الجملة لاستعمال أدوات الشرط كما في قول عمر يحيى يتغزل :

ان كان كالصبح حسنا ... أو كالربيع المجاد

أو كان كالروح تحيي مهدم الأجساد
ان لم يحرنني بالا ويكترث لانفرادي
فلست نضو هواه وليس أهل اجتهادي

فهو يقصد الى وصف جمال المحبوب وأثره فيه ومعانيته وتحمله وقد وجد في الجملة الشرطية ما يعين على تصوير تلاوين احساسه ، ولذا رأيناه يسوق جملة الشرط في البيت الأول ، ويعطف عليها جملة مثلها في البيت الثاني مقيدة بجملة الحال، ويورد جملة شرطية جديدة في البيت الثالث ويعطف عليها جملة في البيت ذاته ، وأخيرا يورد جملة جواب الشرط فيتمم بها معنى الشرط فيما تقدم من الأبيات ·

ويقول الحامد في وصف الناعورة ؛

واذا الظلام بدا وألقى م غوق واديك الجران
مثلث عفريتا يزمجر م محنقا ما بين جان
حتى اذا بدت الغزالة م فوق رأسك للعيان
وتمايلت قضب الشقيق م على بساط الصحصحان
وتناوحت نسمات أرجاء م المرابع والمغان
كنت الهزار مغردا والشاعر العذب البيان

ففي البيتين الأولين ، يعطف على جملة الشرط جملة أخرى ، ويقيد جواب الشرط بجملة الصفة،وفي الأبيات الأخيرة ، يعطف على جملة الشرط جملتين اثنتين في بيتين متواليين ، ثم يجيء بجواب الشرط، ولاريب في أن رغبة الشاعر في الوصف كانت سببا في طول الجملة، وأن جملة الشرط والجواب أعانت على هذا الطول ·

ويشبه ذلك القول قولُ أمجد الطرابلسي

حبيبي ان بدا الفجر ورف كثغرك الزهر
وغنى الطير مخمورا لحوننا كلها خمر
فلا تأس على أيامنا م الفرحى ولا تعتب

فقد عطف على جملة الشرط جملتين اثنتين ، وقيد الجملة المعطوفة في البيت الثاني بجملة الصفة ، ثم جاء بجواب الشرط في البيت الثالث، وكانت رغبة الشاعر في الوصف سببا في طول الجملة ·

ويعيد نظم معناه على هذا النسق فيقول في القصيدة ذاتها :

حبيبي ان دجا الليل وطافت بك أشباحه
وأورى طرفك الساجي جوى البعد وأتراحه
فاني بين أترابي وأصحابي واخواني

غريب ملهب الأجفان م وارى القلب كالمعانى

ولاريب فى أن الرغبة فى وصف حال المحبوب وحاله هو على البعد كانت سببا فى طول الجملة ، وأن جملة الشرط والجواب كانت وافية بغرض الشاعر.

حـ ــ وقد تطول الجملة بسبب شبه الجملة أو الظرف الذى يكون متعلقه فى بيت سابق ، كما فى قول محمد البزم يتأمل حال المؤمن :

ذل من يصحب هذا م الدهر مذعور الجنان

بين خوف من لظى م النار وتأميل الجنان

وقول زكى المحاسنى يصف شلال دفنى

عند دفنى أودعت أول حب وبح دفنى يا وادى الأدغال

حيث تصفو الأعراس فى نشوة م القصف وتحنو على الخمور الدوالى

د ــ وقد تطول الجملة بسبب صورة التشبيه كما فى قول محمد الفراتى يصف الصحراء

كأن صرير الجن طى هضومها حنين نياق زل عنها حوارها

كأن زئير الأسد فوق أكامها قعاقع رعد تبعث الموت نارها

— ٣ —

ولكى نستكمل الصورة العامة للتركيب فى الشعر الوجدانى يحسن أن ندرس بعض قيود الجملة كالنعت والحال والتمييز

أ ــ وأول ما نلاحظ هو الاكثار من استعمال الصفة ، وهذه الخاصة نجدها عند أغلب الشعراء فى الشعر الوجدانى

فبدوى الجبل يقول فى الغزل

كان تلاق بعده فرقة ما أقتل البعد وأحلى التلاق

حين تمدين يدا بضة ناعمة مترفة للعناق

ويقول فى قصيدة أخرى

وابتسمى عن لؤلؤ واسفرى عن بشرة ناعمة بضه

فى خدك القانى البهى الوسيم تفاحة طيبة غضه

فهو يلح على بعض الصفات فيعيد ذكرها ، ويصف الشىء الواحد بصفتين اثنتين أو بثلاث صفات ، ويجىء بموصوفين اثنين فى البيت الواحد ، وهذا خليق بأن يطبع أسلوب الشاعر بطابع الاطناب ، ويشغله باللفظ عن تأدية دقائق المعنى والاحساس.

ويصف بدر الدين الحامد جبين المحبوب بصفات ثلاث ، فيقول :

وحياة غنجك والدلال م وسحر جفنك يا قمر

وأثيت شعرك والجبين ... الواضح الصلت الأغر
ما ملست عن حبيك قط ... ولا صبوت الى بشر

ويصف عمر يحيى جفون المحبوب بالسحر والفتنة فى قوله :

يقتادنى بجفون ... سحارة فاتنات
فاشتكى بأنين ... ما حملتنى حياتى

ويمنى على الناصر بالدقة فى وصف بولين ، فيقول :

فى ثغرها المحزون ... حمرة ساذج الحب الخفى
والعنق تنظر فى رواه ... السوسن الغض النقى

ويسرف عمر أبو ريشة فى استعمال الصفة فى غزله فيقول فى عدد من قصائده :

فذلك قدها الصارى ... وذلك شعرها الجعد

×××

فأسندت الرأس فى رقة ... على قلبى الثائر المجهد
ولما هممت بتقبيلها ... ورشف الرضاب الشهى الندى
سمعت بأذنى صوت الضمير ... يردد : ياوغد لا تعتد

×××

أسمعينى على أنين الأمانى ... من عثار الشباب لحنا شجيا
حولى ناظريك عنى فما أستطيع ... أجلو سرا هناك خفيا
لست أنت التى أضلك بل دنيا ... فتون وعالما علويا

×××

نامت وللمصباح موجاته ... على الجبين الهادى الناعم
يرمى مديد الظل فى خدها ... من جفنها المستسلم الحالم

ونلاحظ عناية الشاعر بالصفة فى مختلف القصائد وتعدد الصفة واستعانته بها على القافية .

ب - وترد الصفات ، فى وصف الطبيعة ، بكثرة ملحوظة ، وهى أنواع ، فصفة ملونة ، وثانية تجلو خاصة فى الموصوف ، وثالثة تميز الموصوف من غيره ، ورابعة توحى بحركة أو صوت أو صورة .

والصفة الملونة مبثوثة فى الوصف ، ونجدها فى قول خليل مردم يصف شروق الشمس وارتفاعها فى الأفق ، وتحول لونها .

مالها تشرق حمرا أتراها ... مقلة وسنى أفاقت من كراها
ونضت أثوابها الحمر على ... جنبات الأفق واستبقت حلاها

والحامد يصف تلألؤ ماء الروض فى ضوء شمس الصباح ، فيقول

وابتسام الصباح فى الروض حلى ... عسجدى يزين فضة مائه

والفراتي يلون الفلاة وصخورها وربهاها بألوان مختلفة في قوله :

غريب عن الأوطان لاحيث يرتجي أنيس ولم يرفع لركب منارها
بداوية دهماء زرق صخورها وحمر رباها موقدات حرارها

وأبو ريشة يصف هبوط الليل وزوال شفق الغروب بقوله :

فأطلت من خدرها غادة الليل م وتاهت في مشية الخيلاء
وأكبت تحل ذاك المصاب م الأرجواني باليد السمراء
وعيون السماء ترنو اليها من شقوق الملاءة السوداء

والمطار يصف احياء الأخضر في عالم الخريف ، فيقول

وتمضي أرائك الحب والمطر م ويبلى الروض الندى الخضير

ورفيق الفاخوري يصف عرى الأيكة في قوله :

الأيكة الخضراء قد أصبحت بعد الشذا منهوبة عاريه

ونلاحظ ، فيما تقدم ، أن الشاعر يتناول اللون فيصبغ به الموصوف دون أن يصور أثره في نفسه أو يطلق به أثرا هاجما في نفس السامع أو يولد احساسا جديدا .

أما الصفة التي تظهر خاصة في الموصوف ، فنجدها بارزة في شعر أبي ريشة ، ومن هذا قوله يصف نهرا ويرمز به الى حالة من حالات النفس

يهوى فيقتلع الجذور بدربه ويشق قلب الصخرة الصماء
وغفا صريعا هادئا ولهانة ينضى أريج الزهرة الفيحاء

وقوله يصف طلوع الفجر

نهض الفجر مثقلا يتلوى فوق صدر الطبيعة الخرساء

وقوله يصف الشتاء

سوف تهدا هذى العواصف في م قلب صباح منور الأرجاء
وتذوب الثلوج شيئا فشيئا تحت أنفاس شمسه الوضاء

والصفة التي تميز الكائنات والأشياء بعضها من بعض كثيرة جدا ، ويغلب أن تجيء متعددة والموصوف واحد .

أما الصفة الموحية بحركة أو صوت أو صورة أو احساس فهي قليلة ، ونجدها عند بعض الشعراء :

فالفراتي يصف فلاة في قوله

بداوية دهماء زرق صخورها وحمر رباها موقدات حرارها

فيوفق ، بهذه الصفات المتلاحقة ، الى اثارة شعور الخوف في

نفوسنا .

ويقول رفيق الفاخوري في (الخريف)

والجدول الساهي له أنة	مدفونة في مائة لاتبين
سأمان من سير بلا آخر	مطرد ما غيرته السنون
شطآنة سجن له دائم	يرسف فيه موجه الوادع
يجري خليا لا الى غاية	كأنه في أزل ضائع

فتجيء الصفات موحية باحساس العصر والشاعر ، ذلك أن وصف الجدول بالسهو،والأنة بالدفن ، والسير بالاطراد ، والسجن بالديمومة ، والموج بالوداعة ، وتشبيه الجدول بالضائع ، يعكس احساس العصر وما يسوده من حيرة وحزن وقلق ، ويعكس احساس الشاعر برتابة الحياة ، وضيعته فيها ، وسأمه منها .

ويقول جميل سلطان في (الربيع)

والزهر عند الأماسي البيض تحسبه	جفنا يغالبه الامساء وسنانا

فوصف الأماسي بالبياض ، وتشبيه الزهر بالجفن الوسنان يوحي بهدوء المساء وما فيه من صفاء .

ويقول المطار في الخريف

خشخشت في الرحاب أوراقه الغبر	م وللريح بينهن صرير
تعصف الصرصر العتية بالغاب	م فيهوى الدوح الاغن الشجير
ويصح الفضاء بالزبد المندوف	م والافق كالخضم يفور

فالغبر توحي باللون ، والعتية توحي بشدة الريح ، والاغن توحي بالظل مع الصوت ، والشجير توحي بوفرة خضرة الدوح ، والمندوف توحي بصورة الغيم الشاف .

ويقول في وصف غوطة دمشق

وأغصان مسلسلات رقاق	فاتنات سالت من الأوكار

فتوحي الصفات المتلاحقة بجمال غناء الطير .

ويقول في (لبنان)

والذرا البيض في الملاء نسور	حومت تكشف الخفي المغلق

فتوحي البيض بمنظر الثلج في ذرا الجبال

ويقول أبو ريشة

أرأيت ذاك النهر ما بين الربى	متدفقا برعونة هوجاء

فتوحي (هوجاء) بصخب النهر وانحداره الشديد

ويقول في قصيدته (شاعر الطبيعة)

فأطلت من خدرها غادة الليل	وتاهت في ميسة الخيلاء
وأكبت تحل ذاك العصاب	الأرجواني باليد السمراء
وعيون السماء ترنو اليها	من شقوق الملاءة السوداء

فالأرجواني توحي بشفق الغروب ، والسمراء توحي بزوال النهار ومجيء الليل ، والسوداء توحي بظلمة الليل الحالك ٠

والاكثار من الصفات يطبع أسلوب الوصف بطابع خاص نلحظه عند أكثر الشعراء ولاسيما أنور العطار ، فهو يلح على الصفة والموصوف حتى يتعددا ، ونجد هذا في قوله يصف تساقط الورق ، وعصف الريح ، وبلى الروض في الخريف :

غمر المشعب البعيد وغطى الوادي	السمح عصفه المنثور
تعصف الصرصر العتية بالغاب	ويهوى الدوح الاغن الشجير
وتعفى أرائك الحب والعطر	ويبلى الروض الندى الخضير

وقوله يصف (دمر)

والحقول اللطاف تندى من البشر	ويسرى بها الشراب المروق

وقوله يصف (لبنان)

ونراءى البحر البعيد كحلم	مبهم غامض الخيال ملفق

ويكثر على الناصر من استعمال الصفة في شعره

ويعنى الشعراء باستعمال الصفة في التأملات ، فيقول الزركلي :

هل العيش الا حياة غرور	تفاجىء بالألم الفاجع
أو الدهر الا شجى مستمر	ووقع أذى صادع قارع
وما الموت الا سبات عميق	ففيم البكاء على الهاجع

ويستخدم الصفة في التعبير عن تلاوين الفكر والاحساس

ويسرف أمجد الطرابلسي في استعمال الصفة ، فيعبر بها عن توفز شعوره وقلقه وشكوكه في طور الشباب ، فيقول :

أصبحت بعد الرؤى في مهمه حلك	من الحقائق داج جد مظلام
أسير والدجية النكراء غاشية	تزداد مازدت في سيري واقدامي
حتى رجعت ، وقد أخفقت في طلبي	من الشكوك ببحر مزبد طام

وعلى الناصر يعبر بالصفة عن دقائق الفكر والاحساس ، فيقول متأملا سر الحياة منذ الأزل ، مفصحا عن ماهية القوة التي تدبر الكون وتحركه ٠

حياة تحرك منذ الوجود ... بسوط أصم عظيم عصي

ويصف روحه التي رمز اليها بالشعبان في قوله

طورا بعين كلون الموت فاقعة ... صفراء مدهشة معدومة الطرف

ترنو الى وطورا تستبيح فمي ... بذى غرارين مصقولين مرتجف

فيصور ما يعانيه منها من قلق واضطراب ·

فالشاعر ، في التأملات ، يستعين بالصفة على تصوير دقائق الاحساس ومضمون الفكر وتلاوينهما ·

والاكثار من استعمال الصفات واضح في الشعر الوجداني كله ، وهو يطبع أسلوب الشعراء بطابع الاطناب ، وقد يغدو استعمال الصفة حشوا حين يجوز الكلام الحد اللازم للمعنى ·

ب — ويكثر استعمال الحال فتجيء مفردة ومتعددة ، وتكسب التعبير دقة والمعنى وضوحا ·

فخليل مردم يصف الطيف ، فيستعين بالحال على تصوير اهتزاز جسمه وخلقه من ناحية ، ومداورته للطيف، وتجاوبه معه ، واضطراب عاطفته وتعبه من ناحية أخرى ، :

ويعني بدوى الجبل بالحال في قوله :

انشقي أزهار شعرى غضة ... انني ألقيتها بين يديك

حرت في الحب الى أن لاح لي ... سره محتجبا في ناظريك

قوة قاهرة تجذبني ... حيثما يممت مضطرا اليك

فيستخدمها في وصف طراوة شعره وموضع سر الحب وأثره فيه ·

ويستعين عمر يحيي بالحال على وصف جمال المحبوب فيقول

رأيته يتهادى ... ساجي الجفون رخيما

× × ×

وواقفا كالبنفسج ... على فراش وثير

مكللا باللآلي ... مضمخا بالعبير

فهو يصور رشاقة المحبوب، وهدوء نظراته ، وترفه ، وزينته ، ويستعمل الحال متعددة ·

ويقول رفيق الفاخوري على لسان المجنون واصفا نفسه

وغالب غيرى حبه متبركا ... وغالبته نشوان مختبل اللب

فيستعمل الحال متعددة مبالغة في وصف حبه

ويعني عمر أبو ريشة بالحال في قوله

فتصب الكأس ريا بالمني ... ونبقي في فم الطهر شذاها

سرى حبها بى وحبى بهـا طهور الاغنية ثبت القـدم

×××

ملكت علـى نسيم الحيـاة وصفقت فى أفقه طائره

×××

فلا تتركينى صريع الفـؤاد طليق الامانى كسيح القديم

×××

نامى على مهد الصبا واحلمى جذلى وخلينى الى وحدتى

×××

تقلبت نشوى وألقت علـى جبهتها ساعدها المتعبا

×××

سرت حيران دامى الاقـدام أتحرى المجهول فى تهيامى

بعد لأى طلعت فى ليلى الحالـك م نورا يفيض بالاحـلام

ونلاحظ ، فيما تقدم ، عناية الشاعر بالحال فى مختلف قصائده ، فقد استعملها مفردة ومتعددة بغية تدقيق الوصف والتعبير عن العاطفة

ويكثر استعمال الحال فى وصف الطبيعة فتغدو ظاهرة ملازمة للفن، وتطبع أسلوب الشعراء بطابع خاص .

فخليل مردم يصور الشمس حمراء عند شروقها ، ثم يعريها من ثوبها الاحمر عندما ترتفع فى الافق ، ويبقى على حليها فى قوله :

مالها تشرق حمرا أتراها مقلة وسنى أفاقت من كراها

ونضت أثوابها الحمر علـى جنبات الافق واستبقت حلاها

فبدت عارية حاليـة فاذا وضاءة يمشى سناها

وتعدد الحال فى البيت الاخير أفاد وصف تحول لون الشمس من حين الى حين .

ويصف بدوى الجبل موت البلبل وحداد الطبيعة البادى فى عريها وحياة البلبل فيها من قبل فيستعمل الحال بغية تدقيق الوصف والتعبير عن المعنى والاحساس ، فيقول :

ما لاغصان الربى من بعده تتهادى عاريات وتميس

عاش ما عاش طليقا بالربى والربى حسن وطيب وعبير

يتغنى بأناشيد الهوى ناعما بالعمر والعمر قصير

يرسل الاشعار عفوا مثلما يرسل الشعر حبيب وجرير

×××

فارتمى الطير صريعا وهوى تاركا أفراخه فيما تسرك

ويقول محمد الفراتي

أطلقت فكري في الفضاء فخلته	فوق المجرة سابحا جوالا
وذهلت عن نفسي فلم أشعر بما	حولي كأني عدت أمس خيالا
فطفقت أبحث عن وجودي جاهدا	بين العوالم يمنة وشمالا
والريح تهتصر الغصون فتنثني	سكرى تميل ترنحا ودلالا
أظما الى بردى وهذي دجلة	ينساب تحتي ماؤها سلسالا
أو ما تراها كيف يقذف موجها	فوق الزبرجد لؤلؤا سيالا

وتلاحظ في الأبيات كثرة الحال وتعددها واستمانة الشاعر بها على القافية ، وما أفادته من تدقيق الوصف والتعبير ·

ويقول الحامد في وقوفه (على قبر أبي الفداء)[1]

حتى اذا جنح الأصيل مودعا	ومشى النسيم من الرياض عليلا
وتمايل الغصن النضير كأنما	سقى المدام معتقا معسولا
وبدا السحاب مجمعا وكأنه	بعث البروق الى الحقول رسولا
تخلو بنفسك للتأمل في الذي	يدع الرشيد من الرجال ذهولا

فيصور شمس الأصيل تجنح للمغيب واهتزاز الغصن في مهب النسيم العليل وقدم الخمر وتجمع السحب واستطارة البرق وذهول الرشيد ، ويستعين بالحال على تدقيق الوصف وافادة المعنى ·

ويصف عمر يحيي تقلب الدولاب وشكر الحسن له على نعمائه ، فيقول مستعملا الحال :

ليس يألو تقلبا يضحك الربع م	فيبدي عن دره وجمانه
يعرف الربع فضله فتراه	رافع الشكر من شذا أقحوانه

وتتعدد الحال في قول المحاسني يصف الشلال :

في مساء بين الندى والظلال	رحت أشتام فتنة الشلال
كيف ترغو أمواجه مزبدات	هائجات ترمي بهن العوالي

ويبرز استعمال الحال في وصف الربيع[2] لجميل سلطان ، وفي وصف بردى[3] لأنور العطار ، فيطبع الوصف بطابع خاص ·

وتتردد الحال في شعر أبي ريشة فتغدو ظاهرة ملازمة لأسلوبه وتبين هذا في عدد من قصائده الوجدانية التي تشتمل على الوصف وفي عدد من مقطوعاته التي تعرض صورا من الحياة والطبيعة ، أو حالة من حالات النفس والشعور ، فهو يقول في قصيدته (سكون)[4] يخاطبها صاحبته :

---

(١) ديوان الحامد ١١١ (٢) المختار ١٠٠ – ١٠١ (٣) المختار ٨٢ – ٨٣ (٤) المختار ٩٧

فتريـن المروج عريانة الأطـراف ... خجلى من نظرة استهزاء
وترين الأشجار صرعى أكبت ... فون هاوى أغصانها الصفراء
سوف يبدو الربيع زاهى المحيا ... بعد أن تنقضى ليالى الشتاء
وتعود المروج عاطرة الأنفاس ... خجلى من نظرة استهزاء
انما ذلك الكئيب سيبقى ... مثلما شئت مثقل الأعباء (١)

وتظهر الحال عند على الناصر فى قصيدته (الاستمرار) ، وفى غيرها من القصائد فتطبع أسلوبه بطابع خاص ، ومن القصيدة قوله :

فمرت الأزهار باسمة ... يسبى النهى سحار ألوانها
ومرت الأشجار فى موكب ... شامخة الرأس بأفنانها
ومرت الأبحار مهتاجة ... تمثل البطش بطغيانها
ومرت الظلما بأقمارها ... مليكة زينت بتيجانها
ومرت الطير بأسرابها ... مسرعة تشدو بألحانها

وتظهر الحال فى التأملات والانفعالات الذاتية ، فالزركلى يقول متأملا الناس

اذا ذممت فكن بالذم شاملهم ... ولا تغادر فريقا غير مشمول

ويقول محمد البزم متأملا ضعف الانسان

ذل من يصحب هذا الدهر ... مذعور الجنان
بين خوف من لظى النار ... وتأميل الجنان

ويعنى بدوى الجبل بالحال فى قصيدته (الروح الثائرة) ، فيقول متحدثا عن نفسه ومخاطبا اياها :

فتشرب ماء الغدير نقيا ... وتسكر من أرج الياسمين
وتسمع لحن الطيور شجيا ... رقيقا على مائسات الغصون
فتذكر عالم قدس نميت ... به حرة بين حور وعين
تريدين منى النسيم عليلا ... وقد أفسد الناس هذا النسيم
تريدين منى نسيم الجنان ... نقيا وهذا نسيم الجحيم

والأحوال فى الابيات أفادت تدقيق الوصف

ب ويعنى الحامد بالحال فيقول مناجيا نفسه :

أنت التى يا نفس كلفتنى ... أن أقضى العمر رهين اضطرابى
مازلت بى حتى تملكتنى ... وقدتنى مستسلما للعذاب
أوردتنى يا نفس وردا به ... أشتار كأس العيش سما مذاب

---

(١) الظمأ ص٤٣

واحبيرتا تحيين مخدوعة	وقد أمال الدهر غصن الشباب

والأحوال في الأبيات تفصح عن عذاب الشاعر في الحياة .

ويعني الطرابلسي بالحال في عدد من قصائده الوجدانية فيقول مصورا اضطرابه وقلقه وحيرته وشكه :

حيران أخبط كالمجنون مرتقبا	نورا يفيض فيمحو كل اظلام

×××

أأنت معبد شك لاتني قلقا	أم أنت يا خافقي ناقوس آلام

ويصور عيشه في صحراء الشباب فيقول :

أقطع وحدي عرضها راكبا	صهوة آمالي أسير القضا
أضرب في آفاقها حائرا	أجري وما للجري من منتهى

ج — والتمييز أقل من الحال ظهورا في الشعر الوجداني ، ونجده في الغزل في عدد من الأبيات كما في قول خليل مردم يصف الطيف :

يا روعة لما تمثل	م بالمرء ومان قدا

وقول بدوي الجبل

ويح شفتيك قد اهترا هوى	حينما شما الشذا من وجنتيك

وقول عمر يحيى

قوامك الغصن لينا	بالغصن والبان يزرى

وقول جميل سلطان

هي كالشمع رقة وليانا	وهي كالنور والغذاء لنفسي

والتمييز في الأبيات أفاد تدقيق الوصف .

والتمييز أكثر ظهورا في وصف الطبيعة منه في الغزل ، ويكاد يطبع بعض القصائد بطابع خاص كقصيدة (بردى) لأنور العطار ، وقصيدة (الربيع) لجميل سلطان ، واستعمال التمييز يكسب الوصف دقة والتعبير نقاوة :

فخليل مردم يصور الليل يفتح الورد فيقول :

لسح في تقبيلها مستهترا	فيه فاحمرت خدودا وشفاها

وبدوي الجبل يصور ثبات الأرز للزمان بقوله :

فالبغية تهيزا في صرفته	كبرا ولا تخشى القضاء المتاح

والفراتي يدعو لبغداد بطول البقاء ، فيقول :

وقيت يا بغداد عادية الردى	وحييت خلدا لاحييت زوالا

والحامد يصف روضة ، فيقول

خسنت منظرا ورقت هواء   وصفت كوثرا وأصحت سماء

وعمر يحيي يقول في وصف الدولاب :

كلما فاض سلسلا كلما أينع   زهرا يرف في أفنانه
طارح الطير شدوها وتولى   يستطيب الترجيع في ارنانه

وجميل سلطان يقول في وصف الربيع :

هذا الربيع على الآكام سندسه   غض المكاسر أشجارا وأفنانا
والجدول المذب في رقراق دمعته   تروى جوانبه آسا وحوذانا
كأنه صفحة المرآة قد حيكت   أطرافها لؤلؤا بالتبر مزدانا
هذا الربيع شباب الدهر مؤتلقا   فاستنصف مورده عزما وايمانا
ان الشبيبة تفكير ومعترك   والشيب في الضعف أبدانا وأذهانا

ويقل استعمال التمييز في التأملات ، ونجده عند بدوى الجبل في قصيدته (الروح الثائرة) ، فهو يقول متحدثا عن عالم الروح الأمثل وعن شقائها بين ماضيها وحاضرها :

فتذكر عالم قدس نمت   به حرة بين حور وعين
هيولى تفيض ضياء مبينا   طليقا تراه جميع العيون
وتذكره عالما طاهرا   قضت في رباه مئات السنين
بكت وهي في سجنها حسرة   ولاعجب من بكاء السجين

×××

جلست اليها وقد بكرت   لتتلو كتاب الحياة القديم
فقلت لها اتركيه كتابا   يثير الشجون ويحيي الهموم
فان الشقي يزيد شقاء   اذا راح يذكر ماضي النعيم

ويقول الحامد مخاطبا نفسه

أيتها النفس كفى باطلا   فكل شيء صائر للذهاب

— ٤ —

وتدور بعض الصيغ الشعرية القديمة في اساليب الشعراء كصيغة مخاطبة الاثنين ، ونجدها في قول خليل مردم يتغزل :

يا خليلي أعيناني   فعندى جل خطب
قاتل الله غرابا   كم له بالبين نصب
أو قرا أذني عنه   بضم الناعب ترب

ويخرج من مخاطبة الاثنين الى مخاطبة الجمع ، فيقول في القصيدة

ذاتهـــا .

طـال هذا الليـل جـدا	أيهـا الـنوام هبـوا
علـى فيكـم من بواســى	ذا أسـى ما زال يربـو

ويتغـزل الفراتـى ، فيخـرج مـن مخـاطبـة الاثنيـن الـى مخاطبـة الجمـع ثـم يعـود الى مخـاطبـة الاثنيـن فى قولـه :

أقيمـا ما أقمـت بـأرض مصـر	أقلـب بيـن هـم واشتيـاق
أحـن الـى الفـرات وساكنيهـا	كمـا حـن الافـال الى النيـاق
فيـا أخـوى عوجـا بعد هـد .	برحبـة مـالـك ذات الطبـاق
وحيـوا شمـس دجـن فى خباهـا	حـذار الصيـد من خلـف الـرواق
فـان أغضـت ففضـا الطرف عنهـا	وعـوجـا بالحديـث عن السيـاق

ويقـول الحـامـد فى رثـاء الطبيـب صالح قنباز

سـامرانـى يـا صـاحـبى لعلـى	أتـأسـى عنهـا بحلـو السمـار
واذكرا لـى ليـالـى اللهو انسـى	غـير نـاس بدورهـا والـدرارى

والاصـل فى هـذه الصيغـة الشعريـة أن يجـرد الشـاعـر من نفسـه شخصيـن يخـاطبهـمـا مستأنسـا بهمـا فى مجـال التعبيـر عن عواطـف الحنين والشـوق والحـزن ، وقـد يقتصـر التجريـد علـى شخـص واحـد كما فـى قول الفراتـى .

تلـك الصبـا حينمـا استنشقتها سحرا	نشـرت بعد البلـى ياصـاح من كفنـى

وقـول علـى النـاصـر

هـل تخيلـت صـاح فـردوس جـن	يشـدء الصيـن عـج بالمغريـات

وأول ما نجـد تلـك الصيغـة الشعريـة عنـد امـرئ القيـس فى قولـه فى معلقته

قفـا نبـك من ذكرى حبيب ومـنزل	بسقـط اللوى بين الدخـول فحومـل

غـير أن الشعـراء الشبـاب رغبـوا عـن استعمـال هذه الصيغـة ، فعمـر أبـو ريشـة يقـف علـى طلـل ، فيـوقـف قـدمـه بدلا من أن يستوقـف صاحبيـه فـى قـولـه :

قفـى قدمـى ان هـذا المكـان	يغيـب بـه المـرء عن حسـه

ـ ٥ ـ

والصنعـة البديعيـة أقـل ظهـورا فى الشعـر الوجـدانـى منهـا فى الشعـر الوطنـى ونجـدهـا عنـد شعـراء الرعيـل الأول ومـن جـرى مجراهـم ، وهـى تطبـع بعـض القصـائـد بطابـع خـاص ، فنحـن نـرى لون الطبـاق يغلـب علـى قصيـدة (الطيـف)(١) لخليـل مـردم ، وقصيـدة (يـاليـل)(٢) لمحمـد

(١) المختـار ٥٤ (٢) المختـار ١٢٥ ـ ١٢٧

الفراتي ، وقصيدة (الهوى الذاهل) لشفيق جبري (١) ، وظاهرة التكرار اللفظي أوضح ما تكون في شعر هذا الشاعر ٠
وقد درسنا الصنعة البديعية من قبل ، ورصدنا آثارها عند الشعراء في مختلف الفنون ٠

ـ ٦ ـ

موسيقى الشعر الوجداني خفيفة الرنين ، ومرد هذا الى روح الشاعر وعاطفته ، فهو ، في الغزل ، يبدو ضعيفا مخذول القوى أمام المحبوب، وتغلب عليه ، في الوصف والتأملات ، روح الاعجاب بالطبيعة والافتتان بمشاهدها والاعتبار بما يأتي عليها وعلى الانسان فيها ٠

وفضلا عما تقدم ، فان ألفاظ الشعر الوجداني تبدو رقيقة عذبة مأنوسة بالقياس الى الألفاظ في الشعر الوطني ، والتراكيب أقل من تراكيب الشعر الوطني قوة ومتانة وجزالة ، بل ان بعضها ليسهل حتى يبدو قريبا من النثر في صياغته ، ونلحظ هذا في شعر جميل سلطان وأمجد الطرابلسي وزكي المحاسني وعلي الناصر ٠

واذا فضعف الرنة الموسيقية صفة تلازم الشعر الوجداني وتميزه من الوطني بل ان بعض الشعراء الوجداني يغلب عليه الهمس٠

ونجد التآلف اللفظي في الشعر الوجداني كما وجدناه في الشعر الوطني ، وأبرز مثل له قصيدة (الهوى الذاهل) لشفيق جبري ، ومقدمة القصيدة التي قالها بدوي الجبل في رثاء غازي (٢) والتآلف اللفظي سر من أسرار الموسيقى في الشعر العربي ، ولا يؤتاها الا الذين اطلعوا على الشعر في عصوره المختلفة ، ورزقوا أذنا مرهفة ، وكونوا لأنفسهم ذوقا خاصا في انتقاء الألفاظ واختيارها للتراكيب ، ولهذا افترق شعراء الرعيل الأول عن الشعراء الشباب الذين لم يدأبوا على مطالعة القديم دأب الأولين ، فاضطربت النغمة في شعرهم ، وضاع صفاؤها ، واهتموا بتصوير وجدانهم أكثر مما اهتموا بموسيقى شعرهم ٠

والصنعة البديعية تؤثر في موسيقى الشعر ، وهي تظهر في شعر شعراء الرعيل الأول أكثر مما تظهر في شعر الشعراء الشباب ، وسبب هذا واضح ، فالأولون يعنون بلفظهم وأسلوبهم ، والأخيرون يعنون بذواتهم وتصوير مضمون فكرهم واحساسهم ٠

---

(١) المختار ٥٦ (٢) المختار ٣٩ _ ٤١

أما حروف القلقلة فانها لا تشيع فى الشعر الوجدانى شيوعها فى الشعر الوطنى ، ويعود هذا الى اختلاف موقف الشاعر فى الفنين ، فبينما يكون موقفه اجتماعيا عاما فى الشعر الوطنى يغدو نفسيا خاصا فى الشعر الوجدانى ، والأول يتطلب الألفاظ الفخمة التى تشتمل ، فى بنيتها على الحروف القوية الجرس ، والثانى لا يتطلب مثل تلك الالفاظ والحروف.

وتشيع فى الشعر الوجدانى حروف المد ، فيكون لشيوعها أثر فى تقوية ظاهرة الهمس التى تبرز فى هذا الشعر .

وتتكرر بعض القوالب فى أساليب الشعراء ، فيكون لتكررها نغمة راتبة مملة ، ويشيع استعمال التركيب الاضافى وشبه الجملة فى شعر عمر أبى ريشة فيكون له أثر فى موسيقى عبارته .

ومما يميز موسيقى الشعر الوجدانى من موسيقى الشعر الوطنى خفة الأوزان التى ينظم عليها الشعراء ، وهى ظاهرة واضحة فى فنون الشعر الوجدانى ولاسيما الغزل ، والشعراء ، فى اختيارهم الأوزان القصيرة ، يتابعون القدامى الذين لاءموا بين موضوعات القول والأوزان .

— ٧ —

والحق أن الشعراء الذين نظموا الشعر الوجدانى كانوا مختلفين فى أساليبهم وطرق تعبيرهم ، فبعضهم تثقفوا بدراسة علوم العربية ، واطلعوا على الأدب فى أمهات الكتب ، وقرأوا بعض علوم الدين من حديث وتفسير وألموا بألوان من الثقافة التى عرفتها البلاد قبل الحرب الأولى ، وجروا فى شعرهم على غرار القدماء من ايثار الفخامة والجزالة فى اللفظ والتركيب وتزيين الاسلوب بمحسنات البديع واخراج الشعر بعد التنقيح والتهذيب والعناية بجرس اللفظ مفردا ومنظوما وبطرائق التصوير وأساليب التعبير. وآخرون اتصلوا بالغرب بعد الحرب بطريق الدرس والمطالعة ، أو أقاموا فيه فاطلعوا على أدبه ، وأحسوا احساسات جديدة تخالف ما أحس به السابقون الأولون من الشعراء ، فكان من الطبيعى أن يظهر مضمون فكرهم واحساسهم فى قوالب جديدة . ولاريب فى أن جدة المضمون تستدعى جدة الصورة ، وهذا ما نراه عند الشعراء الشباب الذين كان تناجبهم الفنى قوام الشعر الوجدانى . ومن يدرس هذا الشعر يلاحظ ظواهر عدة تعكس أثر العصر والشعر الغربى فيه .

وتلك الظواهر ، منها ما يتعلق باللفظ ، ومنها ما يتعلق بالتركيب، ويمكن اجمالها فيما يأتى :

أ ـ فمن ناحية اللفظ ، رغب الشعراء الشباب عن اللفظ الفخم الى اللفظ السهل المأنوس المألوف فى حياة الناس ، فأشبهوا ، فى هذا شعراء المهجر الذين اتصلوا بالحياة ، وهدتهم تجاربهم فيها أن يختاروا ألفاظا تشف عن احساساتهم ، وتحمل من المعانى قدرا مشتركا بين الناس وهكذا غدت الألفاظ منتزعة من صميم الحياة لامن بطون الكتب ، وعاد الشعر الى الاتصال بالحياة من جديد ٠

وهذه الظاهرة نجدها فى قول أمجد يتغزل :

حبيبى بان لى الكون	ولم أك مدركا بعضه
عرفت نجومه الحيرى	عرفت زهوره الفضه
عرفت النسمة الفرحى	عرفت البلبل الشادى
عرفت الحلم الزاهى	عرفت الأمل الحادى
نشيد الروح هل كنا	سوى طيرين فى روضه
فمن ظل الى ظل	ومن واد الى واد

فهو يفصح عن تجربته بألفاظ مألوفة ، ويوفق فى اختيارها ، فالنجوم الحيرى تعكس حيرته وقلقه ، والزهور الفضة تصور غضاضة الشباب وطراوته ، والنسمة الفرحى والبلبل الشادى والحلم الزاهى والأمل الحادى تصف ما يمتاز به طور الشباب وعهد الحب من فرح ومرح وحلم وأمل وحرية وانطلاق ، وصورة الطيرين فى الروضة تصور العزلة النفسية التى يحرص عليها المحبان فى الطبيعة ، ولفظ الظل يوحى بصورة والالفاظ ، فى جملتها ،جارية على ألسنة الناس ،وهى تختلف عن ألفاظ الغزل عند خليل مردم فى قصيدته (الطيف) ، أو عند شفيق جبرى فى قصيدته (الهوى الذاهل) ٠

ومن ناحية النظم ، تجرى الابيات على نسق فى التركيب لايكاد يختلف الا قليلا ، فهو ينادى حبيبه ليقرر له جملة حقائق عرفها فى الحب ، ويسوق هذه الحقائق فى صيغة خبرية فعلية (بان لى الكون ،عرفت نجومه الحيرى) ويتابع هذه الصياغة فى كل شطر من أشطر أبيات ثلاثة ثم يخرج الى الانشاء فينادى حبيبه نداء عاطفيا ، ويتحدث عن عهدهما فى الحب وتنقلهما فى الطبيعة فى لهجة المستفهم العارف بالأمر ،ويصور تنقلهما تصويرا موجزا موحيا (فمن ظل الى ظل ، ومن واد الى واد)

ب ـ وخطا الشعراء خطوة أخرى فاختاروا لشعرهم ألفاظا تعبر عن احساسهم واحساس العصر ، وهكذا غدت الالفاظ مثقلة بشحنات العاطفة

ونجد هذه الظاهرة فى قول الفاخورى فى الخريف

انظر الى الروض السليب الذى	لم تبق من بهجته باقيه
كأنه ــ رفى صمته مطرقا ــ	يبكى على أيامه الخاليه
هبت على أوراقه نسمة	كزفرة جاد بها المحتضر
فريعت الاطيار فاستنفرت	أسرابها ثم تعرى الشجر
يستشعر الرائى بأنحائه	حزنا لطيفا فيه معنى الوداع
كأنما الروض أليف الضنى	ممتلح الانفاس ميت الشعاع
الايكة الخضراء قد أصبحت	بعد الشذا منهوبة عاريه
خاشعة تسدل أفنانها	حزنا على جمتها الحاليه
والجدول الساهى له أنة	مدفونة فى مائه لا تبين
سأمان من سير بلا آخر	مطرد ما غيرته السنون
شطآنه سجن له دائم	يرسف فيه موجه الوادع
يجرى خليا لا الى غاية	كأنه فى أزل ضائع

فهو فى وصف الروض،والنسمة التى هبت على أوراقه ، والاطيار التى هجرته ، وعرى شجره ، وانطفاء نوره ، والجدول الذى يسيل فيه ، يخلع على المنظر احساسه واحساس العصر، فتنطق الصور والالفاظ بما فى نفسه ، وتفصح عن عثار الشباب وجدب حياته ووجومه وألمه وضناه وسأمه من الحياة وضيقه بها وضيمته فيها ، وهكذا تبدو الالفاظ محملة بشحنات عاطفية تعكس احساس العصر .

ووصف الشعاع بالموت والانة بالدفن أفاد ضعفهما ، وتشبيه الجدول بالضائع أثار جملة من الاحاسيس والفكر ، ويحس القارىء بشىء من الجدة فى استعمالات الالفاظ .

ونلاحظ فى الابيات ظاهرة جديدة هى بث أشباه الجمل والحال فى تضاعيف الجملة الرئيسية كما فى البيت الثانى .

ونرى الشاعر يتبع الجملة الاصلية بجملة ثانية هى جملة الصفة فتبدو هذه ذيلا للاولى كما فى البيتين الثالث والخامس .

ونلاحظ عناية الشاعر بالتركيب الاضافى الذى يوحى بصورة من الصور كما فى البيت السادس .

ونلاحظ تحدد الخبر، وعناية الشاعر بالحال والصفة ، ودقة الوصف والتركيز فى التعبير .

ويحس القارىء بأثر الشعر الغربى فى الوصف على الرغم من أنه

يجرى على أساليب التصوير فى الشعر العربى .

واستعمال اللفظ المعبر عن احساس الشاعر واحساس العصر ، نجده عند على الناصر فى قوله :

تعالى نسكب الدمعا	كلانا والـه حائر
فلا نمحى اذا كنا	نعيش بقلبنا الثائر
أتيت الى تستشفين م	من غم ومن سأم
طبيبك موجع يرجو	شفا ما فيه من ألم
فاما كنت فى قلق	فانى ظاهر القلق
واما كنت فى أرق	فانى صاحب الأرق
واما كنت فى ضيق	فضيقى لا يفارقنى
اذا ما جننى ليلى	يكاد الضيق يخنقنى

والاحاسيس المنظومة فى الأبيات واضحة فى ألفاظ الدمع والحائر والثائر والغم والسأم والموجع والألم والقلق والأرق والضيق، وكلها تشف عن اضطراب الشاعر .

ومن ناحية النظم نلاحظ بساطة التعبير وايجازه ، وقصر بعض الجمل ، وتكرار قالب الشرط والجواب ، والشاعر يقرر حقائق النفس والشعور بصدق واخلاص ، ويسوقها كأنها بديهيات ، وهمه التعبير عن مضمون الفكر والاحساس لاخلق التعبير الفنى الممتاز ، ولاريب فى أن البساطة والوضوح والهمس هى من سمات هذه الأبيات .

ونجد هذه الظاهرة عند المحاسنى فى قصيدته (الشلال) ومنها قوله :

الهذى الأمواه ثأر على الدهر م	دهاها بضيعة الآمال
فأتت تنحر الشباب على الصخر م	وتهوى الى الفناء والزوال

فهو يجعل الصورة تنبض بأحاسيس قلبه ، وتعكس يأسه ، فالأمواه تثأر لنفسها من الدهر فتنحر الشباب على الصخر ، وهذه الصورة صادقة فى تصوير احساس الشباب والعصر ، ونقول هذا لأن الشعراء الشباب أمثال المطبار والمحاسنى وأبى ريشة شاهدوا قيام الحكم العربى بدمشق بعد الثورة وهم فتية، فلما فتحوا أعينهم على العدو المحتل، أحسوا بالذل، ويئسوا، وانطووا على ألم فى الصدر دفين .

ويقول فى القصيدة ذاتها

ان روحى كالنهر تجرى فتسقى م	العمر صفوا أو كدرة الأوحال

فيصور تيار الانفعالات والرغبات جاريا فى نفسه كالنهر .

ويقول أبو ريشة

قل لمن يعشق الحياة على الذل ٭ ويخشى بروق عمر قصير

النواعير تنفث الضجر القاتل ٭ ما بين دمعها والزفير

سئمت عمرها الطويل فما تندب ٭ الا خلودها في الدهور

والصورة تفصح عن سأم الشاعر من الحياة الراكدة الذليلة، فهو يجرد من نفسه شخصا يخاطبه ، ويقرر سأم النواعير من عمرها الطويل ، ويؤكد هذه الحقيقة باستعمال القصر ليدفع الذليل الى النضال ، ونلاحظ الفاظ الضجر والدمع والزفير والسأم والندب ، وهي ، في جملتها ، تصور احساس المصر ٠

حـ - وخطا الشعراء خطوة ثالثة فاستعملوا الالفاظ في معان جديدة ووطأها بعضهم للاداء الرمزي ، فاكتسب اللفظ بهذا صفة جديدة ٠

فأمجد الطرابلسي يقول :

حبيبي ان في قلبي ٭ ظلاما ما له فجر

فيرمز بالظلام الى ما هو فيه من غم وهم وكآبة ووحشة ٠

ويقول رفيق الفاخوري :

يا طيف ما أغراك بي بعدما ٭ سلبوت من ذا في خيالي رماك

فيرمز بالرمي الى علوق الطيف بخياله

ويقول

خضرة عيشي ، وان تصوح ٭ في مرتع خد من وقده نارى

فيرمز بالاخضر الى جمال عيشه ونضرته في الحب

ويقول أنور العطار في الخريف

أسي القلب فاستراح الى الصمت ٭ وللصمت عالم مسحور

تترامى به الشجون فيمسا ٭ ليس يشكو الضنى وليس يثور

فيرمز بترامي الشجون في القلب الى كثرتها وعلوقها به :

ويقول

غفلت عني المنون فغنيت ٭ ولحسن الحياة لحن قصير

فيرمز باللحن الى قصر العمر

ويقول

ألمي صارخ وجرحي ضمري ٭ والهوى يائس وجدي عثور

فيرمز بالصراخ الى شدة ألمه

ويقول

ويمج الفضاء بالزبد المندوف ٭ والافق كالخضم يفور

فيرمز بالمجيج الى امتلاء الفضاء بالسحب

ويقول على الناصر

هل تخيلت صاح فردوس جن	يشده العيش عج بالمغريات

فيرمز بالعجيج الى كثرة مفاتن الوجه الاخاذة

ويقول أبو ريشة

فاسدلي الستر فوق نهدين ضجا	واشرأبا كجانحي ورقاء

فيرمز بالضجيج الى حركة النهدين واضطرابهما في الصدر ·

ويقول

وعذارى برزت عارية	واتكت صرعى على مضجع زهر
تصرخ الشهوة في أعينها	صرخة الظامي على أنقاض بشر

فيرمز بالصراخ الى قوة الشهوة

ويقول

قل لتلك الحمائم البيض طيري	فالخطايا تدفقت طوفانا

فيرمز بالحمائم البيض الى السلام

وهذه الرموز من حركة ولون وصوت يستعيرها الشاعر للتعبير عن تلاوين الفكر والاحساس ، وهي من آثار مطالعة الشعر الغربي الذي يحتفي بالرمز للتعبير عن الحالة النفسية وايضاح العاطفة ، ولاريب في أن استخدام الرمز في أداء الفكر والاحساس يكسب التعبير نتوءا

على أن الرمز لا يطغى على التعبير في الشعر الوجداني ، بل يبقى اللفظ السهل المأنوس المعبر عن احساس العصر والشاعر الطابع الغالب على ذلك الشعر ·

د — واذا كان الشعراء الشباب قد استعملوا الفاظا سهلة مألوفة فان عليا الناصر قد غالى في هذه الصفة حتى سقطت في شعره ألفاظ بعيدة عن اللغة الشعرية ·

يقول في قصيدته (أحلام)

يمكر الحب حتما	تذكار ما قد تقضى
دعى القبور البوالي	تطيل في السلم غمضا
لسنا سوى رعشات	تشع حينا وتخبو
في قلب كون عظيم	عن المقاييس ينبو

وختم والمقاييس لفظان بعيدان عن لغة الشعر

ويقول

أنيت الى مستشفين	من غم ومن سأم

طبيبك موجع يرجو شفاً ما فيه من ألم

والاستشفاء والطبيب يبعدان عن لغة الشعر

ويقول

في روضة المثل الاعلى بنفسجة دمي ودمعي استبيحا في تعهدها

ولفظ المثل الأعلى مجرد لارونق فيه ولا ماء٠

ويقول في وصف الياسمين

يا رقيق التكوين والعرف حقا أنت في الروض شاعر الأزهار

ولفظا التركيب الاضافي (رقيق التكوين) غير متشاكلين ولا منسجمين ٠

ويقول في وصف الربيع

نشاط تمشى بقلب الوجود فأحيا الهوام وأحيا الشجر

نشاط عجيب بأفعاله يعيد الرميم ويحيي المدر

ولست أجد في النشاط المتمشي بقلب الوجود والنشاط المعجب بأفعاله

ألفاظا شعرية موحية ٠

ويقول في وصف الدير

هناك حيث الليل في غمه أشد ايحاشا وأقوى دجى

والظرف حيث يبعد عن لغة الشعر ، والشاعر يكرره في عدد من الأبيات

التي تصف الدير ٠

وأمثال هذه الألفاظ كثيرة في شعر علي الناصر ، وسقوطها

في شعره ناجم عن اتصاله المستمر بأدب الغرب وانقطاعه عن مطالعة

الأدب العربي ، وهذا الانقطاع أضعف احساسه بسر اللفظة العربية ، وجعل

لغته بعيدة بعض البعد عن اللغة الشعرية ٠

هـ ـ ومن ناحية التركيب ، توخى الشعراء التعبير البسيط الذي يعبر

عن تجاربهم واحساساتهم بسهولة ، ولايبدو فيه أثر الجهد والتكلف ، وهذا

القول يصدق في الشعراء الشباب ما عدا عمر أبا ريشة الذي يصنع شعره ٠

وقد كنا وقفنا على بعض التراكيب عند ما درسنا ظاهرة اللفظ

السهل المأنوس عند الشعراء الشباب ٠

و ـ وظهرت ، في التركيب ، طرق جديدة في التعبير والتصوير

شبيهة بطرق التعبير والتصوير عند أدباء الغرب ، ومن هذا

١ ـ ابتداء الكلام بشبه الجملة

فزكي المحاسني يقول في وصف (الشلال)

في مساء بين الندى والظلال رحت أشتام فتنة الشلال

عند دفني أودعت أول حب ويح دفني ياوادي الأدغال

حيث تصفو الأعراس في نشوة القصف م ونحنو على الخمور الدوالي

ويقول الفاخوري في مناجاة الطيف

هناك في مغرب آمالنا نحن على عهد التصافي نهيم

ويقول في قصيدته (الجذوة الباقية)

غدا توارى أشلاءنا حفر فخذ من الفانيات ما يحلو

ويصعد على الناصر الدير في قصة الراهبة بولين ، فيقول :

هناك حيث الليل في غمسه أشد أبدا شا وأقوى دجى

ويستمر في ابتداء البيت بهذين الظرفين في خمسة أبيات أخرى ، ثم يقول :

ليلا ، دوى من خصام الحجر يعلو مهيبا كابتهال الشجر

ما هزها الريح بوقت السحر أن هذه الأرحام أمست قبور

أن غاض رغم الحب در الصدور أهذه الدنيا متاع الغرور

ثم ابتهال بل تشك خفي يعلو بآمين لرب السما

ونلاحظ مجيء الظرف في أول البيت الأول والثاني والرابع ·

ويقول في قصيدته (الطبيعة أمي)

وفوق جزع نضير من باسق الاشجار

أقيم للهو عشا وفيه أقضي نهاري

ويقول في مقطوعته (يصرعني الحسن)

في حمأة الشهوات بين الدما بين فظاعات بنات الهوى

أرتاح أرتاح وأسمو الى أرفع نمس يرتجيها النهى

ويقول في وصف وجه الراهبة (بولين)

من ساحرات خطوطه استوحى رفائيل الجمال

في ثغرها المحزون حمرة م ساذج الحب الخفي

واذا سلمنا بأن ابتداء الكلام بشبه الجملة ضرورة من ضرورات الوزن فاننا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الظاهرة البارزة في أقوال بعض الشعراء صورة من صور التراكيب في الأدب الغربي أو أثر من آثارها ·

٢ — التعبير عن الاحساس بصورة تقرب من صورة التعبير في أدب الغرب ·

فأنور المطار يصف الخريف فيكشف عن ذاته ولون مزاجه بقوله :

وبنفسي قيثارة تتشكى وأنا الدمع والأسى والشعور

وهذا القول قريب جدا من قول فرلين فى قصيدته (أغنية الخريف) اذ يشبه فيها أصوات الخريف بتنهدات ممتدة أخرجتها قيثارة فجرحت قلبه بنغمها الراتب المضنى الكليل ، وقد انتزع المطار القيثارة من يد الخريف وأقامها فى نفسه ليسمع تشكيها الدائم ، ويسمعنا اياه مرة أخرى فى قوله :

أنا قيثارة تنوح على الدهر ۝ ودمع على المدى يترقرق
أنا لحن مضرج بالمآسى ۝ كادت النفس من تشكيه تزهق

والصورة فى البيتين هى الصورة السابقة أو هى صورة الشاعر الفرنسى ، وكل ما بين الشاعرين من فرق أن فرلين جعل الخريف ينوح بقيثارته بينما جعل المطار نفسه قيثارة ·

ويعبر المطار عن شعوره الأليم بقصر العمر فى قوله

غفلت عنى المنون فغنيت ۝ ولحن الحياة لحن قصير

ويصوغ هذا الاحساس صياغة أخرى فى قوله

ضاع عمرى كما تضيع الينابيع ۝ وتخفى أمواهها وتفلق
وانطوى مثلما تمر الضبابات ۝ ويفنى خيالها ويمزق

ويقينى أن صياغة احساس الشاعر على النحو المذكور فى القولين السابقين مستفادة من أدب الغرب ·

ويقول فى قصيدته (الخريف)

أسى القلب فاستراح الى الصمت ۝ وللصمت عالم مسحور
تترامى به الشجون فيميا ۝ ليس يشكو الضنى وليس يثور

وترامى الشجون فى القلب تصوير جديد لأحزان القلب

ونجد مثل ذلك التصوير فى قول رفيق الفاخورى يناجى الطيف

يا طيف ، ما أغراك بى بعدما ۝ سلوت من ذا فى خيالى رماك

ورمى الطيف فى خيال الشاعر تعبير جديد لم نألفه فى أدبنا العربى

ونجد مثل ذلك التصوير فى قول على الناصر

فؤادى هوة فيها ۝ تساقط غر أحلامى
تتابع فى تساقطها ۝ تتابع سود أيامى

وصورة التعبير فى البيت الاول تجرى على غرار التعبير فى قول المطار والفاخورى ، فترامى الشجون بالقلب ، ورمى الطيف فى الخيال ، وتساقط الأحلام فى هوة الفؤاد تعبير واحد أو تصوير واحد لم نألفه فى أدب العرب ، وأغلب الظن أنه مستفاد من أدب الغرب ·

٣ ـ احتذاء طريقة معينة من طرق التصوير في أدب الغرب .

وأحسن مثل لهذه الطريقة قول على الناصر يصور (بولين)

فهو ، حين أراد أن يصف وجهها ، صور بحيرة في وضح الصبح ، ممتدة الى الأفق ، ساكنة الوجه ، متصلة بالسماء ، يعلوها ضباب شاف تنفذ منه أشعة الشمس اللطيفة ، وبعد أن أتم الشاعر تصوير البحيرة ، ووجد في هدوئها معنى الوداعة والسلام ، قرن بولين بالبحيرة حين ترنو بطرفها ويشرق وجهها .

وهذه الطريقة في التصوير مستعارة من أدب الغرب .

٤ ـ العناية بالتركيب الاضافي وشبه الجملة .

وهذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في شعر عمر أبي ريشة ، وهي من خصائصه ، وتبدو ، غالبا ، في صورة من صور التشبيه أو الاستعارة ، ولايداني الشاعر في هذه الخاصة الفنية شاعر آخر .

ويقول في قصيدته (خداع)

تعالي نمش تحت ظل الشباب	ونحس كؤوس الصفا والطرب
تعالي نردد أغاني النعيم	ونترك صداها بأذن الحقب

×××

أوي بين جفنيك جسر الدموع	تسير عليه طيوف الألم
فلا تركبني صريع الفؤاد	طليق الأماني كسيح القدم

ويقول في قصيدته (شاعر الطبيعة)

نهض الفجر مثقلا يتلوى	فوق صدر الطبيعة الخرساء
فارتدى الكون بردة من جمال	وتهادى ببأسم النعماء

×××

هبط السهل والهجيرة تنقض	وتطوي مطارف الأفياء
وتصب الخمول والسأم الصاخب	والصمت في فم الغبراء
وتسل النشاط من قبضة الكون	فيغفو على ذراع الفناء
فصدور الحقول متعبة تلهث	في غمرة من الاعياء
ورؤوس الأزهار مطرقة تنسل	منها انتفاضة الكبرياء
وقيان الغصون ملوية الاعناق	صرعى كآبة عمياء

ونجد هذه الظاهرة في شعره الوطني في قوله

والأعادي تلوح كالأزرق	الرجراج في موجه الصقى المطير
تشتم الأرض من قنابلها الحمر	ويشكو العجاج جفن الأثير
وهنا نو بين النثير من الأشلاء	في عواصف اللظى والثبور

وحواليه حفنة من رجال ثروة الوطن السليب الفقير

تتهادى كالشهب من كبد الجوزاء في لجة الظلام الضرير

كل حر كأنما دم ابراهيم يجرى من شلوه المنثور

هكذا تمهر العلى ببساط من دماء وقبة من قبور

وأثر الشعر الغربى لايبدو فى التركيب الاضافى أو فى شبه الجملة ، وهما من صلب التركيب أو الجملة فى اللغة العربية ، وانما يبدو فى تنبه الشاعر لخطر اللفظ وقيمته وما يكمن فيه من ألوان وظلال وصور ، وقد كانت بيئة الأدب المهجرى وبيئة لبنان ولاسيما بيروت أسرع البيئات الأدبية الى تجديد اللفظة العربية واطلاق ما فيها من ظلال وألوان وصور دفينة ، وتأثر عمر ، أثناء مقامه بالجامعة الأمريكية ببيروت ، بهذه البيئة التى كونت لنفسها مفاهيم جديدة فى الفن واللغة وطرق التعبير مستوحاة من دراسة الأدب الغربى ومطالعة الأدب المهجرى ، ولاريب فى أن أبا ريشة كان ركنا من أركان تلك البيئة التى حملت لواء المدرسة الجديدة فى الأدب العربى الحديث .

٥ _ تهشيم الأسلوب بادخال الجملة أو الجملة وتابعتها أو جملة فعل الشرط أو شبه الجملة أو الصفة بين أجزاء الجملة الأصلية ، وهذا يجعل الاسلوب مهشما لا يجرى بسهولة .

وهذه الظاهرة نجدها فى قول رفين الفاخورى بناجى الطيف

عندى على الأيام يازائرا أحيا رميم الأمس _ قلب جديد

يا مطلق الأحلام من محبس مافيه _ ان فتشت _ غير الظلام

فقد فصل بين أجزاء الجملة الاسمية (عندى قلب جديد) بشبه الجملة (على الأيام) ، وبالجملة الانشائية (يا زائرا) وتابعتها (أحيا رميم الأمس) وفصل بين أجزاء الجملة الاسمية الخبرية المنفية (ما فيه غير الظلام) بجملة فعل الشرط (فتشت) .

ويقول فى قصيدته (الجذوة الباقية)

أحببت ، من حبك ، الحياة على أن حياتى من مرتجى خلو

x x x

خضرة عيشى _ وان تصوح _ فى مرتع خد من وقده نبادى

ومبسم أهلكت وشائجه ومقلة ، بل مغار أسرار

x x x

لفتة جيد ريان ذى غيد تحمل نضو الهوى الى تيه

فقد فصل بين أجزاء الجملة الفعلية (أحببت الحياة) بشبه الجملة والتركيب الاضافى (من حبك) ، وفصل بين أجزاء الجملة الاسمية (على أن حياتى خلو) بشبه الجملة (من مرتجى) ، وفصل بين أجزاء الجملة الاسمية (خضرة عيشى فى مرتع خد) بجملة فعل الشرط (تصوح) وفصل بين أجزاء الجملة الاسمية (لفتنة جوسد تحمل نضو الهوى الى تنيه) بالصفتين (ريان ، ذى غيد) .

وقد تعلل هذه الظاهرة بضرورة الوزن التى تضطر الشاعر الى التقديم والتأخير مراعاة للوزن ، ولكن هذا لاينفى عن الأسلوب أنه مهشم.

٦ — ايقاف حركة الاسلوب بالفصل بين الجمل .

ونجد هذه الظاهرة فى قول الفاخورى

يا طيف من أهوى ، كثرت الهوى	ان طاف فى مسرح عينى سواك
يا طيف ، ما أغراك بى بعد ما	سلوت من ذا فى خيالى رماك
يا طيف من أهوى ، زمان الصبا	ولى ، فقل للحب ماذا تريد
أنساك لا والحب ، فى فكرتى	وفى خيالى أنت حتى أبيد

٧ — العناية بالجملة الاسمية ، وهى ظاهرة واضحة فى شعر على الناصر .

يقول فى وصف (بولين) بادئا بوصف البحيرة

أنفاسها عقدت على	أجوائها سترا رقيق
ذراته مظروفة	بنثار أضواء دقيق
هى عينها اما رنت	والوجه وضاء الجبين
فى ثغرها المحزون حمرة	سانج العنب الخفى
والعنق تنظر فى رواه	السوسن الغض النقى
أظفارها شفق المغيب	على الروابى الباسمات

ويقول فى وصف (الدير)

هناك حيث الليل فى غمسه	أشد ايحاشا وأقوى دجى
هناك حيث الوهم فى مده	يجتاز أعماق مخابى النهى
هناك حيث الحلم فى طيفه	مصدق يبدو شديد الروا
هناك حيث الوجد يزكو كما	تزكو بمجرى الريح نار الغضا
هناك حيث الحب فى ناره	لا ينقع الغل فدوما لظى
هناك حيث التربة الصالحة	عقيمة ، تحكى جديب الصفا
ليلا ، دوى من خصاص الحجر	يعلو مهيبا لابتهال الشجر
ما هزها الريح بوقت السحر	أن هذه الأرحام أمست قبور

أن غاض رغم الحب در الصدور — أهذه الدنيا متاع الغرور
ثم ابتهال بل تشك خفي — يعلو بآمين لرب السما

ويقول في بنفسجته

في روضة المثل الأعلى بنفسجة — دمي ودمعي استبيحا في تعهدها
رمز التواضع والحب الخفي فلا — يخشى المحب هوانا من تمردها
رقيقة حلوة تسبي نضارتها — مخفوضة الرأس ايمانا بسؤددها
ذوت فياليت أن الحسن مخلدها — وخلفتني كأنم بعد واحدها

ويقول في وصف الياسمين

يا رقيق التكوين والعرف حقا — أنت في الروض شاعر الأزهار
ان روحي عليك تشفق حتى — من دعاب النسيم في الأسحار

ويقول في وصف (وجه)

كل ما فيه ليس مما ألفنا — كل ما فيه مفعم بالحياة

ويقول في قصيدته (السكون)

سكون وأين لقلبي السكون — وفيه المواصف لا تنثني
سكون أهدهد غمي به — كقبر الغريب بقفر هني
فلا الام تنثر فيه الزهور — ولا الركب يسري بأرجائه
ولا من نكير عبوس دقيق — يسجل منسي بأسائه

× × ×

هناء اذا ما قبلت الهناء — قصير وفيه شقاء مديد

× × ×

حياة تحرك منذ الوجود — بسوط أصم عظيم عمي
تحرك لا خيرها يرتجي — ولا الشر دوما لها ينتمي

وهذه الظاهرة واضحة في شعر أبي ريشة ، وقصيدته (شاعر الطبيعة)(١) مثل لعنايته بالجملة الاسمية .

ويغلب أن تكون العناية بالجملة الاسمية في شعر علي الناصر وأبي ريشة من آثار الأدب الغربي الذي اطلع عليه الشاعران .

ز ـ ومن ناحية التركيب ، نلاحظ جدة التعبير الناتجة عن جدة المضمون ، ونجد هذه الظاهرة عند أمجد الطرابلسي ، فقد أقام في الغرب ، واتصل بحضارته ، واطلع على الأدب الفرنسي ، وأحس احساسات جديدة . فولد هذا في نفسه صراعا بين قيم الشرق والغرب ، وأخذ يراجع حياته الماضية على ضوء ما أحس به ، وظهر مضمون احساسه وفكره في صور جديدة من التعبير .

ففي قصيدته (وحدة)(1) يقول

طر أيها الحائر عبر المدى على جناح الزمن الدائر
واصرخ وشق الجو قبل الصدى وامخر عباب الألق الباهر
وابحث عن الشكوى وناج الهدى هيهات ما فجرك بالسافر

هل من وراء البحث الا الردى
فما ضياع العمر فيه سدى
كما ذوى الورد وجف الندى

أنت الذى من قبل أن يولدا قدر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر فما الذى تنشد يا شاعرى

وقد صور فى القصيدة وحدة الانسان فى الكون وعزلته الروحية وتشابه أيام حياته ، وعبر عن ضيقه بمقامه فى الغرب وتطلعه الى الماضى ويأسه من معرفة المجهول ، وجعل القصيدة فى ستة أقسام ، كل قسم يؤدى مضمونا معينا وينفصل عما بعده ويتصل به ، وهمزة الوصل متمثلة فى هذين البيتين الأخيرين الذين يصوران وحدة الانسان المقدرة عليه وتتابع أيام حياته تتابعا راتبا مملا .

والمهم فى القصيدة هو شكل التعبير الذى يعنى به الشاعر ويلتزمه فى كل قسم ، وهو مؤلف من عدد من الجمل الخبرية والانشائية وكل جملة تؤدى طرفا من أطراف المعنى والاحساس ، وبهذا يتألف المعنى شيئا فشيئا .

ففى القسم الأول ، يعبر عن حيرة انسان العصر حين يناديه باسم الحائر ، ويصور جهوده فى سبيل معرفة الحقيقة فيسوق عددا من الجمل الانشائية (طر واصرخ وامخر وابحث وناج) ، ثم يفجأ السامع بما يشعره باستحالة تحقيق أمنية الانسان (هيهات) ويؤكد هذا الأمر بالنفى (ما فجرك بالسافر) ، ثم يطالع مخاطبه بالنهاية التى سينتهى اليها فيستخدم الانشاء تخفيفا لوقعها فى نفسه (هل من وراء البحث الا الردى) ويشفق عليه من أن يضيع عمره فى البحث عن المجهول فيستخدم الانشاء (فما ضياع العمر فيه سدى) ، ثم ينطلق الى تقرير وحدة الانسان وتشابه أيامه ، وأخيرا يسأل مخاطبه عما ينشد بعد أن واجهه بالحقيقة الواقعة (فما الذى تنشد ياشاعرى) . وليس مخاطبه أو شاعره الاه .

وهكذا يعبر الشاعر عن تلاوين فكره واحساسه فى كل قسم بعدد من الجمل ، كل جملة تؤلف طرفا من أطراف المعنى أو الاحساس

(1)

والجمل المتتابعة في كل قسم تؤلف شكله التعبيري العام ، وكل قسم وحدة معنوية وتعبيرية . وأقسام القصيدة ذات شكل تعبيري واحد ، ويجمعها هذا الاحساس العام المتمثل في البيتين الاخيرين من كل قسم ، فالقصيدة اذاً وحدة معنوية وتعبيرية .

وفي قطعته (اعصار) يستخدم شكلا تعبيريا آخر فيقول

هذي الليالي السود   كيف أقضيها
أشدو وهل في العود   من وتر مشدود
والكأس هل فيها

والشاعر يقرر بطريق الخبر ، ثم يسوق جملة انشائية تفصح عن اضطرابه وضيقه وألمه ، فلياليه سود ولكنه يحار في تمضيتها (كيف أقضيها) ، وهو يغني ولكن الغناء قد استعصى عليه (وهل في العود من وتر مشدود) ، والكأس قبالته ولكن الخمر قد نفدت (والكأس هل فيها) .

فالاحساس أو الاعصار كل مركب ، والشاعر يحلله ، في القطعة ، الى عناصره الأولى من اظلام الحياة في وجهه ، وضيقه ، واستعصاء الشعر عليه ، وقسوة الطبيعة التي تجلت في عويل الريح وتساقط المطر وتمثل أطياف الاحباب لعينه ، وحضور الذكريات في ذهنه .

وهم الشاعر في القطعة التعبير عن احساسه بالضيق والوحشة ، ويزيد هذا الاحساس قوة عصف الريح وتساقط المطر وتمثل أطياف الاحباب وحضور الذكريات ، أي ان احساسه بالضيق والوحشة يضاعفه غضب الطبيعة والشوق الى الأحباب ، وهذا ما جعله يطلق عليه اسم الاعصار

والقطعة وحدة معنوية لانها تدور على احساس معين ، ووحدة تعبيرية لأن الشاعر يلتزم شكلا معينا في أقسام القطعة .

ح - وفي التركيب ، نلاحظ التعبير الذي يصنعه الشاعر ولا يستعيره من القديم ، ونجده عند علي الناصر الذي حاول خلق التعبير المفصح عن مأساته ، فقد ألم بالأدب العربي في شبابه ، ثم انقطع عن قراءته ، واتصل بحضارة الغرب وثقافته ، واطلع على بعض آدابه ، وتملكته أزمة روحية حادة نجمت عن الصراع الذي قام في نفسه بين قيم الشرق والغرب ، فاضطرب ، وحار ، وانتهى به الأمر الى تحطيم مثله التي كان يؤمن بها ، وأخذ يبحث عن قوالب جديدة تلائم مضمون احساسه وفكره ، ولما استحال عليه أن يجدها لقلة زاده من القديم من جهة وجدة المضمون من جهة أخرى ، بدأ يصنع لغته وتعابيره

فتعثر في طرق التعبير أحيانا ، وجره هذا الى الوقوع في أخطاء لغوية ونحوية وتعبيرية ، وخرج أسلوبه مهلهل النسج فكان مظهرا صادقا لمأساته التي مزقت نفسه وانجلت عن هزيمته في معركة الحياة .

وسأضرب بعض الأمثلة لتعثره في طرق التعبير

١ — التواء التعبير ونجده في قوله في مقطوعته (السكون)

أقيم لوهمي وأتباعه	تماثيل في قدسها أركع
وأقرع صدري وأقرع صدري	وأحرق روحي لها أضرع
وحين أزيل ضباب الدموع	تراءى لمقلتي الساعره
بداية شؤم لها ظاهر	تمائق مازج في الآخره

والأبيات تفصح عن شكه في القيم التي عبدها وجهد أن يحافظ عليها ، ولكنه لم يوضح مراده بدقة ، واكتفى من هذا باقامة التماثيل لوهمه وأتباعه وقرع الصدر مبالغة في المحافظة عليها . وكلمة (أتباع) لا تدل بدقة على ما كان يؤمن به من قيم ومثل ، وفي البيتين الأخيرين غموض في التعبير ، والشاعر يستعين بالتصوير على التعبير فهو يقيم التماثيل ، ويركع أمامها ، ويقرع صدره ، ويحرق روحه تفانيا في عبادته ، أو هو يفصل هذا كله ليؤدي معنى واحدا هو غلوه في عبادة مثله التي سماها أوهاما .

والتواء التعبير ظاهر في قوله في القطعة ذاتها

حياة تحرك منذ الوجود	بسوط أصم عظيم عمي
تحرك لاخيرها يرتجى	ولا الشر دوما لها ينتمي

وعندي أن الشاعر لم يوفق الى معرفة سر الحياة ، ولهذا بدت له مسيرة بقوة صماء عمياء مزيجا من الخير والشر ، فهي اذا فوضى ومجرد مصادفة ، وقد استعنت على هذا الفهم بما كونت من رأي في الشاعر ، والبيتان لا يؤديان المعنى تأدية واضحة

والتواء التعبير ظاهر في مقطوعته (حذوت)

حذوت ليمناي زهر الرياض	ويسراي جمرا شديد اللهب
وسرت من الأم طول الطريق	الى أ م حيث انتهاء التعب
تحاول يمناي طول البقاء	ويسراي منه تريد الهرب

وليس من تشاكل بين قدمه وزهر الرياض أو الجمر ، أو بين قدمه والبقاء في الحياة أو الفرار منها ، والقطعة لا تفهم الا بايضاح الرمز ، فزهر الرياض رمز الى البهجة والسعادة والفرح في الحياة ، والجمر رمز الى العذاب والألم والشقاء ، والأم الأولى رمز الى التي حملته في بطنها

وا

والثانية رمز الى الارض التى سيدفن فيها ، ومعنى القطعة ، بعد جلاء الرمز ، أن الحياة مزيج من اللذة والالم، والانسان يشقى فيها من مولده الى مماته ، وأنه تتجاذبه فى كل لحظة من حياته رغبتان: رغبة فى البقاء ورغبة فى الفناء .

والابيات لا تؤدى ما عرضت من فكر الشاعر واحساسه تأدية دقيقة واضحة، لأن الرمز استحال فيها الى لغز .

٢ ـ ركاكة التعبير ، وسببها أن الشاعر يعبر عن احساسات جديدة، فهمه التعبير عن مضمون الاحساس لا التعبير ذاته ، وبتعبير آخر مشكلة الشاعر هى مشكلة المضمون لا الصورة ، ويضاف الى هذا أنه لا يعنى بانتقاء الالفاظ واختيارها للتراكيب .

وتلمس ضعف التركيب، وركاكة التعبير فى كثير من شعره ، ومثل ذلك قوله فى قصيدته (السكون)(١)

هناء اذا ما قبلت الهناء	قصير وفيه شقاء مديد
هناء أدرب نفسى عليه	وأقبض كفى وكفى حديد
وأقبض كفى عليه بحرص	وأفتح كفى فمسخا أرى
يقهقه من غفلتى هازئا	فأمشى ومشيتى القهقرى

والاحساس ، فى ذاته ، احساس انسان متشائم ، فاللذة قصيرة والألم الذى يعقبها طويل ، والشاعر يعانى مشكلة التعبير، فيقع فى تكرار بعض الألفاظ والجمل رغم قلة الابيات ، ويسقط فى قوله حشو ، فهو ، بعد أن يقبض بكفه على الهناءة ويصف كفه بأنها حديد ، يعود فيذكر أنه يقبض بكفه على الهناءة بحرص .

والهناءة أصح من الهناء ، وجر كف فى قوله (وأقبض كفى عليه بحرص)أفصح من نصبها ، ولفظة اليد أرق من الكف ، والقهقهة ثقيلة فى النطق . وقد جعل الهناء مبتدأ وهى نكرة .

٣ ـ خروج على قواعد النحو فى نظم التراكيب والجمل

أ ـ فهو يقدم الضمير على اسمه فى قوله

بعد لأى دخلت هيكل حبى	فاذا هيكلى المعزز خراب
نسجت بيتها المناكب فيه	وتداعى ياويلتا المحراب

فالضمير (ها) فى (بيتها) مقدم على (المناكب) ، والوقوف على حروف المد فى (ويلتا) لايستقيم وعروض البيت

ب ـ طى ذكر الفاعل فى قوله يصف الدير

ليلا دوى من خصاص الحجر	يعلو مهيبا كابتهال الشجر

ما هزها الريح بوقت السحر | أن هذه الأرحام أمست قبور
أن غاض رغم الحب در الصدور | أهذه الدنيا متاع الغرور

فهو لم يذكر فاعل (دوى)و(يعلو) ، ولم يشدد واو (دوّى) ، وجعل المتعلق في بيت والمتعلق في بيت آخر ، والفاعل يستقيم على تقدير (صوت) الذى ذكر الشاعر فحواه في قوله (أن هذه الأرحام أمست قبور "، أن غاض ... أهذه الدنيا ...) ، وطى ذكر الفاعل يوقع الكلام في غموض.

حـ - تقديم المتعلق على المتعلق في قوله يصف الياسمين

ان روحى عليك تشفق حبيبتى | من دعاب النسيم في الأشجار

وفى قوله

ان فى النفس في السويداء منهما | مغريات ما عشت تقلق بالى

وقد يجعل المتعلق فى بيت والمتعلق في بيت آخر كما فى قوله

فى حمأة الشهوات بين الدمى | بين فظاعات بنات الهوى
أرتاح أرتاح وأسمو الى | أرفع نفسى يرتجيها النهى

وقوله

وفوق جزع نضير | من باسق الأشجار
أقيم للهو عشا | وفيه أقضى نهارى

د - قلب الجملة وتغيير ترتيبها الطبيعى فى قوله

طى هذا الظلام بولين راحت | ترتجى طهر روحها بالدعاء

٤ - استعمال اللفظ استعمالا خاطئا من ناحية الاشتقاق كما فى قوله

فتحت جفنى على | دمع مزيج بدم

ومزيج يطلق على ما ينجم عن مزج شيئين أحدهما بالآخر ، أو مزج أشياء بعضها ببعض والصحيح أن يستعمل لفظة مزوج أو ممتزج

ويقول

يا أيها الربان | هيا اترك الدفة
واتركنى فى الأنواء | استهدف الصدفة

والصدفة لفظة مولّدة بمعنى المصادفة والاتفاق

٥ - توزع الجملة بين بيت وبيت ، وهذا يفضى الى الخروج على وحدة البيت ، وهو كثير فى شعر الشاعر ، والى غموض المعنى والتواء التعبير كما فى قوله :

وفى خرير المياه | وفى الثلوج الحواكى
قلب الفضيلة معنى | يصبى غواة الفنون

فقد جعل الجملة (وفي الثلوج معنى ...) في بيتين ، وفصل بين أجزاء الجملة بالنعت (الحواكي) وأعمل النعت ، وهو اسم فاعل بصيغة الجمع ، في (قلب) وأضاف القلب الى الفضيلة .

٦ — الخروج على وحدة البيت ، وهو كثير في شعره ، وظاهرة من ظواهر التعثر في التعبير .

٧ — تأثر الجملة بالمعنى العام للقطعة التي تحمل بذرة من قلق الشاعر ، ذلك أن أغلب قصائده وليدة انفجار ذاتي ، وهو حين يضعها يلاحظ فيها شكلها العام ، ويقيمها على أساس من الفكر والاحساس المتمازجين ، وموضع هذا الاساس هو البيت الاخير ، ولهذا نرى الشاعر معنيا بالاطار التعبيري العام ويسوق البيت إثر البيت لبلوغ الاساس ، ومتى أدرك البيت الاخير سكت .

واذا كان هم الشاعر وضع الاطار التعبيري العام المفصح عن مضمون الفكر والاحساس فإن من الطبيعي أن لايفهم معنى الجملة الواحدة الا اذا جعلت ضمن ذلك الاطار ، ومن هنا ندرك تماسك القطعة عند الشاعر وكون الجملة جزءا لا ينفصل عنها ، وندرك سر اهتمام الشاعر بالمضمون وبشكله العام .

واذا لاحظنا هذا أدركنا مدى الفرق بين علي الناصر وغيره من الشعراء ، وعرفنا السبب الذي جعله لايحفل التعبير الجزئي ، فسواء عليه أقصرت الجملة أم طالت فاستغرقت البيت أو وقعت في بيتين ، وسواء عليه أنظمت حسب قواعد النحو أم لم تنظم ، وسواء عنده هذه اللفظة أو هذه ، وما يعنيه هو التخفف من حمل الاحساس الذي يتملكه ويضنيه .

تلك هي الصفات العامة التي مازت الشعراء بعضهم من بعض في الشعر الوجداني ، وما كانت لتتوافر في شعر فريق دون فريق لولا تقدم العصر والاحتكاك بالغرب والاتصال بحضارته والاطلاع على أدبه .

وصياغة التراكيب والجمل تجرى على غرار الصياغة القديمة من تخير الألفاظ للتراكيب وائتلاف اللفظ وتشاكله في الجملة ، ومجانسة اللفظ للمعنى ، والعناية بجرس اللفظ مفردا ومنظـــوما ، وتوخى الجزالة فى التعبير ، واستعمال النعت والحال والتمييز من قيود الجملة ، والعناية بشبه الجملة والتركيب الاضافى ، واستخدام الاسلوب الانشائى فى التعبير عن تلاوين الفكر والاحساس .

ولا يكتفى الشعراء بهذا ، وانما يحيون أساليب التعبير التى شاعت فى عصور الادب الزاهـــرة ، وعرف بها شاعر او جماعة من الشعراء ، وتميز بها مذهب من مذاهب الادب ، ونحس بأساليـــب شعراء النقائض والعذريين فى العصر الاموى ، وبشار ومسلم بن الوليد وابى نواس وأبى تمـــام والبحترى والمتنبى والمعرى والشريف الرضى فى العصر العباسى ، وشوقى وحافظ فى العصــر الحديث تتردد فى أساليب شعراء الرعيل الاول ومن يلمهم من طبقة العراقى والحامد وعمر يحيى وبعض الشعراء الشباب .

والى هذا يقلد الشعراء الاقدمين فى أساليب التصوير، فيستعيرون أجزاء الصورة بعضهـــا أو كلها من القديم ، ويصورون فكرهم واحساسهم على نحو ما صور الاقدمون ، وهم يقلدون هؤلاء فى الصورة البسيطة التى تستغرق البيت بل يقلدونهم فى الصورة المتعددة الاجزاء .

غير أن صياغة التراكيب تتأثر باطلاع الشعراء على أدب الغرب والمهجر، فتتصل اللغة بالحيـــاة ، ويسهل اللفظ فيعبر عن تجارب الانسان، ويعكس احساس العصر ، ويتأثر بشيوع الرمز فى أدب الغرب، ويجنح الشاعر الى البساطة فى التعبير ، وتظهر طرق جديدة شبيهة بطرق التعبير والتصـــوير فى أدب الغرب كابتداء الكلام بشبه الجملة ، ونقل صورة من صور التعبير الى البيـــان العربى، واحتذاء طريقة معينة من طرق التصوير ، وايقاف حركة الاسلوب بادخال الجملة أو تابعيتها أو بعض قيودها أو شبه الجملة بين تضاعيف الجملة الاصلية ، وكالفصل بين الجمل، والعناية بالجملـــة الاسمية .

وتظهر فى التركيب جدة التعبير التى تبرز جدة المضمون ، كما يبدو التعبير الذى يصنعه الشاعر ويبتكر فى خلقه .

وهـــذا يعنى أن الشعر لم يقتصر فى صياغته على احياء أساليب التعبير القديمة وحسب وانمـــا تأثر بأساليب التعبير فى أدب الغرب . وهـــذه الحقيقة تنتهى بنا الى أن تجديد التعبيـــير لا يمكن أن يكون الا بتطعيم الادب العربى بالأدب الغربى الذى اتصل بالحياة وسايرها بينمـــا تخلف الأدب العربى عن مسايرة ركب الحضارة حينا طويلا من الدهر .

الصـــــــــورة

سندرس فى الصورة طبيعتها وبيئتها وما فيها من لون وصوت وتشخيص وتقليد وتجديد ٠

أ)) ـ طبيعتهـا

وأول ما نلاحظ فى دراسة الصورة طبيعتها المادية الحسية ، وهى صفة تلازم الشعر العربى ، وسنتبين هذه الصفة فى مختلف فنون الشعر فى سورية٠

١ ـ ففى الشعر الوطنى نلاحظ الصفة المادية لاصقة بصور الشعراء٠

فالزركلى يشبه الحرب بالنار على سبيل الاستعارة

دعا موقد الحرب أبطالها　　حماة الديار وفتيانها

وفؤاد الخطيب يشبه الشبان بالصارم

من كل أروع وشاب اذا انتسبت　　بيض الصوارم كان الصارم الخذما

والبزم يشبه الاعداء بالسوائم

وما جيوشكم مهما ربت عددا　　الا سوائم يوم الزحف حملانا

ويكنى جبرى بسيلان النفوس على الظبى عن القتل

بأبى النفوس السائلات على الظبى　　البانيات على القنا استقلالها

ويشبه سردم الشهداء على الأعواد بورد من الهيم

رمشرئبين بالاعناق تحسبهم　　وردا من الهيم نحو الماء قد وردا

والفراتى يشبه فيصلا بالليث

هو فيصل والخصم يشهد أنه　　ليث هصور حازم لا يغلب

وبدوى الجبل يشبه مصر بفرس جموح على سبيل الاستعارة

ماذا دها مصر حتى ريض جامحها　　وما دها شعبها المظلوم فانقسما

وعمر يحيى يجعل الضحايا صوى

تلك الضحايا لم تكن الا صوى　　فيها لطلاب الحياة دليل

والحامد يجعل السواد حلة

لبست حلة السواد حدادا　　وعليها من المعانى الذهول

والعطار يستعير السيوف للماضين الأبطال ، والرمز والشمار للقوم المجاهدين

يا بقايا السيوف رمز الأضاحى　　وشمار الفدى وسر العظائم

والشريقى يجعل الضحية جسرا الى الحياة

وما الضحية الا الجسر نقطعه　　الى الحياة وموج السبق يلتطم

وأبو ريشة يشبه الاعادى الكثر بالبحر

والاعادى تلوح كالأزرق الرجراج　　فى موجه العتى المطير

والطرابلسي يشبه الفؤاد بشعلة

وفؤاده بين الاضالع شعلة   حرى تشع عزيمة ووقودا

والأبيات السابقة تدل على أن الصفة المادية الحسية قد علقت بطرفي التشبيه والاستعارة وبالكناية والمكنى عنه ، على أن هناك صورا جاءت فيها الصفة المادية عالقة بطرف واحد من التشبيه والاستعارة وبالكناية .

فالزركلي يشبه الرياء بلباس والأحقاد بشيء يطوى على سبيل الاستعارة

لبس المداة لها الرياء جلاببا   وطووا لها الأحقاد والاضغانا

ويشبه العزم النصر بالثمار ، ويكني بهصر الأغصان عن نيل ثقة الناس

فقمت تجني ثمار النصر يانعة   وأنت تهصر في التأييد أغصانا

وجبري يكني عن سيرورة الشعر وترديده بسيلانه في البطاح

واندب أمية في شعر تسيل به   بطاح جلق في ظعن وركبان

ومردم يشبه الموت بمشروب والعيش بذي طعم

أبي ساغ كأس الموت صرفا   دهاقا حين طعم العيش مرا

وبدوي الجبل يشبه الضاد بالشجي

تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة   شجي بحلق غريب الدار مغتصب

والحامد يشبه الخطوب بالظلمات

لن تراعي اذا الخطوب تدجت   وتوالت على حماك المحول

وعمر يحيي يشبه الأماني الباسمة بهزار يشدو

أجدك أودي فيصل حينما شدا   هزار الأماني في الرياض ورجعا

والعطار يشبه البشائر بشيء يحمل

فمن الحامل البشائر للأرواح   م   من ذلك الحبيب القادم

وأبو ريشة يشبه العلى بفتاة تمهر

هكذا تمهر العلى ببساط   من دماء وقبة من قبور

وهناك صور ارتفعت فوق الأرض فانتزعت من جو السماء ، أو من عالم الخيال فبدت سماوية أو معنوية خيالية .

فالزركلي يشبه مرثيه بالبرق والرعد

ما شام برقك حتى   ولى يحاذر رعدك

وجبري يشبه الخلافة بشمس مشرقة

أين الخلافة في الاسلام مشرقة   تلقى على هامة الدنيا التحاسينا

ومردم يشبه الشهيد بشيء منير

بنفسي أنت من هاد امام   أنار لمدلج الأقوام فجرا

وبدوى الجبل يشبه سمو نفس الشهيد بسمو النجوم

لقد حررتها فسمت صعودا　　كما سمت النجوم النيرات

والفراتى يشبه حسينا بالغيث

يا ابن بنت النبى لازلت للاسلام　　غيثا تحيا بك الاسلام

وعمر يحيى يشبه فيصلا بالشمس

لسرعان ما غابت لتنشر شمسه　　حياة على القطر الشقيق وربعا

ويورد الخطار فى ذكرى المولد عدة صور معنوية

انت نجوى الارواح فى كل جيل　　وشعاع الهدى وروح النواسم

والطرابلسى يشبه الامانى بالخلق

ضحى الامانى العذاب كخلقه　　ومضى يخلف للمكارم عيدا

وأبو ريشة يشبه تهاوى القتلى بتهاوى الشهب

تتهادى كالشهب من كبد الجو　　زاء فى لجة الظلام الضرب

ب)) — والصور فى الغزل مادية حسية ، وتتسم بهذه الصفة صور الشعراء جميعا

فالزركلى يستعير الغصن للقوام

واحر فؤادى من غصن　　سلب الألباب تأوده

ومردم يجعل حشاشته مرعى للطيف ودمعه وردا

فلقد جعلت حشاشتى　　مرعى له والدمع وردا

وبدوى الجبل يستعير اللؤلؤ للاسنان

وابتسمى عن لؤلؤ واسفرى　　عن بشرة ناعمة بضة

ويشبه الفراتى بنات الحور بالمها ويكنى ببعد مهوى القرط عن طول العنق

مها من بنات الحور بيض نواعم　　بعيدات مهوى القرط دعج النواظر

ويشبه عمر يحيى ماء الثغر بالراح

وماء بثغرك راح　　حلت بأطيب ثغر

والحامد يشبه محبوبه بالغزال

حسب الملاحة فيك أنسك　　كالغزال اذا نفر

والطرابلسى يشبه نفسه ومحبوبه بطيرين أو بزنبقتين

نشيد الروح هل كنا　　سوى طيرين فى روضه

ألسنا فى الشباب الحلو　　زنبقتين فى ربوه

والفاخورى يشبه الادمع باللؤلؤ

ولولا الهوى لم يسفح البين أدمعا　　تسيل على الخدين كاللؤلؤ الرطب

وسلطان يشبه محبوبته بالشمع والنور والغذاء

هى كالشمع رقة وليانا　　وهى كالنور والغذاء لنفسى

وهناك صور تكون فيها الصفة المادية الحسية عالقة بطرف المشبه به في التشبيه والاستعارة فتظل لاصقة بالأرض.

فمردم يجعل معاني الحسن بردا

عار من الأثواب كاس م | من معاني الحسن بردا

وجبري يشبه خياله بشخص يتبع شخصا آخر

كم كنت تتبعها خيالك في الدجى | درجت وما احتفلت بغير خيالها

ويستعير الفراتي التكليم لاثارة الهوى ، ونظم الجواهر للحديث

فكلمن أحشائي وهن صوامت | وشنفن أسماعي بنظم الجواهر

والحامد يشبه السهر بالكحل على سبيل الاستعارة

يا ظالمي مهلا فقد | كحلت عيني بالسهر

والطرابلسي يستعير الظلام لما يحس به من غم

حبيبي ان في قلبي | ظلاما ماله فجر

وعمر يحيى يشبه الحب بهزار يشدو والآمال بشيء يقرأ على سبيل الاستعارة

يردد في خميلته | هزار الحب ألحانا

وتقرأ في صحيفتنا | من الآمال ألوانا

ويستعير الفاخوري الجراح للآلام

صبرت على عيشي زمانا وللهوى | جراح ولم يجرؤ لساني على العتب

وسلطان يستعير الغرس لتمكين الحب في القلب

غرس الله حبها في فؤادي | والهوى في القلوب أطيب غرس

ونجد في الغزل صورا منتزعة من جو السماء أو من عالم المعاني والخيال.

فمردم يشبه اطلالة محبوبه باطلالة البدر

فاطل مثل البدر من | خلل السحاب اذا تبدى

وعمر يحيى يشبه شعر محبوبته بالسحابة

رجعت وقد ربا شوقي | الى فرع لها فاحم

أفيء الى سحابته | لأبعث حلمي النائم

والفاخوري يشبه دنيا الحب بفردوس آدم

وزفت لي الدنيا كفردوس آدم | وطالعني الريحان في المهمه الصعب

والطرابلسي يشبه اللحون بالخمر

وغنى الطير مخمورا | لحونا كلها خمر

وسلطان يشبه عيني محبوبته بنجمين ووجهها بالشمس

ألمح السحر في وتلألأ عينيها م | فألفي نجمتين شعا بشمس

وعلى الناصر يجعل المرأة هاتفا ملهما له

هل أنت الا هاتف ملهم ‏ ‏ ‏ ايحاؤه النعمى وزاهى المنى

حـ — ويكثر فى وصف الطبيعة تشبيه الحسى بالحسى

فمردم يشبه الشمس المشرقة بمقلة وسنى

مالها تشرق حمرا أتراها ‏ ‏ ‏ مقلة وسنى أفاقت من كراها

وبدوى الجبل يستعير اللؤلؤ للطل

أشرق الصبح على زهر الربا ‏ ‏ ‏ ناثرا لؤلؤه فيما نثر

والفراتى يشبه اهتياج السيل باهتياج الليث

وراح يهتاج كليث الشرى ‏ ‏ ‏ من حنق أمواجه تصطفق

والحامد يستعير الابتسام لنور الصباح ، ويشبه الابتسام بالعسجد ، والماء بالفضة

وابتسام الصباح فى الروض حلى ‏ ‏ ‏ عسجدى يزين فضة مائه

وعمر يحيى يستعير الدرارى لقطرات الطل

كأن زهور الروض فى جنباتها ‏ ‏ ‏ درار هفت شوقا اليها من السما

وسلطان يشبه حمرة الورد بحمرة مقلة العاشق

وحمرة الورد فى قانى تألقه ‏ ‏ ‏ كمقلة العاشق البكاء سكرانا

والفاخورى يستعير الانة لخرير الجدول

والجدول الساهى له أنة ‏ ‏ ‏ مدفونة فى مائه لاتبين

والعطار يشبه الورق المنثور ببساط

ملأ الوهد والمسارب والسوح ‏ ‏ ‏ م اغتماما بساطه المنثور

ويشبه على الناصر الظلما تسطع فيها الاقمار بمليكة ازينت بالتيجان

ومرت الظلما بأقمارها ‏ ‏ ‏ مليكة زينت بتيجانها

وأبو ريشة يشبه شوك الطلل بطفل يرضع على سبيل الاستعارة

فما يرضع الشوك من صدره ‏ ‏ ‏ ولا ينعب البوم فى رأسه

وقد تشتمل الصور على تشبيه المعنوى بالحسى

فالفراتى يشبه الردى بشىء يذاق

فأذقت الردى ثلاثا سمانا ‏ ‏ ‏ من يدى ملحم بمزرق حداد

والحساسنى يشبه شرخ الشباب بشىء رائق والعمر بمهيع

شرخ الشباب حملت رائقه ‏ ‏ ‏ وغدا يسير بمهيع العمر

ويشبه اهتياج الاحزان باهتياج البحر

غنيت والاحزان مائجة ‏ ‏ ‏ تهتاج مثل البحر فى صدرى

وسلطان فى وصف النهر يشبه الحسن بشىء ينشر على سبيل الاستعارة

ينشر الحسن حوله فرداء البيد ‏ ‏ ‏ م من حوله رداء قشيب

والفاخوري يشبه النعمة بايماضة

وارعى مع النعمة فقدانها فانها ايماضة خادعة

والمطار يشبه فرحة الطبيعة بشيء يمحى وحلم الحياة بشيء يطوى على سبيل الاستعارة .

تمحى فرحة الطبيعة فى الأرض م ويطوى حلم الحياة النضير

وأبو ريشة يشبه الزمان بخيل عدت فوق الطلل

حوافر خيل الزمان المشت تكاد تحدث عن بؤسه

ويجهل للوهم أشباحا ، ويشبه الموت بمن ينتحر على سبيل الاستعارة

هنا ينفض الوهم أشباحه وينتحر الموت فى يأسه

وقد تشتمل الصور على صور سماوية أو معنوية خيالية

فالفراتي يطلق فكره حتى يغدو فوق المجرة

أطلقت فكرى بالفضاء فخلته فوق المجرة سابحا جوالا

ويذهل عن نفسه فيصود خيالا

وذهلت عن نفسى فلم أشعر بما حولى كأنى عدت أمس خيالا

ويشبه البدر بالصقر

والبدر فى كبد السماء محلق كالصقر يرمى فى الفضاء نبالا

وعمر يحيى يشبه اشراقة الوردة باشراقة الآمال بين الغيوم واهتزازها باهتزاز أحلام الصبا واهتزاز فكرة الشاعر عند الوجوم

تفتر فى الكم وقد أشرقت اشراقة الآمال بين الغيوم

تهتز كالأحلام عند الصبا أو فكرة الشاعر عند الوجوم

والفاخوري يشبه دنياه برؤى حالم

دنياك يانفس رؤى حالم فى قربها شر وفى بعدها

وبردى عند سلطان نفحة الخلود ، ورحيق من النعيم

بردى نفحة الخلود الطروب ورحيق من النعيم وطيب

د)) — وتطالع فى التأملات صورا تقوم على تشبيه الحى بالحسى

فالشريقى يشبه البحر بسفر

أنت سفر آياته بينات فيه من كل حكمة زوجيان

وبدوى الجبل يجعل الجسم سجنا للروح على سبيل الاستعارة

بكت وهى فى سجنها حسرة ولاعجب من بكاء السجين

والغراتي يجد نفسه محض بريق بعد البحث

خرجت أبحث عنى بذا الفضاء السحيق

وما علمت بأنى فى الكون محض بريق

وسلطان يجعل سير الانام الى القبر كسير الانهار نحو البحر

وطريق الانام أقصد للقبر م كسير الانهار نحو البحار

والعطار يشبه امحاء عالم الطبيعة فى الخريف بامحاء الظلال

فامحى كالظلال تنتهب الارض م ويخفى انطواؤها والمصير

وأبو ريشة يشبه الارض فى الطوفان بحيوان فاغر الشدق والافق

بمن يقذف الحمم على سبيل الاستعارة

الارض تفتح شدقها م والافق يقذف بالحمم

وعلى الناصر يوصى بجعل جيفته قرى للضوارى

اذا مت فارموا جانب الحقل جيفتى قرى للضوارى والطيور الكواسر

وهناك صور تقوم على تشبيه المعنوى بالحسى أو تكنى عن المعنوى بالحسى

فالبزم يكنى عن أذى الجهل بشوى العقارب

لعمرك ما أفنى جدها وطمسها سوى جهلها والجهل تاو عقاربه

ويجعل الموت كائنا جبارا ذايد

ان للموت يدا تصطاد م فى الجو العقابا

ويبدو الجبل يجعل الروح شخصا والقضاء كائنا يصوغ بكفه القيود

على سبيل الاستعارة

وقيدة أنت صاغ القيود لبنائك كف القضاء الاثيم

والحامد يشبه الايام بالركائب

وما هذه الايام الا ركائب تسير بنا نحو المنون فلا تعدو

والطرابلسى يتصور البارقة للامل

هذا الشباب الجهم ما عنده أثم من بارقة ترتجى

ويشبه آماله بفرس على سبيل الاستعارة

أقطع وحدى عرضها راكبا صهوة آمالى أسير الفضا

ويستعير العطار زهر القريحة ليدل به على الفن أو يشبه الفن

بجذوة من طماح

كل زهر فى الكون يذوى ويفنى غير زهر القريحة الفواح

لايطاق الفن النضير حبيسا انما الفن جذوة من طماح

وسلطان يشبه الدهر بماء يخاض على سبيل الاستعارة ، ويشبه المحن

بلجج .

وخض الدهر شريفا أبدا واقتحم بالصبر لج المحن

وعلى الناصر يشبه غرامه وآماله وخواطره بميت يكفن على سبيل

الاستعارة

كفانى فقد كفنت فى ميعة الصبا غرامى وآمالى وغر خواطرى

وأبو ريشة يشبه الحق بمن جرد سيفه على سبيل الاستعارة

الحق جرد سيفه يبرى به هام الأنام

وهناك صور سماوية أو معنوية خيالية

فالزركلى يشبه الموت بسبات عميق

وما الموت الا سبات عميق ففيم البكاء على الهاجع

والشريقى يشبه البدر بالمليك والنجوم بالتيجان

طلع البدر فى السماء مليكا ونجوم السماء كالتيجان

والغراتى يشبه روحه بالنجم

يا ليل كالنجم روحى لهما بجسمى رفيف

والعطار يرفع الغنى الى السماء

طاب يستلهم النجوم يغنى م الليل يسرى على متون الرياح

وعلى الناصر يشبه شكوكه بهالة

وجدت ملهاة روحى فى هالة من شكوك

هـ)) — ونطالع فى الشعر الاجتماعى صورا مادية وحسية

فالزركلى يستعير الوابل لدمع البائسة

أفاقت وما فى النفس الا كآبة وفى العين الا وابل يتدفق

وبدوى الجبل يستعير الظبيات للنساء

مالى أرى الظبيات فى أفنانها نضت الحجاب ومزقت أطواقها

والطرابلسى يشبه الطفل الشريد بالجيفة

طفل على وجه الثرى نائم كأنه الجيفة فوق الصعيد

والبارودى يشبه الناس يعيشون متحابين بسرب الطير يسقط حيث يرتع

تعالوا نعش فى روضة العيش أخوة كما يرتعى السرب الوديع من الطير

ونجد صورا تقوم على تشبيه المعنوى بالحسى

فالزركلى يستعير الحالكة للمصيبة

أية نفس من أسى ناجيه والناس فى حالكة ذاجيه

ويشبه الطهر بالكحل على سبيل الاستعارة

ان الفتاة اذا تكحل جفنها بالطهر كانت للنواظر اثمدا

والبزم يشبه العلم الذى حصلته المرأة الغربية بالثمر، والهون بذى طعم

جنت ثمر العلم فاستكبرت عن الهون والهون لا يعذب

وجبرى يشبه الخلود بشجرة ظليلة على سبيل الاستعارة

يا أخت جبار الهطاح م — تفيئى ظل الخلود

وبدوى الجبل يستعير التقييد لحجب المرأة والاطلاق لتحريرها

ان قيدت دهرا فقد شاء الاولى — صاغوا القيود ثقيلة اطلاقها

والحامد يشبه السعى بسلم

انما السعى سلم نرتقيه — وعلى العلم أصله وعموده

والطرابلسى يصف أيام الايتام فيشبه الالام بشىء يسقى على سبيل الاستعارة ، واليتم بالصاب .

وهذه الايتام — لاتعرف اللينا

تسقيهم الآلام — والذل والهونا

واليتم مثل الصاب — ما مثله ورد

ووجيه البارودى يشبه الحياة بطريق ، واليقين بسيف والثبات بدرع .

خرجت أشق طريق الحياة — بسيف اليقين ودرع الثبات

ونعثر على قليل من الصور السماوية عند بعض الشعراء

فالزركلى يصور الجلال يحف من حول الام والمدرسة

أمان ما نيطت بغيرهما المنى — حف الجلال سناهما المتوقدا

والبزم يصور أثر العلم فى رفع شأن المرأة

فهلا أناروا لها نهجها — فيسطع من أفقها الكوكب

وبدوى الجبل يشبه النساء السافرات بالبدور

هن البدور سوافرا لكننى — أخشى على تلك البدور محاقها

والطرابلسى يشبه الطفل الشريد فى أسماله بكوكب تنتشر فوقه السحب .

تحسبه فى بؤسه كوكبا — تحت نثارات من السحب سود

ب)) — بيئتها

تبينا ، فيما تقدم ، طبيعة الصورة فى الشعر ، وسندرس هنا بيئتها ومحيطها الاصلى ، ونلاحظ أن الجزيرة العربية ذات أثر واضح فى الشعر الوطنى ، ويظهر هذا الاثر فى عديد من الصور .

أ — فبيئة الحرب والقتال تنعكس فى الشعر الوطنى بما تقوم عليه من عدة وعديد وحركة ونشاط ، فنحن نشاهد الاروع الوثاب الذى غدا كالصارم فى قول الخطيب

من ذلك البيت من تلك البطاح على — تلك الطريق مشت أجدادكم قدما

من كل أروع وثاب اذا انتسبت — بيض الصوارم كان الصارم الخذما

والزركلي يصور انعقاد الحرب ، ودعوة الابطال والخيول وأهل النصول، وتشريع المران للروع ، وتلبية الكتائب للدعاة ، وطي القفار والكثبان،واحتدام القتال ، ورنين الرمح ، وأنين العضب فيقول :

دعا موقد الحرب أبطالها   حماة الديار وفتيانها
دعوا بالخيول وأهل النصول   تشرع للروع مرانها
كتائب هبت تلبي الدعاة   تطوى القفار وكثبانها
برمح يرن وعضب يئن   ينبه في الترك وسنانها

والبزم يجعل آل معروف ملوك الوغى ، ويصف نطق البيض،والاعتمام بالعمائم للحرب،واسراع القوم الى القتال،وصلابتهم،وانقضاضهم على العدو، واعمالهم السيف في الاعناق . فيقول :

أنتم ملوك الوغى والبيض ناطقة   وذى عمائكم في الهول تيجانا
لما رأيتم عدو العرب يمتنكم   طرتم اليه بجنح الليل عقبانا
طاروا اليكم ومتن الريح يحملهم   فشاهدوكم شواهينا وشهبانا
يمتطوهم بجرد الخيل ساهمة   دهما تغادر صقر الصبح حيرانا
أعلمتم السيف في الاعناق عن كثب   حتى أقمتم من الأجسام كثبانا

والغراتي يسمى مواقع الثورة العربية أياما يفخر بها على الترك ، ويصفها فيصور مداهمة الترك،وتداعي الفرسان للحروب،وأرزام الظبا ، وقتل الترك،وهزيمتهم ، ويصور الغبار الذى انعقد سماء فوق المتقاتلين ، والاعلام التى غدت لها عمادا ،فيقول :

هل ذكرتم يوم المعظم اذ داهمكم   في الصباح جيش لهام
اذ تداعت فوارس يا لمدنان   وبيض الظبا لها أرزام
فسقينا جنودكم جرع الموت   فولت كأنها أنعام
أم ذكرتم يوم الزمرد والخيل   تمادى كأنهن السهام
اذ عقدنا الغبار فوق رحى الحرب   سماء عمادها الاعلام

وجبرى يصور حركة فيالق آل معروف في الغوطتين ، ويمدحهم بالقوة والشجاعة ، ويصف كفاحهم الرامي الى اقامة الدولة على القوة ، فيقول :

هبت فيالق معروف يطوف بها   في الغوطتين مطاعين صناديد
يمهدون على الخطى دولتهم   ومالها بسوى الخطى تمهيد

ويدوى الجبل يبعث جو الحماسة في رثاء غازى،فيسأله أن يتمسر ويغضب لقومه ، ويرجم كل شيطان ، ويغزو بجيشه قمة الفلك ، ويقتحم الشام ، ويصف جيشه الذى يمنع الناس الرقاد اذا اهتاج ، وترنح الاعلام

وتزينها للفتح ، وتلفت الدنيا التي أقلقها أمر الجيش، وسجود الافلاك له هيبة منه .

فتثمر واغضب لقومك وارجم ... بالشهاب اللماح كل مريد

واغز بالجيش قمة الفلك الدائر ... م واقحم به عرين الاسود

جيشك الجيش لو تنكر للنو ... م لضاقت به جفون الرقود

فاذا هجته ترنحت الاعلا ... م وازينت لفتح جديد

واذا هجته تلفتت الدنيا ... م وهمت أفلاكها بالسجود

ويضيق بنا المجال لو رحنا نستعرض النصوص التي تعكس جو الحماسة والحرب في بيئة الصحراء وامتدادها في حركة الفتوح ، وحسبنا ما وجدنا من ذكر لأدوات القتال، ووصف لحركة الفرسان في المعارك، وفخر بالشجاعة والقوة والنصر، وبعث لجو الحماسة والحرب .

وتبدو في الشعر الوطني طبيعة الصحراء وما فيها من حيوان وطير ونبات وأرض وسماء .

فالزركلي يصور طي القفار والكثبان فيما قدمنا له من قول ، ويشبه المنازل المهدمة بالاطلال في قوله :

فاذا المنازل وهي شامخة الذرى ... منهار أطلال على أطلال

والبزم في قوله السابق يشبه آل معروف بالعقبان والشواهين والشهبان، ويصف الخيل ، ويذكر الصقر .

وجبري يستعير عقال البعير ليدل على متانة الأواصر التي تربط مصر بالشام ، فيقول في تكريم شوقي

تلك الأواصر لم تزل معقولة ... من عهد عمرو من يحل عقالها

ويرسل الى مصر تحية تحملها الريح الجارية في نبت الشيح والحوذان فيقول في تكريم حافظ

تحية يا ضفاف النيل طيبة ... تجري بها الريح في شيح وحوذان

ويسأل حافظا أن يغني أمية في شعر يملأ البطاح ويردده الظعن والركبان

واندب أمية في شعر تسيل به ... بطاح جلق في ظعن وركبان

ومردم يشبه الشهداء على الأعواد المشرئبين بالأعناق بورد من الابل الهيم

ومشرئبين بالأعناق تحسبهم ... وردا من الهيم نحو الماء قد وردا

وفي رثاء الملك حسين ، يشبه المحنة بليل يتمطى كالبعير فيقول

تمطى ليل محنتنا فلما ... سفرت سفرت صبحا مستنيرا

ويبدوى الجبل يستصير المطية للسفينة التى حملت الشيخ عبدالى الغرب ، ونكبت البطاح فلم تروع الجنجات والمرار

قد أرقلت بك في الخضم مطيــــة   هوجاء ما نكث الخضم مغارهـــا

وتنكبت خضر البطاح فما رعـت   جنجاثهـا يوم النوى وعرارهـــا

ويشبه مصر بفرس ريض جموحها :

ماذا دها مصر حتى ريض جامحها   وماذا دها شعبها المظلوم فانقسما

والشريقى يشبه الرمال ببحر

وطن العرب خافه كل عــات   أغرق الفاتحين بحر رمالـــه

ويستصير حدو الابل لدعوة مصر أبناء العروبة الى الاتحاد فيقول مخاطبا سعدا مصورا الهرم يحدو جمل الشيخ

ان قمت فى مصر للأحياء داعية   مشت لك الشام يحدو شيخها الهرم

والفراتى يشبه فيصلا بالليث

هو فيصل والخصم يشهد أنـــه   ليث هصور حازم لا يغلـــب

ويشبه جنود الترك المنهزمين بالنعام

فسقينا جنودكم جرع المـــوت   م فــولـت كأنهـا أنعـــام

وعمر يحيى يستصير غزلان الصريم للنساء ، ويشبه بقاء قصائد شوقى ببقاء سلمى جبل طيء ، فيقول فى رثائه له :

ويا طالما أعربت عن مجد يعرب   وغازلت غزلان الصريم وما ضمـا

خصصت مغانى جلق بخوالـــد   ستبقى أبيد الدهر ما بقيت سلمى

ويصف زينة الطبيعة وصفاء النفس فى عهد استقلال سورية ، فيقول ذاكرا غصن النقا

وارتدى غصن النقا حلتــــه   فيه وانجاب عن النفس الكمـــد

وفى ذكرى المتنبى يجعل قميصه مقدودا من اهاب الليل ويجعل الصخور الصم والشيح مهاده .

بل من اهاب الليل قد قميصه   صم الصخور مهاده والشيــــح

ويصف طموحه وما عاناه من المشاق فى سبيل العلى ، ويصور قطعه الفلاة وسط الأهوال فى الليل

لولا العلى لم يسر فوق جلالـة   حرف وجنان الفلاة تصيــــح

والطرابلسى يشبه دمشق المناضلة باللباة

وقفت تناضل كاللباة جــراءة   لاشرة حفلت ولا تهديـــدا

والعطار يشبه العرب الذين أذلهم الاستعمار بالفرس التى تقاد بالشكيمة

يا نهى الهدى لقد ذلت العرب   م وقيدت الى الردى بالشكائـــم

ويعرض العرب مذكرا اياهم بأنهم أبناء الاسود ، وأنهم سبقوا غيرهم
في حلبة العز

واملكوا الأرض أنتم سادة الارض م وأنتم بنو الليوث الضراغم
أنتم الاسبقون في حلبة العز م بكم تنجلي الفوادي الفواشم

وابو ريشة يشبه هنانو بليث على سهل الاستعمار ، ويصوره على مهر
ويصف كفاحه ، وتهاوى رجاله كالشهب

وغفت هذه المرابع حتى أيقظتها صيحات ليث هصور
فاشرأبت حيرى فلاح هنانو فوق مهر معرد التضمير
وحواليه حفنة (صفنة) من رجال ثروة الموطن السليب النضير
تتهاوى كالشهب من كبد الجوزاء م في لجة الظلام الضرير

وتظهر في الشعر الوطني بيئة مكة والدعوة الاسلامية
فالخطيب يقول في مستهل الثورة العربية

حسين الشريف وحسين البيت والحرما والبيض فطلك يرعى العهد والذمما

والشريقي يجعل مصر كعبة الفصحى وحرما للشام

يا مصر يا كعبة الفصحى وموئلها لانت للشام في آمالها حرم

وجبري يبين تأييد الوحي والقرآن لنضال العروبة

وللعروبة في أنبائكم لجب له من الوحي والقرآن تأييد

والفراتي يصل نسب حسين بنسب النبي

يا ابن بنت النبي لازلت للاسلام م غوثا تحيا بك الاسلام

والعطار يصور الرمل يسبح (التسبيح) لله ، وتكبيرة الله ترعد في التسبيح ،
والجيوش تمد التسبيح في حركة الفتوح

أسمع الرمل يملأ الأرض تسبيحا م بصوت مجلجل (جلجل) كالزمازم
وغدت في مداه تكبيرة الله م وسالت به الجيوش الخضارم

والجامد يناجي ينبوع الحجاز موطن المجد والدعوة

يا ينبوع الحجاز طه نبوى فيك مجدي وفيك خير نبي

وأبو ريشة يناجي مكة عروس الرمال وقبس (قبس) التائه

يا عروس الرمال يا قبس التائه م في مهمه الضلال المبيد

وهكذا تظهر الصحراء بما فيها من بطاح وقفار وكثبان ورمال وأطلال
وبقيا ، وصريم ، وفلاة وصخور وجبل وخيل وفرس ومهر وحلبة وشكيمة وبعير
وابل هيم ومطية وناقة حرف وحداء ولهيب ولهاة وأنعام ولاحب وشيح (شيح) وعرار
وجوزاء وظعن وركبان وليل وشهب وسماء ورعد وعقبان وشواهين وصقر
ونظهر بيئة مكة والدعوة ، فنطالع في الشعر البيت والحرم والنبي

والاسلام والوحى والقرآن والتسبيح وتكبيرة الله ومكة وربوع الحجاز .

وتظهر فى الشعر الوطنى هيئة الثورة والحروب الحديثة

فالزركلى يصور زحف الامة الى ميسلون لمقاتلة العدو المتسلح

زحفت تذود عن الديار ومالها ... من قوة فعجبت كيف تذود

الطائرات محومات حولها ... والزاحفات صراعهن شديد

ولقد شهدت جموعها وثباتها ... لو كان يدفع الصدور حديد

والبزم يصور دمشق فى الثورة السورية

أمطرتموها بصوب من قنابلكم ... حوائما بالردى مثنى ووحدانا

قصر يمور وطيار يجود على ... سكانه بصنوف الموت بركانا

وجبرى يصور الزاحفات والطائرات

فما الرواجم بالنيران طاوية ... من عز جلق أن العز صهيود

ولا الحوائم فى الأجواء هادمة ... مجدا بناه ميامين أماجيد

ومردم يصف وبل القذائف فى حريق دمشق فى الثورة

وبل القذائف هطالا له مدد ... والنفط والنار والتهديم رافده

وأبو ريشة يصور ثورة هنانو وقلة رجاله وكثرة العدو وقوته وغلبته

عليه

والاعادى تلوح كالازرق الرجراج ... فى موجه المتى المطير

تشتم الأرض من قنابلها الحمر ... ويشكو العجاج جفن الاثير

وهنانو بين النثير من الاشلاء ... فى عاصف اللظى والثبور

وقد يرد فى البيت الواحد صورة تقوم على أدوات الحرب القديمة

والحديثة ، فتوحى بما بين الغرب والشرق من فرق ، ونجد هذا عند جبرى

فى حديثه عن افتقار الشرق الى القوة فى كفاحه .

عز النصير فليس ينصر ... فى الشدائد والنوازل

الا الاسنة والصوارم ... والمدافع والقنابل

وقد يقارن الشاعر فى معرض الفخر بين قوة قومه وقوة العدو كما فى

قول البزم

لئن ملأتم ضفاف الأرض ماخرة ... فقد ملأنا عراض البر مرانا

وتظهر فى الشعر الجلول فى ذكرى المتنبى صورة للهيئة الحربية فى الامارة

الحمدانية ، ويغلب على الصورة أن تكون أجزاؤها مأخوذة من شعر المتنبى

وأبى فراس اللذين صورا الحروب الواقعة بين الحمدانيين والروم ، فهذا عمر

يحيى يعرض صورة من صور المعامع ، ويعترف بفضل المتنبى فى تخليدها

فيقول مخاطبا اياه

أبقيت من تلك المطامح صورة   فيها الدمشق من أسماء يفوح

الأسنة تزأر والنجوم شواهد   والصبح أغبر والجسان طليح

والخيل سائمة الوجوه حديثها   تحت الكماة اذا شكون أنيح

وغلى يخترق الصفوف بسيفه   تزجيه فى ساح الفخار سموح

وصف بشير الارتياب كأنه   بين الكماة فسالم وطريح

وأبو ريشة يتساءل عن جو الحماسة الذى كان يغمر الصحوب من قبل فيقول فى ذكرى المتنبى

أين لمع المنى وحمحمة الخيل   م   ووهج القنا وخفق اللواء

وتظهر فى الشعر الوطنى صور من طبيعة الشام

فبدوى الجبل يخاطب البحر فى رثاء غازى ، ويجعله ملكا له لا للروم فيقول

أيها البحر بعض عهدك واذكر   لنا بيننا قديم العهود

لست للروم أنت للملك الطفل   م   تختار فى تاجه المعقود

أيها البحر أنت مهما افترقنا   ملك آبائنا وملك الجدود

وأبو ريشة يرثى فيصلا الأول ويجعله منارا يهتدى به مركب غازى فى اليم

واهد فى اليم مركب الشبل غازى .   فهو ربانه وأنت المنار

ويشبه الأعادى الكثر بالبحر

والأعادى تلوح كالأزرق الرجراج   م   فتى موجه المعنى المطير

ويجعل هنانو قبسا على ساحل الغلى

قبس أنت فى الحياة وفى الموت   م   على ساحل الغلى المهجور

وبرزت صور من طبيعة دمشق فى قصيدة مردم الميمية التى قالها فى تكريم شوقى حين زار دمشق ، وظهرت صورة لبرد الشتاء فى قصيدة أبى ريشة التى يرثى بها هنانو ويصف فيها اختفائه فى ثورته

رجع السيد الجرى كئيبا   ثاكلا فقد عونه والنصير

ضاربا فى الجبال يلتحف الليل   م   ويغفو على يد الزمهرير

وأمجد الطرابلسى يشبه المناضلين بالبروض

روض تجهز للجهاد فلم يدع   دوحا ولا زهرا ولا أملودا

ومردم يصور الطبيعة حزينة فى ذكرى الشهداء

ترى الكآبة مدودا سرادقها   وغيمها بسماء الشام منعقدا

كأنما الطل والأوراق ترسله   دمع تحدر من آماقها بددا

وتظهر فى الشعر الوطنى صور من بيئة مصر ، ونجد هذا فى شعر

المناسبات .

فجبري يقول في رثاء حافظ

أحببت مصر وسارت في محبتها قصائد من عباب النيل ترويها
يجول فيها هوى الفسطاط مزدحما على فؤاد عناه خطب أهليها

ويقول في رثاء شوقي مشيرا الى آثار آمون

جعلت تمثالها شعرا تميس به أبقى على الدهر من آثار آمونا

وتظهر بيئة مصر والجزيرة العربية والشام في قصيدة جبري في تكريم حافظ (١)

ويقول بدوي الجبل في تأبين المنفلوطي والالوسي

بغداد شاكية ومصر مرنة والشام حاسرة القناع ثكول
تلك الاقانيم الثلاثة واحد بردى وشاطئ دجلة والنيل

ويقول مردم في رثاء شوقي

فرفعت للفصحى بمصر دولة كانت تطالع فيك نجما صاعدا
توجت مصر وشدت عرش فخارها وعقدت في جيد الشآم قلائدا
للعرب والاسلام في آلامهم كنت اللسان مترجما والساعدا

ولا شك في أن بيئة الجزيرة والصحراء أكثر البيئات ظهورا في الشعر الوطني الذي غلب عليه التقليد

ب)) ـ ويظهر في الغزل بصور حيوانات الصحراء التي اعتاد الشعراء أن يشبهوا المرأة بها لما فيها من جمال

فالزركلي يستعير الرشأ لمحبوبه

رشأ سبحان مكونه ما أجمل ما صنعت يده

ومردم يجعل حشاشته مرعى لمحبوبه ودمعه وردا

فلقد جعلت حشاشتي مرعى له والدمع وردا

والفراتي يستعير عيون الجآذر للنساء الجميلات العيون وسهام القسي لوقع النظرات

رمتني فلم تخطئ سهام قسيها على غير ما قصد عيون الجآذر

ويستعير الحامد الغزال والظبي للمحبوب

بأبي غزالا كلما كلمته ولي عبوس
ياظبي رفقا فالهوى أضرى بي الحرب الضروس

وعمر يحيى يستعير الريم لمحبوبه

ريم تهادى صباحا كالغصن بين الرياض

ويشبه نفسه بالبعير المهزول لضعفه

(١) المختار ٤٤ـ٤٥

ان لم يعرني بـــالا ويكترث لانفـــرادى

فلست نضو هـــواه وليس أهل اجتهـــادى

ويظهــر فى الغــزل بيئــة الغــزل العـذرى الـذى ازدهــر فى الحجــاز أيام الأمويـين كما فى قصيـدة الفاخـورى وعنوانهـا (علالـة المجنون) (١) ويظهـر فيه أثـر بيئـة النعـيم والـترف واللهـو واللـذة الـتى عرفـت فـى العصـر العباسى ، وقـد تـداخـل البيئـة القديمـة والحديثـة فـى غـزل بعض الشعراء ممـن عرفـوا جوانـب من الحيـاة المدنيـة المترفـة فى العصـر الحاضـر .

فخليـل مـردم يصـف فى موشحـه (سكـران وسكـرى) (٢) زينـة المـرأة وحلتهـا وحليهـا وجمالهـا وأناقتهـا وحـركتهـا وتـرنحهـا ، وميلهـا علـى محبهـا ، وتشـويـش شعـر رأسـه الـذى يقبـل بـين ثدييهـا ورنـو المحـب المهيـط ، وطرفـه الكليـل ، ونضـوب كـأسيهمـا ، وقيـامهمـا الـى الغرفـة ، واطبـاق البـاب خلفهمـا ، وارخـاء الستـور علـى الكـوى ، وو فيـف الكلـة ، واحتفـاء المهـد بهمـا ، واعتناقهمـا .

وبـدوى الجبـل يصـف قرطـى محبـوبتـه وشـذا وجنتيهـا وحليـة زنديهـا وطيـب شعـرهـا فـى قولـــه :

ويـح شنفيـك قـد اهـتزا هوى حينما شما الشـذا من وجنتيـك

كـل ما فـى الكون يهواك فهـل حليـة الزندين تهوى معصميـك

ان فـى شعـرك طيبـا عبقـا أشقـى الشـاعـر هـذا العبقـا

والفراتـى يصـف جمـال النسـاء وأثرهـن فيـه وطيـب حديثهن فـى قولـه :

مهـا من بنات الحور بيض نواعـم بعيـدات مهوى القرط دعج النواظـر

جلـبن فتور الجسم لما أشرن لـى غـداة التقينـا بالجفون الفواتـر

فكلمن احشـائـى وهن صوامـت وشنفـن أسماعـى بنظـم الجواهـر

ويصـف لهـوه فى ليلـة ساهـرة وما كان فيهـا من شـراب وطـرب وغنـاء ورقـص واستمتـاع بجمـال الشـادن . (٣)

ويصـف الحامـد من قصيـدة لـه جمـال الحبيـب ودلالـه ونفـوره وأريجـه ونـار حبـه هـو وسهـره وقناعتـه بحديـث المحبـوب وشوقـه الى تقبيلـه وايثـاره العنـاق على كل جميـل فى الطبيعـة . (٤)

ويصـف عمـر يحـيى فى قصيـدته (البرعـم) (٥) تهـادى المحبـوب ، وتثـنيه ، وزهـوه بـارتمـاض محبـه ، وجفـونـه الساحـرة ، وثغـره البسـام ، وجمـالـه المحبـب فى العيـون ، ولفظـه الـذى حـوى جميـع الفنـون ، ووقـوفـه كالبنفسـج وتكللـه باللآلئ ، وتضمخـه بالعبـير ، وطيفـه السـارى ، وانسيـابـه بين الليالى

---

(١) المختـار ٦٨ ـ ٦٩ (٢) المختـار ١١٥ (٣) المختار ١٢١ (٤) المختار ٥٨

(٥) المختار ٦٠

بالقامة الهيفاء ، وطلاقته ، ورشاقته ، ويجعله أخيرا صورة للجمال يبدت بأروع صورة .

وسلطان يصف رقة المحبوب ولينه

هي كالشمع رقة وليانا   وهي كالنور والغذاء لنفسي

ويصف استمتاعه بالحبيب

يا حسنه اذ ضمه ساعدي   وفي الشفاه الحمر خمر ونار

ويصف القبلة

وارشف الخمر في اللمى   تحي في قلبك الأمل

واجن من ثغرها الندى   يخجل النحل والعسل

واحب غمازة الهوى   لثمة كلها شعل

والنصوص السابقة تبرز ملامح من بيئة الغزل في العصر الأموي والعباسي وهي تقوم على :

١ ـ وصف جمال المحبوب وزينته وخلقه وحركته

٢ ـ تصوير عواطف العاشق أو المحب أو اللاهي تصويرا فيه كثير من المبالغة والتكلف

٣ ـ وصف اللهو الاستمتاع بالمحبوب دون اكتراث بعادات المجتمع وتقاليده

ويظهر في شعر على الناصر وأبي ريشة أثر البيئة المادية الحديثة التي تنزع الى الأدب الصريح المكشوف ، وهذا الأدب يقوم على وصف جسد المرأة وتصوير الفرائز والشهوات واللذات ، ويعكس أثر البيئة الغربية في أدب الشاعرين .

فعلي الناصر يصف النهدين بقوله

في الصدر مصباحان قد حجبتهما   بهلاهل نسجته ربات الشفق

نشأ الهوى كالحلم في حقيهما   قلقا وما أحلاه ذياك القلق

ويصف حياة الشهوات

في حمأة الشهوات بين الدما   بين فظاعات بنات الهوى

أرتاح أرتاح وأسمو السنى   أرفع نعمى يرتجيها النهى

وفي قصيدته (الى امرأة ضالة)(1) وصف جسد مكشوف لشهوة المرأة والحب بين النساء .

وأبو ريشة يصف اغراء صاحبته له في ليلة من ليالي الشتاء فيقول(2)

لا تشيري الى السرير بلحظ   رقصت فيه فتنة الاغراء

ان كأس اللذات لم تبق فيه   بقايا لسكرة عمياء

---

(١) الظمأ ص ٩٣   (٢) شعر مطبعة العصر الجديد ، حلب ١٩٣٦ م ص ٨٤

فاسدلي الستر فوق نهدين ضجا ... واشرأبا كجانحي ورقاء
أنا أخشى عليهما لفحة البرد ... وأخشى عليهما اغمائي

ويصف في قصيدته (عاصفة)[1] ثورة الشهوة واللذائذ فيه وفي المرأة :

ويظهر في الغزل الصراع بين البيئة الشرقية والغربية ، وأوضح مثال لهذا قصيدة (أنت وأنا)[2] للطرابلسي ، وهي تصور نفس كل شاب يضطرب بين قيم الحياة الشرقية والغربية ، فينقسم على نفسه ويعيش حياة مزدوجة ·

ح — ويظهر في وصف الطبيعة وصف الصحراء الذي يعتبر متابعة للشعر القديم على الرغم من أن الصحراء في سورية داخلة في تكوين طبيعتها ، وأظهر الشعراء في هذا الوصف محمد الفراتي ، فقد وصف في قصيدته (البداوة والحضارة)[3] القفر ، والفلاة ، وصخورها ، ورباها ، وحرارها ، وصرير الجن ، وزئير الأسد فيها ، والركب ، وآثر حياة البادية على حياة المدينة ،·

ويصف أبو ريشة في قصيدته (لمحة)[4] ركبا تاه في الصحراء ، فيقول :

أوقفي الركب يا رمال البيد ... انه تاه في مداك المبيد
ظمئت نوقه وجف فم الحادي ... وغصت لهاته بالنشيد
والأشداء يلهثون كخيل الغزو ... عادت من يومها المشهود
عصفت في جفونهم ريحك الهوجاء ... والشمس عربدت في الخدود
والصبايا من الهوادج ينظرن ... الى الأفق نظرة المفؤود
ليس يبصرن منك غير هضاب ... في هضاب مبعثرات الحدود
غابت الشمس يا رمال وهذا الركب ... في قبضة الفناء الشديد
فتراءت اليه نار على البعد ... فكانت ايماءة للشريد
فسرى في سنائها فأطلت ... خلفها مكة الفخار التليد

ويظهر وصف الأطلال في الشعر ، وهو تقليد للقدامى ، ومن آثار بيئة الصحراء ·

فبدوي الجبل يقف (على أطلال الجزيرة)[5] ليصفها بقلدا ، ويمهد بوصفها للغرض المقصود[6]

والحامد يمهد لرثاء صالح قبنازر بالوقوف على الديار والنوح على الطلول

---

(١) المختار ٧٥ (٢) المختار ١٤٥ (٣) المختار ٨١
(٤) شعر · مطبعة العصر الجديد · حلب ١٩٣٦ ص ١٧٩ (٥) المختار ١١١
(٦) المختار ١١٢

ويلاحظ هنا أن الوقوف على مغاني الديار والنوح على الطلول هما وسيلة الشاعر الى التعبير عن عاطفة الحزن، وأن الموقف النفسي يهيمن على الموقف التقليدي .

وقد يجد الشاعر في الواقع موضوعا لوصف الطلل كأن يشاهد أثرا قديما بقي على الزمان أو بناء هدمه الانسان فبدا طللا ، وفي كلتا الحالين يظل موضوع الطلل القديم المثال والملهم الأول .

فالحامد يلوح له طلل (١) في الغوطة هدمته القنابل وأثرت فيه ألسنة النيران ، فيصفه ثم يخلص الى الغرض المنشود .

وأبو ريشة يمر بصرح رومانى ويسترعى انتباهه خلوه من الشوك وتألق ترابه النظيف وثباته للزمان فيصفه (٢) .

وتظهر بيئة الفرات في شعر الفراتي ، فهو يتغنى عهده بالفرات في قوله

رعى الله عهدا بالفرات وجيرة	بمفترق الشطين لج بها الوجد
فيا مرتع الآرام في ذلك الحمى	أباق على عهدى به البان والرند
أم البان لم يترك له البين منبتا	وعفى على آثاره الزمن النكد
ويا ماء رأس الكسر من لى بجرعة	يروى بها قلبى وينتقع الكبد
حمت وردها عنى الغداة ثعالب	وقد كان يخشانى بها الأسد الورد

وقصيدته (في ليلة ماطرة) (٣) تصور جو الفرات وتبدله بين الليل والنهار، وما يسود البيئة من تقاليد الحياة البدوية كايقاد النار وقرى الضيف، فهو يخرج الى ضاحية على مهر فيلفها في الليل ، فتنتبه ربا على وقع خطاه ، وتصبح سائلة عن الطارق ، فيهب عمار على صوتها ويستقبل الضيف ، ويأمر بدرا بذبح الكبش وايقاد النار واعداد القرى ، ثم يجلس للسمر ، وما يكاد ينتهى من مسامرة ضيفه حتى تبرق السماء وترعد وتمطر ويكون سيل يملأ الوادى ويخيف جيرته ، ثم يطلع الصبح وينقشع الغيم وتشرق الشمس وتطير الطير ويمتاق الرعيان أنعامهم الى المرعى .

ونجد في شعر أبى ريشة (٤) صورا من الطبيعة في حلب ، ومنها ظاهرة الشتاء وما تتفرد به من برد وثلج وبرق ورعد وريح عاصفة

وتظهر صور من بيئة جبل العلويين في شعر بدوى الجبل ، ويغلب أن تكون اطارا لعاطفة الشاعر كما في قوله .

الكرم هل أطياره لم تزل	تشدو على أغصانه الناعمة

(١) المختار ١٢١ـ١٢٢ (٢) المختار ١١١ (٣) المختار ٩٥ (٤) المختار ٩٧

والروض هل أزهاره لم تـزل | تفـورهـا مفـترة باسـمه
صفصافة الجدول هل مسها | داعي الردى أم لم تزل قائمـه
يا طالما غنى بألحانه | وأنت في أفيائها نائمـه

وتظهر بيئة الفاصي في شعر الحامد (١) وفي شعر عمر يحيي (٢)

وتظهر صور من طبيعة انطاكية الجميلة في قول المحاسني يصف شلال دفنة (٣) .

وتظهر بيئة دمشق في شعر الزركلي وجبري ومردم وبدوي الجبل وأظهر ما تكون في شعر المطار (٤) ، فقد وصف في ديوانه دمشق وغوطتها وبردى ودمر، وأعاد وصف دمشق وبردى ، ووصف الحمامة والشجرة والصحراء وأضاف الى هذا كله وصف الخريف والربيع .

ونجد صورا للبحر في شعر أبي ريشة ، فهو يمثل للغرور بسفينة (٥) لا تعبأ بالبحر ، فيرمي بها على الصخر قطعا ممزقة ، ويصف الفلك (٦)

وتظهر صور من طبيعة البلاد العربية كلبنان ومصر والجزيرة العربية والعراق في شعر بدوي الجبل والفراتي والحامد وعمر يحيي وأنور العطار وأبي ريشة وعلي الناصر .

د ـ ويمكننا أن نقول ان التأملات ليس لها بيئة محدودة بزمان ومكان ، ذلك لأن الشاعر يتخطى الزمان والمكان ، ويخضع الكون لتأملاته ، فتجيء مطبوعة بطابع عام يكسبها صفة الشمول والامتداد .

فالزركلي يتأمل الزمان والناس والقسوة والحق والغني والفقر والخير والشر والحياة والموت ، والبزم يتأمل العرب البائدة ، والشريقي يتأمل البحر ، ويسوقه تأمله الى التفكير في أحوال مختلفة تتعلق بالانسان والأديان والحياة وسر الوجود ، والفراتي يرسل خواطره وتأملاته في الليل فتبدو مطبوعة بطابع فلسفي ، والحامد يتأمل الأيام والمنون والمنى والدهر والنفس ، وعلي الناصر يتأمل الحياة والوجود والموت والانسان والخلق ، وأمجد يصور وحدة الانسان في الكون وتشابه أيامه فيه ، وأبو ريشة يتأمل الحياة ويرى أن يستبدل بها ما هو خير وأبقى ، ويفكر في المجهول .

والصور الواردة في تأملات هؤلاء الشعراء وغيرهم مطبوعة بطابع الشمول وهي تمثل مزاج الشرقي المتدين .

---

(١) المختار ١١٢ (٢) المختار ١١٣ (٣) المختار ٨٥
(٤) ظلال الايام
(٥) المختار ص ٨٨ (٦) المختار ٨٨

ونستطيع أن نتبين ملامح بعض البيئات التى كانت موضوعا لتأملات الشاعر ومنبعا يستقى منه الصور المفصحة عن شعوره وفكره ٠

ففى تأملات الزركلى (١) يبدو أثر المرحلة التاريخية ، والبيئة الاجتماعية المتخلفة عن ركب الحضارة ، والمجتمع الذى تشابهت فيه القيم الخلقية كما يظهر فيها تطلع الانسان الى المجهول، ونظرات مستقاة من شعراء الزهد والادب والحكمة فى الادب القديم ٠

ويظهر فى تأملات البزم (٢) الاعتبار بالاقدمين ، كما يظهر فيها مشاعر الانسان الذى يؤمن بالله ويشعر بضعفه ازاءه ، ويطمع فى عفوه، وهى خطرات ومشاعر نجدها عند شعراء الزهد والحكمة ٠

ويظهر فى قصيدة جبرى وعنوانها (نجوى آدم) (٣) أثر الطبيعة والمرأة فالطبيعة جميلة ، وجمالها مختلف الالوان ، والمرأة فيها ما فى الطبيعة من جمال معجب، ولكنها تمتاز عنها بما تملك من حس متقد لا تملكه الطبيعة ، فالطبيعة لا يدرك جمالها الا بالمرأة ، كما يظهر فى التأملات أثر المرحلة التاريخية ٠

ويظهر فى تأملات الشريقى (٤) أثر البحر الطبيعة والفن الذى يسمو بالانسان ، والدين والذى يدعو الى الخير والفلاح ، والوجود الذى هو لغز معجز ٠

ويظهر فى تأملات بدوى الجبل أثر المرحلة التاريخية والحداثة كما يظهر فى قصيدته (الروح الثائرة) (٥) أثر ابن سينا الذى يرى فى قصيدته العينية أن النفس من عالم المثل، وأنها هبطت الجسم، وحلت فيه ، فشقيت بحبسها ، وأخذت تحن الى عالمها الاول ، وأنها تعود اليه بعد الموت، ومصير الجسم الى الفناء ، وهذه النظرات مستقاة من نظرية المثل عند أفلاطون ٠

ويظهر فى تأملات الفرانى (٦) أثر المرحلة التاريخية والاغتراب والدين والفلسفة الاسلامية ، كما يظهر فيها تفكير الانسان فى الذات، وتطلعه الى المجهول وحيرته وشكوكه ٠

ويظهر فى تأملات الحامد (٧) أثر المرحلة التاريخية والشباب والحياة الفردية، كما يظهر فيها أثر شعراء الزهد والادب والحكمة فى الادب القديم ٠

ويظهر فى تأملات عمر يحيى (٨) أثر الذات والمرحلة التاريخية ٠

ويظهر فى تأملات الفاخورى (٩) أثر المرحلة التاريخية واحساس العصر

---

(١) المختار ١٢١ ـ ١٢٢ (٢) المختار ١٢٢ ـ ١٢٣ (٣) المختار ١٢٣ (٤) المختار ١٢٤
(٥) المختار ١٢٤ ـ ١٢٥ (٦) المختار ١٢٥ ـ ١٢٩ (٧) المختار ١٢٩ ـ ١٣١
(٨) المختار ١٣١ ـ ١٣٢ (٩) المختار ١٣٢ ـ ١٣٤ ٠

والشباب وأثر شعراء الزهد والأدب والحكمة .

ويبدو في تأملات رضا صافي [1] احساس العصر والشباب ونظرات جميل سلطان وتأملاته [2] لا تخرج عن تأملات شعراء الزهد والحكمة في الأدب القديم .

ويبدو في تأملات المطار [3] أثر الذات والمزاج الفردي والدين كما يظهر فيها أثر الرومنسية .

ويبدو في تأملات أمجد [4] أثر الحداثة والمرحلة التاريخية كما يبدو فيها أثر الرومنسية والحياة الغربية والاغتراب .

وتأملات على الناصر [5] مظهر صادق للصراع بين قيم الشرق والغرب ، وهي تبرز المأساة التي عرفت بنفسه فدمرتها تدميرا ، ويبدو فيها أثر المعري وبو وبودلير .

وتأملات أبي ريشة [6] تعكس أثر المرحلة التاريخية ، ويبدو فيها احساس العصر والشباب كما يظهر فيها أثر الرومنسية .

والتأملات ترتد في جملتها الى بيئتين اثنتين :

أ - الأولى هي البيئة المادية التي تتمثل في البيئة الشامية والبيئات العربية الأخرى ، وتتمثل في البيئة الغربية التي انتقل اليها الشاعر للدرس والتحصيل .

ب - والثانية هي البيئة المعنوية الشرقية التي تتمثل في الدين والأدب العربي القديم والفلسفة الاسلامية ، والبيئة المعنوية الغربية التي تتمثل في أدب الغرب وعلمه وحضارته .

وهاتان البيئتان تتصارعان صراعا ظاهرا وخفيا فيكون لهذا أثر في خلق المرحلة التاريخية التي مرت بها سورية وباقي البلاد العربية ، ويكون لهذه المرحلة أثر في الشعر .

ويضاف الى ذلك ما فطر عليه الشعراء من مزاج فردي وماعانوا في حياتهم من فقر وحرمان .

وتلك البيئات المادية والمعنوية المختلفة تكون الروافد التي يستقي منها الشعراء تأملاتهم .

---

(1) المختار ١٣٤ - ١٣٦
(2) المختار ١٣٦ - ١٣٨
(3) المختار ١٣٨ - ١٤٠
(4) المختار ١٤٠ - ١٤٥
(5) المختار ١٤٥ - ١٤٨
(6) المختار ١٤٨ - ١٥٠

ج ـ الألوان

ثم نتبين الألوان في الصـور في مختلف فنون الشعر

أ ـ ففي الشعر الوطني نرى اللون الأزرق .

فمردم يشير الى اقتراب أجل الشهيد حين يجعل المنايا زرقا كالحة في قوله

اذا كلحت به زرق المنايـــا تهلل وجهـه وازداد بشـرا

وأبو ريشة يكني بالأزرق عن البحر في قوله :

والأعادي تلوح كالأزرق الرجـــ ـم ـراج في موجه الصتي المطير

ونرى اللون الأبيض يوصف أو يوحى به بذكر ما يتصف بالبياض والصفاء والتلألؤ فجبري يرى فجر الحرية على الرغم من امعان المحتل في ظلمه واستبداده .

لئن طوى استبداده ليلهـا فما طوى عن مقلتي فجرهـا

ومردم يشبه أوجه الشهداء المعلقين بالأعواد بالماس المتلألئ في ضوء الشمس

تواجه الشمس منهم أوجها نضـرت كالماس في الشمس لألاء اذا انقـدا

ويرى عز الدين التنوخي يوم ثورة العرب على المستعمر يوما محجلا

ذاك يوم محجل فيه تحطـيـ ـم قيود وفيه تهتيك حجـب

ويدوي الجبل يذكر بيض المشرفية :

هاهنا مثوى الصناديد الأولــى دوخوا الأرض ببيض المشرفيـة

ويصور العطار النجوم المفضضات في ليلة المولد النبوي

والنجوم المفضضات عيـون شاخصات والكائنـات مباسـم

ويصور أبو ريشة بيض الحمام تطير من حول محمد الطفل

وحواليه من حمام الفؤاد بيـ ـض حسان مرنحات القـدود

ساحبات بيض البرود كمـا لـو جمد النـور فوق تلك البـرود

ونرى اللون الأسود يوصف أو يوحى به بتصوير ما يتصف بالسواد .

فجبري يكني بسواد المنايا عن أفظع صور الموت في قوله يصف الوطن الذي بعث بأبنائه الى الموت

ألقى الى سود المنايا ربعـه فتقحموا فيه المنـايا السـودا

ومردم يصور تخريب المستعمرين دمشق واحراقها في ظـلام الليل

جعلوا منيفات القصور ومن بهـا للنار في غلس الظلام حصائـدا

والحامد يلبس القصور حلة السواد بعد الثورة السورية حزنا على ما كان :

لبست حلة السواد حـدادا وعلاها من المصائب الذهـول

وعمر يحيى يجعل الليل حالك السواد في قوله يصور فجيعة فلسطين بالشهداء ..

فجع الحمى بهم فأغطش ليلـه وبدت عليه روعة وذهـول

وأبو ريشة يصف ظلمة الدخان الذي انعقد في جو السماء فحجب الشمس عن رؤية دماء الشهـداء .

وتدجى الدخان يحجب عين الشمـ ـس عن مأتم الثرى المستبـاح

ويغلب اللون الاحمر على الصورة فى الشعر الوطنى •

فاليزم يصبغ الدمع بلون المرجان فى الثورة السورية •

وكم ربيبة عـــز أطلقت جزعـــــا — فرائد الدمع مرجانـــا وعقيانــــا

ويكنى جبرى باللون الاحمر عن عنف مضـــر

ان لم تكن مضـــر الحمراء سائـــدة — فما يقر عيـــون العرب تسويـــد

ويجعل الدم الاحمر مدادا تكتب به الصحف التى خلدت جهاد سورية •

صحف بأحمر قانى مكتوبـــة — ضمـــن الزمان لاهلها التخليـــدا

ويصبغ الثورة العربية باللون الاحمر فيكنى بهذا عن عنفها ، ويخاطب الملك حسينا :

لما رأيت قلوب العرب واجفـــة — من الشدائد ماتسجو سواجيهـــا

بعثتها ثورة دهواء مائجـــة — بالهاشميين مخضوبا حواشيهـــا

حمراء أوقد جنبيها القنا وسقـــى — فتيانها من نجيع الترك ساقيهـــا

وفى تكريم حافظ يكنى باللون الاحمر عن عنف مضر فيقول مشيرا الى عروبة مصر •

كأنما مضر الحمراء مازحفـــت — الى المقطم فى شيب وشبـــان

وفى رثاء حافظ يصبغ نهضة مصر بالاحمر مريدا بـــه عنف الكفاح الذى ألهم الشاعر شعره الوطنى ويصور ماعلى شعره من ميسم لغة مضر الحمراء •

لكن روحك ان جدت وان هـــزلت — لم تنس مصر ولم تهمل مغانيهـــا

غنت بوادى الحمى فى فجر نهضتـــه — وخاضت النهضة الحمراء واديهـــا

ماكان شعرك الاوحى عاطفـــة — ظل الجزيرة والاهـــرام موحيهـــا

عليه من مضر الحمراء منزعـــة — محبوكة الوشى مرصوص مبانيهـــا

وفى رثاء شوقى ، يصبغ قصائد شعراء سورية بنجيع الشهداء وصباغ السيوف ، ويلبســـون الثورة بالاحمـــر •

قصائـــد بدم الاحـــرار مائجـــة — من وحى جلق نمليها وتمليهنـــا

مغموسة فى نجيع من حصائدنـــا — مصبوغة بصباغ من مواضينـــا

فيها من الثورة الحمراء أمثلـــة — تمثلت فى مجاليهـــا معاليهـــا

ومردم يشبه لهيب النار فى حريق دمشق بشقائق النعمان ، فيقول مخاطبا اياها •

ذكرتك واللهيب له وميـــض — ينشر من شقائقـــه ذيـــولا

ويخضب كف المستعمر بالدم ويسود وجهه فى ذكرى المتنبئ •

شكواك مازلنا نعانى مثلهـــا — كف مضرجـــة ووجـــه أســـود

وفى رثاء غازى ، يرى بدوى الجبل حمرة الفجر فى دماء الشهيد •

زهوة الفتح والشباب النجيـــد — من سقى الفجر من دمـــاء الشهيـــد

خضبت غرة الصباح فقد نـــم — عليها بالعطـــر والتوريـــد

دم غازى يا حمرة الفجر فاسقـــى — وارشفى من دمائه واستزيـــدى

ويصبغ المطار الثورة بالأحمر :

أو قد وها حمراء تلتهم الأفق ۝ فتشوى بها اللظى والسمائم

وأبو ريشة ، في قصيدته (فيصل بعد عام) ، يصور المستعمرين في صورة الذئاب ، ويكنى بحمر النواجذ عن أفعال الوحوش :

والأعادى حمر النواجذ تنقض ۝ كسرب من الذئاب العوادى

وفي رثاء هنانو يصور المحتلين يشتمون الأرض بالقنابل الحمر .

تشتم الأرض من قنابلها الحمر ۝ ويشكو العجاج جفن الأثير

وفي رثاء سعيد العاص ، يلقى على كاهل الجهاد برداً أحمر ، فيكنى بهذا عن عنف الجهاد في فلسطين .

أى برد خلعته أحمر اللون ۝ على كاهل الجهاد الصراح

ويصف رعاف الصوارم في وقعة اليرموك فيقول مشيرا الى عنف القتال :

جولة ترعف الصوارم فيها ۝ وتصيح الأكف هل من مزيد

ولا ريب في أن الأحمر ، لون الدم ، ملائم لجو الحماسة والحرب .

ب ـ وفي الغزل نرى النور والتلألؤ واللون الأبيض .

فمردم يصور النور ينهل من زخرف الحلة ،

فترى الزخرف في حلتها ۝ نوره ينهل كالغيث الهتن

ويدوى الجبل يشبه أسنان محبوبته باللؤلؤ على سبيل الاستعارة .

وابتسمى عن لؤلؤ واسفرى ۝ عن بشرة ناعمة بضه

والحامد يشبه محبوبه بفلة بيضاء .

يهنئك أنك فلة ۝ بيضاء مابين الزهر

وسلطان يصور أسنان المحبوب ونور ثغره ،

دنوت منه هادئا فابتسم

فلاح من لؤلؤه ما انتظم

وشق نور الثغر قلب الظلم

وزان لحن اللثم ذاك الضيا .

ويجعل على الناصر أنامل الراهبة من نور مجمد يفيض بالحياة .

برأت أناملها من النور ۝ المجمد ذى الحياة

ونشاهد اللون الأسود .

فالزركلي يذكر سواد شعر المحبوب :

محمر الخد موردة ۝ مسود الفرع مجعده

ومردم يجعل للظلماء علما مرفوعا :

طيف ألم وليلتى ۝ رفعت من الظلماء بندا

ويجعل كحل العين ظلمة يضيء النجم من بينها .

وعلى أجفانها من كحلها ظلمة من بينها النجم أضا

ونشاهد اللون الأخضر .

فصلي الناصر يجد عيني محبوبه زمردا :

منيسة النفس في زمرد عينيك م سماء ضحيانة بالجمال

ونشاهد اللون الأحمر .

فمردم يصور حمرة الثغر وحمرة أظافر اليدين والرجلين وبياض البشرة .

انما الحمرة في مبسمها قبلة حوى حكت جمر الغضا

في يديها وعلى أقدامها مهج سالت ودمع غيضا

أرأيت العاج قد قمصه وهج الياقوت ، أو شمعا مضا

ويصور احمرار نور الغرفة التي أوى اليها هو وصاحبته :

واحمرار النور في ظلته

موذن أن له جفنا قريحا

ويرى بدوي الجبل في خد المحبوبة القاني تفاحة

في خدها القاني البهي الوسيم تفاحة طيبة غضه

ويذكر سلطان الشفاه الحمر ،

ياحسنه اذ ضمه ساعدي وفي الشفاه الحمر خمر ونار

ويشبه على الناصر لون الأظفار بلون شفق المغيب .

أظفارها شفق المغيب م على الروابي الباسمات

وقد نشاهد في القول الواحد ألوانا مختلفة من بياض متلألئ وحمرة وصفرة وزرقة .

فسلطان يصف جمال محبوبه فيقول :

الفجر في جبهته ، والشفق

في خده ، والزهر لما انبثق

في ثغره ، والتبر لما ائتلق

في شعره ، واللحظ سحر السماء .

وفي وصف الطبيعة نشاهد اللون الأحمر .

فمردم يكثر من استخدام صبغ الأحمر في وصف (الشمس)(1)

والفراتي يتبين في الصحراء عدة ألوان منها الأحمر ، فيقول :

غريب عن الأوطان لاحيث يرتجى أنيس ولم يرفع لركب منارها

بداوية دهماء زرق صخورها وحمر رباها موقدات حرارها

---

(1) المختار ٧٧

ويشير الى ظهور الشفق بعد طلوع الصبح ، ويصف حمرة الشمس في الأفق عند الشروق •

يا ليلة لم نخض فيها السرى ... أن أسفر الصبح وبان الشفق

حتى بدت تختال في بردها القانى ... من الشرق عروس الافق

وعمر يحيى يحلل أنين الناعورة بما يجرى من دماء على التراب •

رأت دماء على الترباء جارية ... فرددت شجوها تستنطق الرمسا

وسلطان يصف حمرة الشقائق والورد في الربيع بقوله :

ترى الشقائق حمرا في مراشفها ... كأنها مبسم العذراء فتانا

وحمرة الورد في قاني تألقه ... كمقلة العاشق البكاء سكرانا

ويتبين أبوريشة مختلف الالوان التى تصاحب غروب الشمس وتستمر أو تكون بعده ،

مأتم الشمس ضج في كبد الافق ... وأهوى بطعنة نجلاء

عصبت أروس الروابي الحزانى ... بعصاب من جامدات الدماء

فأطلت من خدرها غادة الليل ... وتاهت في مشية الخيلاء

وأكبت تحل ذاك العصاب ... الأرجواني باليد السمراء

ونشاهد اللون الأصفر •

فالحامد يصف نور الشمس الذهبي يزين ماء الروض الفضي ،

وابتسام الصباح في الروض حلى ... عسجدي يزين فضة رأسه

ويصور سلطان بردى في الأصيل ، فماؤه فضة والشمس ذهب ،

كلما ذاب في الأصيل نضار ... خلته خالص اللجين يذوب

ويشبه بردى الرقراق ، ومن حوله الآس والحوذان ، بصفحة مرآة سويت أطرافها من لؤلؤ مزدان بالتبر •

والجدول العذب في رقراق دمعته ... تروى جوانبه آسا وحوذانا

كأنه صفحة المرآة قد حبكت ... أطرافها لؤلؤا بالتبر مزدانا

وصفرة الخريف ، عند العطار ، تهيج الحزن وترمز الى الزوال

صفرة توقظ النوم من الشجو ... ورمز الى الزوال يشير

وعلى الناصر يشبه لون فروع الأشجار في الأحراج بلون التبر ولون أشعة الشمس عند الغروب

هي نشاهد مغني ... عرائس الأحراج

العاريات الزواهي ... بمنظر وهاج

الناشرات شعورا ... بلون تبر مذاب

أو كالأشعة عند ... المغيب فوق الروابي

ونشاهد اللون الأخضر •

فيدوى الجبل يشبه السفينة بناقة تنكبت خضر البطاح •

وتنكبت خضر البطاح فما رعت ... جنجاتها يوم النوى وعرارها

والفاخوري يصور عري الأيكة التي كانت خضراء قبل مجيء الخريف ·

الأيكة الخضراء قد أصبحت   بعد الشذا منهوبة عاريه

وينثر المحاسني الآس فوق قبر أمه ، ويبلل أوراقه الخضر بدموعه ·

فنثرت آسا فوقه وهمى   دمعي على أوراقه الخضر

والعطار يصور بلى الروض الخضير في الخريف ·

وتمضي أرائك الحب والعطر م   ويبلى الروض الندي الخضير

ويشبه بردى ينساب في السهل الخضير بشريط من فضة في وشاح سندسي

تتراءى في السهل تنساب فيه   تتثنى ما شئت أن تتثنى

كشريط من فضة في وشاح   سندسي يسبي النواظر حسنا

وغوطة دمشق ، عنده ، عالم من نضارة واخضرار ·

عالم من نضارة واخضرار   فاتن الوشي عبقري الاطار

وسلطان يصف البرد السندسي الذي خلعه الربيع على الآكام ·

هذا الربيع على الآكام سندسه   غض المكاسر أشجارا وأفنانا

والناصر يصور الأنهر المخضرة بخيطانها :

ومرت الأجيال في كبرها

والأنهر الخضر بخيطانها

ونشاهد البياض والصفاء والاشراق والتلألؤ في عدة صور ·

فمردم يصور نور الشمس يجفف قطرات الطل العالقة بالأزهار ·

مسح النور دموع الليل عن   وجنة الأزهار اذ قبل فاها

والفراتي يشبه ماء دجلة ، الذي يفيض فيغمر ما حوله ، بلؤلؤ فوق زبرجد ·

أظما الى بردى وهذي دجلة   ينساب تحتي ماؤها سلسالا

أو ما تراها كيف يقذف موجها   فوق الزبرجد لؤلؤا سيالا

ويعد النجوم الزهر مقلبا طرفه فيها :

وقلبت في زهر النجوم لواحظي   أعد تواليها فيخطئها العد

والحامد يشبه نثار الماء المتساقط من الناعورة فوق العاصي بجمان :

واذا بكيت طفا على   عاصيك منتثر الجمان

وعمر يحيى يرسم الصورة ذاتها

ليس يألو تقلبا يضحك الربع م   فيبدي عن دره وجمانه

والمحاسني يصور أمواج الشلال المزبدات ·

في مساء بين الندى والظلال   رحت أشتام فتنة الشلال

كيف ترغو أثباجه مزبدات   مائجات ترمي بهن العوالي

والعطار يشبه الغيم الأبيض الشاف بالزبد المندوف ·

ويصح الفضاء بالزبد المندوف ٭ والأفق كالخضم يفور

ويشبه ماء العيون باللآلئ على سبيل الاستعارة

وعيون سحاحة باللآلئ ٭ ساكبات تغالب النوم ضنا

ولبنان ، عنده ، صور كلها بياض وصفاء ونور واشراق وتلألؤ (١)

ونشاهد اللون الأسود .

فمردم يشبه الشمس والسحب من فوقها بشعلة يعلوها دخان .

أم تراها شعلة والسحب من ٭ فوقها مثل دخان قد علاها

والفراتي يقطع داوية دهماء .

بداوية دهماء زرق صخورها ٭ وحمر رباها موقدات حرارها

ويصف الدجن الذى بارح السماء .

والدجن قد بارحنا خلسة ٭ كأنه العبد اذا ما أبق

ويصف أبوريشة هبوط الظلام . فيمثل الليل فى صورة غادة طويلة الشعر ، ويصور النجوم تشع وسط الظلام وترنو الى الغادة :

فأطلت من خدرها غادة الليل ٭ وتاهت فى مشية الخيلاء

وأكبت تحل ذاك المصاب ٭ الأرجواني باليد السمراء

وذوائبات شعرها تترامى ٭ فى فسيح الآفاق والأجواء

وعيون السماء ترنو اليها ٭ من شقوق الملاءة السوداء

فاذا الكون لجة من جلال ٭ فجرتها أصابع الظلماء

ويقول على الناصر فى استعراض الوجود :

ومرت الظلما بأقمارها

مليكة زينت بتيجانها

وهناك اشارات الى الألوان دون ذكر لأنواعها ، ونجد هذا عند عدد من الشعراء .

فعمر يحيى يقول فى الناعورة .

رأت على الأفق ألوانا فما سكتت ٭ وجدا وحاولت الأسماع لا السأما

وسلطان يخاطب البلبل

وانقل جناحك من غصن الى فنن ٭ واشمم من الزهر أشكالا وألوانا

ويصف أثر الربيع فى الطبيعة .

مرت على السهل والآكام أنمله ٭ فخلف الكون غصن اللون فيتانا

وشتى الرياض فلم يترك تفننه ٭ صبغا ولا فاته صنعا واتقانا

ويصف الأزاهير من حول بردى .

الأزاهير عطرت جانبيه ٭ فهى من لوحة الاطار الخضيب

والعطار يصف مساء دمر بقوله :

---
(١) المختار ١١٤

والمساء الجميل شمس بهي ... دغدغته قيثارة تتشوق

لونته الغيوم فهو كتاب ... عبقري الرسوم حلو مزوق

د — وفي الخمر يشبه مزدم الراح بشؤبوب سنا ، وألوان الأقداح التي صبت فيها الخمرة بألوان قوس قزح ، ويشبه الخمرة بشعاع الشمس المتلألئ أو بالنار ، ويشبه الخمرة يعلوها الحباب بالنار يعلوها دخان أو بالشمس يغشاها ضباب ؛

أرسل الابريق شؤبوب سنا ... فاذا أقداحنا قوس قزح

كشعاع الشمس لألاء فهل ... بعث النور أم النار قدح

هل رأيت النار يعلوها دخان ... أبيض والشمس يغشاها ضباب

هـ — وفي التأملات نرى اللون الأسود يوصف أو يوحى به .

فالشريقي يشبه الحياة ببحر عجاج ركبه الناس وأحاطت سفينتهم ظلمات

وكذاك الحياة بحر عجاج ... غاب عن ركبه منار المؤانس

وأحاطت سفينه ظلمات ... ضل في جنحها يد الربان

والطرابلسي يجد نفسه في مهمه حلك من جراء رؤاه

أصبحت بعد الرؤى في مهمه حلك ... من الحقائق داج جد مظلوم

ويصور الوحشة تنشر الليل فوقه .

أيها الوحشة خلي الملكوت ... تنسج الأكفان في أحناء صدري

وانشري الليل على كهف الصموت ... واصبغي باليأس والأهوال فجري

والعطار يرى الحياة قتاما .

تتراءى لي الحياة قتاما ... مابها مسرب بيمن فطبوق

ولا يكترث للدجى مادام بخيلي .

أتسلى عن الضنى بلحون ... هي روح الحياة والاكسير

الشجنا المر في حماها شفاء ... والدجى الشامل المروع نور

وعلى الناصر يجعل شكوكه مظلمة :

وجدب ملهاة روحي

في هالة من شكوك

شفافة الظلمات

ونرى اللون الأصفر .

فبدوي الجبل يخاطب الروح في عالمها الأمثل مصورا صفرة أوراق الزهرة التي هي شكل جديد من جسمه الفاني .

فلا تعجبي ان ذا الاصفرار ... بأوراقها كان في سقامها

ويتساءل الشريقي عن رنو شمس الأصيل اليه بأشعتها الذهبية :

مالشمس الأصيل ترنو الينا ... بشعاع أراه كالعقيان

وعلى الناصر يصور جلد الثعبان المصفر وعينها الصفرا • فيقول مشبها روحه بالثعبان •

رقشا • قد زانهـا جلـد يزركشــه زاهى الضيا • وذوب التبر والصدف

طورا يحين كلون الموت فاقعــة صفـرا • مدهشة بمدومة الطـرف

ترنو الى وطورا تستبيح فمـــنى بذى غرارين مصقولـين مزتجـف

والمطار يجمل مهاده في الخريف من ذهب خالص وتبر نثير

عالى مهبط الروء ى ومهـــادى ذهب خالص وتـبر نثيـــر

وفي تغنيه بالله يتأمل الفجر ويصف الضوء المسجدى عند طلوع الشمس •

غرق يغمر القلـــوب ابتهـــالا وسنا يملأ النواظـــر عسجــد

ونرى الحمرة يوصـــف أبوبوجي بهـــا •

فبدوى الجبل يذكر حمرة الزهرة التى هى شكل جديد لجسمه •

وذا الاحمرار احمرار دموعـــي وهذا الشذا كان فـــى غرامـــا

والمطار يلاحظ تورد الشفق قبل طلوع الشمس فى تغنيـــه بالله

جدول رائع يرف من النــــور م وأمواهـــه تكاد تــــورد

وأبوريشة يتأمل الحرب وويلاتهـا فيصور المحاربين الذين صبغوا الأرض بدما • ضحاياهـم (1)

لم يزل شرب النجيع سكـــارى يتبارون حولـــه عدوانـــا

طرفوا مقلة السما • وأدمـــوا كبد الأرض عثيرا ودخانـــا

فضحاياهم تمور على الرمـــل م المدمى وتعتلى صلبـــانا

ونرى اللون الأبيض •

فالمطار يبيت مسهد الجفن وهو يذكر الله ويرقب الفجر فى غلائله البيض

أرقب الفجر فى غلائله البيـــض م وقد شف عن غبـــار مبـيد

وأبوريشة يبحث من السلام على الأرض فيشير الى الحمائم البيض أن تطير •

قل لتلك الحمائم البيض طـــيرى فالخطايا تدنقت طرفانـــا

ونرى فى الشعر الاجتماعى اللون الأسود •

فالزركلى يصبغ المصيبة بالسواد :

أية نفس من أسى ناجيــــه والناس فى حالكــه داجيــــه

والبزم يجعل المرأة فى غيهب من جرا • جهلهــا •

ولو أورد وهـا نمير الهـــدى لاسفر عن صبحهـا الغيهـــب

والطرابلسى يرى الطفل الشريد فى بؤسه أشبه بكوكب بين سحب سود •

تحسبه فى بؤسه كوكبـــا بين نثارات من السحب ســود

وتبدو صفرة البلى على ردا • السائلة فى قول الزركلى

---

(1) شعره مطبعة الكشاف • بيروت ١٩٤٧ ص ٧٣

رداء على أطرافه صفـــــرة البلـــى   كرور الليالي لايني فيه يخلق

ويبد و بياض الشيب فوق الجبين في قول جبري يصف أبا يرغب في تزويج ابنته من طاعن في السن

رسوم الليالي علـــــى مفرقـــــي   وآثارها الغر فوق الجبيـــــن

ونرى الأحمر في قول البارودي ينذر بيوم تثور فيه الأرض وتحمر الشمس •

لابد للأرض من يوم تثور بـــــــــه   والشمس من حنق في الأفـــق حمـــراء •

د ــ الصوت

تتردد الأصوات في مختلف فنون الشعر وتشتد وتلين من غرض الى آخر ٠

ففي الشعر الوطني تقوى الأصوات وتشتد لتلائم قوة المعاني فنسمع رنين الرمح وأنين العضب في قول الزركلي ٠

كتائب هيت تلبي الدعـــاة تطوى القفار وكثبانهـــا
برمح يرن وعضـــب يـــئن ينهه في الترك وسنانهـــا

ونسمع هتاف الشعب وتكبيرة الدنيا في قول بدوي الجبل يرثي غازيا ٠

هتف الهاتفون غازي فجنـــت بدعة الهند وانتخت في الصمود
وتجلى غازي فكبرت الدنيـــا وقال الجلال هل من مزيـــد

ونسمع صياح جنان الفلاة ، وقراع الخطوب، والدوي، ونوح الدمستق، وزئير الأسد، وأنيح الخيــــل، في قول عمر يحيى في ذكرى المتنبي ٠

لولا العلا لم يسر فوق جلالـــة حرف وجنان الفلاة تصيـــح
ولكان أطيب من قـــراع خطوبـــه خفض الحياة ومزهر وصبـــوح
وتركت في الدنيا دويـــا مثلمـــا تبقى لباغي المجد حين يشيح
أبقيت من تلك المعامع صـــورة فيها الدمستق من أساه ينـــوح
الأسد تزأر والنجوم شـــواهد والصبح أغبر والجبان طليـــح
والخيل ساهمة الوجوه حديثهـــا تحت الكماة اذا شكون أنيـــح

والأصوات تلائم قوة روح المتنبي التي تعشق الحرب والطعان، وتسمو الى المجد ٠

ونسمع ضجة الشعوب لنبأ الاضراب الذي استمر خمسين يوما في سورية ، وترديد غضبـــة القوم في أنحاء العالم ، وزمجرة دمشق وارعادها الذي ملأ الفضاء في قول أمجد ٠

ياغضبة أموية من جلـــق حطمت سلاسل ظلمـــة وقيودا
ضجت لهـــا كل الشعوب أما تـــرى كيف استفاضت في الدنى ترديـــدا
ألمت دمشق من الخنوع فزمجـــرت أنفا وطبقت الفضاء رعـــودا

ونسمع الرمل يسبح للـــه ، وتكبيرة الله ترعد في التسبيح ، والجيوش تمد التسبيح فـــي حركـــة الفتوح ، كما نسمع الصوت المجلجل والزمازم في قول العطار ٠

أسمع الرمل يملأ الأرض تسبيحـــا بصوت مجلجل كالزمـــازم
رعدت في مـــداه تكبيرة اللـــه وسالت به الجيوش الخضـــارم

وقد يسخر الشاعر من قوة صوت العدو، فيخف أثره في النفس، فاليزم يسخر من قصف القنابـــل وشبههـــا بمعازف تخرج ألحانا تلذ السمع ٠

ولاقنابلكم في الجو قاصفـــة الامعازف تقرى السمـــع الحانـــا

وينحو جبوري نحوه في قوله ٠

لاتحسبوا قصفات الرعد تفزعنـــا قصيف رعدكم في السمع تغريـــد

وقد تتعاون الهيئة الدينية والتاريخية على إخراج الصوت القوى كما فى قول أبى ريشة يصف دعوة النبى ، وصرخته المجلجلة ورجع أصداءها ، ورفع تكبيرة الله فى الآذان •

جلجلت صرخة النبى فردت	رجع أصداءها أعالى النجود
وتبارت الله أكبر تعلو	من شفاه المؤذن الغريد

ونسمع ضفاف اليرموك ترسل زمزمات الحداء ، وصياح الأكف فى قوله •

وضفاف اليرموك ترسل منها	زمزمات الحداء لابن الوليد
جولة ترعف الصوارم فيها	وتصيح الأكف هل من مزيد

وتلين الأصوات وتضعف فى مواقف الحزن والرثاء فتخرج ندية بالدموع ، ونسمع أنين النسمة فى قول مردم فى ذكرى الشهداء •

فى الغوطتين اذا ما نسمة خطرت	أنت كما أن محزون اذا جهدا

ونسمع ألحان البؤس فى قول جبرى فى رثاء حافظ •

لو لحنوا البؤس فى شعر نردده	لكان بؤسك ألحانا نغنيها

ونسمع نغمات الحزن فى قول عمر يحيى يرثى احمد شوقى •

وما أيأس الشرق الذى كنت ان صبا	رنمت وان يحزن نطقت بما أدمى
ليالى إن أن العراق وجاره	شكا النيل ماتال جيرانه غمسا
وإن نال من صنعاء موج تردد	تباغيم تشجى من عميد لها نغما

فالنطق المحزن ، وأنين العراق ، وشكوى النيل ، وترداد التباغيم المشجية تملأ الأبيات ، وتخلق جوا من الحزن •

وقد تخرج الاصوات قوية رغم مواقف الحزن كما فى قول أبى ريشة يرثى سعيد العاص •

يا شهيد الجهاد يا صرخة الهول	م	اذا الخيل حمحمت فى الساح
أى مهر لم تدم خاصرتيه		من حفيف المهماز يوم الكفاح
كلما لاح للكفاح صريخ		صحت لبيك يا صريخ الكفاح

وقول المجد يرثى غازيا ، وفى هذا القول نسمع النعى والصياح والصراخ ونغم الهول والفناء وسط الدم المهدور •

أرأيت الشام أذهلها الخطب	م	ومادت لنعيك المستثير
أمسكت قلبها الطعين بكفيها	م	وصاحت كالصارخ المستجير
يا بلادى موجى على نغم الهول	م	وغنى وسط الدم المهدور

وقول بدوى الجبل فى الشهيد ، وفيه نسمع أصوات النعاة ، والجهر بالنعى ، وبكاء الشام ، والدوى المجلجل •

أشفقوا أيها النعاة على الشام	م	ولا تجهروا بنجوى البريد
بل أذيعوه يزحف البر والبحر	م	بهول كهول يوم الوعيد
ودعوا الشام تستفيق على البعث	م	وتبكى لركبها المهدود
همدت ثورة الشهيد وقرت		يا دويا مجلجلا فى الهمود

وتعذب الأصوات وتلطف في مناسبات التكريم .

فجبرى يقول في تكريم حافظ .

هذى دمشق فغرد في حدائقها أغرودة الدهر تشجي كل أسوان

وفارس الخورى يقول في تكريمه .

ألست الذى إن أنشد النيل شعره ترددها أنهارها وخريرها

وقد يستخدم الصوت لتأدية المعنى بصورة رمزية كما في قول أبي ريشة يصف وقعة اليرموك .

جولة ترعف الصوارم فيها وتصيح الأكف هل من مزيد

فقد استخدم الصياح ، وهو صوت ، ليرمز الى حركة الأكف التى أمسكت بالرماح أو السيوف وراحت تضرب بها الروم وتطعنهم .

ومصادر الأصوات متعددة .

١ ـ فهناك الطبيعة التى يستمد منها الشاعر قصف الرعد وتغريد الطير وخرير النهر وعصف الريح وغيرها من الأصوات التى تحمل طابع البيئة الشامية .

٢ ـ وهناك بيئة الحرب التى يستمد منها الشاعر رنين الرمح وأنين المضرب وصليل السيوف وأنين الخيل وزئير الأسد وقراع الخطوب ، وهى تحمل طابع التقليد .

٣ ـ وهناك البيئة الدينية التى تتمثل في تكبيرة المؤذن ونوح المآذن ، وأصداء التسابيح ، وضجيج النواقيس ، كما في قول عمر يحيي يرثى شهداء فلسطين .

ضجت نواقيس الكنائس عنوة وتذبر أحمد جرسه محمول

٤ ـ وهناك بيئة أسطورية تبدو في قول عمر يحيي .

لولا الملا لم يسر فوق جلالة حوف وجنان القلاة تصيح

ولا ريب في أن محفوظ الشاعر يمده بالأصوات التقليدية ، فيستعين بها على خلق الضجيج في أسلوبه ، ويندر أن يعني بنقل أثر نفسي الى السامع بطريق الصوت ، أو يستخدم أصواتا تكشف عن أصالته وتوحي بصور سمعية .

ونلاحظ تشابه الشعراء في الصور السمعية ، وأكثر الأصوات تصدر عن الذاكرة لا عن احساس سمعي يميز الشاعر من غيره من الشعراء ، وجانب التقليد فيها غالب على جانب الاصالة .

ب ـ وتعذب الأصوات وترق في الغزل ، فالهزار يردد الألحان في قول عمر يحيي .

يردد في خميلته هزار الحب ألحانا

والطير يغني الألحان في قول أمجد .

وغني الطير مخمورا لحونا كلها خمر

والبلبل ينشد والأمل يحدو في قوله .

عرفت النسمة الفرحى عرفت البلبل الشادى

عرفت الحلم الزاهي عرفت الأمل الحادى

وقد تقوى الأصوات كما في قول علي الناصر يصف وجهها عج بالمضربات

هل تخيلت صاح فردوس جن يشده الصين عج بالمضربات

وقولِ أبي ريشة يصف دوي القهقهات

وخوضن فيه وللقهقهات دوي يشق عنان الأفق

وتظهر في الغزل نغمة الحزن وهي نغمة تقليدية

فمردم يسجل نعب الغراب .

قاتل الله غرابا كم له بالبين نعب

وعمر يحيى يشكو بأنين .

فاشتكى بأنين ماحملتني حياتي

وقد تخرج نغمة الحزن مشوبة بالمأساة ندية بالدموع موحية بالسأم كما في قول علي الناصر يصف حبه الماضي

بعد لأي دخلت هيكل حبي فاذا هيكلي العزيز خراب

نسجت بينها العناكب فيه وتداعى باويلتا المحراب

رتل البوم بأسه فيه ليلا ونداء عند الصباح الغراب

بعد لأي دخلت هيكل حبي واهنا أستحث أنقاض روحي

ثم أوقدت شمعتي وبكيت

فمعبد الحب خرب مهجور ينعب فيه البوم والغراب ، والشاعر يعود اليه مهدم الروح فيدخله ويوقد شمعته ، ويبكي في ضوئها .

وتحس بالهمس في الغزل .

فالخوري يصف تناجي أصدائه وأصداء الحبيب .

واسمع الى أصدائنا تنتجي في دعة خالدة والتزام

ويصف نداء القلب والبوح بمكنون الحب .

ماعليه اذا أجاب نداءا لقلب أو أطلق اللسان فباحا

ويصور أنفاسه تفضح حبه المكتم .

أأكتمه والسقم واش وحسرتي دليلي وأنفاسي تحدث عن صب

وقد تعكس النغمات احساس العصر والشباب كما في قول أبي ريشة .

لاتخفي فان حشرجة الصمت وجهش النداة في مسمعينا

أسمعيني على أنين الأماني من عثار الشباب لحنا شجيا

حسنا تفعلين غني أعيدي أخفض الصوت قربه المدى

اتركيني على ذراعك أغفو وأذيبي الأصداء شبافشيئا

وتظهر في الأصوات بيئة الغزل الصريح المكشوف المفصح عن مادية العصر وثورة الغرائز والشهوات كما في قول أبي ريشة .

شربت وبى كــــل عـرق   يولول بالشهــوة العاتيـــه

وقوله :

وعاطيتهــن وعاطيتنــــي   الكئوس على نغمـــات الوتـــر

وقوله يصف ديك الجـــن مع جاريتـــه

أمت سريـــرى بدمـــا   شهقت شموع تدمـــــع

فهززتهـا حتى استشـــار   وضح منا المضجـــــع

وشددتهـا حتى ارتخــى   عزم وصكت أضلـــــع

ويبدو فى الأصوات وصف الاثر النفسى كما فى قول أبى ريشـــة .

وأسمع فى تطلقهـا نغمـــة   تطير بروحى لأفق النغـــم

وقوله :

أنت جنحت أمانيـــى الـــتى   حلقت تهـزج فى أقصى سمـــاها

ويستخدم الصوت للرمز كما فى قول أبى ريشة .

أسدل الستر فوق تهديـن ضجـا   واشرأبـا كجانحــى ورقـــاء .

فالضجيج رمز الى حركة التنهد فى الصدر .

د ـ وتتنوع الأصوات فى وصف الطبيعة فنسمع :

شدو الاطيار وغنا الجدول فى قول بدوى الجبل .

الكرم هل أطياره لم تـــزل   تشدو على أغصانه الناعمـــه

صفصافة الجـدول هل سمهـا   داعى الردى أم لم تزل قائمـــه

ياطالما غنى بألحانـــه   وأنت فى أفيائه نائمـــه

وهدير الماء والفحول النيب فى قول سلطان يصف بردى .

تسمع الماء هادرا يغنـــى   مثلما تهدر الفحـول النيـــب

وصرير الجـــن وحنين النياق وزئير الأسد وقعاقع الرعد فى قول الفراتى يصف الفـــلاة

كأن صرير الجن طى هضومهـــا   حنين نياق زل عنها حوارهـــا

كأن زئير الأسد فوق آكامهـــا   قعاقع رعد تبعث الموت نارهـــا

وهزيم الرعد فى قوله يصف ليلـــة ماطرة .

للرعد فى الجو هزيم وللبرق   وميض فى حواشى الأفـــق

واصطفاق أمواج السيل فى قولـــه .

وراح يهتاج كلمـــا الشـــرى   من حنق أمواجـــه تصطفـــق

وتصفيق بردى المستجيب لأغاريد الطير فى قول سلطان .

والاغاريد رنحت ضفتيـــه   فهو منهـا مصفق مستجيـــب

وصفير الريح فى قولـــه المحاسنى يصف آذار أمـــه

ناجت فيه الريح صافـــرة   والغصن منعطفا على النهـــر

وزمجرة العفريت وتناوح النسمات وتغريد الهـزار في قول الحامد يصف الناعورة

واذا الظلام بـــدا وألقـــى	م	فوق واد بـــك الجـــران
مثلت عفريتـــا يزمجـــر	م	محنقا مابمـــن جـــان
حتى اذا بدت الغزالـــة	م	فوق رأســك للعيـــان
وتناوحت نسمات أرجـــاء	م	المرابـــع والمغـــان
كنت الهـزار مغـــردا		والشاعـــر الغذب البيان

وزئير الأسد في قول عمر يحيى يصف الدولاب ٠

تسمع الأسد إن دنوت اليـــه	زائرات تقيم في جثمانـــه

وتحتشد الأصوات في قصيدة (الخريف) للعطار فنسمع غناء الصبا والدبور، وخشخشـة الأوراق وصرير الريح، وعصفها، وغنة الدوح، وضجة الألحان في هبـة الويل، ورغاء الأذى، والعويـــل والصراخ والأنـــة والزفير٠

ورق مائت تهاوى على السهـــل	م	وغنت به الصبـــا والدبـــور
خشخشت في الرحاب أوراقه الغبـــر	م	وللريح بينهن صـــرير
تعصف الصرصر العتيـــة بالغـــاب	م	فيهـوى الدوح الأغن الشجير
وتضج الألحان في هبة الويـــل	م	ويرغو الأذى وتطغى الشـرور
ليس يقرى الأسماع الاعويـــل		وصـــراخ وأنـــة وزفيـــر

وتتردد أصوات مختلفة في قصيدته (دمر) وقصيدته (لبنان)٠

وتحتشد الأصوات عند أبي ريشة في قصيدته (شاعر الطبيعة)، فنسمع لهاث الحقـــول، وضجيج مأتم الشمس، وعواء الأشباح، وتموج الأصداء من جهـش الأرض، وقهقهات الرعد، وصخـب الدأماء، وضرب الأهازيج على الوتر الشادي، واصطفاق الصنج والدف، وعزف الشاعر، ونفخـة البوق، وشدو الوتر وأصداءه، وزفرة اللظى الحمراء٠٠

وتحتشد الأصوات في شعره ، فيتصف لفظه واسلوبه بالضجيج ٠

وتتجاوب أجزاء الطبيعة بالصوت كما في قول عمر يحيى يصف الدولاب يطارح الطير شدوها، ويستطيب الترجيع في إرنانـــه ٠

كلما فاض سلســـلا كلمـا أينـــع	زهرا يرف في أفنانـــه
طارح الطير شدوها وتولـــى	يستطيب الترجيع في ارنانـــه

ويتجاوب الانسان والطير في قوله ٠

ليت شعرى أأنت ياطـير عـــانٍ	تتغنى بنبرة المستكيـــن
أم تبكي أليفك المـــتردى	بعد ثوب الهناء ثوب المنـون

وقد يلقى الشاعر ذاته على الطبيعـة فتخرج نغمة حزينة مبللة بالدمع كما في قول عمر يحيـــى يصف أنين الناعـــورة ٠

أنت كأن بهـا داء تكابـــده	وأكثرت من شكاة تبعث الألمـــا

تذرى من الدمع أسرابا وماقتمت ... بماجرى فأطالت فى الدجن الثغما
رأت دماء على التربان جارية ... فرددت شجوها تصتنطق الرمما
أنين ثكلى أطالت ندبها وغدت ... فى معظم الماء تشكو ماطمس ونما

ويعكس الصوت أحاسيس العصر كما فى قول الفاخورى .

ياطرب الخميلة المظللة ... زود فؤادى نغمة مطللة
ترنيمة المساء فوق الشجر ... تنفض عن روحى غبار الضجر
أحب من ألحانك الحزينا ... فهات لحنا يشبه الأنينا
يامسمدى بالنوح رتل الأسى ... أحبب بصوتك الحنون مؤنسا

وقد يستخدم الصوت فى الرمز كما فى قول العطار يرمز بالضجيج الى امتلاء الفضاء بالسحب .

وبعج الفضاء بالزبد المندوف ... م والأفق كالخضم بفور

ورمز بالسيلان الى عذوبة الأغانى ورقتهـا .

وأغان مسلسلات رقاق ... فاتنات سالت من الأوكار

ورمز أبو ريشة بالضجيج الى اضطراب الشمس فى الأفق عند المغيب .

مأتم الشمس ضج فى كبد الأفق ... م وأهوى بطعنة نجلاء .

ومصادر الأصوات متعددة

١ ــ فهناك الطبيعة التى يستمد منها الشاعر شدو الأطيار، وتغريد الهزار ، وهزيم الرعد وغناء الجدول ، وهدير الماء ، وخرير النهر، واصطفاق الأمواج، وصفير الريح وعصفها، وهمس النسيم وتناوح النسمات ، وخشخشة الأوراق، وغنة الدوح ، وهذه الأصوات وغيرها تحمل طابع البيئة الشامية .

٢ ــ وهناك بيئة الصحراء أو البيئة القديمة التى يستمد منها الشاعر زئير الأسد ، وحنين النياق، وهدير الفحول السنهب، ورغاء البعير .

٣ ــ وهناك بيئة الترف والنعيم التى يستمد منها الشاعر ضرب الأهازيج ، واصطفاق الصنج والدف، وضرب العود .

٤ ــ وهناك بيئة جديدة مستمدة من أدب الغرب وتتمثل فى عواء الأشباح، وتموج الأصداء، وقهقهة الرعد، ونفخة البوق، وضرب البوق .

٥ ــ وهناك بيئة أسطورية بادية فى صرير الجن، وزمجرة العفريت .

ونسمع فى الخمر الزفرة المصعدة، والأنفاس التى تعلو، والشهقة، وقرع الكأس بالكأس، والطاس فى قول مردم فى موشحه (سكران وسكرى).

صعد الزفرة خسرى وبكى ... حينما أهوى على ثغر القدح
كمحبين فم زق فما ... علت الأنفاس والمدمع سح
غص بالشهقة لما ارتدعن ... شفة الكأس وبالدمع الملح

قد رفعناهـــا نحيي بعضنـــا   وقرعنا بعد ذا كأســا بكــاس

وعلى اسم الحب كانت شهـــلة   تغمض العين وتغرى بالمطـــاس

ويظهــر فى التأملات أثر البيئة الدينية ، فالشريقى يصور غاية صوت الناقوس ونـــداء المؤذن فى الحيــــاة .

ذاك صوت الناقوس فى آل عيســـى   ونـداء المؤذن المدنانـــى

بالصوتين ينشـــدان طريقـــا   واضح النهج كيف يختلفـــان

وقد يشف الصوت عن اليأس والتشاؤم كما فى قول الغرايبى .

صـــداح نح مثـــل نوحـــى   ورو بنـــى الغليـــلا

فما النواح بمغـــــن   منى ومنك فتيـــــلا

وقد تبدو الذات ، ويظهــر لون المزاج الشخصى من خلال الصوت كما فى قول العطار .

غفلت عـــنى المنون ففنيـــت   ولحن الحســـان لحن قصيـــر

ألمى صارخ وجرحى ضـــرى   والهـــوى يائس وجـــدى عثـــور

وبنفسى قيثارة تتشكـــى   وأنا الدمع والأسى والشعـــور

أنا قيثارة تنوح على الدهـــر   ودمع على المـــدى يترقـــرق

أنا لحن مضـــرج بالمآســـى   كادت النفس من تشكيـــه تزهق

هـ - التشخيص

التشخيص[1] تصوير المعنى المجرد بالشيء المجسم ، وجعله شخصا ملموسا ، أو هو اسباغ الحياة والحركة على المعاني والأشياء ، فقول الشاعر العربي القديم :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم

مثل الضغن ، وهو معنى مجرد ، في صورة كائن محسوس ذي أظفار .

والتشخيص أسلوب من أساليب التصوير التي ترمي الى غرض واحد هو رفع المعاني والسمو بها عن المستوى المألوف الى العالم الخيالي ، والشعر ينزع الى التصوير واظهار الشيء المصور واضحا ملموسا ، فاذا كان الشاعر يتناول معنى مجردا لا يسهل تصوره استعان عليه بالأشياء والكائنات البارزة يقرن بينه وبينها ، حتى يصبح الاثنان شيئا واحدا ملموسا قويا .

وفي أطوار الشعر الأولى تكون الاستعانة بالتشبيه والمجاز والاستعارة والتشخيص قليلة معتدلة ، ولكن في الأدوار التالية ، حين تتعقد المعاني ، وتتعدد الموضوعات ، ويحس الشاعر الحاجة الى التجديد ، والى طرق أبواب لم تطرق ، نراه يلجأ الى تلك الوسائل ويكثر منها ، وربما أسرف فيها .

وقد وجد التشخيص عند المتقدمين من الشعراء الجاهليين ، ثم كثر عند العباسيين لتقدم العصر ، وتنوع الثقافة ، ورقي الفكر ، وتعقد المعاني ، وتعدد الموضوعات ، فبشار بن برد يقول :

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

فيمثل أسباب بخله في صور أشخاص زرق العيون سود الوجوه .

وأبو تمام يكثر من التشخيص ، ويسرف فيه ، فيجعل للدهر عرضا ، والزمان لا عرض له على الحقيقة ، ويجعل الدهر شيئا يركب ، ويجعل له أخدعين في قوله .

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

والأخدعان للبشر والأحياء ، ويجعل للشتاء أخدعين في قوله .

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته قودا ركوبا

فصور الشتاء بعيرا صعبا ركبه الممدوح ، فاستعصى عليه في سيره ، فضربه في أخدعيه ضربة جعلته ينقاد له ، والآمدي ينكر أن يكون للشتاء أخدعان ، ويرى الاستعارة على هذا النحو من البعد والاغراب أمرا يخالف ما نطقت به العرب .

وابن الرومي يعنى بالتشخيص عناية تفوق عناية ابي تمام به ، ويلجأ الى هذه الوسيلة لتصوير معانيه التي كان يطيل الوقوف عندها والنظر فيها ، ولعل قصيدته الهمزية في عتاب صديقه أبي القاسم تمثل خاصة التشخيص التي يمتاز بها ، ففيها يشخص عيوب صديقه ، ويسبغ عليها ثوب النساء ، فيتحدث اليهن ويكون بينه وبينهن حوار في قوله :

كشفت منك حاجتي هنوات غطيت برهة بحسن اللقاء

قلت لما بدت بعيني شنعا رب شوهاء في حشا حسناء

(١) مقتبسة من كتاب التوجيه الأدبي ص ١٢٢ - ١٢٦

ليتني ما هتكـت عنكن سـترا … فتويتن تحت ذاك الغطـاء

قلن : لولا انكشافنا ما نجلـت … عنك ظلماء شبهة قتمـاء

قلت : أعجب بكن من كاسفـات … كاشفات غواشي الظلمـاء

فهو يصور جانبا من الحديث بينه وبين هتوات الصديق ، ويجعل من هذه الهتوات كائنات محسوسة يخاطبها ويقارعها الحجة ويعاتبها ويؤاخذها على ماجنت من كشف حقيقة الصديق .

وقد أخذ شعراء سورية هذا الاسلوب من التصوير عن الشعر القديم فيما أخذوا ، فاستخدموه في شعرهم وأكثر بعضهم منه ، ونجده في مختلف فنون الشعر .

أ - ففي الشعر الوطني نجد التشخيص عند الشعراء جميعا .

فالخطيب يشخص الفجر فيجعله كائنا يطل مبتسما على الاكوان في قوله في الثورة العربية

ايه بني العرب الأحرار ان لكـم … فجرا أطل على الاكوان مبتسما

والبزم يشخص الخطوب فيجعل لها أيادي تلعب به .

لعبت به أيدي الخطوب فخانـه … خلصاؤه وبدا عليه هزالـه

والزركلي يشخص الظلم فيجعله كائنا منطلق اليدين في قوله يصف دمشق في الثورة السورية .

والظلم منطلق اليديـن محكـم … ياليت كل الخطب خطب النـار

ويشخص جبرى الشدائد المحدقة بمصر ، ويشخص دمشق فيجعلها تثب فتقطع أوصـال تلك الشدائد :

واذا الشدائد بالكنانـة أحدقـت … وثبت دمشق فقطعـت أوصالهـا

ومردم يشبه محنة العرب قبل الثورة العربية بالليل ، ثم يشخص الليل فيصوره بصيرا يتمطى في قوله يرثي الملك حسينا .

تمطى ليل محنتنـا فلمـا … سفرت سفرت صبحا مستنمـرا

وبدوي الجبل يشخص الشام في رثاء غازي فيجعلها حسناء يحز بجيدها عض الحديد ،

لاتسلني عن الشآم فقـد حـز … بجيد الشآم عض الحـديد

ويجعل الأعلام تترنح وتتزين للفتح ، والدنيا تتلفت ، والأفلاك تهم بالسجود لجيش غازي . فيقـول مخاطبا اياه .

جيشك الجيش لو تنكر للنـوم … لضاقت به جفـون الرقـود

فاذا هجته ترنحت الأعـلام … وازينت لفتح جـديد

واذا هجته تلفتت الدنيـا … وهمـت أفلاكها بالسجـود

والحامد يجعل المنايا تجول بين الربوع في قوله .

قد بذلنا أقصى الجهود لنحيـا … والمنايا بين الربـوع تجـول

وعمر يحيى يشخص القوة فيجعلها تبتسم لمولد المتنبي ، ويصور النائبات تجتاح الناس ، ويشخص نفس المتنبي والزمان فيجعل نفسه تبطحـه :

القوة ايتسمت لمولد شاعــــــر | كلف بهـا والنائبات تجوح
نفس تكاد اذا الزمان سما لهـا | تدع الزمان وعزمه المطـوح

والفراتي يجعل الموت وحشا ينوش الملك حسينا

فياعجبا للموت كيف ينوشـه | وقد كان تخشاه الليوث الضراغم .

ويشخص المطار الرمل فيجعله يملأ الأرض تسبيحا للـه

أسمع الرمل يملأ الأرض تسبيحا | م | بصوت مجلجل كالزمـازم

والطرابلسي يشخص فلسطين فيجعلها فيوحّدها على الثورة ، ويشخص النصر فيجعله شاربا يعل .

قوس قان النصـر ماعلـه | مثل دم الأحرار أوجـاده

وأبو ريشة يشخص اليرموك فيصوره كائنا جائعا يلقمه ابن الوليد أشلاء الروم فى قوله يرثى هنانـو

ويصل سيرته بسير البطولات العربية :

عرفت فيه طارقا فى الجبال الشـم | م | يمشى بالجحفل المنصـور
وفتى المجد خالدا يلقم اليرمـوك | م | أشلاء خصمه المدحـور

ويجعل الهلال طائرا يضم بجناحيه أضلع الصليب اليه .

الهلال القدسى ضم جناحيـه | م | على أضلع الصليب الطهـور

ويشخص الشاء فيجعل له أرجلا تدوس ، فيقول فى رثاء فيصل

صدى ء السيف فى التراب وداسـت | غمده أرجـل الفنـا الرعناء

ويشخص ، فى رثاء حافظ ، صروف الليالى والبؤس والهموم .

وترات له صـروف لياليـه | م | شخوصا انسية جنسيـه
جثم البؤس حائـرا كمغيـر | فضمته عن والديه منيـه
ومشت حوله الهموم حيـارى | برؤوس مصوبـة محنيـه
باكيات على حبيـب وفـى | لم تكن فى هـواه غيروفيـه

ويشخص الدهر فيجعل له سمعا والمروءات فيجعلها تعيش وتموت فتدفن .

أمة بحربية تركـت فـى | مسمع الدهر آيـة التمجيـد
انما عقـها البنون فزجـوا | بالمروءات فى بطون اللحـود

ب ـ وفى الغزل نجد التشخيص عند الشعراء .

فالزركلى يشخص الشمس فتضم المحبوب ، وتقبله ، ويشخص البدر فيحسد المحبوب ،

ضمته الشمـس تقبلـه | والبـدر تولى يحسـده

ومردم يشخص الهوى فينهى ويأمر ، والأشباح فتهب من رقدتها ، والنور فيوقظ فى المشكاة ،
والباب فيطبق فمه خلف المحبوبين ، والكوى فتغمض أجفانها ، والكراسى فتفتح أذرعهـا
للقاء الأحباب ، والنور المحمر فيبدو له جفن قريح ،

يلفنا بعد اللتيا والـتى | غرفة فيهـا الهـوى نـاه أمور
هبت الأشباح من رقدتهـا | حينما أوقظ فى المشكاة نـور

التماثيل بهـا عريانــــة　　والدمى والزهـر نظم ونثـر

أطبق الباب فما خلفهـما　　فبدا كالسر يحويـه ضميـر

والكوى قد أغمضت أجفانهـا　　حينما ضمت عليهن الستـور

والكراسي فاتحـات أذرعـا

وصـدور اللقا الأحباب فيحـا

واحمرار النور في ظلتـه

مؤذن أن له جفنـا قريحـا

ويدوي الجبل يشخص الزورق فيجعله ينتشي من طيوف الجواري ، ويشخص قطرات الماء العالقة بين النهـود فيجعلها تجن ٠

وجـوار يمرحن في الزورق الساجـي　　ويضحكن عن نـدى بـرود

رف مجدافه على الماء وانسـاق　　بأحلى معاصم وزنـود

فانتشى من طيوفهـن وجنـت　　قطرات علقن بين النهـود

والفراتي يصور العيون ترمي بالسهام في قوله ٠

رمتني فلم تخطئ سهام قسيهـا　　على غير ماقصد عيون الجـآذر

وعمر يحيى يشخص الأحلام فيجعلها تسامره في قوله ٠

مالاح طيفك يـسـري　　الا وأحيـا هيامـي

فانثني بعد يأسـي　　مسامرا أحـلامي

والفاخوري يشخص الصحو فجعله يغرق في سكرة مغيبة ، والافات فيجعلها تغول الرشـاد ، والأيام فيجعلها تعظه ، والصبابات فيجعلها تسكت الأيام

لفتة جيد ريان ذي غيـد　　تحمل نضو الهـوى الى تمه

وتغرق الصحو في مغيبـة　　تغول فيها الرشـاد آفـات

كم وعظتني الأيام جاهـدة　　فأسكتت وعظهـا الصبابـات

وعلي الناصر يجعل الحياة تبلغ ذروة الغن في خلق المرأة ٠

فيك الحياة استكملت فنـها　　فما أحـلاك وما أحسـن

وأبو ريشة يشخص النهدين فيجعلهما يتشاكيان في قوله ٠

وكلما اهتزت بدا ناهـد　　يهفو لها أوناهـد ينفـر

كم ذقـت من سمـرة طوقهمـا　　وكم شكا للأسمر الأسمـر

ويشخص ذكريات حبه فيجعلها تغفو ، ويجعل رؤاها تجوس مضجعه فيلوي بها النوم ٠

ذكرياتي كلهـا أغفت فـلا　　نوقظيهـا من دياجير كراهـا

كلما جاست رؤاها مضجعـي　　نفر النوم فألوى برؤاهـا

ويصور أمانيه طيورا تحلق وتهـزج ٠

أنت جنحت أماني الـــــــتي　　حلقت تهزج في أقصى سماهـــــا

ويشخص الزمان فيجعله جهم الوجه ،

هـــــي بسمة لمعـــت على　　ثغر الزمان وقد تجهـــــــم

جـ ــ ونجـــد التشخيص في وصف الطبيعـــة

فمردم يشخص الشمس بعد ارتفاعها في الأفق فجعلها تخلع ثيابها الحمر على جنباته ، وتستبقي حلاها .

ونضت أثوابهـــا الحمر علـــــى　　جنبات الأفق واستبقت حـــــلاها

ويشخص النور والليل والأزهار ، فيجعل النور يمسح دموع الليل عن وجنة الأزهار ويقبل فاها ..

مسح النور دموع الليـــــل عـــن　　وجنة الأزهار اذ قبل فاهـــــا

ويشخص الغيم والشمس فيجعلها تخطو وتضرب الغيم بظباها حين يعترضها في مسيرها .

لاتراها في مكـــان احـــد　　ومحال أن ترى الغيم ـــن خطاهـــا

واذا مااعترض الغيم لهـــــا　　نفذت دامية منــه ظباهـــــا

ويشخص كل شيء في الطبيعة فيبسم ، والشمس فيجعلها تسفر وتحتجب ، والجو فيجعله يعبس ويبكي الشمس الغاربة بدموع الحزن .

كل شيء باسم إن سفـــــرت　　فاذا مااحتجبت خلف غطاهـــــا

عبس الجو اكتئابا وأســــى　　وبدمع الحزن من وجد بكاهـــــا

وبدوي الجبل يشخص الأزاهير والمطر فيصور المطر يضاحك الزهر

والأزاهير زهت وابتسمـــت　　عندما ضاحكها ثغر المطـــــر

والفراتي يشخص الغصون فيصورها سكرى تميل دلالا

والريح تهتصر الغصون فتنثنـــي　　سكرى تميل ترنحا ودلالا

ويصور الغيم يبكـــي ، ويكاد يحترق وجـــدا .

والغيم لولا دمعـــه المنهمـــر　　لكاد من وجد بـــه يحـــترق

والحامد يشخص الحسن فيصوره يمشي مختالا في برده الطويل ، ويجعل للاقاحي ثغـــورا

بسم الحسن في ثغور الاقاحـــي　　وتمشي يجر فضل ردائـــــه

ويصور الشمس مليكا يحف من حوله الجـــلال ويتيـــه كبرا

تطلع الشمـــس في السمـــاء مليكا　　ذا جلال يتيــــه في كبريائـــــه

ويشخص الليل فيصوره بعيرا يلقي بجرانه فوق الوادي .

واذا الظلام بدا وألقـــــى　　م　　فوق واد بـــــك الجـــــران

مثله عفريتا يزمجــــــــر　　م　　محلقـــا مابيـــن جـــان

وعمر يحيى يشخص دولاب الناعورة فيجعل له عيونا تفيض بالدمع ، ويصوره شديد الحـــزن

كل عين تفيض بالدمـــع حـــتى　　لتراه يذوب من أشجانـــــه

ويجعل للصبا يدا تنسج درعا مرقما فوق المعاصي ،

تثير تباشير الربيع بيد الصبا   فتنسج فوق الماء درعا مرقما

والفاخوري يصور الروض متعبا ممتلئ الانفاس •

كأنما الروض أليف الضنى   ممتلئ الانفاس ميت الشعاع

ويشخص الجدول فيجعله سهوان سأمان من سيره الطويل المطرد ، ويصوره سجين شطآنه يجري الى غير غاية ، ويضع في الأزل •

والجدول الساهي له أنة   مدفونة في مائه لا تبين

سأمان من سير بلا آخر   مطرد ما غيرته السنون

شطآنه سجن له دائم   يرسف فيه موجه الوادع

يجري خلفها لا الى غاية   كأنه في أزل ضائع

ويشخص الشفق فيصوره جريحا يحتضر •

وانظر معي الى جراحة الشفق   من قبل أن يلفظ في الافق الرمق

وعلى الناصر يشخص الياسمين فيجعله شاعر الأزهار ويجعل له عطفين ، ويشخص النسيم فيصوره يداعب الياسمين في السحر ، ويصور الطل يطوق الياسمين بعقد من دمعه •

يارفيق التكوين والعرف حقا   أنت في الروض شاعر الازهار

ان روحي عليك تشفق حتى   من دعاب النسيم في الاسحار

ومن الطل أن يطوق عطفيك   بعقد من دمعه المدرار

وأبو ريشة يكثر من التشخيص في قصيدته (شاعر الطبيعة)[1] ، فيشخص الفجر والطبيعة والكون والنصاء والسفح والهجيرة والغبراء والجمال والغناء والحقول والازهار والكبرياء والغصون والكآبة ومأتم الشمس والافق والروابي والليل والسماء والظلماء والطرف والاشباح والارض والمهابة والبروق والرعد والرياض والحياة •

ويشخص الناعورة •

النواعير تنفث الضجر القاتل   ما بين دمعها والزفير

سئمت عمرها الطويل فما تنتحب (تندب)   الا خلودها في الدهور

ويشخص ، في قصيدته (طلل)[2] الزمان والشوك والدمار والوهم والموت •

ويشخص النهر فيصوره يتشوق للسهل ، وتتقلص أعصابه حين يسمل فيه ، ثم يغفو وهو يلهث[3]

د — ونجد التشخيص في التأملات •

فالزركلي يشخص الدهر فيسبغ عليه صفة الحنق

وتأهب لعوادي الدهر   فالدهر حنق

والبزم يجعل للموت يدا تصطاد عقاب الجو

وطن النفس على الموت   ولا تحذر عقابا

ان للموت يدا تصطاد   في الجو العقابا

(١) المختار ١٠٩   (٢) المختار ١١١   (٣) المختار ٨٤

وجبري يشخص البحر والعاصفات والموج والدهر .

للعاصفات على شواطئـــــه حنق على الانســــام محمـــر
فكأنما هاجـــت بــــوادره أمم يهدم حوضهــا الدهـــر
والموج يفصح عن لواعجـــه ولواعجـــي يوحي بها الشعـــر

ويدوي الجبل يشخص الروح ، فصورها تفر الى الطبيعة لتنعم بما فيها من سكون ولذة ونعيـــم

أملت ضجيج الحيـــاة ففرت تريد الحيـــاة بظل السكـــون
تعاف القصور وجناتهـــا وتأوي الى شجـــر الزيزفـــون
فتشرب ماء الغديـــر نقيـــا وتسكر من أرج الياسميـــن
وتسمع لحن الطيـــور شجيـــا رقيقا على مائسات الغصـــون

والمحاسني يشخص أمواه الشلال ، فيجعل لهـا آمالا يضيعها الدهر، فيكون لها ثأر عليــه ، ويصورها تنحر شبابهـا يأسا، فتلقى بنفسهـا على الصخر .

ألهـذي الأمواه ثأر على الدهـــر دهاها بضيعة الآمـــال
فأتت تنحر الشباب علـــى الصخر وتهـوي الى الفنـــا والزوالـــ

وسلطان يشخص الربيع فيجعل له أنامل تنضر الكون وتوشي الرياض

مرت على السهل والآكـــام أنملـــه فخلف الكون غض اللون فتانـــا
وشى الرياض فلم يترك تفننـــه صبغا ولا فاته صنعا واتقانـــا

ويشخص الأرض فيصور صدرها المشبوب يقذف ببردي سر الحياة .

هو سر الحيـــاة ند عن الأرض وألقاه صـــدرها المشبـــوب

ويشخص الصحارى من حولـه والمغاني

الصحارى من حوله عابســـات ومغانيه ضاحكات تطيـــب

والعطار يشخص المروج والدغال فيجعل المروج تضحك في اكتئاب والدغال تبسم في فتور .

فعلى ضاحك المروج اكتئـــاب وعلى باسم الدغال فتـــور

ويصور الأذى يرغـــو كالبعـــير

وتضيع الألحان في هبة الويـــل ويرغو الأذى وتطغـــى الشرور

ويشخص بردى فيصوره يرف نشوان هيمان يغني الربا فتجن ويجن .

رف بين الحقول نشوان هيمـــان وغنى الربا فجنـــت وجنـــا

والفراتي يجعل من اللحود كائنات تعض على الأموات فتمزقهــا ،

أين العصور الخوالـــــي بل أين أيــــن الجـــدود
أمست رفاتـــا سحيقـــا عضت عليهـــا اللحـــود

والحامد يشخص عاديات الموت والأيام والمنى والزمن النكد والدهر، فعاديات الموت تطوى النـــاس، والأيام ركائب تسير بنا الى المنون ، والمنى يغتالها الزمن ، والدهر حاكم فرد .

طوت عاديات الموت مابين آدم وبينك فانظر هل لصولتهـا حـــد

وما هذه الأيام الا ركائب   تسير بنا نحو المنون فلا تصدو
وماحاجتي الا السلامة بعدما   رأيت المنى يغتالها الزمن النكد
دع الدهر يفعل مايشاء فانه   هو القاهر الجبار والحاكم الفرد

والطرابلسي يشخص الوحشة في قوله :

أيها الوحشة خلي المتكبوت   تنسج الأكفان في أحناء صدري
وانشري الليل على كهف الصموت   واصبغي باليأس والأهوال فجري

والعطار يشخص المنون فيجعلها تغفل عنه

غفلت عني المنون فغنيت   م   ولحن الحياة لحن قصير

ويصور الصفاء يعج في ساح الوجود ،

ويلوح الوجود قفرا يبابا   عج في ساحه الصفاء وأطبق

وسلطان يشخص الكون والزمن ،

بكر الكون الى المصي فقسم   وارم بالمصى فؤاد الزمن

وأبو ريشة يشخص الشوق فيجعل له أجنحة ، والكون فيصوره يتلقى الناس مبتسما ويطوقهم في رضى وحنان، ويجعل للدنيا سمعا ، فيقول في قصيدته (مع المصري) (1)

ملعب الدهر لو ملكنا هدانا   لبلغنا من الحياة منانا
سبقتنا اليك أجنحة الشوق   م   وشقت لنا سبيل خطانا
وتلقيتنا ببسمة اشفاق   م   وطوقتنا رضى وحنانا
ود رجائع الشروق تغنيك (تغني)   م   ونسقي سمع الدنيا ألحانا

ويشخص الوجود فيصوره كائنا محوطا بالأسرار قد أرخيت عليه الأستار ، ويجعل له قلبا .

أتريد الوجود منهتك الستر   م   يرينا أسراره عريانا
ويفض الفدام (يفض الفدام) عن قلبه السمح   م   ويجريه للعطاش دنانا

ويشخص سر الوجود فيجعل له قلبا ولسانا ، والخيال فيجعل له عينا .

وخفي الوجود ما انفك لا ينبض   م   قلبا ، ولا يرف لسانا
طلبته عين الخيال ولما   لمحته تكسرت أجفانا

ويشخص الأرض فيجعل لها قلبا وساعدين .

لمن الأرض إن سلاها بنوها   وتناسوا سخاها الهتانا
وهبتنا من قلبها خفقة القلب   م   وشدت بساعديها قوانا

ويجعل الهناءة طيرا يلوح ثم يختفي ، فيقول مخاطبا المصري

كنت تدري أن الهناءة طير   لاح في دوحة الحياة وبانا

ويجعل للصبا عينين ينظر بهما الى العيش المورق الريان .

---

(1) شعر مطبعة الكشاف . بيروت سنة ١٩٤٧ ص ٧٣

يالزهو الصبا نظرت بعينيه	الى العيش مورقا ريانا

هـ - ونجد التشخيص في الشعر الاجتماعي .

فالزركلي يجعل للفضيلة عطفا يتأود في قوله

واذا الفضيلة أودت أعطافها	زهوا تمايل عطفها متأودا

ويدعو الجهل ينفي أن يكون العلم قد شد وثاق الفتاة أو فكه

لا العلم شد وثاقها فيما مضى	ظلما ولا العرفان فك وثاقها

ويصور أمجد الأيام تسقي الأيتام الآلام .

وهذه الأيتام	لا تعرف اللينا
تسقيهم الآلام	الذل والهونا
وتدهم الأكواب	لهم وتشتد

والبارودي يشخص الأرض والشمس والعدل في قوله :

لابد للأرض من يوم تثور به	والشمس من حنق في الأفق حمراء .
يوم يؤسس فيه العدل دولته	من بعد ما مر دهر وهو آراء .

وأبو ريشة أكثر الشعراء عناية بالتشخيص ، وقد أعانه عليه أمور ثلاثة :

أ - ملكته الفنية التي تمتاز بخاصة التصوير .

ب - اطلاعه على الشعر العربي القديم ولا سيما شعر أبي تمام الذي يمتاز بفن التشخيص ، وقد رد الدكتور شوقي ضيف خاصة التشخيص في شعر أبي ريشة الى فن أبي تمام (١) .

جـ - اطلاعه على الشعر الغربي الذي يعنى بالتصوير المجسم .

و - التقليد والتجديد

رأينا فيما سبق بروز الصفة المادية الحسية في الصورة ، وتبينا أثر بيئة الصحراء في تأليف أجزائها ، وهذا الأثر عالق بالصورة في مختلف عصور الأدب ، وهو خليق بأن يطبعها بطابع التقليد .

والحق أن الصورة في الأدب القديم رسمت للشاعر طريقه الى التصوير ، فهي مادية حسية في الغالب ، وهي بسيطة لا تتعدى البيت الواحد ، وهي متعددة الأجزاء حين يدعو الموقف الى رسم صورة متعددة .

وقد تبينا الصفة المادية الحسية وأثر بيئة الصحراء في الصورة ، وسنجلو هنا طوابع أخرى من طوابع التقليد .

ونلاحظ في الصورة أنها تجري على غرار الصورة القديمة ، وهذا أمر طبيعي ، فالشاعر اطلع على القديم ، وحفظ منه كثيرا ، وهو حين يصور تسعفه ذاكرته بعدد من الصور

---

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر ، طبعة دار المعارف . مصر ١٩٥٣ ص ١٢٠ - ١٣٥

فيأخذ منها أجزاء الصورة التي يريد رسمها ، أو يصنع صورته على غرار صورة من الصور القديمة .

فمردم يستعير بعض أجزاء صورته من بيئة الصحراء في قوله يصور الشهداء :

ومشرئبين بالأعناق تحسبهم ... وردا من الهيم نحو الماء قد وردا

والفراتي الذي يشبه غبار المتحاربين بسماء عمادها الأعلام في قوله :

أم ذكرتم يوم الزمرد والخيل ... م تصادى كأنهن السهام

اذ عقدنا الغبار فوق رحى الحرب ... م سماء عمادها الأعلام

وأبو ريشة الذي يصف تساقط القتلى في ثورة هنانو :

تتهاوى كالشهب من كبد الجوزا ... ء م في لجة الظلام الضرير

يستعيران أجزاء صورتيهما من القدامى ومنهم بشار في قوله :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ولجة الظلام في قول أبي ريشة نجدها في قول امرىء القيس يصف الليل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... على بأنواع الهموم ليبتلي

وكلتا الصورتين في قول الفراتي وأبي ريشة لا تنطبق على صورة بشار ولكنها تثبت أن الشاعر يستعير أجزاء صورته من القديم .

ونجد في صور الشعراء صورا جرت على غرار القديم تماما ، ومنها قول البزم يمدح آل مصروف بالشجاعة :

لما رأيتم عدو العرب يمتلكم ... طرتم اليه بجنح الليل عقبانا

والطيران الى قتال العدو وارد في قول زهير بن أبي سلمى :

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم ... طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

وجنح الليل موجود في قول بشار بن برد :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى ... وبالشوك والخطي حمر ثعالبه

وصورة جبري في قوله يكرم احمد شوقي :

بأبي النفوس السائلات على الظبى ... البانيات على القنا استقلالها

وقوله في شهداء الثورة السورية :

جدتم فسالت على الهيجاء أنفسكم ... علمتم الناس في الهيجاء ما الجود

هي الصورة في قول السموءل

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل

وصورة جبري في قوله يكرم حافظا :

واندب أمية في شعر يجمل بـه ... بطاح جلق في ظعن وركبان

مأخوذة من قول الشاعر القديم :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

وتأثر العطار بالصورة فى البيت الأخير فقال فى ذكرى المولد •

أسمع الرمل يملأ الأرض تسبيحا م بصوت مجلجل كالزمازم
رعدت فى مداه تكبيرة الله م وسالت به الجيوش الخضارم

وصورة مردم فى قوله يصف الطيف •

فأطل مثل البدر من خلل السحاب اذا تهدى

صورة متداولة ، ونجدها فى قول معد يكرب

وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى

وتشبيه الأواصر بالبعير المعقول على سبيل الاستعارة فى قول جبرى فى تكريم شوقى

تلك الأواصر لم تزل معقولة من عهد عمرو من يحل عقالها

وتشبيه عمر يحيى نفسه بالنضو فى قوله يتغزل

ان لم يصرنى بالا ويكترث لانفرادى
فلست نضو هواه الأزلاء ولبس أهل اجتهادى

وتشبيه العطار العرب الأذلاء بالأفراس على طريق الاستعارة فى قوله

يانبى الهدى لقد ذلت العرب م وقيدت الى الردى بالشكائم

وتشبيه الأذى ببعير يرغو على سبيل الاستعارة فى قوله يصف الخريف •

وتضج الألحان فى هبة الويل م ويرغو الأذى وتطفى الشرور

هذه الصور كلها منتزعة من القديم ، ويظهر فيها أثر الصحراء التى تقوم فيها الحياة على الرحلة والانتقال ، وتعتمد على البعير والخيل

وصورة مردم فى قوله يصف حال العرب قبل الثورة العربية •

تمطى ليل محنتنا فلما سفرت سفرت صبحا مستنيرا

منتزعة من قول امرىء القيس يصف الليل فى معلقته :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل

ويظهر أثر القديم فى قول الحامد يشبه الظلام ببعير ضخم ألقى بعنقه على الوادى الذى قامت به الناعورة •

واذا الظلام بدا وألقى م فوق واديك الجران
مثل عفريت يزمجر م محنقا مابين جان

وصورة عيون الورد التى أفاقت بعد نومها فى قول عمر يحيى

تلاحظ من ورد ونرجس عيونا أفاقت بعد ماكن نوما

مأخوذة من قول البحتري في وصف الربيع

وقد نبه النيروز في غسق الدجى … أوائل ورد كن بالأمس نوما

وصورة الصبا تنسج درعا فوق الماء في قوله

تثير نها شعر الربيع بصد الصبا … فتنسج فوق الماء درعا مرقما

مستعارة من قول البحتري يصف بركة المتوكل ويمهد للمدح بالوصف

اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا … مثل الجواشن مصقولا حواشيها

وصورة المضاحكة في قول بدوى الجبل

والأزاهير زهت وابتسمت … عند ما ضاحكها ثغر المطر

وفي قول الفراتي

وضاحك الزهرة زهر الربى … لما بدت في أفقها تأتلق

مستعارة من قول البحتري في وصف البركة

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها … وريق الغيث أحيانا يباكيها

وصورة شريط الفضة في الوشاح السندسي في قول العطار يصف بردى

تتراءى في السهل تنساب فيه … تتثنى ما شئت أن تتثنى

كشريط من فضة في وشاح … سندسي يبهر النواظر حسنا

متأثرة بصورة ابن خفاجة في قوله يصف نهرا :

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا … من فضة في بردة خضراء •

وما تقدم من الأمثلة يدل على استعارة الصورة بعضها أو كلها من القديم •

ب — ونقع في الشعر على صورة مؤلفة من متعدد ، ونجدها عند بعض الشعراء •

فمردم يصف حريق دمشق فيقول مخاطبا اياها

ذكرتك واللهيب له وميض … ينشر من شقائقه ذيولا

له وهج اذا وازاه طير … رماه ولو علا في الجو ميلا

وأمطرت الرصاص فكان وبلا … شديد الوكف منهمرا وبيلا

وهاج عليك بحر من سعير … طغت أمواجه فغدت سيولا

اذا ما مس قصرا مشمخرا … هوى فأحاله رسما محيلا

فقمت على الرسوم كجاهلي … بكى الدمن البوالي والطلولا

يعرض الحريق في صور عدة ، فلهيب النار يشبه في حمرته شقائق النعمان ، وهو مرتفع ، وله وهج يحرق الطائر اذا وازاه ، والرصاص المتساقط فوق دمشق كالمطر المنهمر ، واللهيب المرتفع كالبحر الهائج ، والقصور الشامخة تنهار واحدا بعد آخر بفعل النيران •

ومع تعدد صور الحريق ، فاننا نحس بأن الصور قد حشدت حشدا داخل اطار المنظر ، وأن الشاعر يفتقر الى مخطط يظهر فيه موضع كل جزء من أجزاء منظر الحريق •

والهزم يعرض في منظر الحريق صوب القنابل فوق دمشق ، ولهيب النار المرتفع في الجو ، والقصر

الموار ، والطيار الذى يصب على الناس الهلاء ، والخرائب التى امتازت بدقة الصنعة والفـــن ، وطــلاء الابريز الذى محته القنابل ، والفتى الذى حاول اخماد النار فأصلاه العدو بنـــاره فخـــر ميتا ، والفتاة العائلة على الانقاض ، والمرأة الباكية ، والمرأة التى اغتالها اللهـــب ووقف العدو يرمقهـا نشوان جذلان .

ونعيد هنا ماقلناه من أن الصور محشودة داخل اطار المنظر حشدا ، وأن الشاعر يعـــوزه التصميم الذى يعين موضع كل صورة فى المنظــر، ويربط بين الصور جميعـا .

ويصور الزركلى حريق دمشق فيقول :

النار محدقـــة بجلق بعدمـــا	تركت حمـــاة على شفيرهـــار
تنساب فى الأحياء مسرعة الخطــى	تأتى على الأطمار والأعمـــار
والقوم منغمسون فى جماتهـــا	فتكا بكل مــــبرا صبـــار
الطفل فى يد أمه غــــرض الاذى	يرمى ولمس بخائض لغمــــار
والشيخ متكئـا على عكـــازه	يرمى وما للشيــــخ من أوزار
الوابل المدرار من حمـــم اللظـى	متواصل كالوابل المــــدرار
والظلم منطلق اليديـــن محكـــم	يا ليت كل الخطب خطــب النـار

والصورة تصف النار التى شبت وامتدت الى كل مكان ، والعذاب الذى صبه العدو على النـــاس ، وتعرض صورا منـــه .

ويخيل أن هؤلاء الشعـــراء وغيرهم ممن وصفوا حريق دمشق قد نظروا الى قول أبى تمـــام فى حريق عمورية .

كم بين حيطانهـــا من فـارس بطل	قانى الذوائب من آنى دم ســـرب
بسنة السيف والخطى من دمــــه	لا سنة الدين والاسلام مختضـــب
لقد تركت أمير المؤمنين بهـــا	للنار يوما ذليل الصخـــر والخشـب
غادرت فيهـا بهيم الليل وهو ضحـى	يشله وسطها صبح من اللهـــب
حـتى كأن جلابيب الدجى رغبـــت	عن لونهـا أو كأن الشمس لم تغـب
ضـوء من النار والظلماء عاكفـــة	وظلمة من دخان فى ضحى شحـــب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلـــت	والشمس واجبة فى ذا ولم تجـــب

. . .

ماربع مية معمورا يطيف بــــه	غيلان أبهـــى ربى من ربعها الخـرب
ولا الخدود وقد أدمين من خجـــل	أشهـى الى ناظرى من خدها الـــترب
سماجة غنيت منا العيون بهـــا	عن كل حسن بدا أو منظــر عجــب
وحسن منقلب تبـــدو عواقبـــه	جاءت بشاشته عن ســـوء منقلــب

فهـــو يصور فرسان الروم يسيل دمهم قانيا حارا ويخضب ذوائبهـم ، ويزهو بشرعة القـــوة التى أسالت الدماء ، ويصف النار التى أتت على الصخر والخشب، وارتفع لهيبها حتى يـــــدد

ظلام الليل ، ويقف عند هذا المصلى فيصوره صورا عدة ، فاللهب صبح يجلو ظلام الليل ، وأثواب الليل رغبت عن لونها الأسود ، وضوء النار ساطع ، والظلماء ممتدة ، والمنظر منظر ضحى شاحب يشوبه قليل من ظلمة ، وهكذا يتفنن الشاعر فى وصف الدخان واللهب ، وأخيرا يعرب عن اغتباطه بمنظر المدينة التى أتى عليها الخراب ، ويعلن أن خرابها الدال على النصر أبهى من كل منظر حسن ، وهذا الاخسانق وأضح فى قول الهزم الذى صور العدو فرحا بما يصيب التأس •

وقضة بضة يختالها لهب	والصلح يرمقها نشوان جذلانا

وصور حريق دمشق لاتخرج فى مجموعها عن الخطوط التالية :

أ - وصف النار التى شبت وارتفع لهيبها فى الجو وامتدت الى كل مكان

٢ - وصف أفعال المستعمر ولاسيما امطار المدينة بالقنابل •

٣ - وصف الخراب والدمار الذى أصاب المدينة بفعل النيران والقنابل •

٤ - عرض صور للقتلى والجرحى •

وقد اشتملت أبيات أبى تمام فى وصف حريق عمورية على كثير من هذه الصور • وتطالع لشفيق جبرى صورة متعددة الأجزاء فى قوله يذكر الثورة العربية ،

لما رأيت قلوب العرب واجفة	من الشدائد ماتسجو سواجيها
وأهل جلق بالأعواد عالقة	أعناقهم وسيوف القوم تفريها
مبعثرون عن الأوطان تلحظهم	عين المنية ماتغفو غوافيها
بعثتها ثورة دهواء مائجة	بالهاشميين مخضوبا حواشيها
حمراء أوقد جنبيها القنا وسقى	فتمانها من نجيع الترك ساقيها
على الحطيم رفات من حصائدها	وأربع الشام رياض أضاحيها
أبناؤك الغر ساروا فى طلائعها	يستعذبون المنايا فى معاليها
مازلت بالقوم حتى انجاب ظلهم	عن الحمى ورمى بالترك راميها

وهى أقرب من الصور السابقة الى الصورة الكاملة المتلاحمة الأجزاء ، فقلوب العرب واجفة والشدائد تترى ، وأعناق الأحرار معلقة بالأعواد ، والسيوف تفريها ، والناس يبعدون عن الأوطان ، والموت يترصدهم فى كل مكان ، وبعد أن يصف الشاعر هذا كله ، يصور الحسين يثأر لقومه فيعلن الثورة التى أوقدها القنا وماج فيها الأبطال وخضبتها الدماء ، وكثر فيها القتلى من الترك ، وقادها أبناء الحسين حتى النصر •

ويعود بنا الشاعر الى أيام الثورة الأولى حين أصلى الترك قصر الحسين نارا حامية ، فيصور ثبات الملك •

وفى صورة الشاعر تركيز وتنظيم فى العرض وربط بين الأجزاء ••

ونطالع صورة للحروب فى قول عمر يحيى فى ذكرى المتنبى •

أبقت من تلك المعامع صورة	فيها الدمستق من أساه ينوح

الأسد تزأر والنجـــوم شواهد | والصبح أغبر والجهان طلــح
والخيل ساهمة الوجوه حديثهـــا | تحت الكماة اذا شكون أنــح
وعلى يخترق الصفوف بسيفــه | تزجيه في ساح الغخـــار سبوح

والصور تحتشد في الأبيات ، فهناك نوح الدمستق ، وزئير الأسد، وطلوع النجــوم، وغبرة الصبــح ، وتصب الجهان، وزحير الخيل الساهمة الوجوه ، وسيف الدولة يخترق صفوف العدو على فرســه وبيده السيف.

والصور تتعدد وتحتشد دون أن تتناسق داخل الاطار العام لمنظر الحـــرب ، ونحـــس أن محفوظ الشاعر يتحكم في العرض ، وأن الصور المعروضة مستمدة من بيئة الحرب التي صورهـــا المتنبي في الامارة الحمدانيـــة .

ونخلص من هذا الى أن الصورة البسيطة التي لاتتعدى البيت غالبة على الشعـــر القديـــم ، وأن الشاعر الحديث يحتذيهـــا ويقلدها ، فيستعير منهـــا بعض الأجزاء ، أو ينقلهـــا كلهـــا في صياغة جديدة ، وأن الصورة المتعددة الأجـــزاء قليلة بل نادرة ، ومـــرد هـــذا الى أن الشاعر القديم لم ينظر الى الأشياء نظرة شاملة بل نظر اليهـــا من زاوية ضيقة .

د ــ وقد استطاع الشعراء ممن اتصلوا بحضارة الغرب واطلعوا على أدبه ، أن يستعيروا منـــه بعض الصور ، أو يخلقوا صورا جديدة تكشف عن أصالتهم ، ويأتوا بصور كاملة مركبة ، وينظـــروا الى الأشياء والكائنات نظرة عامة شاملة ويصوروا مايرون وفق تصميم موضوع .

أما الصورة البسيطة المستعارة من أدب الغرب فنجدها في قول العطار يصف طبعـــه ومزاجـــه الحزين المتشائم .

وبنفسي قيثارة تتشكـــــى | وأنا الدمـــع والأسى والشعـــور

...

أناقيثارة تنوح على الدهــــر | ودمع على المــــدى يترقـــرق
أنا لحن مضرج بالمآســـى | كادت النفس من تشكيــه تزهـــق

ونرجح أن أصل الصورة مستعار من قول (فرلين) في قصيدته (أغنية الخريف) اذ جعـــل للخريف قيثارة تتنهـــد ، فتجرح قلبه بنغمهـــا الراتب المضنى الكليل.

وللعطار صورة جديدة في قوله يصف ترامي الشجون بقلبه

أسى القلب فاستراح الى الصمـــت | وللصمــــت عالم مسحـــــور
تترامى به الشجـــون فيعيـــا | ليس يشـــكو الضنى وليس يثـــور

ومثل هذا التصوير كائن في قول على الناصر يصف تبدد أحلامه .

فــــؤادى هـــوة فيهـــا | تساقط غـــر أحــــلامى
تتابـــع في تساقطهــــا | تتابـــع ســـود أيامـــى

ونجـــده في قول الفاخوري يناجي الطيف

ياطيف ماأغراك بـــى بعدمـــا | سلوت ؟ من ذا في خيالي رمـــاك ؟

وتراءى الشجون بالقلب، وتساقط الأحلام في هوة الفؤاد، ورمى الطيف في الخيال تصور جديد لم تألفه في أدبنا العربي .

وللعطار صورة جديدة تعكس احساسه الأليم بقصر العمر ، وهو يعيدها في عدد من أقواله ، ويغلب أن تكون مستعارة من أدب الغرب .

غفلت عني المنون فنتهبت   م   ولحسن الحياة لحسن قصير

. . .

ضاع عمري كما تضيع المنابع   م   وتخفي أمواهها وتضلق

وانطوى مثلما تمر الضبابات   م   ويفنى خيالها ويمزق

ونطالع صورة جديدة لعمر يحيى في قوله يصف شعر محبوبته

رجعت وقد ربا شوقي   الى شعر لها فاحم

أفيء الى سحابته   لأبعث حلمي النائم

وقوله في مناجاة الورد .

تفتر في الكم وقد أشرقت   اشراقة الآمال بين الغيوم

تهتز كالأحلام عند الصبا   أو فكرة الشاعر عند الوجوم

وهذه الصور السماوية المطبوعة غاية في النعومة والجمال .

ونطالع في وصف الخريف للفاخوري صورا جديدة تعكس احساس الشباب والعصر ، ومنها قوله :

والجدول الساهي له أنة   مدفونة في مائه لا تهين

سأمان من سير بلا آخر   مطرد ما غيرته السنون

. . .

شطآنه سجن له دائم   يرسف فيه موجه الوادع

يجري خليا لا الى غاية   كأنه في أزل ضائع

ولعلي الناصر صور جديدة منها قوله يصف المرأة .

هل أنت الا الخمر ملحاحة   يحتاجها الانسان ما أدمن

هل أنت الا معبد للنهى   ترتاح فيه النفس بعد العنا

هل أنت الا هاتف ملهم   ايحاؤه النعمى وزاهي المنى

فيك الحياة استكملت فنها   فما أحلاك وما أحسن

وقوله يصف صدر المرأة .

في الصدر مصباحان قد حجبتهما   بهلاهل نسجته ربات الشفق

نشأ الهوى كالحلم في حقبيهما   قلقا وما أحلاه ذلك القلق

وتشبيه النهدين بمصباحين وحقين، وجعلهما موطن الهوى القلق، وصف بديع لم تألفه في أدبنا العربي.

ويتغزل جميل سلطان فيقول :

هـي كالشمع رقـة ولمانـا   وهـي كالنور والغذاء لنفـسـي

ألمح السحـر فى تألق عينيهـا م فألقى نجمين شعا بشمـس

والمحبوبة الشمع خليقة بان تكون دمية يلهـو بهـا الطفل ، وتشبيهها بالنور والغذاء تشبيه معنوى جميل ، والعينان النجمان صورة جميلة جديدة ، وصورة الشمس مطروقـة

ونطالع فى شعر أبى ريشة صورا جديدة منهـا قوله يصف جيش الاغادى فى رثاء هنانو ويذكـر ثورته .

والاعادى تلوح كالازرق الرجـراج م فى موجـه العتى المطيـر

تشتم الارض من قنابلهـا الحمـر م ويشكو العجاج جفن الاثيـر

وتشبيه جيش العدو بالبحر جديد ، وكان القدامى يشبهونه بجنح الليل كما فى قول بشار .

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى   وبالشوك والخطـى حمر ثعالبـه

أما صورة الشتم فهى مستعارة من قول المتنبى يمدح سيف الدولة إثر حربه مع الروم .

حقرت الردينيات حـتى طرحتها   وحـتى كأن السيف للرمح شاتـم

والجديد فى تشبيه العدو بالبحر هو استخدام الرمز فى أداء الصورة ، فقد رمز الشاعر الى البحـر بالازرق الرجراج ، ففى الصورة ايحاء باللون والحركة .

ويصور أثر الشهداء فى كسب الحمد ونيل المجد فيقول بعد وصف موتهم فى حومة الوغى .

هكذا تمهـر العلى بهـسـاط   من دماء وقبة من قبـور

وهو تصوير فخم يملأ النفس زهوا وكبرا ، ويجنح بالمرء الى الخشوع والركوع امام قبور الشهداء .

ويقول متغزلا

فاسدل لى الستر فوق نهدين ضجـا   واشر أيا كجانحى ورقـاء .

وضجيج النهدين تصوير جديد وفيه رمز ، فقد رمز بالصوت الى حركة النهدين فى الصدر .

ويقول فى وصف طلل .

حوافر خيل الزمـان المشـت   تكاد تحدث عن بؤسـه

فما يرضع الشوك من صـدره   ولا ينعب البـوم فى رأسـه

فجىء بصور جديدة ، فالزمان غدا خيلا عدت فوق الطلل فهدلته تهديلا ، والارض أجدبـت فما ينبت فيهـا الشوك ، والمكان بات مهجورا .

وأخيرا يصور الموت ينتحر يأسا من إبادة الطلل .

هنا ينفض الوهم أشباحـه   وينتحـر الموت فى يأسـه

واماتة الموت تصوير جـديد .

ويصور جبهـة ديك الجـن بقوله

ومراكب الايام شقـت م جبهـتى دربـا قدربـا

وهى صورة منتزعة من الواقع ، وفيهـا جدة وهى توحى بتقدم الموصوف فى السن .

د ـ أما الصورة الكاملة المركبة فنجدها في شعر علي الناصر وأبي ريشة •

فعلي الناصر يصف وجه بولين فيصور بحيرة في وضح الصباح ثم يقرن بولين بها حين ترنو بطرفها •

أرأيت في وضح الصباح	م	بحيرة حسنى الأفق
تمتد ساجية الأديم	م	كأنها لما تفق
وكأنها ذيل السماء	م	امتد مافوق السهول
بين الفياض الدكن ما		بين الخمائل والحقول
أنفاسها عقدت على		أجوائها سترا رقيق
ذراته مظروفة		ينثار أضواء دقيق
وقرأت في أعماقها		معنى الوداعة والسلام
وفهمت ذا الصمت الذي		يغنيك عن لغة الكلام
هي عينها اما رنت		والوجنة وضاء الجبين
فيه الحماة نضيرة		توحي الغواية والفتون

والصورة في هذه الأبيات كاملة مركبة، فهي تشتمل على لوحة البحيرة في الصباح ٤٨، وهذه اللوحة متعددة الأجزاء ، والى جانبها لوحة تأثرية تعكس أثر البحيرة في الشاعر ، وهذا الأثر واضح في معاني الصمت والوداعة والسلام التي أحس بها في منظر البحيرة ، وهو الذي يربط بين البحيرة ووجه بولين فيبدو ان صورة واحدة ذات أثر نفي(نفسي) واحد •

أما أبو ريشة فقفه مصبوب في الصورة ، والصورة عنده تعيش على الموضوع ، فالموضوع يخطر في فهمه فيفكر فيه ، ثم تلوح صورة متصلة به فيصدها ، ثم تلوح ثانية فيضعها في جانب الأولى ، وهكذا يتعلق بالصور وينسى الموضوع ، وتجد مثلا لهذا في قصيدته (شيح) وفي أغلب قصائده •

والصورة المتعددة الأجزاء كثيرة في شعره وهي خطوة نحو الصورة المركبة ، وهذه الصورة بارزة في فنه •

والصورة المركبة أنواع :

أ ـ فالنوع الأول نجده في قصيدة (طلل) ، وهي ـ كما رأينا ـ وحدة تامة معلقة بفكرة والأبيات إنما هي الادرجات تنتهي بالقارىء الى الفكرة في البيت الأخير•

ب ـ والنوع الثاني نجده في قصيدة (جان دارك) وقصيدة (كأس ديك الجن) وقصيدة (سعيد العاص) ، والقصيدة ، من هذا النوع ، تتألف من فقر ، كل فقرة من عدد من الأبيات ، والفقر ، بمجموعها ، تولف الصورة العامة للقصيدة •

والشاعر ، في مثل هذه القصائد ، يمسك بخيط يشد أجزاء الصورة بعضها الى بعض، وينظمها في سلك واحد ، ففي قصيدة (جان دارك) يفسر بطولة الفتاة بأنها (بأنها) تصعيد للغريزة الجنسية وانحراف بها عن خط سيرها الطبيعي ، ويعرض الفقرة تلو الفقرة بحيث تتألف

الصورة العامة شيئا فشيئا ، وتوضح ، في تتابع أجزائها ، مضمون ذلك التفسير •
وقصيدة (كأس ديك الجـن) ، تتابع أجزاؤها لتبرز الغيرة التي قادت الشاعر الى ذبح جاريته كيلا تصير الى غيره ويبيت بعدها في حسرة •

و — والنوع الثالث يبدو في الرمز ، وهو أوضح مثل للصورة المركبة ، اذ تدور أجزاء الصورة على كائن واحد ، ويكون ارتباطها بعضها ببعض ارتباطا عضويا •
والصورة الرمزية مستعارة من الأدب الغربي ، وقد وجدناها في وصف الطبيعة عند علي الناصر وأبي ريشة •
فالبدوي الضال في الصحراء رمز الى علي الناصر الضال في الحياة ، والثعبان رمز الى روحه المضطربة القلقة ، والبنفسجة رمز الى من أحب •

والرمز عند أبي ريشة أكثر تماسكا وأقوم نظاما وأقوى بنيانا ، فالنهر الذي يسيل في السهل هادئا مطمئنا رمز الى حالة الركود التي تعتري النفس بعد معاناة المشاق والتغلب عليها ، والحية ، التي حركت نابها ، وعضت على بطنها ، فماتت ، رمز الى الحسود الذي يأكل نفسه ، والسفينة المتهادية ، يلقي بها البحر الى الشاطئ ، فتتكسر على صخوره ، رمز الى الغرور •

وأقوى صورة رمزية في شعر أبي ريشة صورة (نسر) ، وقد صورت اضطرابه بين عالم الفن والواقع ، وشقاءه في حياته على الأرض ، وتطلعه الى عالمه الأول ، وعبر انتحار النسر عن فرط ما يعانيه الشاعر في بعده عن عالمه •

وصورة النسر مؤلفة من أجزاء متلاحمة ، وكل جزء يفصح عن حال الشاعر ، والصورة العامة تتكامل شيئا فشيئا ، والاجزاء متصل بعضها ببعض اتصالا عضويا بحيث يستحيل تقديم جزء على جزء في القصيدة ، وقد عبر الشاعر في آخرها عن أزمته النفسية بقوله :

أيها النسر هل أعود كما عدت   أم السفح قد أمات شعوري

وقد يغدو الرمز عنده لغزا كما في قصيدته (النسوة الثلاث) •

فالصورة ، في الشعر العربي في سورية ، يغلب عليها تيار التصوير في الشعر القديم ، ويظهر فيها أثر الشعر الغربي ، وما كان هذا الجديد ليظهر لولا اطلاع بعض الشعراء على الآداب الغربية •

* * * * * * * * *

الفصـــــل الثالـــــث

الـــوزن والقافيـــــة

وحدة الشعر العربي هي القصيدة ، والقصيدة هي المنظومة الشعرية ذات الوزن الواحـــــد والقافية الواحدة ، فالوزن[1] ركن من أركان الشعر العربي ، ولابد للكلام أن يستوفيه ليكـــــون شعـرا ، ومعنى ذلك أن القصيدة مقسمة الى أقسام تسمى أبياتا ، وكل بيت منها مساو تمـــاما لمقياس خاص يسمى الوزن •

وأوزان الشعر العربي متعددة ، وقد عرفها العرب بفطرتهم وملكتهم الفنية منـــــــذ القديم ، واستمر الشعراء ينظمون عليهـا حتى جاء الخليل بن أحمد فضبطهـا ، ووضعهـــا وسماها أسماءها المعروفة ، وقام حولهـا علم يعرف بعلم العروض غايته تمييز الشعـــــــر من النثر ، وأمن الشاعر اختلاط البحـور بعضها ببعض والسلامة من كسر الوزن أو الاخــــلال فيه ، والتفريق بين الأوزان الصحيحـة والفاسدة • فموضوع علم العروض البحث عن أوزان الشعـــر العربي وما يعرض لهـا من التغيير •

والوزن عبارة عن أصوات تشتمل على حركات وسكنات بترتيب مخصوص ، ولا يخلو بيت من الشعر مـــن وزن يقابله ، وليس من الضروري أن يكون الشعـر مطابقا لذلك الوزن النظري مطابقة تامــــة بل هنالك أمور يجوز للشاعر أن يتصرف فيها ، كأن يحرك ساكنا ، أو يسكن متحركا ، أو يحذف حرفـــا من الحروف ، ويحدث هذا كله حسب قواعد وقوانين سجلهـا علم العروض ، ومثل ذلك التصرف بالتحريك أو التسكين أو الحذف لا يخل بالوزن •

وكثير من بحـــور الشعر العربي قد يتخذ صورتين أو أكثر ، فبحر الكامل قد يكـــــون على وزن متفاعلن مكررة ست مرات ، وأحيانا يجيء الكامل مجزوءا بأن يكتفى فيه بتكرير متفاعلـــن أربع مرات في البيت الواحد ، ويسمى الوزن في هذه الحالة مجزوء الكامل •

وليست الأوزان العربية كلهـا قابلة لهذه التجزئة ، ولكن كثيرا منها يقبلها ، وعلى كـــل حال فان لمعظم البحـور أكثر من صورة واحدة •

وهكذا نرى أن الشعر العربي يتعدد الأوزان سواء أنظرنا الى عدد البحـور الأصلية أم أضفنـــا اليها الاختلافات العديدة المتفرعة عنها ، وهـــذا الغنى الفني المظيم في الأوزان ليس له نظـــير في اللغات الغربية • ولهـــذا الغنى ميزة جليلة ذلك أن لكل وزن صفة تميزه على سواه ، فالطويل مثـــلا يمثل الفخامة ، ويصلح للانشاد في المحافل والمجامع ، والرمل يمثل الرقة والعذوبــــــة ، ويسهـــل فيه الغناء •

وليس من السهل الدلالة على الصفة التي تميز كل بحر من البحور — لأن المدار في التمييـــــز على الذوق ، وقد يختلف الناس في تقدير ميزات كل بحـــر ، ولكن مما لاشك فيه أن كثــــــرة البحـــور في الشعر العربي قد جعلت النغمات الشعرية متعددة متنوعة •

٢

والقافية أساس في الشعر العربي ، وقد كان القدماء يعرفون الشعر بأنه الكلام الموزون المقفـــى[2]

(١) مقدمة كتاب التوجيه الأدبي ص ١٤٢ـ ١٤٧

(٢) « « « « ص ١٤٠ـ ١٤٢

ولا يكفى فى الشعر العربى أن تنتهى أبياته بحرف واحد وهو الروى ، بل يجب أن تكون حركته واحدة ، واذا كان قبل الروى ألف ممدودة وجب أن يكون هذا فى سائر القصيدة ، واذا كان قبل الروى واو أو ياء ساكنة كان لابد من اتباع هذا فى القصيدة كلها ، ومن الجائز تعاقب الواو والياء فى مثل هذه الحالة ، واذا كانت أبيات القصيدة تنتهى بهاء الغائب أو ما يماثلها وجب أن يسبقها روى ثابت قبلها ، واذا كان فى القافية ألف تأسيس وجب أن تتبع فى القصيدة كلها .

والذى يهمنا هو الدقة التى روعيت فى القافية والتزامها فى القصيدة كلها ، وقد جرت عادة الشعراء أن يلتزموا فى مطلع القصيدة تقفية كل من المصراعين ، ولكن هذا ليس بشرط لازم ، فهناك قصائد مشهورة أطلق فيها المصراع الأول من غير تقييد ، والعادة أن يكون المطلع مصرعا أى أن يتبع كل مصراع القافية التى تلتزم فى نهاية الأبيات جميعا .

ومن شعراء العربية من يضيف الى القافية الخارجية قافية داخلية تكون فى داخل البيت ، وتكون مقصورة على بيت واحد أو عدد محدود من الأبيات فى القصيدة كلها .

وفى القصائد المنظومة على بحر الرجز اتبع الشعراء ثلاث طرق :

أ) الأولى أن تنتهى أبيات القصيدة كلها بقافية واحدة .

ب) الثانية أن تتكرر القافية فى آخر كل مصراع فيكون المصراع هو وحدة القصيدة .

جـ) الثالثة أن يكون لكل مصراعين قافية واحدة وبهذا يمكن الاطالة فى المنظومة ، وهذه هى الطريقة المتبعة فى أرجوزة أبى العتاهية ، وقلما اتبعت الا فى الرجز ، وقد أصبح من المألوف أن تسمى المنظومة من هذا النوع (أرجوزة) لا قصيدة وأن يسمى المؤلف راجزا لا شاعرا .

ولاتفاق القافية فى أبيات القصيدة وقع حسن فى السمع ، ولما كانت موسيقى اللفظ عنصرا أساسيا فى الشعر كان للقافية شأن لا يستهان به فى اكمال هذه الموسيقى .

وقد انفردت اللغة العربية بالقصيدة الطويلة ذات القافية الواحدة حتى أصبحت القصيدة تدعى أحيانا باسم قافيتها كسينية البحترى ، وامتازت القصائد العربية بالطول لأن الألفاظ ذات النهايات المتشابهة كثيرة جدا فى اللغة العربية ، فالقافية ملائمة لطبيعة اللغة العربية .

ووجدت فى عصور الأدب العربى صور أخرى للقافية وترتيبها بحيث تتنوع فى القصيدة الواحدة حسب نظام خاص كالموشحات التى امتاز بها أدب المغرب والأندلس .

وقد وجد فى وقتنا هذا من ينادى بالتحرر من القافية وارسال الشعر تقليدا لبعض اللغات الغربية ، ولكن لم تلق هذه الدعوة قبولا عند شعرائنا .

٣

ومع تقدم العصر ، غدت الأوزان والقوافى المعروفة فى الجاهلية وصدر الاسلام غير كافية ، وخرجت أغراض الشعر ومعانيه عن الحدود الأولى المرسومة لها من قبل ، وتعددت بتعدد آفاق الحياة ، فظهرت أوزان تلائم أذواق الناس وأهواءهم المتجددة ، ولم تعد القصيدة ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة هى الصورة الوحيدة التى صيغ بها الشعر العربى ، بل

حدثت صور أخرى في الوزن والقافية منها :

أ ـ المجزوء • وهو البيت الذى سقط عروضه وضربه •

ب ـ المشطور وهو البيت الذى سقط شطره •

جـ ـ المنهوك وهو البيت الذى سقط ثلثاه •

د ـ المخمسات وهى أن تتألف المنظومة من قطع ، كل قطعة من خمسة أشطر ، للأربعة الأولى قافية واحدة، وللشطر الخامس قافية تتفق مع الشطر الخامس لكل قطعة ، فاذا فرضنا أن القافية س فتكون المنظومة على هذا النحو :

أ • أ • أ • أ • س ، ب • ب • ب • ب • س ، جـ • جـ • جـ • جـ • س

هـ ـ المربعات وهى على طريقة المخمسات تماما ، وتكون الأشطر أربعة بدل خمسة ، ويمكن تصريع الأربعة الأولى ، فتكون المنظومة :

س • س • س • س • ، أ • أ • أ • أ • س ، ب • ب • ب • ب س ، • • • •

وهنالك نوع من النظم الرباعى اقتبسه شعراء العرب المتأخرون من الفرس وهو الذى يسمى (الدوبيت) أى نظام البيتين أو الرباعيات التى منها رباعيات الخيام ، وفى هذا الطراز من الشعر تكون كل قطعة مستقلة استقلالا تاما بقوا فيها ، وفى العادة تكون الشطرات الاولى والثانية والرابعة من قافية واحدة والثالثة تكون حرة ، فاما ان تصرع أولا تصرع ، وهذا الطراز على كثرته فى الشعر الفارسى نادر جدا فى الشعر العربى •

و ـ الموشحات : وهى من المنظومات المستحدثة ، ومن الصعب أن نحاول حصر أنواع التوشيح والموشحات فان هذا الباب قد فتح للشعراء سبلا جديدة فى تنويع القافية يصعب حصرها والمهم فيهما تقسيم المنظومة الى قطع مستقلة بقوافيها مع وجود عنصر يتكرر من قطعة الى قطعة •

وقد كان للموشحات شأن خطير عند أهل المغرب والأندلس ، ولم يكن لها عند أهل المشرق مثل هذا الشأن ولم تنتشر فى المشرق الانتشارها فى المغرب •

ز ـ المزدوج وهو أن يكون كل مصراعين من القصيدة على روى واحد وبذلك تختلف قوافى المصاريع وتتفق أوزانها ، ومن المزدوج ذات الأمثال لأبى العتاهية ، ويغلب فى المزدوج استعمال الرجز لأنه وطىء سهل المراجعة •

٤

وقد شك بعض الأدباء الأوربيين فى القرن الماضى فى ضرورة الوزن للشعر ، ونادى بأن الكلام الجميل قد يكون شعرا ولو لم يكن له ذلك الوزن ، ووجد كتاب ممن استهوتهم الدعوة فألفوا ما سموه أشعارا غير منطبقة على الوزن ، ولعل السبب الذى دفع بعض الكتاب لأن يزعم أن الوزن ليس من الشروط الضرورية للشعر أنهم رأوا أن النثر البليغ قد يبلغ من التأثير فى النفوس ما يبلغ الشعر ، وقد وجد نثر فنى رائع اتبع فى تأليفه الروح السائد فى الشعر ، وهذا النثر يمكن أن يطلق عليه اسم النثر الشعرى ، ولكن الأوفق ألا نخلط بينه وبين الشعر الصرف •

وراجت الدعوة في الولايات المتحدة وفي بعض جهات قليلة من أوربة ولاسيما بلجيكة ، ولم تصادف نجاحا في انكلترة وفرنسة ، ولكن هنالك معنى نستخلصه من هذه الحركة وهو أن الوزن وحده ليس بالشرط الوحيد الذي يجعل من الكلام شعرا ، بل ينبغي أن يستوفي الكلام شروطا أخرى من حيث الجمال والخيال وحسن الصياغة وتخير الألفاظ .

وانتقلت هذه الدعوة الينا فوجدنا من يدعو الى التحرر من قيد الوزن والقافية ونظم الشعر المرسل ، غير أن الدعوة لم تلق نجاحا ، وظلت وحدة الوزن والقافية مراعاة في نظم القصيدة ، ثم عادت تلك الدعوة الى الظهور بعد الحرب الثانية ، اذ نادى الأدباء الشباب بمبدأ الالتزام ، والتحرر من أشكال التعبير القديمة، وارسال الشعر حرا من قيد الوزن والقافية، والملاءمة بين الأدب وواقع الحياة ، ووجد شعر يمثل دعوتهم .

٥

جرى شعراء سورية على غرار الأوائل في نظم البيت والقصيد :

أ — فحافظوا على وحدة الوزن والقافية في معظم مانظموا ، ونوع بعضهم القافية في القصيدة الواحدة . وخرج على الناصر عن وحدة الوزن والقافية ونظم الشعر المرسل . .

ب — ونظموا على البحور الأصلية وعلى البحور المجزوءة المتفرعة من دوائر البحور الأصلية

جـ — واستعملوا البيت المشطور

د — ونظم بعضهم المخمسات ، ونجد مثلا لها عند خير الدين الزركلي في مخمسه (عصفورة النيربين) ومنه قوله في القطعة الأولى

عصفورة النيربين غني
واروي حديث الأنين عني
أنا المعنى ، وما المعني
غير حنين ، أذاب مني
شغاف قلبي وحسن ظني .

ونلاحظ أن الشاعر قد صرع الأشطر الخمسة الأولى . والمخمس مؤلف من أربع قطع ، وتتفق قافية الشطر الخامس من القطعة الأولى مع الشطر الخامس لكل قطعة .

هـ — ونظم بعضهم الموشحات

فخير الدين الزركلي يقول في موشحه (نشيد الصباح) :

ابتسم الفجر فقل للنائم : حسبك نوم
ما العيش أن تنعم في ظل الأراك
وأن ترى العالم وهو لا يراك
لابد للساكن يوما من حراك
ان الحياة لجهاد وعراك
شر الأماني أماني الحالم

مابلغ الغاية غير الحالم ـ جهداً ودوم
ابتسم الفجر فقل للنائم ـ حسبك نوم

وللشاعر موشحات أخرى في ديوانه .

ونظم خليل مردم موشح (المحزون) وموشح (سكران وسكرى) .

ويقول بدوي الجبل في موشحه (ياقمر) .

هات حدثني فقد طاب السمر ... وأنر ظلمة نفسي ياقمر
سور الحسن فلا تبخل بها ... إن للشاعر ألحان السحور

. . .

أنا نشوان ومن خمر الهوى ... قد ترشفت رحيقا بابلياً
سكرة للحب في عهد الصبا ... كيف لا يسكر من كان صبيا
في ظلال الآس أحسو خمرتي ... مشركا في كأس الزهر النديا
علة مني ومنه علة ... هكذا ترشف (تشف) الكأس هنيا
لامني الناس على حب الطلى ... فاعذر الشاعر فيها ياقمر

وللشاعر موشحات أخرى في ديوانه

ويقول بدرالدين الحامد في موشحه (كلما هبت نسمات الحمى) .

كلما هبت نسيمات الحمى ... ومحا الصبح مداد الغلس
وحنا الورد على طل السما ... ذكر المحزون ماكان نسي

. . .

يازمان الوصل (يا) خير زمان ... كم جمعنا فيك أشتات المنى
سرك المحجوب في طي الجنان ... وهو للواجد أنس وهنا
وطر ياليت شعري كيف بان ... ويكأن ماحل حتى ظعنا
من علمنا بالنوى قد حكما ... فافترقنا ياحياة الانفس
أنامن بعدك أصبحت كما ... شاء لي الدهر رهين المحبس

ويقول عمر يحيى في موشحه (الشهاب الذاوي)

أمل صوح غضا قبلما ... تجتني منه أماني الانفس
يقتل اليأس الفتى لاسيما ... والمصنى طامع لم ييأس

. . .

مادرى صحبك ياعبد الكريم ... أنما عهدك كالورد قصير
الأب المفؤود يبكي ويهيم ... طالما بعدك نيران السعير
والحمى يرقب والأم الرؤوم ... بين شوق وسهاد وزفير (وزفير)
عمر الأزهار يمضي حلما ... ثم تذويها أكف اليبس
بالشمس لم تصل أوج السما ... تتوارى في ثنايا الغلس

وله موشحات أخرى في ديوانه .

ونظم جميل سلطان موشح (شبح) .

ويقول علي الناصر في موشحه (الخيال)

ماوراء الغيوم ماوراء النجوم ماوراء الخيال سحت بالحس

طرت بالجوى سائق الهوى غايتي الجمال تايها همسي

ماوراء الغيوم لهفة المحروم

ماوراء النجوم ظلمة تدوم

ماوراء الخيال غاية النفس

و — ونظم بعضهم الرباعيات وهي نوع من النظم اقتبسه العرب من الفرس ويسمى (الدوبيت) أي نظام البيتين . ونجده عند عمر يحيى في قوله في (رباعيات) :

أحاول أن أرتضي حاضري وأنسى زماني الذي قد مضى

فأرجع لا منيتي قد بلغت ولا أنا راض بحكم القضا

. . .

أرى في الرسوم ملاذا لنفسي من السهم مالي وسكني الرسوم

كأني أفرلتفريج كربي أداوي الهموم بمرأى الهموم

ونلاحظ أن كل قطعة مستقلة بقوافيها ، وفي العادة تكون الشطرات الأولى والثانية والرابعة من قافية واحدة ، وتكون الثالثة حرة فاما ان تصرع أو لاتصرع .

ونجد هذا النوع من النظم عند رفيق الفاخوري في قصيدته (الخريف) ، وعند أمجد الطرابلسي في قصيدته (وحشة) .

ونجده عند عمر أبي ريشة في قصيدته (محاولة) ومنها قوله :

أمح ذكراها فقد هيجت بي يا فؤادي من هواها كل حزن

شبح الأحلام في جفن المنى وأكسر الكأس على صخر التمني

. . .

انني في حجرتي اسكب في صفحة القرطاس روحي والشعور

وحوالي خيالات الأسى مشرئبات الى تلك السطور

. . .

قلت فلأشرب من الخمر عسى تنزع الخمر تباريح الكرب

هاهي الخمرة قربي شعشعت هاهو الكأس على ثغري انقلب

وكلهم يجعلون الشطرة الثانية والرابعة من قافية واحدة .

ز — ونظم بعضهم المزدوجات ، والمزدوج أن يكون كل مصراعين من القصيدة على روي واحد ، وبهذا تختلف قوافي المصاريع، وتتفق أوزانها ، ونجد هذا النوع من النظم عند رفيق الفاخوري في قصيدته (يامطرب الخميلة) ومنها قوله :

يامطرب الخميلة المظلله   زود فؤادى نغمة معلله

ترنيمة المساء فوق الشجر   تنفض عن روحى غبار الضجر

أحب من ألحانك الحزينا   فهات لحنا يشبه الأنينا

وانظر معى الى جراحة الشفق   من قبل أن يلفظ فى الأفق الرمق

ويمضى الشاعر على هذا النحو فيخرج خواطره مخرج الأمثال فعل أبى المتاهية فى قصيدته ذات الامثال ، ومنها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت   ماأكثر القوت لمن يموت

هى المقادير فلمنى أوفذر   ان كنت أخطأت فما أخطا القدر

ان الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أى مفسدة

ان الشباب حجة التصابى   روائح الجنة فى الشباب

ح — وقد عارض شعراء سورية القدماء فى كثير من قصائدهم فالزركلى فى قصيدته التى مطلعها .

بفؤادى جرح تعهده   ماغمر وصالك يضمده

يعارض أبا الحسن الحصرى فى قصيدته التى مطلعها .

ياليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده

وشفيق جبرى فى قصيدته التى مطلعها .

للبيد ظل على الفيحاء ممدود   لايقلق الشام تهويل وتهديد

يعارض المتنبى فى قصيدته التى قالها فى هجاء كافور ومطلعها .

عيد بأية حال عدت ياعيد   بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وهو فى قصيدته التى مطلعها

خطرت ببالك بالها من خطرة   أتظن أنك قد خطرت ببالها

يعارض الشاعر القديم فى قصيدته التى مطلعها .

ان التى زعمت فؤادك ملها   خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وعمر يحيى فى قصيدته (ربيع البائس) ومطلعها

وبالسفح من جنب الحمى كم مفارق   بكى شجوه ثم انثنى يندب الحمى

يعارض البحترى الذى مدح الهيثم الغنوى واستطرد فى مدحه الى وصف الربيع فقال

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا   من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وهو فى قصيدته التى مطلعها

عندليب الروض فى فننه   مستطار القلب من شجنه

يعارض العباس بن الأحنف فى قوله

يابعيد الدار عن وطنه   مفردا يبكى على شجنه

ويضمن عمر يحيى قصيدته بيتا للاحنف هو قوله :

شفـــه ماشفـــنى فبكـــى   كلنـــا يبكى على سكنـــــه

وعمر يحيى فى موشحه -(الشباب الذاوى) ومطلعه

أمل صـــوح غضـــا قبلمــا   تجتنى منه أمانى الانفـــــس

يقتل اليأس الفتى لا سيمـــا   والمصـــنى طامع لم ييـــــأ س

والحامد فى موشحه ، ومطلعه

كلما هبت نسيمات الحمـــى   ومحا الصبح مداد الغلـــــس

وصنا الورد على طـــل السمــا   ذكر المحزون ماكان نســــــى

يعارضان ابراهيم بن سهل فى موشحه الذى عارضه كثير من الشعراء ، ومطلعـــه .

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى   قلب صب حلـــه عن مكنــــس

فهو فى حر وخفق مثلمــــا   لعبت ريح الصبــــا بالقبـــس

وقد عارضه لسان الدين بن الخطيب بموشحه الذى قال فى مستهله .

جادك الغيث اذا الغيث همـــى   يازمان الوصل بالاندلـــــس

لم يكن وصلك الا حلمــــا   فى الكرى أوخلســـة المختلـــس

والشعراء لا يقتصرون على معارضة القدماء بل يعارضون المحدثين ، فجـــبرى ، فى تكريـم حافظ ، يقول فى مستهل قصيدته .

أنشدت شعرك فى أفياء لبنــــان   فرحت أغمز وسواس وشيطانـــــى

فعارض أحمد شوقى فى قصيدته التى قالها بمناسبة تكريمه فى المجمع العلمى العربى ومطلعهـــا

قم ناج جلق وانشد رسم من بانـــوا   مشت على الرسم أحداث وأزمـــــان

ولاءم الشعراء بين الأوزان والموضوعات فعل الاقدمين ، وهذا جدول يعرض الأوزان الـــتى تخيرها الشعراء للنظم فى الشعر الوطنى .[6]

	الكامل	الخفيف	البسيط	الطويل	الرمل	السريع	الوافر	مجزوء الكامل	المتقارب	المجتث	المديد	م الرمل
الزركلى	٧	٢	٤			١	٢	١	١	١		
الهزم	١		١	٢								
جـبرى	٨	٥	٨	٤	٢	١	٢	٤	٣			
مردم	٦		٦				٥					
بدوى الجبل	٧	٣	٢	٢	٢	١	١	٢	١			
الفراتى	٧	٣	١	٣	١			١				١
الحامد	٦	٤	١	٣	٢	٢	١	١	٢		١	
محسن	٦	٢	٣	٧	٤	٤			٢			
أمجـد	١	٢	١			٢						
الفاخورى		١										
الشريقى	١	١	١									
العطار		٥										
أبوريشة	٢	١٢	١		١			١				
	٥٢	٤٠	٢٩	٢١	١٢	١١	١١	١٠	٩	١	١	١

وملاحظة الجدول تدلنا على أن (الكامل) أكثر من غيره من البحور دورانا في الشعر الوطني ويتلوه الخفيف فالبسيط فالطويل فالرمل فالسريع والوافر فمجزوء الكامل فالمتقارب .

وقد اتضح لسليمان البستاني بالتطبيق والمقابلة بين أبواب الشعر وبحوره مايلي :

" فالطويل بحر خضم يستوعب مالا يستوعب غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والتشابيه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ، ولهذا ربا في شعر المتقدمين على ما سواه من البحور لأن قصائدهم كانت أقرب الى الشعر القصصي من كلام المولدين "

" والبسيط يقرب من الطويل ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والألفاظ مع تساوي أجزاء البحرين ، وهو من وجه آخر يفوقه رقة وجزالة ، ولهذا قل في شعر أبناء الجاهلية وكثر في شعر المولدين . "

" والكامل أتم الأبحر السباعية ، وقد أحسنوا بتسميته كاملا لأنه يصلح لكل نوع من أنواع الشعر ، ولهذا كان كثيرا في كلام المتقدمين والمتأخرين ، وهو أجود في الخبر منه في الانشاء وأقرب الى الشدة منه الى الرقة "

" والوافر ألين البحور يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته وأكثر مايجود به النظم في الفخر "

" والخفيف أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع يشبه الوافر لينا ولكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاما . واذا جاء نظمه رأيته سهلا ممتنعا لقرب الكلام المنظوم فيه من المنثور وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره يصح للتصرف بجميع المعاني "

" والرمل بحر الرقة فجود نظمه في الأحزان والأفراح والزهريات ولهذا لعب به الأندلسيون كل ملعب وأخرجوا منه ضروب الموشحات وهو غير كثير في الشعر الجاهلي وأكثره في مثل ما تقدم "

" والسريع بحر يتدفق سلاسة وعذوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ومع هذا فهو قليل جدا في الشعر الجاهلي "

" والمتقارب بحرفيه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة وهو أصلح للعنف منه للرفق "

ونلاحظ أن الأبحر التي عرض لها سليمان البستاني قد دارت كلها في الشعر الوطني لأنها لاءمت أغراضه ومعانيه ، وقد كنا وجدنا أن هذا الشعر :

أ — يحمل طابع مرحلة النضال .

ب — ويسجل أحداث الواقع .

جـ — ويتغنى ببطولة الثوار والمناضلين .

د — ويذكر الروابط بين بلاد العرب في الماضي والحاضر .

هـ — ويربط بين المناضلين في أطراف الأرض .

و — ويعبر عن الذات والمزاج الفردي للشاعر

ز — ويمتاز بتنوع المشاعر والعواطف والأغراض والمعاني .

وذلك يتطلب :

أ — تنوع البحور التي ينظم عليها الشعراء .

ب — اتساع البحور لكي تشتمل على أغراض الشعر الوطني ومعانيه

جـ ـ شـــدة البحور وقوة نغمتهـــا •

د ـ قدرة البحور على التصرف بجميع المعاني •

هـ ـ قدرة البحور على تمثيل العواطف والغناء الذاتي •

واذا عدنا الى الأبحر الدائرة في الشعر الوطني وجدناها تتسع لمختلف الأغراض وتصلـــح للتصرف بالمعاني وتمثيل العواطف والتغني بالذات •

أ ـ فالأبحر الدائرة في الشعر الوطني متنوعة •

ب ـ وهي تتسع للفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والوصف والغناء الذاتي ، فالطويل يتسع للفخر والحماسة وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ، والبسيط يقرب من الطويل من وجـــه ولكنه لايتسع مثله لاستيعاب المعاني ، وهو يفوقه رقة وجزالة من وجـــــه آخر ، والكامل يصلح لكل نوع من أنواع الشعر ، والوافر يشتد ويرق ويجـــود بـــــه النظم في الفخر ، والخفيف يصلح للتصرف بالمعاني جميعا ، والرمل يجود نظمه فـــي الأحزان والأفراح ، والسريع يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ، والمتقارب فيـــــه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوســـــة •

فالبحور الدائرة في الشعر الوطني تصلح للأغراض والمعاني المختلفة •

جـ ـ وأغلب البحور الدائرة في الشعر الوطني يغلب على نغمتها القوة والشدة ، وبعضهـــا أقرب الى الشدة والعنف منها الى الرقة واللين الا الخفيف والرمل فانهما بحران لينان •

د ـ وبعض البحور كالسريع والرمل ، قادر على تمثيل العواطف والتغني بالذات •

وهذا جدول يعرض الأوزان التي تخيرها الشعراء للغزل •

	م الكامل	الخفيف	السريع	الكامل	الطويل	البسيط	المجتث	م الوافر	الوافر	م الرجز	الرمل	المتقارب	م الرمل	م الخفيف	المحدث	المنسرح
الزركلي															١	
مردم	١												١			
جبري				١												
بدوي الجبل		١	٣								٢					
الغراتي		١	١	٢	١	٢		١	٢							
الحامد	٢	٢									١					
عمر يحيى	٣	٤	١	٤	٦	٥	٤	٢	٣		٢		١			
المحاسني		١														
الفاخوري		١	١		١											١
سلطان		١	١	١										١		
الطرابلسي								١								
بارودي	١٨	٢	٤	٦	٤	٣	٦	٦	٥	٨			٢	٢		
علي الناصر	١	٤	٥	١		١	٢	١				١				
أبو ريشة	١	٥	١	١	١	١		١			١	٤				
	٢٧	٢٣	١٧	١٦	١٣	١٢	١٢	١٢	١٠	٨	٦	٥	٤	٣	١	١

ودراسة الجدول تنتهي بنا الى الملاحظات الآتية :

أ ـ دوران البحور القصيرة المتفرعة من دوائر البحور الأصلية كمجزوء الكامل ومجزوء الوافر ومجـــــزوء

الرجز ومجزوء الرمل .

ب) دوران المجتث وهو من البحور القصيرة بطبيعتها .

جـ) دوران البحور الصالحة للتصرف بالمعانى والفنون المختلفة كالخفيف والكامل .

د) دوران البحور التى تتصف بالـ ـبة والعذوبة والرقة واللين كالسريع والوافر والرمل فالاول يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ، والوافر ألين البحور يشتد اذا شددتــــه ويرق اذا رققته ، والرمل يمثل الرقة والعذوبة ويسهل فيه الغناء .

٧

واذا كان الشعراء قد اتفقوا فى النظم على البحور الأصلية والبحور المجزوءة المتفرعــة منها فانهم قد اختلفوا ، مع تقدم العصر ، فى اختيار البحور التى نظموا عليها .

وهذا جدول يعرض البحور التى اختارها كل منهم للنظم

الشاعر	الطويل	البسيط	الكامل	المديد	المتقارب	الوافر	الرمل	الرجز	السريع	الخفيف	المجتث	م الكامل	م الخفيف	م الوافر	م الرمل
الزركلى	٥	٣	١٦		٣	٢	٢	١	٣	١١		٢	١		
جبرى	٤	١١	١٤		٥	٢	٢		٢	٧		٨	١	٢	
بدوى الجبل	٢	٢	٨		٢	١	٦		٤	٦		٤			
عمر يحيى	٢٧	١٩	١٣	١	٦		١٢		١٢	١٣	٥	٨		٢	٢
الحامد	١٧	٨	٧	١	٢		٥		٤	١٥	١	٥			
الفراتى	٣٤	٨	١٣			١٤	٧		٦	١٩	٣	٥		٢	٨
على الناصر	١	٣	١		٣				٧	١١	٦	١		٢	١
أبو ريشــة	١	١	١		٧		٣		٢	٢٠		٤		١	
المطار		١			٦				٢	١٦			١		

ودراسة الجدول تدل على مايلى :

أ ــ نظم الشعراء على البحور المختلفة التى نظم عليها القدامى .

ب ــ انقطع النظم أو كاد على الرجز والمديد وقل على المجتث ومجزوء الرمل ومجزوء الوافر ومجزوء الخفيف .

جـ ــ اتفق الشعراء فى النظم على الخفيف والسريع والمتقارب ومجزوء الكامل .

د ــ البحور ، التى نظم عليها الشعــراء الرعيل الاول ومن يليهم من طبقة عمر يحيى والحامد ، والفراتى ، أكثر تنوعــا من البحور التى نظم عليها على الناصر وأبو ريشة والمطار .

هـ ــ اتفق شعــراء الرعيل الاول ومن يليهم من طبقة عمر يحيى والحامد والفراتى . فــــى النظم على الطويل والبسيط والكامل والمتقارب والوافر والرمل والسريع والخفيف ومجزوء الكامل ، ولم ينظم الفراتى على المتقارب كما لم ينظم عمر يحيى والحامد على الوافر .

و ــ اختلفت البحور من حيث دورانها فى شعر شعراء الرعيل الاول ومن يليهم .

١ ــ ففى شعر الزركلى دار الكامل فالخفيف فالطويل .

٢ ــ وفى شعر جبرى دار الكامل فالبسيط فمجزوء الكامل فالخفيف فالمتقارب .

٣ ــ وفى شعر بدوى الجبل دار الكامل فالرمل فالخفيف .

٤ ـ وفى شعر عمر يحيى دار الطويل فالبسيط فالكامل والخفيف فالرمل والسريع فمجزوء الكامل فالمتقارب فالمجتث .

٥ ـ وفى شعر الحامد دار الطويل فالخفيف فالبسيط فالكامل فالرمل ومجزوء الكامل .

٦ ـ وفى شعر الفراتى دار الطويل فالخفيف فالوافر فالكامل فالبسيط ومجزوء الرمل فالرمل فالسريع فمجزوء الكامل .

ز ـ اتفق على الناصر وأبو ريشة والعطار فى النظم على المتقارب والسريع والخفيف ، وهكذا قل تنوع البحور فى منظوم هؤلاء بالقياس الى تنوع البحور فى منظوم شعراء الرعيل الأول ومن يليهم ، واذا عرفنا أن عدد القصائد المنظومة على الخفيف فى ديوان أبى ريشة قد بلغ نصف مجموع قصائد الديوان ، وأن ما نظم على الخفيف فى ديوان العطار تجاوز نصف مجموع قصائد الديوان ، اذا عرفنا هذا أدركنا مدى التطور ـ فى الذوق الموسيقى عند الشعراء .

٨

وقد حافظ الشعراء على وحدة الوزن فى قصائدهم ، ونوع أبو ريشة الوزن فى مسرحية (ذى قار) ومسرحية (طوفان) استجابة لخصائص المسرحية التى تصور أشخاصا مختلفين فى أمزجتهم وأهوائهم وتفكيرهم ومنزلتهم الاجتماعية ، وتعرض مواقف متنوعة منتزعة من واقع الحياة ، وهذا يقتضى تنويعا فى الوزن وطرق التعبير والتصوير ، غير أن الشاعر حافظ على وحدة الوزن فى القطعة الواحدة من قطع المسرحية .

أما على الناصر فانه خرج عن وحدة الوزن والقافية فى القطعة الواحدة ، والتزم وحدة الوزن والقافية فى بعض مقطوعاته وقصائده ، واضطرب وحار فى الوزن فى القطعة الواحدة فخرج بعضها موزونا وبعضها الآخر غير موزون ، ووجدت عنده ظاهرة الشعر المرسل الذى يقوم على التفعيلة الواحدة من تفعيلات البحر ، كما وجدت ظاهرة النثر الشعرى فى ديوانه وهذا يفصح عن ثورة الشاعر على قيود القصيدة العربية ، والعروض العربى التقليدى ، ويعبر عن رغبته فى التجديد ،

يقول فى قطعة (نشيد الحب) :

ألا من ثغرك الوردى سقيت الخلد من قد ذاق لا يفنى

وقد شاهدت فى عينيك نور الله يجلو ظلمة الدنيا

شروق الفجر من وجهك

وعرف الزهر من نشرك

ضمى رأسك على صدرك

وغنى ربة الالهام

نشيد الحب بالأنغام

والقطعة مؤلفة من ثلاثة أقسام . وكل قسم مؤلف من عدد من الأشطر ، وكل شطر فى

سطـــر ، وهوقائم على (مفاعلتن) من تفعيلات الوافر ، والشاعر يكررها ثلاث مـــرات في السطر الأول والثالث ، ومرتين في باقي الأسطر ، ويحافظ على هذا النظام في القسمين الثاني والثالث من أقسام القطعة .

ومن ناحية القافية ، نراه يلائم بين السطر الثاني والرابع ، فيكون نوع من القافيـــة المتصالبة ، وتتفق قوافي السطر الخامس والسادس والسابع ، وقافيتا السطرين الأخيريــــن فيكون نوع من القافية المزدوجة ، ويحافظ على نظام القافية في باقي أقسام القطعة .

فالشاعر يستند في خروجه عن وحدة الوزن والقافية في القطعة الى ما عرفه في الآداب الغربيـــة ، والشعر في هذه الآداب لا يعرف وحدة القافية في القطعة ، وقد يتحرر من القافية .

ويقول في قطعته (الى أم كلثوم) :

أمامـــك في قاعة الانتظـــار

جلست لأغزوك بالانكســـاري

عـــلام الخـــداع ؟

وليس يخاف عليك الخـــداع

رأيتك سمراء ممشوقة ، وذوقك في اللبس ذوق سليم

لبست السواد وما من حـــداد

وتلك بعض أسطر القطعة ، وكل سطر قائم على تفعيلة (فعولن) التي هي قوام المتقارب ، والشاعر يكررها عددا من المرات في كل سطر ، وبهـــذا يتحرر من قيد الوزن ، كمـــا يتحرر في القطعة من قيد القافية .

وخطا الشاعر خطوة أخرى فكتب النثر الشعـــري ، ومنه قوله في قطعة (الغد) :

كل صباح ، حينما أنثر الزهور المبللة بأدمع السحر على صدر لله ، وأوقظك بقبلة أطبعهـــا على ثغرك ، أشعر برعدة غم تسري في فؤادي الفرح ولا أقدر على انتزاع هذا الســـؤال من فكـــري :

أأنا سعيد أم شقـــي ...؟

لأنني أخشى الغد يا حبيبتي .

٩

أ — وعني شعـــراء سورية بالقافية عناية الأقدمين بها فاذا كان قبل الروي ألف ممـــدودة التزموها في سائر القصيدة مثل قصيدة مردم في تكريم شوقي

برزت بزينتها اليك الشـــام	وافتر بشرا ثغرهـــا البســـام
فتجاوب الأطيار بين رياضهـــا	منها عليك تحيـــة وســـلام

ومثل قصيدة الزركلي وعنوانها (بين الدم والنـــار) .

الأهل أهلي والديار ديـــاري	وشعار وادي النير بين شعـــاري
ماكان من ألم بجلق نـــازل	واري الزناد ، فزنـــده بي واري

ب — واذا كان قبل الروي واو أو ياء ساكنة اتبع الشعراء هذا في القصيدة كلها مثل قول شفيق جبري في قصيدته (على قصف الرعد) :

لله ظل على الفيحاء ممدود	لا يقلق الشام تهويل وتهديد
غلابة الدهر لم تغلب أباطحها	شدائد غلغلت في جوها سود
بسامة الثغر ان ماجت مواثجها	هشت ولم تصمها عمياء صيخود
ياموقدي النار في أفياء أربعها	هل الحضارة تحريق وتوقيد

ومثل قول عمر يحيى في شهداء فلسطين .

أثر على كر الزمان مثول	مهج الشهاب على الصليب تسيل
ياما تما فيه العروبة تنثني	كلمى يساودها الأسى فتميل
ذكراك لا تنفك تلحفنا الأسى	تتقادم الأحزان وهي فصول
قد سجلت فيه العدالة أنها	ظلم وان لم يجدها التسجيل

جـ — واذا كانت أبيات القصيدة تنتهي بهاء الغائب أوما يماثلها وجب أن يسبقها روي ثابت قبلها مثل قول الزركلي .

نعى نادب العرب شبانها	فجدد بالنعي أحزانها
بكى كل ذي عزة تربه	فهاج نزارا وعدنانها

ومثل قول البزم

لا السجن يردعه ولا أغلاله	عن غاية تسمو لها آماله
مقتوه اذ نقموا عليه جلاله	فسعوا به كيلا يبين جلاله

د — واذا كان في القافية ألف تأسيس وجب أن تتبع في القصيدة كلها مثل قول جبري

أتقر عينك والأعاجم	في الأباطح والسواحل
دبت عقاربهم خلال	ربوعنا والطرف غافل
وسرت نمائمهم الى	آفاقنا والقلب ذاهل
حملوا بطون أراقم	تنساب مابين الخمائل

فالألف في سواحل وغافل وذاهل وخمائل هي ألف التأسيس ، والقصيدة ذات القافية المؤسسة يجب أن ينتهي كل بيت منها بكلمة من هذا الطراز .

هـ — وقد جرت عادة الشعراء القدامى أن يلتزموا في مطلع القصيدة تقفية كل من المصراعين وتابعهم شعراء سورية في هذا السبيل

فالزركلي يقول في مطلع قصيدته (نجوى)

العين بعد فراقها الوطنا	لا ساكنا ألفت ولا سكنا

ويقول مردم في مطلع قصيدته في تكريم شوقي .

برزت بزينتها اليك الشام	وافتر بشرا ثغرها البسام

ويقول جبري في مطلع قصيدته (على قصف الرعد)

لمـــه ظل على الفيحـــاء ممـــدود لايقلق الشام تهويـــل وتهـــديـــد

ويقول بدوى الجبل فى مطلع قصيدته فى رثاء غازى .

زهوة الفتح والشهاب النجيـــد من سقى الفجر من دماء الشهيـــد

ويقول الفراتى فى مطلع قصيدته فى رثاء الملك حسين

عليك دما تجرى الدموع السواجـــم وأنت بظل الخلد وسنان نائـــم

ويقول عمر يحيى فى مطلع قصيدته فى رثاء الطبيب صالح قنباز

دموعك أذرفها اذا نفدت دمـــا فلا خير فى السلوان عمن تقدمـــا

ويقول عمر أبو ريشة فى مطلع قصيدته (لمحة)

أوقفى الركب يارمال البيـــد انه تاه فى مداك البعيـــد

ولكن تقفية المصراعين فى مطلع القصيدة ليس بشرط لازم ، فهناك قصائد مشهـــورة فى القـــديم أطلق فيهـــا المصراع الاول من غير تقييد مثل قصيدة الفرزدق التى أولهـــا :

ان الذى سمك السماء بنى لنـــا بيتا دعائمه أعـــز وأطـــول

ومثل قصيدة تأبطشرا ، وأولهـــا :

ان بالشعب الذى دون سلـــع لقتيلا دمـــه مايطـــل

وقد أطلق المصراع الأول من غير تقييد فى كثير من القصائد ، مثل قول المطار فـــى مطلـــع قصيدته (الخريف) .

أسى القلب فاستراح الى الصمـــت م وللصمت عالـــم مسحـــور

ومثل قول عمر يحيى فى مطلع قصيدته (الشاعر)

قضى ساهدا تستنجد الدمع عينـــه وترعى عيون النجم والقوم نـــوم

ومثل قول أبى ريشة فى مطلع قصيدته (سراب)

طفت فى خيالى طيوف المـــنى وحامت على أعينى باصطخـــاب

و — وأضاف بعضهم الى القافية التى تمشى فى القصيدة قافية أخرى داخليـــة تكـــون فى داخل البيت الواحد مثل قول الزركلى .

هذى بلادكم تباح ودوركـــم تجتاح فابغوا غيرها أوطانـــا

وقول أبى ريشة فى رثاء سعيد العاصى .

غضبة للنسور لا النصر فيهـــا يمتاح ولا الونـــى يستبـــاح

وهذه القافية الداخلية تكون مقصورة على بيت واحد أو عدد محدود من الأبيات فـــى القصيدة كلهـــا ، واذا أتقنت كان لهـــا وقع موسيقى مؤثر .

ونجد القافية الداخلية فى الشعر القديم فى قول مسلم بن الوليد .

موف على مهج فى يوم ذى رهـــج كأنه أجل يسعى الى أمـــل

وفى قول أبى تمام .

تدبير معتصم بالله منتقـــم لله مرتغب فى الله مرتقـــب

ز ــ وقل النظم على بحر الرجز ، فالفاخورى ينظم قصيدته وعنوانها (يامطرب الخميلة) على الرجز ويجعل لكل مصراعين قافية واحدة مثل قوله ٠

مشاهد تشابهت بل مشهد وعبث من عبث مولد

ومصنع الوجود فى تماد مرتجل عناصر الفساد

وهو فى هذا يتبع طريقة أبى العتاهية فى أرجوزته التى منها قوله :

ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله

لكل مايؤذى وان قل ألم ماأطول الليل على من لم ينم

ح ــ ولاتفاق القافية فى القصيدة وقع حسن فى السمع وهى عنصر يكمل موسيقى البيت وهى قرارة النغمة ، واختيارها يحتاج الى أذن مرهفة ، وشعراء الرعيل الاول وضعوا ن تبعهم أقدر من غيرهم على اختيار القافية التى تلائم موسيقى البحر وموضوع القصيدة ، وقد نظم الشعراء قصائدهم دون أن يقيدوا قافية بباب من الابواب ٠

ط ــ وقد حاول على الناصر وزكى المحاسنى تقليد الشعر الغربى فى التحرر من القافية فعنى كلاهما بالقافية المتعانقة التى يتفق فيها البيت الاول والثالث والثانى والرابع٠ ومثال القافية المتعانقة قول المحاسنى فى قصيدته (خلود) :

ياحبيبى قل لى أحبك حتى

أخدع الحب وهو يصهر نفسى

قله لى مرة وقل أنت منا

يكتبوه على حجارة رمسى

وقول على الناصر :

فى الصدر مصباحان قد حجبتهما

بهلاهل نسجته ربات الشفق

نشأ الهوى كالحلم فى حقيهما

قلقا وما أخلاه ذياك القلق

وعنى على الناصر بالقافية المزدوجة التى يتفق فيها البيتان المتعاقبان مثل قوله ٠

تعالى نسكب الدمعا كلانا والهه حائر

فلا نمسى اذا كنا نعيش بقلبنا الثائر

أتيت الى تستشفين من غم ومن سأم

طبيبك موجع برجو شفا مافيه من ألم

ى ــ وقد وجدنا فى دراسة الصنعة البديعية كيف أن الشعراء وطأوا القافية للصنعة فضلا عن كونها عنصرا يكمل موسيقى البيت ، فظهرت فى الطباق والجناس بأنواعهما ، وفى رد العجز على الصدر والارصاد ، كما ظهرت فى صناعة التكرار اللفظى ٠

— ١٠ —

ونخلص من هذا الى أن الشعراء تقيدوا بالوزن والقافية فنظموا على البحور الأصلية والبحور المجزوءة المتفرعة من دوائر البحور الأصلية ، واستعملوا البيت المشطور، ونظموا المخمس والموشح والمزدوج والرباعيات ، وعارضوا القدماء ، ولاءموا بين الأوزان وموضوعات القول كالأقدمين ، وتغير ذوقهم الموسيقى مع تقدم العصر وتبدل الأهواء، فجنحوا الى النظم على عدد قليل من البحور التى تصلح للتصرف بالمعانى المختلفة، وتمتاز بالسلاسة والسهولة والعذوبة والرنة التى تمازجها الشدة .

وخرج على الناصر عن وحدة الوزن فأقام شعره على التفعيلة الواحدة من تفعيلات البحر ، ثم ترك هذا فكتب النثر الشعرى الذى لا يتقيد بوزن ولا قافية ويعتمد على الجمال والخيال والصياغة .

وحافظ الشعراء على وحدة القافية فأخرجوها مثلما أخرجها الأقدمون ، ونوعوها فى الموشح ، وفى القصيدة الواحدة ، وقلد بعضهم الشعر الغربى فى التحرر من القافية ، واستعمال القافية المتعانقة والقافية المزدوجة ، وخرج على الناصر عن وحدة القافية وتحرر منها تحررا تاما .

وهكذا ظهر فى الوزن والقافية أثر الشعر العربى القديم وأثر الشعر الغربى الحديث .

الخاتمـــة

يتبين ، مما تقدم ، أن تيارين عملا ومازالا يعملان في الشعر العربي في سورية ، أولهمـــا تيارالشعر العربي القديم ، وثانيهما تيارالشعر الغربي ، ولكي نوضح أثر هذين التياريـــن يحسن أن نصور مجراهما في موضوع الشعر وشكله •

ففي الموضوع ، نطالع أولا الشعر الوطني ، وهوشعر حماسي يشتمل على الفخر والهجـــاء والمدح والرثاء والوصف والغناء الذاتي ، وهي موضوعات طرقها الشعراء في مختلف عصـــور الأدب •

والجديد في هذه الأغراض هو في الباعث عليها واندماجها في القصيدة الواحدة ، وقـــد رأينا أن المحرك الأول للشعرالوطني هويقظـــة العرب وجهادهم للتحرر من نير النـــترك والاستعمار الذي خلفهم في حكم البلاد ، ورأينا أن معاني هذا الشعر قد مزجتهـــا عاطفة الحماسة القومية وصهرتها فغدت في القصيدة وحدة متجانســـة •

وتبدو الجدة في بعض المعاني التي طرقها الشعراء كمعنى الحرية والوحدة والعروبـــة وقد وجدنا جبري يقول في الحرية ، والشعراء يرمون عن قوس الوحدة والعروبـــة فـــي مختلف المناسبات ، ويرسمون للشعب طريق الخلاص ، ويكشفون عن الروابط الـــتي تؤلف بين بلاد العرب في الماضي والحاضر •

ويبدو الجديد في ابراز الصراع بين العرب والاستعمار وتبيين موقفهم من الغرب وحضارتـــه ، وهذا الموقف موقف عداء في الغالب ، فالغرب المستعمر عدا على الشرق فكان عدوانـــه مظهـــرا لغلبة القوة على الحق ، والعرب يقاتلون لتحرير أنفسهم والشرق والانسانيـــة من ظلم المستعمر ، وهم يعتزون بتاريخهم وحضارتهم ، وينعون على المستعمر جوره ، ويشكون في نفع حضارته ، ويغلو بعض الشعراء في هذا الموقف فيرى أن الجهل خيرمن علم يجيء بالخراب والدمار واستعباد الانسان •

وفي الشعر الوطني مسحة من الرومانسية ظاهرة في تصوير مشاعر الحزن والأسى والكآبـــة ، والتعبير عن مزاج الشاعر الفردي ، والحنين الى الماضي ، والتغني بجمال الطبيعة ، وسحـــب الذات عليها ، وهي بعض مشاعر الرومانسيين •

والشعر الوطني مظهرصادق للصراع بين العرب والاستعمار ، وهو يمثل تصارع التيارين تيـــار العرب وتيارالاستعمار •

وقد قام هذا الموضوع على شعراء الرعيل الأول ومن وليهم من طبقة الفراتي والحامـــد وعمر يحيى وبعض الشعراء من الشباب أمثال أمجد والعطار وأبي ريشة ، غير أن السابقيـــن الأولين كانوا أقدر من غيرهم على اخراج معاني القوة والحماسة في شعرهم ، وذلك لتمكنهـــم من اللغة ، والأدب العربي •

وقد كان هذا الشعر وما يزال شعرا ملتزما ، فهو يربط من يقول فيه بنضال الشعـــب وقضيته التي ينافح دونهـــا ، ويدفع به الى الطليعة التي تقود الشعب في حومة النضـــال

فهذو قائدا له يحدوه في طريق الخلاص .

واختلف موقف الشعراء من نضال الشعب ، فبعضهم كان قائدا ، وآخر كان في شعره صدى للأحداث . وثالث كان شاعر مناسبات .

٢

ونطالع الشعر الوجداني فنجده يشتمل على الغزل والوصف والخمر والتأملات، وهي موضوعات طرقها الشعراء في مختلف عصور الأدب .

والتقليد غالب على الغزل ، ويبدو في التعبير عن عواطف المحب ومشاعره ، وتصوير جمال المحبوب والرغبة في الاستمتاع به ، وقد وجدنا أن هذه الخطوط هي ذاتها التي قام عليها الغزل في الشعر القديم ، فهو مزيج من وصف النفس ووصف المحبوب، وهو يتردد بين الواقع والمثال أو بين الجسد والروح ، وهذه الصفة واضحة في الغزل في عصور الأدب ، فهو ، في العصر الجاهلي ، يغلب عليه الوصف الحسي ، وفي عصر صدر الاسلام وبني أمية يضيف الى الوصف الحسي التعبير عن خلجات نفس العاشق، وفي العصر العباسي يجمع بين التعبير عن النفس وتصوير جمال الحبيب ، ويتكلف في التعبير والتصوير .

ويبدو أثر الشعر القديم في نغمة الحزن التي هي استمرار لنغمة الحزن في الغزل التقليدي . كما يبدو في صور التشبيه والمجاز والكناية ، وفي ذكر الجهات والأماكن والوقوف بالديار ، ووصف الأطلال وارتحال الركب ، والتغزل بأسماء معينة ، ووصف الطيف ، وأظهر مايكون هذا في شعر الغراتي .

والغزل التقليدي واضح في غزل شعراء الرعيل الأول ومن وليهم من طبقة الغراتي والحامد وعمر يحيى ، وبعض الشعراء من الشباب أمثال جميل سلطان ، والشاعر من هؤلاء شاعر طريقة تقليدية لا شاعر نفسه وقلبه .

ويظهر الجديد في غزل بعض الشعراء ممن اطلعوا على أدب الغرب ، وتحسسوا آلام العصر ، وشكوا عثار الشباب وعبروا عن السأم والضيق والقلق والشك من مثل علي الناصر وأبي ريشة والفاخوري ، وهؤلاء يتصلون بالمرأة ، ويمتزجون بها ، ويحبونها، ويكشفون عن أثرها في الحياة والفن ، وقد كانت غائبة في شعر السابقين الأولين ، وإن أكثروا من الحديث عنها باستحضار طيفها .

والغزل ، في شعر هؤلاء ، يصور آثار مرحلة النضال ، ويبرز الصراع الذي قام في النفس بين النزعة الوجدانية والنزعة القومية، ويعرض حالة نفسية خاصة تتمثل في الشكوى من قسوة الدهر ، وتصوير ضيعة الآمال ، وعذاب النفس ، وضيقها بالحياة ، وسأمها منها ، ونشدانها العزلة في الطبيعة ، وتطلعها الى عالم بعيد عن الواقع ، وهذه الحالة النفسية مزيج من حياة الشاعر الفردية وحداثته ، وظروف المرحلة التاريخية، والرومانسية التي أطلع عليها ، ونحس بأصداء هذه الحالة في غزل بدوي الجبل والحامد وعمر يحيى

فالفاخوري يقدم ذكرى الحب ويتغنى بها ، ويبعثها حية في نفسه ، ويظهر استعداده للحب ، ويكشف عن قيمة المرأة في الحياة .

وغزل وجيه البارودي يكشف عن تطور الحياة الاجتماعية في لبنان وفي بعض مدن سورية كدمشق ، فالمرأة تظهر في غزله ، وتشعر بذاتها ، وتختلط بالرجل ، وتحبه ، وتوثر في حياته وفنه .

ويظهر في شعر علي الناصر وأبي ريشة الغزل المادي الصريح الذي يصف جسد المرأة وثورة الغرائز والشهوات ، وهذه النزعة الى الأدب المكشوف مردها الى الأدب الفرنسي ولها بعض الأصول في الشعر العربي عند امرىء القيس وبشار بن برد .

ويظهر الجديد في توطئة الغزل لعلم النفس التحليلي ، وقد وجدنا علينا الناصر يقيم قصة الراهبة (بولين) على تصوير غريزة الأمومة وعاطفة الحب النائمة في قلوب راهبات الدير ، ووجدنا أبا ريشة يفسر بطولة (جان دارك) بأنها سمو بالغريزة الجنسية وانحراف بها عن خط سيرها الطبيعي ، ويفسر ذبح ديك الجن لجاريته بغيرته من أن تصير الى غيره بعد أن تقدم في السن وأحس بعجزه عن ترويضها .

ويظهر عند علي الناصر وأبي ريشة وصف لشذوذ المرأة وحبها لبنات جنسها ، وهو من أمراض العصر .

وكلا الشاعرين يستلهم المرأة ، ويتغنى بها مبينا قيمتها في حياته وفنه ، وقد يصورها كما يراها في الواقع .

وغزل علي الناصر صورة لمأساة روحه ، وشعر أمجد في باريس صورة للصراع الذي قام في نفسه بين البيئة الشرقية والغربية ، وقصيدته (أنت وأنا) تصور انقسامه على نفسه ، وترجحه بين الواقع والمثال أو بين المادة والروح .

ففي الغزل تقليد وتجديد ، ولكل منهما شعراء يمثلونهما ، والتقليد يرتد الى الشعر العربي القديم ، والتجديد يرتد الى الأدب الغربي وتطور الحياة الاجتماعية .

٣

ويظهر أثر الشعر العربي القديم في موضوعات الوصف ، ونظرة الشاعر في الطبيعة ، وموقفه منها .

وأظهر الموضوعات الأفلاك والأطيار والصحراء والأطلال والرياض والأزهار والأشجار والأنهار والربيع والشروق والأصيل والليل .

وطريقة الوصف تبدو في وصف الأشياء والكائنات وصفا موضوعيا ، أو وصفا مشوبا بظلال العاطفة الشخصية ونظرات التأمل والاعتبار .

ونظرة الشاعر في الطبيعة تبدو في كون الطبيعة موضوعا للوصف والتأمل ، وآية دالة على الخالق ، وهذه النظرة تجعل الشاعر يحس بالهيبة امام الموصوف ، ويقف منه موقف المعتبر الخاشع الواصف المتأمل الذي يجري وراء ما يصوره له الخيال من مناظر

السحر والجمال ، ويضاف الى ذلك الموقف التقليدي موقف آخر هو احساس الشاعر بأن الطبيعة لاتستطيع أن تقدم اليه لذة تامة ونشوة كاملة ، ولذا نراه يدعو كالبحتري الى شرب الراح وسماع الغناء استكمالا لدواعي الانس والسرور والطرب .

ويمثل تيار القديم في الوصف خليل مردم من شعراء الرعيل الأول ، وطبقة الحامد والفراتي وعمر يحيى .

وتيار الأدب الغربي يبدو في بعض موضوعات الوصف ، وطريقة الوصف ، ونظرة الشاعر في الطبيعة ، وموقفه منها .

أما موضوعات الوصف المأخوذة عن الشعر الغربي فأظهرها المساء والخريف .

وأما طريقة الوصف فتبدو في كون الشاعر يلقي على الموصوف ذاته ، فيلونه بلون مزاجه ، ويصبغه بصباغ عاطفته ، فيجيء الوصف ذاتيا مفصحا عن نظرة الشاعر الى الحياة والكون وأثرهما فيه .

ونظرة الشاعر في الطبيعة تبدو في اعتبار الطبيعة موضوعا للوصف ، وكونها قائمة بذاتها ، وكون ذاتها تتصف بالحس والشعور ، والشاعر يمازجها ويشاركها ويحيا معها ، وهي مهد حبه وآماله ، ومسرح فكره وأحلامه ، وموطن وحيه والهامه ، ومجال لفنه وتصويره وبعض الشعراء كأبي ريشة ، يرى فيها جوا مناسبا يستحضره الشاعر ليطلق فيه طلقه عواطفه ، ويرسل خواطره وتأملاته ، وكلتا النظرتين ترتد الى المذهب الرومانسي ، فالشاعر (لامارتين) في قصيدته (البحيرة) يأتمن الطبيعة على ذكرى حبه ، ويكل اليها أمر الاحتفاظ بها ، بينما يرى (هوجو) في قصيدته (حزن أوليمبيو) ان الطبيعة هي مجرد اطار لحياتنا ، وأن الانسان وحده قادر على حفظ ماضيه واحيائه بفضل الذكرى .

والى جانب تينك النظرتين ، تطالع لعلي الناصر نظرة فلسفية مادية خلاصتها أن الطبيعة مبدؤه ومنتهاه ، فمنها خرج واليها يعود ، ونطالع لأبي ريشة نظرة أخرى ترى أن سر الحياة يكمن في الطبيعة التي تبدو صورا شتى ، وأن الشعر يعريها من أثواب الخداع والرياء ماعاش الشاعر ، فاذا قضى خفيت علينا .

وتبدو النزعة الوجدانية والقومية في الوصف ، وكلتاهما ترتد الى أسباب معينة ، فشاعر عانى الفقر والحرمان في حبه فحزن وتألم ، وثان تغرب عن وطنه فولد البين في نفسه عاطفة الحنين والشوق ، وثالث سدت في وجهه أبواب الحياة فانطوى على نفسه ، وأقام يصور حزنه وكآبته وضجره ويأسه ، ورابع كان مزاجه متشائم رقيق الحس سريع الانفعال فأقام يصور مافطر عليه من قلق واضطراب . وضاعف أحزان النفوس ذهاب الاستقلال ومجيء الاحتلال ومعاناة جور المستعمر ، فتولدت من هذا كله حالة نفسية شبيهة بالنزعة الرومانسية في الأدب الغربي ، وأخذ الشعر يفيض بمشاعر الحزن والالم واليأس والسأم والتشاؤم ، وأخذ الشاعر يتخطى الحاضر ، ويتغنى بالماضي ، وهكذا ظهرت النزعتان في وصف الطبيعة ، وتمازجتا وأصبحتا مصدر الكثير من المواطف التي يتغنى بها الشعراء ..

وما تقدم يعني أن وصف الطبيعة كان مظهرا خفيا للصراع الخفي بين ذات الشاعر وواقع حياته الفردية والاجتماعية ، فذاته تريد ان تنغني بجمال الطبيعة ، وواقعه يفسد عليه هذا الغناء ، ويعكر صفوه ، فيفر الى الماضي ملتمسا فيه العزاء والسلوان .

وظهر الرمز في وصف الطبيعة عند علي الناصر ، فالبدوي الضال في الصحراء ، المتطلع الى نجمة القطب لتهديه السبيل الى حيه وأفراخه ، هو رمز الى الشاعر الذي ضل في حياته ، وشك ، وعانى القلق والاضطراب ، وتطلع الى النجاة من شكوكه وأوهامه ، والنسر الذي صعد في الجو ، وهوى منتحرا فوق وكره في الاعالي أنفة من مشاركة بغاث الطير له في نوش الجيفة رمز الى أبي ريشة الذي تاق الى عالم الفن بعد أن هجره وهبط الأرض ساعيا وراء الجاه والصيت والمنصب .

وأقوى ما يمثل تيار الشعر الغربي هو شيوع النزعة الرومانسية في الوصف ، وتبدو هذه النزعة في الدعوة الى العيش في الطبيعة ، وتعظيم شأنها ، وجلاء ما فيها من صمت وطلاقة وصفو ووداعة وأمن وسلام ، وتبدو في امتزاج الشاعر بها ، وفي سلسلة من الخواطر والمشاعر الرومانسية ، وفي تصوير مشاهد الطبيعة ، وإضفاء الذات عليها ، وتلوينها بلون مزاج الشاعر ، وجعل المشاهد الموصوفة اطارا لذكرياته وخواطره ومشاعره ، كما تبدو في الجري وراء الخيالات والأحلام والتأملات التي يثيرها المشهد الموصوف .

ويمثل تيار الشعر الغربي في الوصف علي الناصر وأبو ريشة والعطار والمحاسني والفاخوري .

وهكذا ظهر في الوصف تيار الشعر العربي القديم وتيار الشعر الغربي الحديث .

٤

وموضوع الخمر تقليدي ، وقد وجدناه عند مردم في موشحه (سكران وسكرى) ، واتخذه بعض الشعراء عنصرا من عناصر الغناء و علية تذييه بلا ؟ لقصيدة .

٥

وظهر أثر الشعر العربي القديم في التأملات التي تناولت الله والكون والزمان والمبدأ والمصير والجسم والروح والحياة والموت ، واشتملت على نظرات الاعتبار من مثل التزهيد في الدنيا دار الفناء ، والوعظ بالموت الذي يستريح فيه الجسم ، ويفتح للميت أبواب الخلود ، وهي موضوعات ونظرات نجدها عند شعراء الزهد والحكمة في الشعر العربي القديم ، فالحياة قصيرة ، وسبيل الموت غاية كل حي ، والموت لابد منه ، وهو نوم مريح ، والجسم مآله الى الفناء ، ومصير الروح مجهول ، والكون والخلق دليل على الخالق . والزمان سرمدي ، والطبيعة تتحول ، وهذه الافكار منها ما يرتد الى الدين ومنها ما يتصل بالفلسفة التي شاعت في التفكير في العصر العباسي إثر نقل الفلسفة اليونانية الى العربية .

ويمثل تيار القديم في التأملات الزركلي والبزم وبدوي الجبل والفراتي والحامد وعمر يحيى وجميل سلطان والعطار في بعض شعره .

وظهر تيار الشعر الغربي في بعض الموضوعات كموضوع الالم وموضوع الفن ، وهما مستعاران من (الفريد دي موسيه) و (الفريد دي فيني) .

وظهر التيار الغربي في تأمل الواقع وملاحظة فساده ومحاولة اصلاحه ، فشاعر كالفاخوري ينفر من الواقع ويدعو الى اعتزال المجتمع فصل القدامى والرومانسيين ، وشاعر كأبي ريشة يثور على الواقع فيغرقه الارض بطوفان لغسلها من الادران ، وثالث كأمجد يرى الحياة ميدان صراع بين الاقوياء ، ويلقي بذاته المتألمة البائسة على الكون فيراه قفرا يبابا ، ورابع كعلي الناصر يخضع الحياة لمأساة روحه ومزاجه المتشائم فيجد حوادثها تجري مسوقة بقوة صماء عمياء كأنها جملة مصادفات ، ويراها ملهاة تنتهي بالموت .

وظهر تيار الشعر الغربي في ملاحظة وحدة الانسان في الكون وعزلته الروحية وتشابه أيام حياته على الارض وهي خطرات ومشاعر مستفادة من (فيني) في قصيدته (موسى) .

وظهر التيار الغربي في تصوير دور الشاعر في الكون ، وقلبه ، وغنائه ، وتبيين أثر الالم في شحذ عبقريته ، كما ظهر في بيان خلود الفن ، وكونه غذاء للروح والفكر ، وعزاء وسلوى للقلب .

ومهما يكن فان النزعة الرومانسية قد انعكست في بعض موضوعات التأملات ، وفي المشاعر التي تغنى بها الشعراء ، وكان أبرزها الاحساس بالالم واليأس والكآبة والسأم والتشاؤم .

والى جانب الجديد المستعار من الادب الغربي ، يقوم الجديد الذي ولدته ظروف المرحلة التاريخية وحياة الشاعر الفردية ، ويبدو هذا الجديد في التعبير عن احساس العصر والفرار الى الطبيعة ، والتعلق بالاحلام ، والحنين الى عالم بعيد عن الحس .

ويمثل تيار الجديد في التأملات علي الناصر وأبو ريشة والعطار وأمجد والفاخوري .

واذا كان الشعر الوطني قد غلب عليه تيار القديم ، ونهض به شعراء الرعيل الاول وتابعوهم من طبقة الحامد والفراتي وعمر يحيى ، فان الشعر الوجداني قد تأثر بتيار الشعر الغربي تأثرا واضحا ، وقام على الشعراء الذين اتصلوا بأدب الغرب وحضارته .

٦

أما الشعر الاجتماعي فانه استمرار للفن الذي ظهر بمصر على يد حافظ ابراهيم ، وهو يقوم على نقل صور من الواقع ، وعرضها عرضا يتضمن النقد ، ويعتبر المجتمع مسئولا عما فيه من وجوه الفساد ، ويثير نزعة الاصلاح وعاطفة المروءة في ذوي الضمائر الحية من أبناء المجتمع ، ويلتمس الحلول في بعض أنظمة الدين الاجتماعية كنظام الزكاة ، أو في بعض الانظمة الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في الغرب كالنظام الاشتراكي .

فالشعر الاجتماعي شعر جديد ، ويمكننا أن نجد في الادب القديم صورا من حياة المجتمع كصورة الحمال عند ابن الرومي .

٧

ومهما يكن فقد قوى تيار الشعر الوجداني وغلب على دواوين بعض الشعراء من مثل ابي ريشة والعطار والبارودي ، فديوان العطار اختص بالوصف ، وديوان وجيه البارودي اختص بالغزل ، واذا عرفنا ان ديوان (شعر) لابي ريشة قد ظهر سنة ست وثلاثين وتسعمائة والف ادركنا غلبة الشعر الوجداني على ما عداه من الفنون قبيل الحرب العامة الثانية .

ويستمر تيار الشعر الوجداني بعد الحرب الثانية ، فيظهر ديوان نزار قباني الاول وعنوانه (قالت لي السمراء) سنة اربع واربعين وتسعمائة والف ، وكله تغن بالمراة في لفظ مانوس ، وعبارة سهلة سلسة ، وموسيقى عذبة موحية ، وصور مترفة ملونة تعكس جمال الطبيعة في دمشق ولبنان وتوحي بحياة النعيم التي عرفها الشاعر في البيئات المختلفة ، ويظهر فيها اثرا لشعر الغربي ويستمر هذا الاتجاه في دواوينه الاخرى .

ويتغنى عمر النص بالمرأة في ديوانه (كانت لنا ايام) فيعبر ، هوونزار من قبل ، عن شعور الكبت والحرمان الذي عاناه شباب سورية بين الحربين ، غير ان تعبير نزار تعبير من روى نفسه في الحب ، وتعبير عمر تعبير المحروم .

ونديم محمد ، في ملحمته الوجدانية (آلام) يصور مأساة حبه الذي فجع به ، وخلف في نفسه آثارا دامية .

وسليمان عيسى يغني في ديوانه الاول (مع الفجر) نفسه وقلبه ، ويشكو حرمانه

ويظل تيار الشعر الوجداني غالبا على الشعر بعد الحرب العامة الثانية حتى تكون نكبة فلسطين ، فيتحرك الشعر ليوضح اسبابها ، ويصورها ، ويقود الشعب العربي ضد الاستعمار الذي ائتمر مع الصهيونية وبعض الحكام لسلب العرب قطعة من ارضهم ، ويجعلها موطئا لقدمه ، وقاعدة يثب منها على العرب كلما هددوا مصالحه ، وبهذا تهيأ الجو للون من الشعر هو شعر النضال الذي يعلن الحرب على الاستعمار ، ويفضح عملاءه من الحكام العرب ، ويقود الشعب ضدهما على اساس من التنظيم الحزبي ، ويتطلع الى بناء مجتمع تسوده العدالة والمساواة ، وهذا الاتجاه يمثله في سورية شعراء احزاب العقيدة ومنهم سليمان شاعر البعث العربي ، ولا يزال شعر النضال الاجتماعي قائما الى يومنا هذا ، ويعتبر استمرارا للشعر الوطني ، وهو يحمل قبسا من التيار الوجداني ، غير ان الوجدان ، في هذا الشعر ، هو وجدان اجتماعي اكثر من ان يكون وجدانا ذاتيا .

(٨)

ويظهر اثر الشعر العربي القديم والشعر الغربي الحديث في الشكل كما ظهر في الموضوع .
ففي بناء القصيدة نلاحظ أثرا لقديم في القصائد التالية .

١ ـ القصيدة ذات النهج التقليدي ونجدها عند بدوي الجبل والحامد والفراتي

٢ ـ القصيدة التي تتناول موضوعات شتى ، وتشمل على معان مختلفة ، ونجدها عند شعراء

الرعيل الاول تابعيهم وبعض الشعراء الشباب .

٣ ـ القصيدة التى تستقل بموضوع واحد يعالجه الشاعر بطريقة تقليدية ، ونطالعها فى الرثاء والغزل عند شعراء الرعيل الاول وتابعيهم ، وبعض الشعراء الشباب من مثل أمجد .

ونطالع هذه القصيدة فى الوصف الذى يقوم على التحديق فى الشىء ، ووصفه وصفا مجرداً من العاطفة الشخصية أو مشوبا بها ومذيلا بنظرة تأمل واعتبار .

ويغلب ان يكون البيت فى القصائد السابقة وحدة تعبيرية وموسيقية قائمة بذاتها ، وان تكون اجزاؤها ضعيفة التماسك والترابط .

وتظهر جدة البناء فى القصائد والاشكال الفنية الآتية :

١ ـ القصيدة التى تستقل بموضوع واحد يعالجه الشاعر بطريقة تختلف عن الطريقة التقليدية ، ونجد هذه القصيدة فى الغزل عند على الناصر وأبى ريشة والمحاسنى وأمجد والفاخورى ، وفى الرثاء عند ابى ريشة .

٢ ـ القصيدة التى تستقل بموضوع واحد يعالجه الشاعر بطريقة جديدة ، فيضفى عليه ذاته ، ويلونه بلون مزاجه ، ويصبغه بصباغ عاطفته ، ونجدها عند من اطلعوا على أدب الغرب امثال على الناصر وابى ريشة والعطار والمحاسنى وامجد والفاخورى

٣ ـ القصيدة التى تتعلق بفكرة يجعلها الشاعر فى البيت الاخير منها ، ويسوق البيت تلو البيت لينتهى الى الفكرة . ونجدها عند على الناصر أولا، ثم عند ابى ريشة ثانيا ، والوحدة العضوية اوضح ما تكون فى هذه القصيدة

٤ ـ القصيدة الرمزية وهى مستعارة من الشعر الغربى ونجدها عند على الناصر وابى ريشة وهى ذات وحدة عضوية

٥ ـ القصة الشعرية ونجدها عند الزركلى وعلى الناصر وابى ريشة ، وبناء القصة الشعرية قائم على تصميم موضوع ، وهو يقرب من بناء القصة النثرية التى تجمع بين السرد والوصف والتحليل ، وتتألف من اجزاء محددة تعرض تباعا ، ويرتبط كل جزء بما يسبقه وما يلحقه ، وينمو الموضوع من جزء إلى آخر حتى يكمل فى النهاية .

والقصة الشعرية شكل من اشكال الفن المستعارة من ادب الغرب ، وهى تتأثر فى تصوير الاشخاص بنظرات من علم النفس التحليلى .

٦ ـ المسرحية الشعرية ونجدها عند ابى ريشة وهى فن شعرى مستعار من ادب الغرب ، وبناؤها متأثر ببناء المسرحية التقليدية . والشاعر يقلد احمد شوقى الذى أدخل هذا الفن فى الشعر العربى الحديث .

فبناء القصيدة يختلف باختلاف الموضوعات وطبقات الشعراء والشعراء ، فشعراء الرعيل الاول وتابعوهم وبعض الشعراء الشباب ينظمون القصيدة على نحو ما فعل الأوائل، فيضمنونها موضوعات شتى ، ويتناولون الموضوع ، فى القصيدة ذات الموضوع الواحد ، بطريقة تقليدية ، ويظهر

لخ

عند بعضهم الجديد كما في قصيدة (الحرية) (ونجوى آدم) لشفيق جبري ، وموشح (الرقص) لخليل مردم ، وقصة (العذراء) للزركلي ، وبعض الشعراء الشباب يتأثرون في بناء القصيدة بالقديم والجديد ، فيجددون مرة ، ويحافظون على الاصول الفنية للقصيدة العربية التقليدية مرة اخرى ، وعلى الناصر وأبو ريشة يجددان في بناء القصيدة التي تظهر فيها الوحدة العضوية ، ويأتيان باشكال جديدة في الفن الشعري مستمدة من ادب الغرب .

(٩)

ويظهر اثر القديم في الصياغة ، فشعراء الرعيل الاول وتابعوهم متمكنون من لغتهم ، وهم اقدر من غيرهم من الشعراء الشباب على معرفة الفصيح والغريب ، وتخير الالفاظ للتركيب ، وانتقاء الالفاظ القوية الجرس ، ويتفاوتون في قوة اللفظ ولينه وخشونته ورقته ، ويقع الغريب في شعر بعضهم ولا سيما البزم وعمر يحيى ، ويجفو اللفظ ويخشن في شعر الغراتي ، ويرق ويعذب في شعر الحامد ، ويتأثر الشعراء الشباب الشعراء السابقين الاولين فلا يدانونهم في قوة اللفظ وفصاحته ، ويضعف اللفظ في شعر على الناصر

والصنعة البديعية تسم لغة شعراء الرعيل الاول وتابعيهم بسمة التقليد ، ويقل ظهورها في شعر الشعراء من الشباب ، وتكاد تغيب في شعر على الناصر ، ولا ينازع جبري في صناعة التكرار اللفظي منازع ، ويليه في اتقانها خليل مردم .

وشعراء الرعيل الاول وتابعوهم يستمدون اللفظ الموحي من الادب العربي القديم ، ويولي على الناصر وابو ريشة والعطار والفاخوري وجوههم شطر الادب الغربي ، فيتاثرون الرمزيين في تأدية دقائق المعنى وتلاوين الاحساس ، ويستمدون بعض الالفاظ الموحية من القديم .

(١٠)

وتجري صياغة التراكيب والجمل على غرار الصياغة القديمة ، من تخير اللفظ للتركيب ، وائتلافه وتشاكله في الجملة ، ومجانسته للمعنى ، والعناية بجرسه مفردا ومنظوما ، واستخدام النعت والحال والتمييز من قيود الجملة لتدقيق المعنى والوصف ، والعناية بشبه الجملة والتركيب الاضافي ، واستعمال الاسلوب الانشائي للتعبير عن دقائق الفكر والاحساس وتلاوينهما .

ويحيي الشعراء ولا سيما شعراء الرعيل الاول وتابعوهم اساليب التعبير التي شاعت في عصور الادب الزاهية ، وعرف بها شاعر او جماعة من الشعراء في مذهب من مذاهب الفن والصنعة ، ونحس بروح العذريين وشعراء النقائض وبشار ومسلم بن الوليد وابي نواس وابي تمام والبحتري والمتنبي والمعري والشريف الرضي في القديم وبروح مدرسة البعث في الحديث تتردد في اساليبهم .

ويظهر اثر الادب الغربي في صياغة على الناصر وابي ريشة وبعض الشعراء من الشباب اذ تتصل لغتهم بالحياة ، وتعبر عن تجارب الانسان في لفظ سهل مأنوس موح ، ويغدو التعبير حارا لانه يحمل قبسا من تجربة الشاعر ، ويعكس احساس العصر ، ويتأثر بشيوع الرمز في اساليب

(٤٠٥)

ادبا• الغرب ، وتظهر فيه طرق جديدة شبيهة بطرق التعبير والتصوير في ادب الغرب من مثل ابتدا• الكلام بشبه الجملة ، ونقل صورة معينه من الصور ، واحتذا• طريقة معينة من طرق التعبير والتصوير ، وتهشيم الاسلوب بادخال الجملة وتابعتها او بعض قيودها او شبه الجملة بين اجزا• الجملة الاصلية ، ومن مثل ايقاف حركة الاسلوب بالفصل بين الجمل ، والعناية بالجملة الاسمية عناية واضحة •

وتظهر جدة التعبير التي تبرز جدة المضمون ، كما يظهر التعبير الذى يصنعه الشاعر ليو•دى مضمون فكره واحساسه ، واوضح ما يكون هذا في شعر على الناصر وشعر امجد في باريس• فالشعر في سورية لم يقتصر على احيا• اساليب التعبير التقليدية وحسب ، وانما تاثر بأساليب التعبير في الأدب الغربي •

(١١)

ويظهر اثر الادب العربي القديم في طبيعة الصورة وبيئتها ولونها وصوتها وما فيها تشخيص وتقليد ، فالصورة مادية حسية في الغالب، وما أقل ما ترتفع فوق الارض ، وتصعد في الجو ، وتبلغ عنان السما• ، أو ترقى الى عالم الخيال •

وبيئة الجزيرة العربية والصحرا• ذات اثر واضح في الصورة ، فبيئة الحرب والقتال تنعكس في الشعر الوطني بماتقوم عليه من عدة وعديد وحركة ونشاط ، فهناك ذكر لادوات الحرب ، ووصف لحركة الفرسان في المعارك ، وفخر بالقوة والشجاعة، وبعث لجو الحماسة ، وتبدو في الصورة في الشعر الوطني طبيعة الصحرا• وما فيها من طير وحيوان ونبات ، كما تظهر فيها بيئة مكة والدعوة الاسلامية ، ويظهر في الشعر المقول في مهرجان المتنبي• أثر البيئة الحربية في الامارة الحمدانية •

وتظهر ، في الصورة في الغزل ، بيئة الصحرا• وبيئة الغزل العذرى وبيئة النعيم والترف والمجون في العصر العباسي •

وتظهر في الصورة في الوصف ، طبيعة الصحرا• وما فيها من حيوان ونبات •

ويظهر ، في الصورة في التاملات ، اثر البيئة المادية في الشام ، واثر البيئة المعنوية التي تتمثل في الدين وبعض طرائقه كالصوفية ، كما يظهر في الصورة اثر الشعر القديم ولاسيما شعر الزهد والحكمة •

والوان الصورة نجدها في الشعر القديم ، وهي معروضة عرضا مجردا لا اثر فيه لاحساس اختلج في قلب الشاعر ، ولاقدرة له على اثارة احساس معين في نفس السامع او القارئ• •

والاصوات المترددة في الشعر مطبوعة بطابع التقليد من مثل زئير الاسد ، وحنين النياق ، وهدير الفحول ، وخرير المياه ، وهزيم الرعد ، وغنا• الطير •

والتشخيص في الصورة طابع تقليدى نلحظه في صور الأقدمين ، واظهر ما يكون في شعر ابي تمام وابن الرومي •

ويظهر اثر الشعر القديم في استعارة اجزاء الصورة بعضها او كلها من القديم ، وهذا الاثر لا يقتصر على الصورة البسيطة وحسب ، بل يشمل الصورة المتعددة الاجزاء ، وقد وجدنا صور الشعراء في حريق دمشق تحتشد في الابيات وتتعدد دون ان تتناسق تداخل الاطار العام للمنظر وتتأثر بصورة ابي تمام في حريق عمورية ، وأرجعنا هذا الاثر الى الشعر العربي القديم الذي تعود ان ينظر الى الاشياء من زاوية ضيقة .

اما الجديد في الصورة فيبدو في بعض اجزائها المستعارة من بيئة الحرب الحديثة وهذا واضح في الشعر الوطني .

ويبدو في الغزل صور مستمدة من البيئة المادية الحديثة التي تنزع الى الادب الصريح المكشوف ، وهذا الادب يصف جسد المراة وثورة الغرائز والشهوات ، وهو يعكس اثر البيئة الغربية والادب الغربي في شعر على الناصر وابي ريشة .

ويبدو في الوصف أثر الطبيعة الشامية والوان من جمال الطبيعة في لبنان والعراق ، وهذا يطبع الوصف بطابع محلي ، ويصبغه بصباغ خاص .

ويظهر اثر الشعر الغربي في الصورة البسيطة والمركبة ، فاما الصورة البسيطة فتنقل نقلا ، او يستعار بعض أجزائها من الاصل ويضاف اليها ما يكملها ، او تخلق خلقا تظهر فيه أصالة الشاعر .

ونجد الصورة البسيطة في شعر العطار وعمر يحيى والفاخوري وعلى الناصر وابي ريشة والصورة المركبة انواع :

١ ـ نوع ترتبط فيه الصور ارتباطا عضويا كما في قصيدة (طلل) لأبي ريشة

٢ ـ ونوع يتالف من فقر ، وكل فقرة من عدد من الصور ، والفقر مترابطة متماسكة توظف الصورة العامة ، والشاعر في هذا النوع يمسك بخيط يشد اجزاء الصورة بعضها الى بعض ، وينظمها في سلك واحد ، ومن هذا النوع القصة الشعرية ، ونجدها عند على الناصر في قصة الراهبة (بولين) وعند ابي ريشة في قصة (جان دارك) وقصيدته (كأس) لديك الجن ، والقصة الشعرية عند هذين الشاعرين شريط من الصور المتحركة .

٣ ـ ونوع ثالث يبدو في الرمز ، وصورة الرمز ذات وحدة عضوية ، ونجدها عند على الناصر في قصيدته (البدوي الضال) ، وعند ابي ريشة في قصيدته (نسر)

والصورة المركبة لا تتألف من متعدد وحسب ، وانما تخضع الى ترتيب اجزائها وتنسيقها داخل الاطار العام للصورة ، لنظرة الشاعر وإحساسه الذي يريد نقله الى السامع .

وهكذا يظهر في الصورة اثر الشعر العربي القديم واثر الشعر الغربي .

(١٢)

ويظهر اثر الشعر القديم والشعر الغربي في الوزن والقافية فالشعراء يحافظون على وحدة الوزن والقافية ، وينظمون على البحور الاصلية والبحور المجزوءة المتفرعة منها ، ويستعملون البيت المشطور ، وينظمون المخمس والموشح والمزدوج والرباعيات ، ويعارضون القدماء ، ويلائمون بين الاوزان والموضوعات .

ومع تقدم العصر ، وتغير الاذواق ، يتبدل راى الشعراء في موسيقى الشعر ، فينظم بعضهم من مثل على الناصر وابى ريشة والعطار على المتقارب والسريع والخفيف . التى تصلح للتصرف بالمعانى المختلفة ، وتمتاز بالسلاسة والسهولة والعذوبة والرقة التى فيها شدة مانوسة ، ويبلغ مقدار المنظوم على الخفيف في ديوان ابى ريشة نصف الديوان ويتجاوز نصف ديوان العطار .

ويتنوع الوزن في مسرحيات ابى ريشة استجابة لخصائص المسرحية ، ويتحرر على الناصر من قيد الوزن في بعض شعره ، فيقيم القصيدة على التفعيلة الواحدة من تفعيلات البحر ، ثم يكتب النثر الشعرى الذى لا يتقيد بوزن ولا قافية ، ويعتمد على الجمال والخيال والصياغة .

ويعنى الشعراء بالقافية عناية القدماء بها ، فيحافظون على الالف الممدودة او على الواو والياء قبل الروى ، ويأتون بروى ثابت قبل هاء الغائب ، ويتبعون ألف التاسيس في سائر ابيات القصيدة ، ويلتزمون التصريع في مطلع القصيدة ، ويلائمون بين قوافيهم وبين الموضوعات ، ويتكلفون في اختيار القافية ، ويحكمونها في البيت ، فيجعلون البيت تابعا لها بدلا من ان تكون هى تابعة له ، ويغربون احيانا في اختيارها ، ويوطئونها للصنعة البديعية وصناعة التكرار اللفظى ، وتتنوع القافية في الموشحات وفي شعر على الناصر وابى ريشة ، ويعنى بعض الشعراء من مثل على الناصر والحاسنى بالقافية المتعانقة والمزدوجة كما في الشعر الغربى .

ويستجيب على الناصر لدعوة التحرر من قيد الوزن والقافية ، وكانت قد انطلقت من الغرب في العصر الحديث ، ورددها بعض الادباء في المهجر والشرق العربى .

(١٣)

وهكذا يظهر في الشعر مدرستان

ا — مدرسة التقليد وهى تقوم على الثقافة العربية الادبية القديمة ، وتتأثر الاقدمين في موضوعات القول ، وبناء القصيدة ، واختيار اللفظ ، واستخدام الصنعة البديعية ، وإحياء اساليب التعبير وطرق التصوير في عصور الادب الزاهية ، والنظم على الابحر الأصلية والابحر المجزوءة المتفرعة منها ، والملاءمة بينها وبين الموضوعات ، والمحافظة على وحدة الوزن والقافية .

ويمثل هذه المدرسة شعراء الرعيل الاول وتابعوهم من طبقة الحامد والفراتى وعمر يحيى واغلبهم ولدوا في مطلع القرن العشرين او قبله بقليل ، وترعرعوا مع نمو الحركة العربية ، وتثقفوا ثقافة عربية خالصة ، فاطلعوا على التاريخ العربى ، ودرسوا الادب العربى ، واعجبوا بماضى العرب والادب .

وسمات التقليد هى اوضح في شعر التابعين من طبقة الحامد والفراتى وعمر يحيى منها في شعر شعراء الرعيل الاول .

ب — ومدرسة التجديد ، وهى تضيف الى الثقافة العربية الادبية القديمة ثقافة ادبية غربية ، وتبدو معالم هذه المدرسة في بعض موضوعات القول ولا سيما الشعر الوجدانى ، كما تبدو في بناء القصيدة ذات الوحدة العضوية ، وفي القصيدة الوجدانية ، والقصيدة الرمزية ، والقصة الشعرية

والمسرحية ، وفي استعمال الرمز ، وبعض اساليب التعبير والتصوير ، وفي النظم على ابحر قليلة معينة ، وتنويع الوزن والقافية ، والتحرر من قيد الوزن والقافية .

ويمثل هذه المدرسة علي الناصر وابو ريشة وبعض الشعراء الشباب من مثل العطار والفاخوري والمحاسني وامجد في بعض شعرهم .

وليس بين تينك المدرستين حدود فاصلة ، فالقديم مستمر في الجديد ، والجديد داخل في اطار القديم .

فمردم يظهر في شعره أثر البيئة المادية المترفة، إذ يصور في موشحه (سكران وسكرى) جو النعمة والترف والحب والشراب واللذة، وجمال المرأة وحليتها وزينتها ، ويبرز في موشحة (الرقص) ظاهرة السفور، واختلاط المرأة بالرجل .

وجبري ينظم في الحرية وهو معنى او موضوع جديد ، ويبرز اثر المرأة في حياة الرجل فيرى ان حس الطبيعة حس الانصاب وان جمالها لا يدرك الا بالمرأة ، فجمالها معجب وحسها متقد .

وعمر يحيي ينظم موشحا في ذكرى الشاعر الفرنسي (لامارتين) يجلو فيه خصائص فنه ، وينقل عن الفرنسية بعض القطع فيدلل على معرفته بها ، ويعبر عن حالة نفسية شبيهة بالنزعة الرومانسية ، وهذه الحالة مزيج من حياة الشاعر الفردية وحداثته واصداء المرحلة التاريخية في نفسه ، ونجدها عند بدوي الجبل والحامد، فهم قد اتصفوا بطراوة العاطفة وغضارة الشباب وشاهدوا الحلم العربي بالاستقلال ينطفئ امام اعينهم ويخلفه ظلام الاحتلال .

وابو ريشة ينظم في بعض الموضوعات التقليدية من حماسة وفخر ووصف ورثاء وغزل ، ويظهر تنوع الموضوع في بعض قصائده من مثل قصيدته (لمحة) ، ويختار اللفظ الذي يمتاز بالقوة والفصاحة وفخامة الجرس ، ويستعير من القديم بعض الالفاظ الموحية ، وتظهر بعض الوان من الصنعة البديعية في شعره ، وتتردد روح القدامى في اساليب تعبيره وطرق تصويره ، فياخذ بعض اجزاء صورته من القديم ، ويقلد في الصورة المتعددة الاجزاء ، ويحافظ على وحدة الوزن في قصائده، وعلى وحدة القافية في اغلب شعره .

واذا كان شعراء الرعيل الاول وتابعوهم مشدودين الى القديم رغم تعلقهم بالجديد، ومحاولتهم تصويره، فان عليا الناصر وأباريشة مشدودان الى الجديد ، ويتوسط بين الطبقتين شعراء من مثل العطار والمحاسني وامجد والفاخوري ، وهؤلاء يختلفون من حيث تعلقهم بالقديم وميلهم الى الجديد ، ويتفقون في أنهم تثقفوا بالادب العربي القديم والحديث، وطالعوا الادب الغربي وتناولوا موضوعات وجدانية، وقل لديهم الشعر الوطني ، وشعروا بشيء من الحيرة في حياتهم الفنية، فجددوا مرة، وقلدوا مرة متاثرين بالظروف التي اكتنفت حياتهم ، فامجد كان مقلدا في شعره الوطني قبل انتقاله الى الغرب، وكان يطيل القول ، فلما سافر الى فرنسة مالت قصائده الى القصر، والتنويع في الاوزان والقوافي، والايحاء بالجو العام ، وكانت تميل من قبل الى التفصيل والامتاع .

ويتضح ، مما تقدم ، أن التجديد فى الشعر يقوم على ركنين اثنين :ـ

أ)ـ أولهما التزود من الثقافة العربية القديمة ، وتمكينها فى النفس ، وتمثلها •

ب)ـ وثانيهما الاطلاع على الادب الغربى والحضارة الغربية •

وقد قام شعر أبى ريشة على ذينك الركنين ، فوجدناه يطلع على الادب العربى القديم ويحفظ منه كثيرا ، ويحاول تقليده فى بدء حياته الشعرية ، ويطلع على الادب الغربى و لا سيما الانجليزى ، ويقلد ما فيه من نماذج ، ويتأثر بالشاعر " بودلير " و " بو " و "بايرون" ويوازن فى نفسه بين آثار الشعر العربى القديم والشعر الغربى ، ويطعم ذاك بهذا فيخرج •• نماذج جديدة فى الفن •

ومع أن عليا الناصر سبق أبا ريشة الى التجديد فانه لم يستطع أن يتزعم المدرسة الجديدة بسبب افتقاره الى الاساس الذى يقيم عليه البناء ، وهذا الاساس المكين هو الادب العربى القديم ، وقد قل نصيب الشاعر منه كما وجدنا من قبل •

وخلاصة مايقال فى الشعر العربى فى سورية أنه ينهل من القديم ، ويغلب عليه التقليد ، وهو فى جملته استمرار لمدرسة البعث التى قامت فى مصر على البارودى اولا وعلى شوقى وحافظ وخليل مطران ثانيا ويظهر فيه أثر الجديد الذى هو ثمرة احتكاك العرب بالغرب وتأثرهم بعلمه وأدبه وحضارته •

المـــــراجـع

١)ـ الدواوين والمجلات والصحف التي ورد ذكرها في الرسالة •

٢)ـ محاضرات الدكتور اسحق موسى الحسيني في الفنون الادبية عام ١٩٥٦/١٩٥٧ •

٣)ـ حديث الأربعاء • الجزء الأول الدكتور طه حسين • دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ •

٤)ـ في الأدب والنقد • الدكتور محمد مندور • مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر • القاهرة سنة ١٩٥٦ •

٥)ـ النقد المنهجي عند العرب • الدكتور محمد مندور • مطبعة نهضة مصر •

٦)ـ في الميزان الجديد • الدكتور محمد مندور • مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر • القاهرة سنة ١٩٤٤ •

٧)ـ محاضرات عن مسرحيات شوقي • الدكتور محمد مندور • دار مصر للطباعة • القاهرة سنة ١٩٥٥ •

٨)ـ محاضرات في الأدب ومذاهبه • الدكتور محمد مندور • من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٥ •